شؤون فلسطينية

٥٨

حزيران (يونيو) ١٩٧٦

شؤون فلسطينية

رئيس التحرير : الدكتور انيس صايغ

رقم ٥٨ — حزيران (يونيو) ١٩٧٦

شهرية فكرية لمعالجة أحداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة .
تصدر عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

يشارك في التحرير : محمود درويش .

مدير التوزيع : غازي خورشيد .

جميع الآراء الواردة تعبر عن وجهات نظر كاتبيها ولا تعكس بالضرورة آراء منظمة التحرير الفلسطينية ولا المحررين ولا المستشارين ولا الناشرين .

العنوان : بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومباني (متفرع من السادات) ، راس بيروت ، بيروت ـ لبنان ، ص.ب ١٦٩١ ، تلفون : التحرير ٣٥١٢٦٠ ، التوزيع ٢٢٦٥٨٥ ، برقيا مرابحاث ، بيروت .

ثمن العدد : ٢/١ ٣ ل.ل. في لبنان ، ٤ ل.س. في سوريا ، ٤٥٠ فلسا في الكويت والعراق ، ٨ دراهم في دولة الامارات العربية ، ٢/١ ٤ ل.ل. في سائر الاقطار العربية .

الاشتراك السنوي (بريد جوي) : ٥٠ ل.ل. في لبنان وسوريا ، ٦٠ ل.ل. في سائر الاقطار العربية ، ٨٠ ل.ل. في اوروبا وافريقيا ، ١٠٠ ل.ل. في اميركا واستراليا وآسيا .

الاشتراك السنوي (بريد عادي) : ٥٠ ل.ل. في جميع الدول غير العربية .

محتويات

صفحة

٣ حدود . . بلا حدود ـ شؤون فلسطينية

٥ التوازنات المسلحة (٢) حول انتخابات الرئاسة في لبنان ، خالد جابر .

١٨ المأزق التاريخي لحركة التحرر الوطني العربية ، ميشيل كامل .

٣٨ الاستراتيجية العسكرية الاسرائيلية بين حربين : ١٩٦٧ ـ ١٩٧٣ ، المقدم الهيثم الأيوبي .

٥١ قبل الخروج من الاردن [وقائع واحداث] ، غازي الخليلي .

٦٠ اللعب خارج المعادلة : ملاحظات على اساس البرنامج السياسي للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين ، سميح سمارة .

٧٧ الاستيطان : بين الدافع الايديولوجي والخطة السياسية ، صبحي طه .

٩٥ مستقبل الليرة الاسرائيلية ، عبد القادر شهيب .

١٠٨ من الانتظار الى اليقظة في أدب اميل حبيبي ، الدكتور فيصل دراج .

١١٩ البراري ، سليم بركات .

١٣٣ ثقافة ، الياس خوري .

١٣٩ قراءة في سياسة الحزب الشيوعي الفلسطيني ، هاني حوراني .

١٧٩ دليل الباحثين ، المقدم الهيثم الايوبي .

١٩٠ تقارير : من تجارب العمل الشعبي خلال الاحداث ، فرحان الصالح . المفهوم الاسرائيلي لصفقة طائرات النقل الاميركية (هيركليس) لمصر ، الرائد الطيار حسين عويضة .

١٩٧ مناقشات : رد على مقال « وفاة اول امين عـــام عربي للحزب الشيوعي الفلسطيني » (عدد ٥٣ ـ ٥٤) ، موسى خليل البديري .

٢٠١ **شهريات :** (١) القضية الفلسطينية دوليا ، (٢) القضية الفلسطينية عسكريا ، ح. ع. (٣) المناطق المحتلة ، احمد خليفة ـ عيسى الشعبي .

شؤون فلسطينية

الصـــدام والتحـــدي

بتحول الحرب الاهلية الوطنية في لبنان الى حرب عربية ــ عربية ، تدخل القضية القومية مرحلة هامة وبالغة التعقيد من مسارها النضالي . فقوات الاجتياح السوري المدرع التي انتقلت الى الهجوم الشامل على مواقع الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية في لبنان ، فتحت باب الحرب الاهلية العربية . وفتحت معها ، امكانيات الجماهير الهائلة والتي لا تهزم كي ترتفع عبر غابات الرجال والبنادق لتعلن ولادة جديدة للثورة العربية .

الصدام الذي بدأ والذي يأخذ اليوم مسارات متعرجة ، وهو التعبير المباشر عن احدى لحظات الحرب الوطنية التي استطاعت قوى الثورة والتغيير الدفع بها بعيدا الى الامام ، على طريق نصر شامل في لبنان ، يفتح الصدام من مواقع متقدمة مع العدو الوطني . يتجاوز هذا الاتجاه العام الذي رسمته الحرب الاهلية الوطنية في لبنان ، حركة القوى التي قادت حرب تشرين ويضعها امام مأزقها التاريخي : عدم قدرتها على استكمال الحرب الوطنية في شروط دولية ومحلية ملائمة ، واستعدادها لتقديم التنازلات والدخول في المساومة مع العدو الامبريالي . هذه القوى لا تستطيع لاسباب تتعلق بتركيب السلطة الفعلية الدخول الى حلبة الصراع المفتوح مع العدو الامبريالي ، لأن هذا الصراع يفترض شروطا تمس بنيتها الداخلية ، وتفرض حدا من الديمقراطية الجماهيرية الحقيقية .

ان المساومة دفعت بهذه القوى الى الوقوف امام جدار الصدام مع العدو الوطني لترتد على قوى الثورة والتغيير في محاولة لضربها وتدجينها تمهيدا لتصفيتها .

لكن حسابات الواقع كانت تحد . فالجماهير التي واجهت الدبابات كانت تعرف انها لا تخوض معركة فلسطين او معركة لبنان الجديد فقط ، بل تخوض معركة كل الامة العربية ، معركة الصمود والتحدي والمواجهة . لقد قاتلت الجماهير الوطنية باسم كل العرب الذين منعوا من القتال . باسم كل الايدي التي قطعت الالسنة التي اخرست ، وهي حين تنتصر ، تنتصر باسم كل هؤلاء ، باسم وحدة عربية حقيقة ، وحدة تصنعها الطريق الى فلسطين ، وحدة الجماهير المقاتلة التي لا يمكن ان تتم الا ضد الامبريالية وفي لهب الصراع الوطني . فعلى قمم صنين وفي صيدا وصور ويحمدون ، صنعت الجماهير اللبنانية ــ الفلسطينية وحدة عربية حقيقية مقاتلة .

الصدام الذي يفتح ابواب المستقبل هو الصدام الذي تصنعه الجماهير فتصنع مستقبلها وهي ترسم الموت والدماء والبداية . فاذا كان الصدام لا يزال محصورا داخل حدود الكيان اللبناني ، فان الارض العربية باسرها هي ساحة التحدي .

الحرب الاهلية العربية ، هي لحظة في حربنا الوطنية الشاملة . والجماهير التي تقاتل ترفع اليوم رايات البدايات الحقيقية ، رايات زمن الشعب الذي يصنع حربه ويصنع مجد الايام التي نحيا .

حدود . . بلا حدود

☐ نادرا مـــا يكون الخبز العربي فلسطيني المذاق الى هذا الحد ، ونادرا ما تتجلى فلسطين ملحا للخبز العربي في مثل هذا الوضوح ، كان المجتهـــدون بعيدو النظر ، والمقاتلون الطالعون من سياط الاهل ، وحدهم ، هـم الذيـــن يرون في انبثاق الممارسة الفلسطينية المستقلة بشيرا او نذيرا ـ وفقا لنظـرة الرائي الايديولوجية ـ بتحولات اجتماعية جديدة في الوطن العربي، فليست نواة الثورة الفلسطينية صالحة لاجراء تعديل جوهري في معادلة الصراع العربي ـ الاسرائيلي وحدها، بل هي قابلية ملموسة لرفع زخم قوى الحرية والديموقراطية في الداخل العربي وتنشيط فاعليتها ضمن عملية الاستقطاب الثوري الفاعلـة على ازدواجية الصراع : على حدود الوطن المحتل وامتـــداد علاقات المحتلين ، وعلى حدود المطالب الداخلية بالتغيير الذي يصل الى اكتشاف علاقـــة ما ، هنالك فرق ، بين استمرار الاحتلال واستمرار النظام الاجتماعي ، من هنـــا ارتبطت معركة تحرير فلسطين ، دائما دائما ، وبدرجات متفاوتة من الالحاح ، بالمعركة الديموقراطية الداخلية وبصراع القديم والجديد بمعناهما العلمي، فصار تحرير الحدود هو العملية ذاتها لحرية الناس الذاهبة الى تحرير الحدود وكسر القيود ، ولقد كانت هذه المسألة البديهة عرضة للمناقشة ـ وفقا لامتـــلاك البلاغة ـ قبل ان تغير بيروت معانيها واحتمالاتها الانقلابية ، على الرغم من ان انفضاح معادلة الارتباط بين امن الغزاة وبين امن الطغاة المسماة ببعـض الاتفاقيات العربية ـ الاسرائيلية كان كافيا لرد التساؤل الى صوابـــه ، او فلنعتذر عن هذه الصياغة قائلين ان هذا الارتباط الذي سموه ـ مجازا ـ فـك ارتباط قد جاء للفتك بعلاقة الخبز العربي ـ كتعبير اجتماعـــي ـ بالارض الفلسطينية ـ كتعبير قومي ـ فوقع اذكياء البلاغة في حماقة نريدها برهانـا وحافزا فتعمقت العلاقة وبلغت حد الحرب الاهلية في لبنان الذي اعتبرته جميـع الاطراف اضعف الحلقات ، دون ان تفطن الى ان الحالة الثورية غالبا ما تأتي من اضعف الحلقات ،

« شؤون فلسطينية »

التوازنات المسلحة [٢]
حول انتخابات الرئاسة في لبنان

خالد جابر

صبيحة ١٨ اب ١٩٧٠ ، بعد انتخاب سليمان فرنجية رئيسا للجمهورية باغلبية ٥٠ صوتا ، اي بزيادة صوت واحد على المرشح الشهابي الياس سركيس ، خرجت جريدة « النهار » بصورة كاريكاتورية للرئيس السابق شارل حلو وهو يلبس ثياب كاهن ماروني ، ويقرأ كتاب « تاريخ الموارنة » . والدلالة بالغة الوضوح . فلقد انتخب سليمان فرنجية في سياق المد الذي جاء بالحلف الثلاثي منتصرا في اغلبية دوائر الجبل المارونية . هذا المد هو الذي شكل الوجهة الغالبة في المرحلة التي تلت هزيمة حزيران ، الى جانب وجهة جماهيرية تمثلت في الثورة الفلسطينية وفي محاولات الانظمة الوطنية مواجهة الهزيمة ، عبر الاستعداد لشن هجوم وطني مضاد . لقد اتى انتخاب فرنجية كنقطة تقاطع لهاتين الوجهتين مع اتجاه غالب للمد الرجعي في لبنان ، تمثل في الحلف الثلاثي ومحاولته ضرب السياسة العربية الشهابية .

ان الصورة الكاريكاتورية التي نشرتها « النهار » بالغة الوضوح . فانتخاب فرنجية واسقاط سركيس كان تعبيرا عن قدرة الطرف الماروني الغالب في السلطة ، على بسط هيمنته عليها ، بشكل شبه كامل ، عبر التعاون مع اطراف من البرجوازيات الاسلامية ، حاول الشهابيون ضربها ، وهي تتحالف اساسا مع المحور السعودي .

لكن بعد اقل من ست سنوات ، اصبح السيد الياس سركيس ، مرشح الطرف الماروني الغالب ، وانقلبت التحالفات رأسا على عقب . واتى حوالي ٧٠ نائبا الى قصر حسين منصور الواقع بين المنطقتين الشرقية والغربية ، مخترقين حواجز المطاط النارية ، يتراكضون امام باحة القصر خوفا من الرصاص والقذائف ، من اجل ان ينتخبوا السيد الياس سركيس رئيسا للجمهورية باغلبية ثلثي اصوات مجلس النواب ، في دورة الاقتراع الثانية .

ان الصورة الجديدة ، التي نشرتها « النهار » لاجتماع المجلس وان كانت صورة فوتوغرافية ، لا تقل كاريكاتورية عن الصورة الاولى . فماذا جرى لكتاب « تاريخ الموارنة » الذي كان بيد شارل حلو ، حتى اصبح يصب في خانة مرشح يتفق الجميع على اعتباره مدعوما من سوريا ؟ وكيف انقلبت الصورة بعد اقل من ست سنوات ، ليصبح ولي العهد الشهابي ، مرشح شمعون والكتائب والرئيس كرامي ؟

ان الجواب على هذا السؤال ، لن يكون بالتأكيد ، عبر تحليل مواقف السادة النواب وبرامجهم السياسية . فالسيد سليمان العلي ، يكشف لعبة الاوراق المستورة في انتخابات الرئاسة . فيعلن نهار الاربعاء ٥ ــ ٥ ــ ٧٦ ، تأييده للسيد الياس

سركيس « بناء على رغبة الاشقاء السوريين » لكن هذا الكشف لا يكفي . ولا تكفي كذلك لعبة الاغراض التي سياخذها الشباب لاحد النواب حتى يأتي الى المجلس رغم ان النائب البير منصور يفضح لعبة القبض والدفع . فالقضية اكثر تعقيدا ، ولا يمكن فهمها الا ضمن فهم مسألتين :

المسألة الاولى ، وتتعلق ، بالرئاسة في لبنان . دورها داخل التركيبة اللبنانية ، وعلاقتها بالتمثيل السياسي الذي يتركز اساسا في مجلس النواب .

والمسألة الثانية ، هي في فهم انتخابات الرئاسة اللبنانية ، من ضمن سياق الحرب الاهلية المشتعلة في لبنان منذ اكثر من سنة .

ان هاتين المسألتين ، تكشفان الغامض ، في لعبة الانتخاب . وتسمحان بتقييم دقيق لفوز السيد الياس سركيس ، من ضمن دراسة الصراعات الفعلية التي تخوضها الجماهير الوطنية في الحرب الاهلية .

الرئاسة في النظام اللبناني :

الرئاسة في النظام السياسي اللبناني ، هي عقدة حبل الرئاسات . فرئيس الجمهورية قانونيا ، يلي الاحكام ولا يحكم . لكنه يحكم . ورئيس مجلس الوزراء هو رئيس السلطة التنفيذية ، لكن مجلس الوزراء لا يجتمع عادة الا برئاسة رئيس الجمهورية . والاكثرية النيابية هي التي ترشح رئيس مجلس الوزراء في الاستشارات. لكن غالبا ما تترك اكثريتها الحرية لرئيس الجمهورية في اختيار رئيس وزرائه . والحكومات لا تسقط في البرلمان الا نادرا وعندما تفقد دعم القصر الجمهوري . هكذا نرى ان رئاسة الجمهورية في النظام السياسي اللبناني ، تجمع الحكم الرئاسي الى جانب الحكم البرلماني . وتسمح لمنصب رئاسة الجمهورية بغلبة شاملة على الرئاسات الاخرى . هذه الغلبة ، هي وجه الغلبة المارونية في السلطة . فرئيس الجمهورية ، هو ممثل هذه الغلبة ، داخل العلاقات السياسية في التركيبة اللبنانية . تعيد هذه الغلبة تشكيل التحالفات داخل الهيئة التمثيلية — مجلس النواب . هكذا ، يأتي رئيس الجمهورية واغلبيته الجديدة الى جانبه . ويعاد تنظيم الحياة السياسية اللبنانية ، في جميع مراتبها التنفيذية والتشريعية ، على ضوء غلبة رئاسة الجمهورية على الرئاسات الاخرى .

فما هي عناصر صناعة الرئيس اللبناني . وما هي اوالية توليه السلطة ؟

من الواضح ان مجلس النواب ، هو الذي ينتخب رئيس الجمهورية . لكن هذا الانتخاب ، ليس انتخابا مباشرا . اذ غالبا ، ما ينتخب هذا المجلس مرشحا وحيدا او شبه وحيد . اذن فانتخاب الرئيس لا يمر باوالية التمثيل السياسي اللبناني — مجلس النواب — فقط . بل يأتي عبره من التوازن العام الذي يحكم كينونة لبنان ، بوصفه تجزئة عربية .

لذلك ففي بحثنا ، عن صناعة الرئيس في لبنان ، لا بد من معالجة مسألتين مترابطتين : المسألة الاولى ، هي مسألة التمثيل السياسي : مجلس النواب . والمسألة الثانية هي مسألة التوازن العام .

١ — التمثيل السياسي :

القانون الانتخابي الحالي هو قانون ، جرى تفصيله على حجم اتجاهات السلطة الشهابية وقدرتها على ضبط الصراعات الطائفية ، داخل التوازن العام الذي اتى

بشهاب رئيسا للجمهورية بعد حرب ١٩٥٨ الاهلية . وهو اساسا ، يخدم سلطة البرجوازية الكمبرادورية في تحالفاتها وتوازناتها بين المركز الامبريالي والداخل العربي. فالتمثيل الديمقراطي اللبناني ، هو ككل تمثيل ديمقراطي — برجوازي ، يحجب الصراعات الفعلية مستبدلا اياها بصراعات مخففة . ففي الديمقراطية البرجوازية الغربية ، يقوم التمثيل النيابي ، واجهزة السلطة البرجوازية ، بحجب الصراع الطبقي ، عبر تفتيت الطبقة العاملة الى افراد احرار . اما في النمط الاقتصادي السياسي الوسيط . فان الميل العام الذي تقود اليه الرأسمالية الوسيطة ، هو نحو مزيد من الاستقطاب الطائفي ، وضرب لاشكال التنظيم الاجتماعية الاخرى . لذلك تأتي مؤسسة التمثيل السياسي ، لا لتعكس هذا الميل ، لانه عندئذ اما ان ينفسرط الكيان ، واما ان تقوم الغلبة المارونية على العنف الداخلي المباشر والمستمر ، وهذا يتنافى مع تحديد الكيان كنتاج للتجزئة في سياق الصراع مع الامبريالية ، بل لتحجبه ضمن صراعات من نمط جديد . اما عملية الحجب هذه ، فتظهر من خلال العملية الانتخابية ، عبر شكل تقسيم الدائرة الانتخابية نفسها ، الذي لا يتطابق كليا مع الانقسامات الطائفية . وتظهر على الاخص ، عبر تشكيل الكتل النيابية ، تحالفاتها ، اعادة تشكيل هذه التحالفات . تمثل هذه التحالفات وجه التوازن ، الذي ينقل الصراع من حديته الطائفية الى اشكال تحالفات « سياسية » . فالانقسامات في فترات التوازن حيث تعمل المؤسسات السياسية ، لا تبقى انقساما طائفيا بشكل مطلق . بل تأخذ شكل انقسامات سياسية حول السلطة التنفيذية . ان هذه التحالفات هي ضابط التوازن في المستوى السياسي ، الذي هو اساسا توازن عام عربي — امبريالي . (وحدة تجزئة) . هنا يصبح التمثيل السياسي حجبا للشكل الطائفي في الصراع ، بعد وضعه ضمن قنوات اخرى — المؤسسات . فعلى اية قاعدة تجري عملية ضبط التوازن ، ضمن وجهة عامة تتمثل في غلبة الاستقطاب الطائفي ؟

كنا ، قد اشرنا (١) الى ثلاثة مستويات للتنظيم الاجتماعي في لبنان . العشيرة ، العائلة ، الطائفة . واكتشفنا ، انه داخل سياق نمو الرأسمالية الوسيطة في ظل التجزئة المفروضة بالعنف الامبريالي ، فان مزاج هذه المستويات يحكمه الميل الى انهيار العشيرة وبروز العائلة الصغيرة ، ضمن حركة تناقضية تؤدي الى تكون الطائفة كمزاج مستجد ، لا يفسر الا بحلول الرأسمالية الوسيطة . غير اننا نشير هنا الى علاقتين مركبتين يقوم هذا المزاج على قاعدتهما .

فالعلاقة التناقضية بين العائلة والعشيرة تحسم على المستوى القانوني ، لمصلحة العائلة ، لكن الممارسة الاجتماعية اكثر تعقيدا . فهذا الحسم ، الذي يفتت العشيرة مبدئيا يستعيد بعض اشكالها . فالارث ، يبقى عمليا ، وحتى في ظل الحق البرجوازي، عرضة للتحايل على القانون لمصلحة العائلة الموسعة .

كما ان العلاقة ، بين العائلة والطائفة ، هي الاخرى علاقة مركبة . فالطائفة ليست مجموعة عائلات . بل هما مستويان ، يتناقضان . فالطائفة هي شكل ناتج عن الميل الى تفتيت علاقات الحسب والنسب معا لاحلال صلات الارحام . بينما تقوم العائلة الموسعة على علاقات النسب .

ان غلبة المستوى الطائفي في هذا المزاج ، لا تلغي المزاج . بل هو يتحدد في ظل النمط الرأسمالي الوسيط عبر أوالية علاقات مركبة : —

---

(١) خالد جابر : السلطة والتوازن في لبنان ، شؤون فلسطينية ٥٠ — ٥١ .

١ — يقود الميل العام الى ضرب مراتبية سحب الربوع ، الى ضرب العشيرة . وهذا يسمح ببروز الطائفة كشكل للتنظيم الاجتماعي .

٢ — غير ان العلاقة بين الطائفة والعشيرة ليست مباشرة . بل هي تمر عبر صراع العائلة البرجوازية (البيت) مع العشيرة . فالعائلة البرجوازية ، القائمة اساسا على سيادة الحق البرجوازي ، لا تقوم هنا على قاعدة انتاج رأسمالية . لذلك لا يستطيع هذا التناقض ضرب العشيرة بشكل كامل . بل ينشأ عنه شكل وسيط هو العائلة الموسعة .

٣ — تنشأ داخل هذا المزاج الجديد علاقة صراعية بين الطائفة والعائلة الموسعة. يأخذ هذا الصراع اشكالا متفاوتة حسب مراحل الصراع في التوازن العام . فالغلبة المطلقة للشكل الصراعي الطائفي ، تعني صراعا طائفيا مطلقا ، اي تنفي امكانية التوازن بالغلبة التي هي اساس الكيان . لذلك تلعب العائلة الموسعة على المستوى السياسي دور الضابط للصراع الطائفي . ففي المستوى السياسي ، وداخل صراعها مع الميل الطائفي الكامل ، تعاند العائلة الموسعة محاولة ضرب نفوذها السياسي . لان هذه المحاولة ، لا تستطيع ضرب العائلة الموسعة كأحدى اطر الصراع السياسي ، لان هذه العملية تقود الى تفجير التناقض الطائفي نفسه بشكل كامل وهكذا يضرب الكيان .

ضمن هذه العلاقة المركبة ، يأتي التمثيل السياسي ، لا ليضرب الميل العام للاستقطاب الطائفي ، بل ليعكسه ، وليحجب الاساسي فيه . هكذا تعاند العائلة الموسعة عملية اذابتها كليا وضربها . وتلعب على المستوى السياسي ، وعلى مستوى المؤسسات التمثيلية دور كابح الانفجار الطائفي . دون ان تستطيع المس بالمراتبية الطائفية . اي بالغلبة المارونية في السلطة .

هكذا يبرز دور العائلة الموسعة على مستوى التمثيل السياسي . وليس من قبيل الصدف ، ان يكون جميع المرشحين لرئاسة الجمهورية ينتمون الى عائلات سياسية لعبت دورا سياسيا في الحياة اللبنانية . (ريمون اده هو نجل الرئيس الاسبق اميل اده . ميشال الخوري هو نجل الرئيس الاسبق بشارة الخوري . جان عزيز هو ابن شقيقة البطريرك الماروني السابق بولس المعوشي . اما السيد الياس سركيس ، الذي لا ينتمي الى العائلات اللبنانية العريقة فهو الابن الروحي للرئيس السابق فؤاد شهاب) . ولذلك ايضا ، تقوم داخل الاحزاب الطائفية عائلات تستند الى القاعدة المادية التي اشرنا اليها . فداخل حزب الكتائب . الذي هو اكثر الاحزاب الطائفية وضوحا في طائفيته ، تنشأ عائلات سياسية . الجميل . ابو شرف . شادر .

يلعب التمثيل السياسي النيابي اذن دور حجب الصراع الطائفي . اي دور عكسه في توازن عام . تجري صياغته في الصراع العربي الامبريالي .

ان دور هذا العامل الداخلي ، التمثيل النيابي ، في اختيار الرئيس او المشاركة في اختياره ، بالغ الدلالة . لانه يكشف العلاقات الفعلية . كون هذه المؤسسة لا تستطيع الا في ظروف خاصة جدا ، لعب دور مؤثر نسبيا في اختيار رئيس الجمهورية . فالفئة الكمبرادورية باجنحتها الطائفية المختلفة ، رغم هذا التعقيد في اوالية دورها السياسي ، بالغة الهامشية . ومؤسساتها سريعة العطب .

ب ــ التوازن العام :

ان التوازن بالغلبة ، الذي صيغ في الميثاق الوطني ١٩٤٣ ، هو شكل لتوازن عام يحكم الكيان اللبناني . فهذا الكيان ، بوصفه تجزئة تتم بالعنف الامبريالي المباشر ، هو لحظة توازن في الصراع العربي ــ الامبريالي . الكيانات بهذا المعنى ، لا تتمتع في بنيتها باستقلالية تسمح لها بالحركة السياسية خارج اطار التوازن العام بين المراكز الامبريالية والاوضاع العربية . وهذا التوازن العام بدوره هو محصلة الصراعات ، التي تشارك فيها الجماهير الوطنية داخل الكيان ، دون ان تستطيع الحركة الجماهيرية ان تتمتع باكثر من استقلال نسبي . لذلك فعملية فرط الكيان ، ومحاولة تغيير النظام تصطدم بمستوى التوازن ، العربي ــ الامبريالي . بل هي انعكاس مباشر لها ، عبر جدل الوحدة ــ التجزئة .

ان هذه الحلقة الصراعية هي التي ، في ظل قيادة البرجوازية العربية للصراع ضد العدو الامبريالي ، تعيد انتاج الكيان . وتعيد بالتالي انتاج قنواته . فالصراع الطائفي، الذي ينفجر مع بداية الحروب الاهلية الوطنية . ١٩٥٨ ــ ١٩٧٥ . سرعان ما يتحول وضمن اوالية صراعية جماهيرية ، الى صراع طبقي عربي حول المسألة الوطنية . لذلك ، فالمساومة مع الامبريالية ، حتى عبر فرض تراجعات عليها ١٩٥٨ . تعيد انتاج الكيان . وبالتالي تعيد انتاج الشكل الطائفي الذي يدمر نفسه في الصراع الوطني .

ان رئاسة الجمهورية ، بوصفها رئاسة الرئاسات ، تصبح في الكيان اللبناني ، شكل الغلبة المارونية القائمة على قاعدة التوازن العام هذا . لذلك ، فان دور هذا التوازن في اختيار رئيس الجمهورية ، يصبح الدور الرئيسي . فهذا التوازن ، ليس محصلة صراعات داخلية ــ لبنانية . بل محصلة هذه الصراعات ضمن الصراعات العامة في المنطقة العربية بين الحركة الوطنية العربية والامبريالية .

غير ان هذا الدور الرئيسي في اختيار الرئيس . لا بد وان يتم ، في ظل توازن الغلبة الداخلي ، عبر قنوات التمثيل السياسي ، التي تضبطه . فالرئيس ، يصنع كمحصلة قوى . لكنه لا يستورد استيرادا من الخارج . بل يأتي من ضمن قنوات التمثيل السياسي . اي من ضمن الصراعات الطائفية في اشكالها التمثيلية التي تحجبها . هكذا تتوالى العائلات السياسية على منصب الرئاسة .

ان دراستنا ، للعاملين الرئيسيين في اختيار الرئيس ، تشير الى اولوية عامل التوازن العام بشكل مطلق لكن هذا لا يلغي دور العامل التمثيلي . يسمح له بلعب دور هامشي غالبا . ثم يعيد تركيبه ، على ضوء التوازن الداخلي ، الذي يأتي كمحصلة للتوازن العام .

الرئاسات في لبنان :

سوف نحاول الان ، ومن خلال استعراض سريع للمراحل المختلفة في اختيار الرئيس اللبناني ، دراسة علاقة هذين العاملين . واكتشاف الاوالية الداخلية لعملية انتخابات الرئاسة . يمكننا هنا ، تقسيم اختيار الرئيس الى اربع مراحل : ــ

المرحلة الاولى : فرض الرئيس بواسطة الانتداب الفرنسي :

في مرحلة الانتداب الفرنسي ، كان الدور الاول في اختيار الرئيس ، هو للسلطة المنتدبة . فلقد اتى الانتداب الفرنسي ، على اشلاء حركة وطنية عربية بقيادة الاقطاع

العشائري العربي . وقام بضربها عسكريا ـ معركة ميسلون ـ وتصفية انتفاضاتها ـ الثورات . ثورة جبل العرب خاصة ـ لذلك ، كان الانتداب شكلا للعنف المباشر . فرض التجزئة ، وفرض اقامة دولة لبنان الكبير ، رغم معارضة جماهيرية تمركزت اساسا في المدن . لذلك كان الرئيس ، وكانت المؤسسات التمثيلية ، مجرد ستار لحكم استعماري مباشر ، ولا علاقة له بممارسة الحكم فعليا . غير ان الانتداب ، وضع في هذه المرحلة الاولى اسس التوازن بشكل غير واضح . فتعاقب على الرئاسة بعض المسيحيين الذين (ينتمون الى الطائفة المارونية) . وبقي الكيان الجديد ، غير معترف به من اغلبية الجماهير الوطنية المطلقة .

المرحلة الثانية : بداية التوازن العربي ـ الامبريالي :

بقي الانتداب الفرنسي سيدا في ادارته لشؤون دولة لبنان الكبير ، حتى بدأت تباشير هزيمة الفرنسيين في الحرب العالمية الثانية . وبدأت محاولات الاستعمار البريطاني الحلول مكان النفوذ الاستعماري الفرنسي . لقد ترافق هذا الواقع الدولي الجديد ، مع ارتفاع شعارات الاستقلال الوطني التي التقت ، موضوعيا ، مع محاولات الاستعمار البريطاني اكتساب مناطق نفوذ جديدة . فالحركة الاستقلالية هي محصلة هذين الاتجاهين الموضوعين . وتوازناتها اللبنانية هي محاولة اعادة انتاج للتجزئة في ظل ظروف جديدة متقدمة نسبيا . لقد استطاعت البرجوازية الكبرى العربية المتحالفة مع الاقطاع قيادة هذا المد الاستقلالي في المناطق الخاضعة للنفوذ الفرنسي ، عبر التحالف مع انظمة عربية اخرى لا تزال تخوض صراعا محدودا مع الاستعمار البريطاني . فأتى الاستقلال ، ضمن معادلة دولية جديدة اساسا . واتى ايضا ضمن ميل جماهيري وحدوي ، جرى تقنينه في جامعة الدول العربية التي هي اعادة انتاج للتجزئة داخل سياق الميل الوحدوي .

ضمن هذه المعادلة العربية الجديدة ، ضرب النفوذ الفرنسي . واتى الاستقلال ، كاعادة لانتاج التجزئة ، ضمن توازن عام ، الغلبة فيه واضحة للمعسكر الامبريالي البريطاني . واتت قنوات التجزئة اللبنانية كاعادة انتاج للكيان . كتكريس للغلبة المارونية في العرف .

ان دراسة دور المؤسسات التمثيلية والسياسية في هذه المرحلة بالغ الوضوح . فالقرار الرئيسي في اختيار الشيخ بشارة الخوري رئيسا للجمهورية كان قرارا بريطانيا ـ الجنرال سبيرز . لكنه يمر عبر صيغة التوازن ، التي ارسيت ، بالصراعات السياسية . صراعات العائلات والكتل السياسية داخل المؤسسة السياسية اللبنانية . فالتوازن الداخلي ، كان محصلة اتجاه ماروني « معتدل » متحالف مع البريطانيين الكتلة الدستورية . في مواجهة اتجاه متحالف مع الفرنسيين ـ الكتلة الوطنية . الاتجاه الاول ، يقيم علاقة تحالف مع البرجوازية السنية ـ رياض الصلح ـ ومع السلطات العربية . اما الاتجاه الثاني فمعزول عربيا . هكذا اتى الخوري كأول رئيس استقلالي . واخذ التوازن العربي ـ الامبريالي شكلا وحدويا يعيد انتاج التجزئة ـ الجامعة العربية . واعيد انتاج الكيان ، ضمن معادلة توازنات جديدة ، استطاعت داخليا ، وعبر تحالفات عربية ان تقلب بشارة الخوري فيما بعد ، برضى البريطانيين . وان تأتي بكميل شمعون ، ضمن قوانين المعادلة نفسها .

المرحلة الثالثة : التوازن العربي ــ الامبريالي :

عام ١٩٥٨ انفجرت الحرب الاهلية في لبنان . لقد كانت المنطقة العربية تعيش في تلك الفترة مرحلة مد قومي عربي ، يقوده عبد الناصر الخارج من حرب السويس ١٩٥٦ بانتصار وطني ، تجلى في تأميم القناة وطرد الاستعمار الانكليزي من مصر . والذي كان يقود المعسكر العربي المعادي للاحلاف الاستعمارية بقيادة بريطانية ، وبشكل خاص حلف بغداد . لقد استطاع المد القومي الناصري ، في ذروة انتصاراته، على الاستعمار القديم ان يضرب التجزئة ، عبر اقامة وحدة مصر وسوريا . وان يمتد تأثيره الى جميع انحاء القارة العربية . والتي تمثلت في ثورات وانتفاضات في اكثر من قطر عربي .

في هذا الظرف العربي ، انفجرت الحرب الاهلية في لبنان . ورفعت الجماهير الوطنية شعار ضرب الاحلاف الاستعمارية . ورفع المطلب الوحدوي .

ان ظروف المد القومي الذي قاده عبد الناصر ، لا يزال بحاجة الى دراسة خاصة . فلقد اتى في ظل ضرب الاستعمار القديم ، ومحاولة الاستعمار الجديد التسلل عبر مشاريع احلاف قديمة ــ جديدة ــ مشروع ايزنهاور . لكن الاساسي هنا ، هو ان الحرب الاهلية اللبنانية ، اصطدمت بالقوات الاميركية الاتية بطلب شمعون ، لا لتحمي حكمه وحكم اعوانه من العملاء البريطانيين ، بل لتحل محلهم . ولتمنع الثورة العراقية تموز ١٩٥٨ من الالتحام بالوحدة .

ان الطبيعة البرجوازية الوطنية لقيادة عبد الناصر ، بالاضافة الى الظروف العامة للامبريالية الاميركية في ذلك الوقت (قائدة المعسكر الامبريالي ، اقوى دولة في الارض) اجبرت الحركة الوطنية على المساومة من ضمن الصراع . فأتى اتفاق ــ عبد الناصر ــ مورفي ليكبح المد الوحدوي امام حدود الكيان . وليقيم توازنا عربيا ــ امبرياليا . نقل الهجوم من الجانب العربي الى الجانب الامبريالي (الانفصال) ثم حرب ١٩٦٧ . التي جاءت كحسم للمسألة ، بعد محاولات عبد الناصر الالتفاف على الامبريالية عبر اليمن .

ان صيغة الاتفاق المساومة ، هي التي انهت الحرب الاهلية في لبنان . وسمح للمؤسسات بان تعود فتتشكل . هنا اتى انتخاب قائد الجيش فؤاد شهاب ، وكأنه عقدة اقامة التوازن اللبناني الجديد ضمن التوازن العربي ــ الامبريالي .

في انتخابات رئاسة ١٩٥٨ ، لعبت المؤسسة التمثيلية دورا بالغ الهامشية . فالاتفاق على الرئيس الجديد ، تم اساسا بين مورفي وعبد الناصر بعد استشارة البطريرك الماروني ، وبعد وضع الزعماء اللبنانيين في اطار هذا الاختيار . ولم تنفع معارضات السياسيين . وتحفظاتهم . ولم تنفع دموع صبري حماده (١) . او مشاعر كميل شمعون (الذي كان يملك الاكثرية في مجلس النواب) فؤاد شهاب من المجيء كرئيس للجمهورية . هكذا اعيد تشكيل التمثيل السياسي جزئيا على ضوء الرئاسة الاولى . واستطاع الحكم الشهابي في عهديه الاول والثاني ان يتمتع باستقرار نيابي وسياسي نسبي ، لم يبدأ في التخلخل عمليا الا بعد هزيمة حزيران . فالحكم الشهابي،

---

(١) في مقاله الممتاز : من يصنع الرئيس ، ملف النهار ، لبنان ١٩٧٠ ، رقم ٦ . يشير الياس الديري الى تفاصيل الظروف التي اتت بشهاب رئيسا للجمهورية ويبرهن عينيا ، هامشية دور المجلس النيابي .

المستند الى توازن عام والى دعم الجيش . ضرب الاحزاب العقائدية التي لا تتركب في التوازن ثم وجه ضربات فعلية الى شمعون . فاستطاع تأمين استقرار سياسي ، سمح له بتحقيق بعض الاصلاحات الرأسمالية . وتابع سياسته العربية المتزنة المؤيدة للناصرية حتى انهيار التوازن العام في هزيمة ١٩٦٧ .

المرحلة الرابعة : الهجوم الامبريالي :

بعد هزيمة ١٩٦٧ ، اختل التوازن في المنطقة العربية ، لحساب المعسكر الاميركي ـ الصهيوني . وفرضت سلسلة تراجعات على البرجوازية الوطنية ، تمثلت في ضرب المد الوحدوي ، التراجع من اليمن . رفع شعار التضامن في وجه الهجمة الامبريالية. كما برزت ظواهر ايجابية ، تمثلت في الثورة الفلسطينية وفي الاستعداد الذي بدات البرجوازية الوطنية اعداد بلادها له ، في سبيل شن حرب وطنية .

لقد انعكست هذه المرحلة بشكل واضح على الوضع اللبناني . فبدا التوازن الشهابي ينهار تحت ضربات الحلف الثلاثي (الماروني) وبدات تنمو في المقابل حركة جماهيرية تلتف حول المقاومة الفلسطينية ، وترفع شعار الحريات الديمقراطية .

ان انتخاب سليمان فرنجية باغلبية صوت واحد ، تعبر اساسا عن ظاهرة تحدث للمرة الاولى في تاريخ لبنان السياسي ، لا يمكن مقارنتها بظاهرة فوز بشارة الخوري على اميل اده ، فبشارة الخوري اتى من ضمن توازن جديد يتركب في ظل بريطانية . اما فرنجية ، فانه يأتي في سياق انهيار توازن كان قائما . فكيف نفسر هذه الظاهرة: نشير اولا ، الى ظاهرة انفراط التوازن اللبناني . فسليمان فرنجية ، يأتي كمرشح للمد القادم بعد هزيمة حزيران . وهو تعبير عن محاولة احداث اختلال في المعادلة اللبنانية بعد انحسار الدور الناصري . لذلك وجد الشهابيون انفسهم خارج دائرة دعم فعلي من مصر . وبدأوا يفتشون عن الحلفاء . كذلك جاء اسقاط الحكم الشهابي برضى اميركي ، بعد ان وجدت الامبريالية الاميركية في نفسها القدرة على تحقيق مكاسب افضل من مكاسب توازن ١٩٥٨ . ورغم استماتة الشهابيين في خطب ود اميركا (فضيحة الميراج) ، فانهم لم يستطيعوا احداث انقلاب سريع في سياستهم . فلم يأتهم الدعم الاميركي الفعلي .

كذلك ، فميزان القوى داخل الساحة العربية ، بدا يميل لمصلحة المحور السعودي. فأتى تكتل الوسط (سلام ، فرنجية ، الاسعد) وكأنه تعبير عن قدرة هذا المحور على التأثير في مجريات السياسة اللبنانية .

ومن ناحية اخرى ، كانت الحركة الجماهيرية ، الملتفة حول الثورة الفلسطينية ، تجد تمثيلها السياسي اللبناني نسبيا في كمال جنبلاط . وكان من مصلحتها ضرب التوازن الشهابي من اجل رفع قبضة المكتب الثاني عن عنق الجماهير .

عمليا ، جميع القوى المؤثرة في السياسة اللبنانية ، لها مصلحة في ضرب التوازن الشهابي (ما عدا مصر ، التي لم يعد بمقدورها التدخل بالشكل السابق في مجريات السياسة اللبنانية) . ومع ذلك لا يفوز فرنجية الا باغلبية صوت واحد . وبعد عملية قيصرية تشبه الانقلاب الابيض ، المحاط بمسلحي الاحزاب المارونية . هنا ، تأخذ مسألة التمثيل السياسي (مجلس النواب) حجما كبيرا . فمؤسسة التمثيل ، تعاند سياق الانفراط عبر محاولة رفضها له ، لاسباب تتعلق باشكالية التمثيل نفسه، والمصالح المرتبطة بالسلطة التنفيذية . لذلك اخترق فرنجية اسوار مجلس النواب

بما يشبه القوة (عراضات مسلحة) وبما يشبه الاكراه (اجلس فرنجية نائب الكورة المحسوب على الشهابيين : فؤاد غصن الى جانبه ، ليضبط عملية انتخابه لـه) . فالمؤسسة التمثيلية في سياق انفراط التوازن تعاند هذا الانفراط . لكنها لا تستطيع منعه . كما انها تحجب الصراع الطائفي الذي يقع مباشرة خلف هذا الانفراط ، للحظة واحدة . اي لا تستطيع رغم لا طائفية شكل الانتخاب ان تحجب الصراع الطائفي الا للحظة . ثم تبدأ سيرورة عملية انفراط التوازن تأخذ مجراها .

ان انتخاب الرئيس ، في ظل بداية انفراط التوازن . هو الذي يسمح للمؤسسة التمثيلية بهذه الحرية النسبية . وهو الذي يسمح لشكل الانتخاب بان يظهر ، وكأنه يجري وللمرة الاولى خارج الضغوط الخارجية . لكن هذا الدور ، وهذا الحجب سرعان ما ينكشف . ويعود الصراع ليصبح الوجه الغالب .

الرئاسة في الحرب الاهلية :

الياس سركيس ، هو اول رئيس جمهورية ، ينتخب في سياق الحرب الاهلية . فانتخابه لم يأت كمحصلة لتوازن عام عربي ـ امبريالي ، تجري اكتشاف اوراقه المحلية . بل هو يأتي في سياق الحرب وكأحدى مراحلها كاحدى محاولات تركيب التوازن ، ضمن اوالية صراع جماهيري مستمر . لذلك لا يمكن مناقشة عملية انتخابه عبر ارجاعها الى عامل واحد فقط . (تحالف الطبقة الحاكمة بمختلف اجنحتها الطائفية في مواجهة الحركة الشعبية . لان هذا التحالف لم يحصل بشكل كامل) . بل يجب محاولة اكتشافها ، من ضمن سياق الحرب الاهلية غير المعلنة منذ انتخاب فرنجية . وعبر محاولات تركيب التوازن المستمرة .

يقدم عهد سليمان فرنجية نموذجا لمحاولات تركيب التوازن في سياق انفراطه . فوزارة الشباب التي الفها سلام في مطلع عهد فرنجية ، كانت تعبيرا ، عن عدم قدرة العهد الجديد على اقامة توازنه من داخل المجلس النيابي . لكن بعد الانتخابات ، وبعد تجيير اكثرية نيابية للعهد ، تشكلت حكومة الكهول برئاسة سلام نفسه . وعبر استبعاد كتلة جنبلاط من التوازن الجديد .. لكن هذه الوزارة نفسها لم تستطع الصمود ، رغم محاولة سلام تمثيل الدور الذي مثله رياض الصلح مع بشارة الخوري. فأتى الدور صغير الحجم وغير فعال ، ولم يستطع ان يحجب الصراع الفعلي .

لقد تميزت هذه الفترة بثلاث ميزات رئيسية :

١ ـ نمو الاتجاهات الرجعية في السلطة ، كاستكمال لهزيمتي حزيران وايلول . وبروز اتجاهات لضرب المقاومة وصلت ذروتها في ايار ١٩٧٣ .

٢ ـ اشتداد الاعتداءات الاسرائيلية على الجنوب ، وفي العمق . والتي بلغت ذروتها في حرب الايام الاربعة في الجنوب ١٩٧٢ . ثم في اغتيال القادة الثلاثة في نيسان ١٩٧٣ .

٣ ـ نمو حركة جماهيرية وطنية ، حول الثورة . مستقلة عن السلطة بعد ضرب المكتب الثاني . تمثلت في نضالات الطلبة والمعلمين ، وفي نضالات العمال (سلسلة اضرابات توجها اضراب غندور الدموي تشرين ١٩٧٢) ونضالات فلاحي الجنوب .

لذلك كانت محاولة تركيب التوازن ، عبر استبعاد جنبلاط ، محاولة لتركيبة ضد الحركة الجماهيرية . ولا بد ان تقود في ظل ظروف الوضع اللبناني ـ العربي الى

محاولة تصفية الثورة الفلسطينية عسكريا . لكن بفشل المحاولة لاسباب داخلية تتعلق بوضع الجيش داخل توازن القلبة ، ولاسباب عربية تتعلق بالاستعداد لحرب تشرين ، بدأت صيغة التوازن اللبناني تنهار . فالبرجوازية السنية ، بدأ يسيل لعابها على مزيد من المشاركة في السلطة بعد فشل الطرف الماروني في فرض شروطه ، وبعد المد العربي في حرب تشرين . وبرزت اطر طائفية جديدة تطالب بالمشاركة في السلطة (الصدر) . لذلك بدأت محاولة تركيب التوازن ، عبر استبعاد الطرف السني واستبداله بالطرف الجنبلاطي (حكومة تقي الدين الصلح ، ثم حكومة رشيد الصلح). لكن هذه المحاولة ، كانت المحاولة الاخيرة لصد انفراط التوازن ، من ضمن سياق الحرب الاهلية وليس خارجها . فأتى الاستقطاب الوطني ــ اليميني ، ليعلن ولادة قوة جديدة في الساحة اللبنانية ، لن تستطيع محاولات تركيب التوازن داخل الحرب الاهلية استيعابها او تصفيتها .

لقد كانت محاولة تركيب التوازن الجديد عبر الحكومتين الصلحيتين ، بعد فشل تجربة الحافظ البائسة ، لا تعني توازنا يتبلور . بل اتت في سياق مزيد من الاستقطاب تمثل في استعدادات الطرفين للحرب الاهلية القادمة . وان كانت استعدادات الطرف الانعزالي اكثر دقة واكثر وعيا . ولعل ابلغ دلالة على عدم قدرة هذا التوازن على الاستمرار هو اخر فصول حياته ، حين قدم رشيد الصلح استقالته الى المجلس النيابي ، بعد ان فرطت وزارته ، ولم يكن الى جانبه سوى ثلاثة وزراء !

في ١٣ نيسان ١٩٧٥ ، وبعد شهرين من انتفاضة صيدا ، انفجرت الحرب الاهلية في لبنان . وانفجرت معها صيغة التوازن ، وبدأت المعارك ، والى جانبها ، بدأت محاولات تركيب التوازن داخل سياق الحرب الاهلية . **الحرب الاهلية تأخذ الشكل الطائفي ومحاولات تركيب التوازن تنقل الصراع الى المستوى المؤسسي** . بين قطبي الجذب هذين سارت الحرب الاهلية نحو تدمير كامل لجميع المؤسسات اللبنانية ، حتى مجلس النواب ، انهار واصبح دوره هامشيا جدا . ولم يتركب لينتخب رئيس الجمهورية الجديد ، الا بشكل شبه كاريكاتوري .

سوف نحاول الان ، تحليل محاولات تركيب هذا التوازن ، من ضمن صراع هذين القطبين : ــ

المحاولة الاولى : الحكومة العسكرية :

لقد تألفت الحكومة العسكرية ، كمحاولة لضبط سياق الحرب الاهلية . وتوجيهها نحو طرف خارجي . فالحكومة العسكرية التي تألفت من كبار قادة الجيش ، كانت محاولة لاحداث توازن جديد في السلطة التنفيذية ، يسمح للطرف الغالب بمتابعة الحرب الاهلية في اتجاه جديد ، بعد المشاركة الجماهيرية الواسعة في المعارك التي تلت مجزرة عين الرمانة . لكن هذه المحاولة تساقطت . العامل الحاسم في تساقطها هو نقل الصراع ، الى ارضيته الفعلية ، بوصفه صراعا لبنانيا كذلك . صراعا بين اطراف السلطة انفسهم على توازنات السلطة . وصراعا بين السلطة في جناحها الغالب مع الثورة والحركة الجماهيرية . الانتصار في هذا الصراع يقوي مواقعها المتهاوية ، بعد ارتفاع المطالب الاسلامية ، واعلان رشيد كرامي ترشيحه **لرئاسة الجمهورية !.**

لقد سقطت الحكومة العسكرية في اجتماع دار الافتاء . حيث فرض على الطرف الغالب الخيار بين حرب اهلية طائفية ، وبين القبول باشكالية توازن جديد ، تعني

اولى علاماتها فرض رشيد كرامي مرشحا وحيدا لرئاسة الوزارة . هكذا سقطت الحكومة العسكرية ، عبر نقل الصراع الى حقيقته الفعلية ، بوصفه شكلا طائفيا مؤقتا . وفرض رشيد كرامي رئيسا للوزراء .

المحاولة الثانية : الحكومة الكرامية :

لقد تشكلت الحكومة الكرامية بعد قتال عنيف . وبعد وساطات عربية وصلت ذروتها ، في وساطة الوزير عبد الحليم خدام . فأتت الحكومة الكرامية ، رغم دعوات رئيسها للتهدئة ، ونصيحته للمواطنين بالذهاب الى البحر ، باعتباره مهدئا للاعصاب ، كنقل للصراع الذي انفجر بين تكليف كرامي وتشكيله للحكومة ، الى مستوى المؤسسات ، حيث يحجب . فأتت الوزارة الكرامية ، في اغلبيتها لمصلحة الطرف الانعزالي ، رغم عدم تمثيل الكتائب فيها . وبدا ان الصراع قد هدأ . لكنه عاد فجأة الى الانفجار . فلقد انتقل الصراع بعد اتفاقية سيناء الى مستويات جديدة، عبر الهجوم الانعزالي العام . وقد حاول كرامي ، بمساعدة الوساطة السورية اعطاءه بعض المسكنات ، تشكيل هيئة الحوار الوطني . لكنه عاد للانفجار مرة اخرى بعد السبت الدموي . ووصل الانفجار ذروته في احتلال الكتائبيين بمساندة الجيش مخيم ضبية . ومنطقة الكرنتينا ـ المسلخ . هنا امام اشتداد الصراع استقال كرامي ولم يعد عن استقالته ، الا بعد احتلال الدامور ، وبعد موافقة الطرف الانعزالي على المقترحات السورية .

المحاولة الثالثة : الوثيقة الدستورية :

لم يعد كرامي عن استقالة حكومته عمليا ، الا بعد بداية انهيار الجبهة الانعزالية ، عبر الصيغة التي تم الاتفاق عليها ، والتي اطلق عليها اسم الوثيقة الدستورية . فالوثيقة التي اعلنها فرنجية وسط رصاص اشيع حينها انه رصاص ابتهاج جاءت عبر تكريسها للطائفية ، لتكرس التجزئة داخل ميل وحدوي موضوعي . ولتكشف حدود البرجوازية الوطنية التي في السلطة ، التي تحاول تقنين الصراع الوطني الجماهيري ، كي يستطيع الدخول في استراتيجيتها . فأتت الوثيقة ، مع جيش التحرير الفلسطيني القادم لحفظ الامن في المناطق الوطنية ، وكأنها نهاية الحرب الاهلية في لبنان . غير انها لم تكن في الواقع سوى احدى حلقاتها . فالصراع الذي نقل ليحجب ، الى المؤسسات ، يستعيد زخمه ضمن عمليتين : ـ

١ ـ استبعاد الحركة الجماهيرية الوطنية من الاتفاق الجديد . عبر تهميش دورها على المستوى السياسي . وهذا ما عبرت عنه ، محاولات تشكيل حكومة كرامية جديدة ، تحتفظ فيها جبهة الحرية والانسان (القوى المارونية المقاتلة) بالتمثيل الماروني بشكل كامل .

٢ ـ تحجيم الثورة الفلسطينية عبر ادخالها ، عمليا ، تحت مظلة عربية . وعبر ضبطها داخل محاولات التسوية بالشكل الذي تطرح فيه (الكونفدرالية) .

لكن الصراع ما لبث ان انفجر منتقلا الى صلب مؤسسات النظام الى الجيش ، فيما سمي بحرب الثكنات . فحركة جيش لبنان العربي تنتشر لتشمل الجنوب باسره . والقوى الانعزالية تستولي على ثكنة صربا . فينقسم الجيش بشكل كامل ، ولاول مرة في تاريخه . وتنهار التسوية ، ويعود الصراع هو الوجه الغالب في الساحة اللبنانية .

المحاولة الرابعة : انقلاب الاحدب :

في غمرة هذا الانفجار غير المتوقع ! بدأ التآكل يصيب المؤسسات بأسرها . فرئيس الجمهورية يريد تحميل قيادة الجيش وحدها مسؤولية انهيار المؤسسات ، وقيادة الجيش تحاول تدارك انهيار المؤسسة عبر نقل الصراع من قاعدتها الى المستوى السياسي ــ المؤسسي . فأتى انقلاب الاحدب بمطلب اقالة رئيس الجمهورية ، كمخرج للازمة ، وكمحاولة لاعادة تشكيل التوازن . لكنه كان مجرد لحظة في سياق اكبر من اشكالية الصراع المحلي . فاكمل الانقلاب تقسيم الجيش ، وبدأت جولة جديدة من الصراع ، تميزت بتناقض واضح في المعسكر المعادي مبدئيا للقوى الانعزالية . وكأن المعركة عندما انتقلت الى الجبل ، انتقلت الى الداخل العربي . فايصال التناقض الى ذروته يسقط عمليا الشكل الطائفي ، ويكشفه كشكل لصراع طبقي عربي على المسألة الوطنية .

لكن معارك الجبل توقفت . في صيغة محاولة جديدة لنقل الصراع الى المستوى المؤسسي .

المحاولة الخامسة : انتخاب سركيس :

بين تعديل المادة ٧٣ من الدستور ، وانتخاب السيد الياس سركيس رئيسا للجمهورية ، انفجر الصراع ، بشكل جديد : ــ

١ ــ فلقد دخلت اعداد هائلة من القوات السورية الاراضي اللبنانية ، في محاولة لتعديل ميزان القوى ، بعد ان حققت الحركة الجماهيرية الوطنية والثورة الفلسطينية، الكثير من الانتصارات في بيروت والجبل .

٢ ــ فتح معركة سياسية ، بين الحركة الوطنية اللبنانية (جنبلاط) والسوريين .

٣ ــ وصول المبعوث الاميركي دين براون الى لبنان . واقامته لمحادثات مع جميع اطراف النزاع ، ما عدا الطرف الفلسطيني ، بقيت مضامينها غير معلنة .

٤ ــ محاولة الطرف الانعزالي تعديل ميزان القوى قليلا ، عبر احتلال ضهور الشوير . وقصف النبعة بشكل همجي .

وسط هذا الجو المحموم ، وبعد تأجيل جلسة الانتخاب للمرة الاولى ، عبر البحث المضني عن الرجل الثالث ! عقدت جلسة مجلس النواب في قصر حسين منصور ، وسط رفض الحركة الوطنية للجلسة ، ووسط قذائف ، واحزمة نارية ، استطاع السيد سركيس ان يفوز باغلبية محترمة جدا !

فكيف نفسر ، هذا الانتخاب ؟

من الواضح ، ان مجلس النواب ، انهار بعد انهيار جميع المؤسسات . ولعل الصور الفوتوغرافية التي نشرتها الصحف ، عن الذي حل بمبنى المجلس ، تشير الى معنى هذا الانهيار . لكنه ، اعيد تركيبه بشكل قسري . فكيف ولماذا ؟ . نستطيع هنا ان نشير الى الامور التالية :

١ ــ لم يكن امام الطرف الانعزالي من خيار ، وسط هزائمه المتلاحقة ، وفي غمرة التراجع الاميركي سوى الاستسلام ، والاستسلام للبرجوازية العربية . ولم يستسلم مباشرة . بل استسلم بالواسطة . بواسطة الولايات المتحدة . هل يفسر

هذا دور المستر براون ؟ ام لا تزال في جعبة البعض تفسيرات اخرى ؟

٢ ــ لقد جرى تركيب المجلس ، كي ينتخب السيد سركيس . وهذا لم يأت بقوة الارهاب او اغراء المال فقط . بل اتى ، كنتيجة للحدود التي تريدها البرجوازية لصراعها . فهي تقف امام جدار التجزئة ، وسط نضال قومي عارم ، تعيد انتاج التجزئة وسط ميل وحدوي ومحدد الاهداف (كونفدرالية تنتزع تنازلات من العدو ولا تضرب اساس هيمنته) وهي في عملها هذا مضطرة لاعادة انتاج المؤسسة التمثيلية والتحالف معها . كما ان هذه المؤسسة تعيد انتاج نفسها عبر هذا الواقع الجديد ، ولو بشروط اصعب .

٣ ــ ان استسلام الطرف الانعزالي ، بهذه الطريقة ، يعني ان الرئيس ، صنع خارج قنوات التمثيل السياسي . لكنه لم يفرض عليها فرضا . بل هي مضطرة للقبول به ، حتى لا ينهار النظام بأسره . هكذا يبرز السادة النواب بشكل محزن . يتراكضون الى قصر المنصور رغم علم بعضهم انه يحفر حتفه بيديه ويقضي على مستقبله النيابي ، نتيجة عودة السلطة الشهابية معدلة ، وبتحالفاتها القديمة ــ الجديدة .

٤ ــ من هنا ، كان هناك طرف واحد ، مستبعد من العملية الانتخابية . هو الحركة الشعبية . اما ، بقية اطراف الطبقة الحاكمة ، فكان وضعها داخل الصراع التي رفضت المشاركة في صنع توازنه الجديد (لاسباب في جوهرها داخلي ، ويتعلق بالتوازنات داخل المؤسسات) هامشيا وهشا . وكأنها لا علاقة لها بما يجري .

هكذا اتى انتخاب سركيس ، لا كنهاية للحرب الاهلية ، بل كاحدى محطاتها ، وفي لحظة امكانية تحولها الى حرب اهلية عربية . وهذا ما عبرت عنه ظاهرتان : ــ

اولا : قيام الطرف الانعزالي بمحاولة فاشلة لاحتلال المتين ــ عينطورة ــ الزعرور .

ثانيا : انتقال الصراع الى داخل طرابلس .

ان دراسة انتخاب سركيس رئيسا للجمهورية ، وان اتت ، ضمن سياق المحاولات المستمرة لتركيب التوازن اللبناني ، فانها تختلف نوعيا عن سابقاتها ، وذلك لسببين مترابطين : ــ

السبب الاول ، هو طبيعة الحركة الشعبية وحدودها . فهذه الحركة كانت مضطرة في ذروة الهجوم الوطني العام ، الى ايقاف اطلاق النار ، والتراجع نحو القبول بنقل الصراع الى اطار المؤسسات . وهذا يعود اساسا الى عجزها ، بتركيبها البنوي وقيادتها الطبقية عن طرح مسألة السلطة ، التي تقود حتما الى صراع طبقي عربي مكشوف حول المسألة الوطنية . لذلك ، فحين تراجعت الى القبول بنقل المعركة الى اطار المؤسسات ، كانت تتراجع فعليا ، وتسمح بانتخاب سركيس ، مكرهة . لكن الرئيس الجديد ، الذي يصبح نقطة توازن ، ليس توازنا ناجزا . بل يفرض تعاملا معينا معه ، على ضوء ميزان القوى الفعلي ، الذي سيشكل هو جزءا منه .

والسبب الثاني ، يرتبط بالاول . فالحركة الجماهيرية هي امام مفترق : ــ فاما الدخول في التوازن العام العربي ــ الامبريالي ، وهذا يسمح للثورة بالدخول في التوازن اللبناني مؤقتا واما استمرار الحرب الاهلية ، وتحولها الى حرب اهلية عربية .

المـأزق التـاريخي
لحركة التحرر الوطني العربيـة

ميشيل كامل

شهد العالم مرحلة انتعاش نمط وطني تقدمي من التنظيم الرأسمالي لعلاقـات الانتاج « **رأسمالية الدولة الوطنية** » منذ بداية الخمسينات ، انتشر في مختلف انحاء « العالم الثالث » ، بلغ اوج النجاح والازدهار وحقق انتصارات وانجازات باهـرة لحركات التحرر الوطني والقومي .

لكن هذه الصحوة لم تدم طويلا ، ولم تعمر الا لفترة سنوات قليلة ، اعقبهـا انهيارات ، لعل ابرزها في اندونيسيا (١٩٦٥) وغانا (١٩٦٦) ومصر وسوريـا (هزيمة حزيران ١٩٦٧) .

وتكررت نفس الظاهرة ، لتدخل هذه النظم مرحلة ازمتها وانحسارها ، فهزيمتها . ونمت عناصر **الاستقطاب والحدية** ، وتزايد معدل سرعة هذه التحولات بعد الانتصار الساحق لشعوب فيتنام وكمبوديا ، فانعكست اثارها مباشرة على مجرى الاحـداث في افريقيا (انجولا) والوطن العربي .

وسوف نركز في هذا البحث على « مصر » ، كمنطلق لدراسة « الظاهرة » فـي حركتها وشمولها . واهمية تسليط الاضواء على التجربة المصرية بالتحليل والتقييـم تكمن في انها **نمط متقدم واكثر نقاءا** لاوضاع ومناهج في الحكم ، سادت لفترة ما فـي الكثير من البلدان العربية . نقصد النظم الاكثر تطورا من الناحية الاجتماعية ، والتي لعبت دورا مؤثرا على راس حركة التحرر الوطنية والقومية . كما ان تجربة مصـر **بلغت مداها واكملت « دورة حياتها »** ، وانتقلت الى نقيضها ، فهي نموذج مكتمـل . بينما التجارب المماثلة ما زالت تشق طريقها الى نفس المصير المأساوي . فالنظـام الناصري كان **نموذجا لظاهرة** اعم واشمل .

* * *

جاءت نظم رأسمالية الدولة الوطنية بقيادة قطاعات تنتمي الى الرأسماليـة ـ البرجوازية البيروقراطية ـ ترفع رايات الاشتراكية ، ولكنها تتبنى منهجا « وسطا » وطريقا « ثالثا » لحل المشكلات الوطنية والاجتماعية المستعصية ، المتفجرة ، فـي مجتمعات تتحكم فيها قوى رأسمالية كولونيالية وشبه اقطاعية ، وتتميز بعجز القوى الحاكمة التقليدية عن الاستمرار في مواقعها ، وانحلال وتفسخ النظم السياسيـة والقائمة ، وتخلف نضج الطبقة العاملة واحزابها ، وقصور امكانياتها عن تسلـم مقاليد السلطة لاسباب موضوعية وذاتية . وقدمت القيادات الجديدة **حلا ثوريا** فيمـا

يتعلق بالموقف من الامبريالية وقواعدها واحتكاراتها وهيمنتها الاقتصادية ، حلا معاديا للاستعمار والقوى المماثلة له محليا وعربيا . لكنه ظل **حلا اصلاحيا** يدور في اطـــار العلاقات الرأسمالية . قضت على بعض معوقات انطلاقة القوى الانتاجية الرأسمالية بتحريرها جزئيا من عناصر التخلف ، ومن المكونات الاقطاعية وانماطها الانتاجية .

لقد حققت مستوى ارقى واكثر تحضرا في مجال تنظيم علاقات الانتاج الرأسمالية ، وتصفية معظم الهياكل الاستعمارية وشبه الاقطاعية ، وانتهاج سياسة التخطيـط الموجه ، وتولي الدولة لقسم هام ومؤثر من الوظائف الاقتصادية ، اذ اصبح نظـام رأسمالية الدولة يتألف من القطاع العام والمشروعات المختلطة والقطاع التعاونـي ومؤسسات تنظيم الانتاج في مجال الزراعة والتجارة والحرف . (١) وهكذا يتمكـن الجهاز الحكومي من التدخل عن طريق المؤسسات وبواسطة جهاز السوق (سياسة الاسعار) لتوجيه النشاط الاقتصادي ، ليس فقط في القطاع العام ، بل بالنسبة لمعظم رؤوس الاموال المتجمعة في القطاعات الاقتصادية الاخرى .

ومن هنا ، **الوجه التقدمي ــ المرحلي ــ** لهذه النظم ، وانجازاتها الضخمة فـي الحقل الوطني والقومي والاقتصادي والاجتماعي .

لكن هذه النظم ــ جميعها ــ انتهجت سياسة العمل القومي والقرارات العلوية والانفراد بالسلطة واحتكارها (٢) ومعاداة الديمقراطية والتنظيمات الشعبيـــة ، وبصفة خاصة الحركة والتنظيم العمالي . وليس من قبيل المصادفة ان تتم معظـــم الاجراءات « الراديكالية » ، خلال مراحل القهر والارهاب البوليسي ، واثناء وجود مئات المناضلين الشيوعيين والتقدميين داخل السجون والمعتقلات (مصر) وان تجرى تصفية جسدية للعشرات من اعضاء الاحزاب الحليفة ، اثناء « العمل الجبهوي » في بلدان اخرى تنتهج نفس الطريق . وتحارب وتصفي التنظمات الجماهيرية للاحزاب المشاركة في تلك الجبهات ، والتضييق المتزايد على الحريات النقابية والسياسيـــة ، والقضاء على كل اشكال التعبير المستقل والرقابة الشعبية ، بينما تتولى فئـــات رأسمالية الحكم باسم الشعب كله ، وباتخاذ مظهر قوة محايدة « فوق الطبقات » وتدعي التسامي عن الصراعات ، والسعي لتحقيق مصالح مجموع الامة !

في هذا المناخ ، فانه من الطبيعي ان تنتعش الرأسمالية ، وتنمو فئة جديـــــدة **بيروقراطية** من كبار الموظفين والقطاع العام ، لا تلبث ان **تتشابك مع عناصر القطاع الخاص القديمة والجديدة** . فالقطاع العام في ظل هيمنة الرأسمالية على السلطـــة ، **لا يقدم نموذجا جديدا لعلاقات الانتاج ، يكون نقيضا وبديلا** لاسلوب الانتـــــاج الرأسمالي . اذ يبقى اسلوب **الانتاج الرأسمالي سائدا بين رأس المال العام والعمل .** وتصبح « الملكية العامة » مجرد **شكل ارقى من اشكال الملكية الرأسمالية لوسائـــل الانتاج .**

ان قطاع رأسمالية الدولة الوطنية لا يؤدي الى « اذابة الفوارق بين الطبقات » ــ الشعار الديماجوجي المعلن ــ ، بل على العكس من ذلك ، فهو يحفز ويغـــذي العلاقات الرأسمالية ، وينمي التمايز بين الطبقات .

وفي ظل هذا النمط من تنظيم علاقات الانتاج ، يبرز دور **السلطة** ، ليس فقط كأداة لحماية العلاقات الرأسمالية ، لكن ايضا **في تأدية وظيفة رأس المال نفســـه** ، اي كمصدر تراكم رأسمالي للفئة البيروقراطية الحاكمة والقطاع الخاص .

فالبيروقراطية الكبيرة ، وبعض العناصر في المستويات الادنى ، المتحكمة في « مراكز القرار » (المشرف الزراعي في الجمعية التعاونية ، رئيس قسم المبيعات في الشركات ... الخ) تستقطع لنفسها نصيب الاسد من الفائض الاقتصادي . وقد زاد حجم المرتبات وبدلات التمثيل للوظائف العليا الى حد كبير . وعلى سبيل المثال ، في الفترة ما بين عام ١٩٦٣/٦٢ و ١٩٦٧/٦٦ — اي خلال اربع سنوات — ارتفعت — البدلات والمرتبات — بنسبة ٢٥٠٪ في قطاع الخدمات و ٢٥١٪ في قطاع الاعمال الحكومية (المؤسسات العامة والشركات التابعة) . وبالرغم من ان حجم هذه الفئة زاد خلال فترة السنوات الاربع بمقدار ٦١٪ ، نجد ان دخلها الاجماعي ارتفع بنسبة ٢٣٠٪ . هذا ، فضلا عن المزايا العينية المتنوعة (السيارات ، بدلات السفر للخارج — من العملة الصعبة ... الخ) .

لكن الوسائل « المشروعة » لا تشكل الا جزءا هامشيا ضئيلا للغاية بالمقارنة مع المبالغ الهائلة التي تستحوذ عليها عناصر هذه الفئة عن طريق السلب والنهب والصفقات المشبوهة . لم تعد السرقات والاختلاسات والرشاوى والعمولات مجرد حالات فردية ، بل « ظاهرة » عامة واسعة الانتشار ، وثيقة الصلة بطبيعة النظام . واصبح لها طابعها المميز « اختلاسات جماعية ... اجتذبت المستويات الوظيفية العالية .. مبالغ ضخمة ، اذ زادت الاموال المختلسة في بعض الحالات على المليون جنيه .. » (اخبار ٧٥/١٠/٢٠) والرقم الرسمي لجرائم الاختلاس عام ٧٣ هو ٣٧٦ جريمة . لكنه رقم لا يعبر عن الواقع ، اذ لا « يشمل الحالات التي لم تستكمل اجراءاتها القانونية .. كما تقوم النيابة بحفظ القضية في حالة قيام المختلس برد المبلغ » ! ! ثم ان الاف المحاولات لا تكتشف اصلا ، او يجري التستر عليها ، خاصة تلك التي تمس كبار المسؤولين ، مثل فضائح صفقات الاتوبيسات الايرانية والحديد من اسبانيا وطائرات البوينج والاسمنت للسعودية .

وتظهر بعض حالات الاختلاس بطريق غير مباشر ، من واقع اقرارات الذمة المالية . وقد نشر اهرام ٢/٢٢ عشر نماذج من هذه الحالات . ونقدم بعضها فيما يلي :

— مهندس حسين عبد الفتاح العسكري .. كان عضوا لمجلس ادارة شركة مقاولات . قبل عام ٦٢ لا يملك شيئا وفي عام ٦٨ اصبح يملك « منزل على مساحة ٥٠٠ متر ، وقطعة ارض لزوجته بالدقي ، ورصيد ١٧٫٠٠٠ جنيه واسهم في الشركات وارض زراعية وارض فضاء بالسويس من الاوقاف ... الخ » .

— احمد فهمي عبد المجيد ، يعمل رئيس حسابات القطاع الجنوبي بمديرية التحرير .. عند بدء الخدمة عام ٦٩ لا يملك شيئا . في عام ١٩٧٢ اصبح « يملك ٣ محلات تجارية باسم زوجته ، وارضا زراعية باسمه » .

— مهندس احمد نبيه بهجت .. مدير مشروعات الطرق والحدائق بمحافظة الجيزة .. فجأة يملك اطيانا زراعية .. ارض فضاء معدة للبناء .

— ابراهيم عبد الجواد .. مندوب مالي ومشتريات . حتى عام ١٩٦٥ لم يكن يملك شيئا . عام ١٩٦٩ اصبح يملك هو وزوجته ٤ محلات تجارية .

— مصطفى احمد شحاته .. وكيل ادارة مخازن ومشتريات . حتى عام ٦٩ لا يملك شيئا ، ثم اصبح يملك عام ١٩٧٢ ارضا زراعية باسمه واسم زوجته و ٤ محلات تجارية ... الخ .

ويلاحظ ان « الوظيفة » لها علاقة بالمعاملات المالية والقطاع الخاص . وان الاموال تستثمر في الاراضي الزراعية والمباني والتجارة اساسا .

ومن اشكال الاحتيال الشائعة ، ما كشف عنه احد كبار مسؤولي الغرفة التجارية، اذ صرح بان « ٢٠٪ من طالبات السجلات التجارية الجديدة زوجات للعاملين في نفس مواقع السلع » التي يتاجرن فيها . ويستطرد قائلا « ومنطقيا فليست المصادفة البريئة هي التي تقف وراء هذه النسبة . ولا شك ان النسبة سترتفع كثيرا ، اذا اضيفت مستويات القرابة الاخرى » .

وهناك عدة الاف من موظفي الدولة في الاجهزة الحكومية والقطاع العام والقوات المسلحة (٣) اعتزلوا الخدمة — او عزلوا — ليعملوا في مشروعات خاصة ؛ **« رأسمالهم » الاساسي هو شبكة هائلة من العلاقات مع قيادات مختلف قطاعات المال والانتاج والخدمات** ، الذين يملكون حق اصدار تراخيص الاستيراد والتصدير وارساء المناقصات والمقاولات ومنح القروض واتخاذ قرارات بشأن التوريدات وتوقيع العقود .. الخ من قنوات لنهب المال العام واستنزاف الثروة القومية واستباحة جهد العمال والفلاحين . واستشرى الفساد .

ونمت هذه العمليات في كنف النظام الناصري . كما انتعشت قطاعات من رأس المال الخاص ، وتضخمت على « اكتاف » قطاع « رأسمالية الدولة » . وعلى سبيل المثال :

— الاستفادة من القروض والسلفيات المجانية من بنك التسليف الزراعي ، التي كانت تقدم بلا فائدة — حتى عام ١٩٦٧ — فقد حصل على ٨٠٪ منها اغنياء الريف الذين تزيد ملكيتهم على ٢٥ فدانا . وكان الرصيد المتأخر عليهم لحساب مؤسسة الائتمان الزراعي ٦٠ مليون جنيه ، من اجمالي المتأخرات البالغ ٨٠ مليون جنيه . (بلغت المتأخرات ١٠٠ مليون جنيه عام ٧٤) . بينما الاصل في هذه القروض المجانية ان توجه لمعونة فقراء الفلاحين . وهكذا استثمرت عشرات الملايين من رأس المال العام ، لتحقيق تراكم رأسمالي لكبار الملاك . واتبع اسلوب مماثل فيما يتعلق بقروض عمليات الاسكان والتجارة .

— العمليات التي اسندها القطاع العام الى مقاولي الباطن (القطاع الخاص) « تصل الى ١٤٤ مليون جنيه في كل سنة من سنوات الخطة (الخمسية الاول من ٦٠/٥٩ — ٦٥/٦٤) وتحقق ربحا سنويا يبلغ ٢٩ مليون جنيه » (وهو التقدير الرسمي ، والارقام الحقيقية تتجاوز الضعف) .. « وقد استغل القطاع الخاص هذا الوضع ، فأخذ في رفع اسعار العمليات التي يعهد اليه بها ، حتى في ظل نظام المناقصات ، مما ادى الى زيادة تكاليف عمليات التشييد والبناء ، وهي تمثل ٤٧٪ من قيمة الاستثمارات الكلية للخطة » ، « ومنذ السنة الثالثة للخطة ، تبين ان تكاليف التشييد زادت بحوالي ٢٥٪ في تلك السنة (٦٣/٦٢) عن سنة الاساس (٦٠/٥٩). وان النسبة الكبرى من هذه الزيادة تركزت في عوائد حقوق التمليك ، اي ارباح تعود للمقاولين » (٤) .

— قام القطاع الخاص التجاري اثناء الخطة الخمسية بدور الوسيط بين القطاع العام كمنتج ومستورد وبين جماهير المستهلكين ، مستقطعا ارباحا مرتفعة . كذلك قام بمختلف عمليات الوساطة بين وحدات القطاع العام ذاتها عن طريق عقود التوريد. وبلغت قيمة توريداته للقطاع العام وحده ٢٠٠ مليون جنيه خلال الخطة الخمسية .

وفي كثير من الحالات كان يشتري من مؤسسة للقطاع العام سلعة ، يبيعها لمؤسسة عامة اخرى بأسعار مضاعفة .

انها مجرد نماذج ، على سبيل المثال ، لا الحصر — تؤكد المدى الذي بلغته **عملية الحراك الاجتماعي والنمو الرأسمالي والتمايز الطبقي** في احضان النظام الناصري ، بل في المرحلة الاكثر راديكالية منه (التي وصفت بالاشتراكية) فتحولت شرائح من البيروقراطية الكبيرة الى الانشطة الرأسمالية ، وارتبطت بالقطاع الخاص ، الذي تضخم بدوره . وقد افاد الجميع من قطاع الدولة والمال العام . وحقق المزيد من المكاسب والارباح بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧ ، نتيجة التنازلات التي تمت ، والتراجعات التي تتابعت لمصلحة مختلف فئات الرأسمالية ، بما فيها الطبقات التقليدية (رفع العديد من الحراسات ، وتعديل قانون التعاون لمصلحة كبار الملاك الزراعيين .. الخ) .

وقد زاد وزن هذه الطبقات داخل المجتمع واستشرى نفوذها في مؤسسات السلطة ، وصارت **السند الاجتماعي لانقلاب ايار ١٩٧٠ الرجعي ، والركيزة الاقتصادية لسياسة « الانفتاح » ، والمعول الذي امكن بواسطته هدم المنجزات الوطنية** وفي مقدمتها الاستقلال الاقتصادي والسياسي .

* * *

كما ان الطبيعة الاجتماعية للقوى الحاكمة انعكست على انماط التنمية ، الامر الذي يؤدي الى اختناقات متجددة ، واختلال هيكلي بين قطاع الخدمات والقطاع السلعي (الاول على حساب الثاني) . ويتحيز التصنيع لمصلحة الصناعات الاستهلاكية والترفية التي تفي بتطلعات البرجوازية ، وتشكل عبئا على ميزان المدفوعات (استيراد مستلزمات الانتاج والسلع الوسيطة) . ويرتفع الطلب الاستهلاكي والضغوط التضخمية وتنخفض الطاقة الادخارية .

ويجدر بنا هنا ان نفرق بحسم ، بين لجوء دولة اشتراكية الى تشجيع بعض اشكال رأسمالية الدولة ، لوضع الاساس المادي للنظام الاشتراكي ، وبين رأسمالية الدولة في نظام برجوازي ، مهما كانت ثورية و « راديكالية » القيادات الحاكمة . فقد كان من الضروري استخدام عناصر الرأسمالية وتوجيهها في قنوات رأسمالية الدولة ، كمنهج لزيادة القوى الانتاجية . ولكن ذلك يتم باعتباره شكلا انتقاليا من اقتصاد رأسمالي وعلاقات انتاج رأسمالية الى اقتصاد وعلاقات اشتراكية . فهي شكل من اشكال الصراع الطبقي ، واداة في يد الطبقة العاملة موجهة ضد الرأسمالية في مرحلة الانتقال الى الاشتراكية ، ويتشكل قطاع رأسمالية الدولة في البلد الاشتراكي من المشروعات الرأسمالية والمشروعات المشتركة بين رأس المال العام والخاص ، بينما **يتحول القطاع العام الى قطاع اشتراكي** ، وليس جزء من قطاع رأسمالية الدولة ، بل نقيضه الذي يقود عملية تصفية الرأسمالية . اما القطاع العام في نظام رأسمالية الدولة البرجوازية — ايا كانت — فهو **قطاع رأسمالي** ، يولد المزيد من الرأسمالية ، ويقود كحتمية الى تفاقم التمايز الاجتماعي والصراع الطبقي .

وتؤدي سياسة هذه النظم الى تقوية قطبي الصراع . فتنمو الطبقة العاملة مع التقدم في عمليات التصنيع ويزداد عدد العمال وتركيزهم في تجمعات اضخم ، كما ترتفع نسبة المشتغلين منهم في الصناعات الثقيلة ، كذلك تنمو الرأسمالية ، وخاصة الشرائح الطفيلية منها .

البداية والنهاية ، لظاهرة عابرة في مجرى التاريخ :

ومن خلال عملية الحراك الاجتماعي والاستقطاب السياسي ، تتجه السلطة الى تصعيد حملات القهر ضد الطبقة العاملة (سواء بالبطش او الاحتواء او كليهما معا) (٥) ، بينما ، يجري تقارب ، ويتزايد الارتباط بين اجزاء اساسية من الدوائر الحاكمة والقطاع الرأسمالي الزراعي (بحكم وزنه في هذه المجتمعات) والطفيلي (الذي ينعش على حساب القطاعات الاخرى) ، الامر الذي يزيد من فرص هذه القوى للانقضاض على السلطة ، والاستحواذ عليها بالكامل ، وتصفية ما تبقى داخلها من مراكز وتيارات وطنية وتقدمية مستفيدة من اخطاء النظام وعزلته عن الجماهير .

ويؤدي اسلوب الحكم ونمط التنمية الذي تنتهجه هذه النظم الى تفاقم عملية التمايز والاستقطاب في المجتمع ينعكس بدوره على السلطة . ومن هنا ظاهرة الصراعات والتصفيات المتتابعة داخل هذا النمط من النظم .

ان تتبع ودراسة التغييرات التي تجري داخل الدولة ومؤسساتها في جميع البلدان التي تنتهج نفس الطريق يسمح باستنباط بعض القواعد العامة : —

— في بداية عهدها ، تملك المجموعة الحاكمة قدرا من الاستقلال النسبي ، بسبب عدم ارتباطها بصورة عضوية بالطبقات التقليدية في السلطة القديمة ، وتحررها من نفوذها المباشر . ونتيجة انتماء معظم عناصرها الى فئات « من غير الملاك » (العناصر البيروقراطية) . هذه الميزة توفر لها قدرا من المرونة وحرية الحركة ، ويكفل لها القدرة على انجاز اصلاحات جذرية في اطار علاقات الانتاج الرأسمالية .

— هذه الاستقلالية النسبية هي ايضا **مرحلية** موقوتة ، ليس لها صفة الدوام او الاستمرارية .

— مصيرها الحتمي هو الارتباط العضوي باحدى الطبقات او الفئات المالكة ، عندما تلتقي المصالح ، وحينئذ تفقد استقلاليتها تماما ، وتصبح المعبر المباشر عن الطبقة او التحالف الطبقي الرأسمالي ، صاحب الوزن الاكبر في المجتمع .

— لا يعول على الانتماءات والاصول الطبقية لعناصر الفئة الحاكمة الجديدة في تحديد الطبقية الاجتماعية للسلطة ، اذا كان هذا الانتماء لغير **الطبقات الرئيسية** في المجتمع . وحتى في حالة انتماء غالبية هذه العناصر للبرجوازية الصغيرة — او الفئات الوسطى — ، **فان تطورهم الى قوة مسيطرة في الدولة يجعلهم يتحولون الى ممثلين لفئة اجتماعية سياسية اخرى .. احد قطبي المجتمع .** (٦)

— يتغير تدريجيا التمثيل الطبقي داخل السلطة ، من خلال عملية الارتباط برأس المال الخاص ، فان شرائح من البرجوازية البيروقراطية ، **تفقد هذه** الصفة ، بمجرد مشاركتها في الانشطة الخاصة ، **وتنتقل الى مواقع طبقية جديدة** (الحراك الاجتماعي) **حسب نوع النشاط** الذي تزاوله (زراعة — تجارة — مقاولات — عمارات — شقق مفروشة .. الخ) . ومن الملاحظ ان هذه الفئة تتجه الى التوسع الافقي (تنويع الاستثمار) ، لا الرأسي ، اساسا من الانشطة الطفيلية .

— عملية الحراك الاجتماعي والتمايز والاستقطاب الحتمي داخل المجتمع ، تؤدي الى تغير ذاتي داخلي في التوجهات الاساسية للفئة الحاكمة ، وتبنيها لفكريات ومفاهيم

وممارسات اكثر يمينية ، وانسلاخ قطاعات منها عن المعسكر الوطني فتنضم الـــى المعسكر المعادي ، او تتحول موضوعيا الى رصيد له .

ـــ تجري **تغييرات بنيوية في التركيب الاجتماعي للسلطة** عبر عمليات التصفيـــة والتطهير المتتابعة للاتجاهات الاكثر تقدما وتماسكا في معاداة الامبريالية والرجعية ، تسيطر بموجبه قوى الردة داخل النظام ، او يستفاد من التناقضات والاختناقات وازمة النظام وعزلته للانقضاض عليه واسقاطه بعملية انقلابية . (٧)

وهذا ما يجعلنا نصل الى الفرضية التالية :

تمر نظم ((رأسمالية الدولة الوطنية)) ((بدورة حياة)) ، تبدأ بالانطلاق والنمـــو والانتعاش والازدهار . وسرعان ما يصيبها العقم والجمود ، وتعصف بها امـــراض ـــ تناقضات ـــ الرأسمالية من جديد ، لتبلغ مرحلة الشيخوخة والاضمحلال . وتقطع شوطا كبيرا في طريق انجاز مهام الثورة الوطنية بتحقيق الاستقلال السياسي والتنمية بمعدلات سريعة ، والتصنيع والاصلاح الزراعي ، وتحرر قوى الانتاج من بعـــض معوقات انطلاقها بتخليصها من العلاقات شبه الاقطاعية والاحتكارية ، بالتخطيـــط الموجه ، وتدخل الدولة في النشاط الانتاجي والتحكم في عملية تكرار الانتاج وتوزيـــع الفائض الاجتماعي . لكن هذه النظم سرعان ما **تقع أسيرة طبيعتها الطبقية المحدودة وتناقضاتها الداخلية ،** عندما تقف حجر عثرة امام تحرير قوى الانتاج من علاقـــات الانتاج الرأسمالية ، بسبب **عجزها عن تجاوز نفسها ، واستحالة ان ينجز احد قطبي الصراع العدائي مهمة القطب الاخر .. وينتحر طواعية .**

لقد انهارت اوهام الاشتراكية ـــ اشتراكية البرجوازية الصغيرة ـــ وبدعة مرحلة التحول الأشتراكي وتذويب الفوارق بين الطبقات والطريق اللارأسمالي **بقيـــادة** « مجموعة اشتراكية في السلطة » او « القادة الوطنيون الديمقراطيون » الذيـــن « ينتقلون من مواقع وطنية الى مواقع اشتراكية » .. من خلال « التجربة والخطأ » عندما يكتشفون ان « طريق الرأسمالية مسدود » ... الخ من نظريات ابتدعهـــا بعض المراجعين والمرتدين ، وروجها المرتزقة ، وما زالوا يتمسكون بترويـــج « بضاعتهم » الفاسدة ، بل ويحاولون تطبيقها على نظم ارتدت عن الخط الوطني . والبعض الاكثر ذكاء يعمل على اجراء تعديلات جزئية شكلية تدور في نفس الاطار ، وتشكل امتدادا لمنهجهم المخادع .

هذا ، فضلا عن ان قضيتنا **الملحة** اليوم لا تتعلق بالاشتراكية ، فهي ليســـت مطروحة كهدف مباشر ، اذ ان هذه النظم لم تنجز بعد مهام الثورة الوطنيـــة الديمقراطية حتى نهايتها . **وليس في استطاعتها ان تحقق الا جزءا منها .** ثم ان منهجها في الحكم يؤدي بالضرورة الى انتكاسات في الطريق ، **فتضاف مهام جديدة .** اي ان تلك المهام **تزيد ولا تقل . ونحن نبتعد عن الهدف ، ولا نقترب منه .**

لقد اضيفت مهمة تحرير سيناء والجولان منذ حزيران ١٩٦٧ ، بعد هزيمة فاضحة فخرية ، غير مبررة ، ترجع الى تفسخ النظام وعجزه .. حتى عن حماية الوطـــن (وتقلصت الاهداف القومية الى تحرير الاراضي التي احتلت بالعدوان الاخيـــر .. وحده) . ثم التخاذل في مسؤولية التحرير .

وكانت « النكسة » بدورها « مبررا » لمزيد من الابتعاد عن الاهداف ـــ مما يرجع ايضا الى الطبيعة البرجوازية للسلطة ـــ فتهرب النظام من الاخذ بمتطلبات اقتصاد

الحرب ، ارضاء للفئات المتميزة .. فتباطأت عمليات التنمية ، ونمت الاتجاهات الاستهلاكية والانفاق الترفي، ورفعت بعض الحراسات ، واتخذت اجراءات «التيسير» على القطاع الخاص ، والاغداق عليه بالامتيازات في الوقت الذي كانت تزداد الاعباء على الجماهير الشعبية الكادحة عن طريق الضرائب غير المباشرة !) . «وسرحت» المقاومة الشعبية ، وطوردت القوى الوطنية اليسارية . ودعت السلطة نفوذ وصلاحيات القيادات البيروقراطية في الدولة والقطاع العام ، وتمسكت باجهاض كل تحرك شعبي ، ورفض اي نوع من التعبئة او المشاركة الجماهيرية .

وقام النظام بتعديل نظام التسويق التعاوني ، ليفتح مجالات امام الرأسمالية الريفية لتمويل وتسويق المحاصيل . واعاد صياغة قانون التعاون الزراعي (عام ١٩٦٨) لمصلحة كبار الملاك موجها ضربة شديدة لفقراء الريف . (٩)

هذا ، بالاضافة الى العديد من المهام الاخرى في مختلف مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية . ويبرز التناقض بين « اضافة مهام جديدة » من اجل استكمال الثورة الوطنية ، وبين توجهات وتحولات اكثر يمينية ورجعية لهذه النظم . وهو تناقض لا يمكن ان يحل من داخل النظم القائمة وبقياداتها الراهنة ، او ببدائل مماثلة ، لها نفس الانتماءات الطبقية ، وانما بتغير ثوري من خارج اطار السلطة ، يضع الطبقة العاملة واحزابها في موضع القيادة الفعلية .

ونحن نتحدث هنا عن النظم الوطنية ، وعن مصر . قبل انقلاب ايار ١٩٧١ . ان هزيمة ٦٧ وانقلاب ٧١ هما **من نتائج ازمة النظام المصري (والسوري) منذ عام ١٩٦٥** . فالاسباب الاساسية للهزيمة كانت تكمن في عدم وصول التحولات الاجتماعية الى مستوى تصفية العناصر المعادية « للثورة » في النظام ، واحتلالها لمواقع خطيرة في المنظمات السياسية وجهاز الدولة والقوات المسلحة .. في ان **المهام التي طرحت حينئذ بالحاح ، كانت تتجاوز ثورات ومصالح الطبقة الحاكمة .**

ومن الاهمية بمكان ، توضيح حقيقة ان ردة او **انهيار هذه النظم لا ترجع الى عوامل خارجية او تآمر اجنبي ، بل تعود في الاساس الى عناصر وتناقضات داخلية .** وقد تبدو هذه النقطة الخلافية كقضية شكلية ثانوية . لكنها في الواقع تعكس مفهومين متعارضين يشكل كل منهما خطا متميزا ، مفهوم ثوري واخر اصلاحي . فالقول بان ازمة النظام المصري بدأت وتفجرت « بالنكسة » ، يعني ان المشكلة تجيء **« من الخارج »** . وهنا لا تبدو حاجة لاجراء تغييرات جذرية في السلطة . اما وجهة النظر الاخرى فترى انها ازمة **« من الداخل » ، ازمة نظام** ، تفجرها تناقضاته ، مما يفترض ضرورة تجاوز النظام بكامله ، باعتباره السبيل الوحيد لانجاز الاهداف القومية .

وهناك العديد من المؤشرات ، تؤكد وجهة نظرنا ، نوجز منها الاوضاع التالية ، التي سادت منذ عام ١٩٦٥ .

ـ **على المستوى الاقتصادي :** هبوط معدل التنمية ومعدل الزيادة في الدخل من ٦ر٥٪ الى ٥٪ الى ٧ر٠٪ في السنوات الثلاث من ٦٤/٦٥ حتى ٦٦/٦٧ (١٠) وازدياد حدة الضغوط التضخمية واحتدام ازمة العملة الصعبة وارتفاع العجز في ميزان المدفوعات (منذ عام ٦٤) وحجم المديونية للخارج .

ـ **على المستوى السياسي :** احتدام الصراع داخل السلطة ونجاح الجناح اليميني (عبد الحكيم عامر) في اقصاء علي صبري وحل منظمة الشباب ، واعتقال عدد كبير

من العناصر اليسارية والماركسية ، وتفجر الصراعات في الريف المصري (كمشيش والغياط وغيرها) ، وبدء سلسلة من الاضرابات كان من اهمها اضرابات واعتصامات دمياط ، واكتشاف تنظيم جديد للاخوان المسلمين وتحول جناز النحاس باشا الى تظاهرة سياسية ... الخ .

— **على المستوى العسكري :** العجز عن انهاء حرب اليمن بنجاح بسبب تفسخ القيادات العسكرية وانتشار الفساد بينها .

وغداة الهزيمة ، تصور البعض ان « النكسة » ودروسها ، كفيلة بتحول نوعي في اسلوب الحكم ، خاصة بعد ان تخلص عبد الناصر من « مركز القوة » المتأوىء في الجيش (مجموعة شمس بدران وعبد الحكيم عامر وصلاح نصر) ، وحصل على « مبايعة » شعبية ومساندة جماهيرية بلا حدود ، الا ان النتائج جاءت مخيبة للامال منذ التعديل الوزاري الاول واعادة عدد ممن سبق عزلهم بتهمة ولائهم للغرب ، واحكام ضباط الطيران المخففة .. الخ .

وقد لعبت الهزيمة دورا مزدوجا ، فهي من جانب اضعفت هذه النظم وكشفت عن تناقضاتها وفضحت عجزها . ومن جانب اخر ، قطع الوعي والتحرك التلقائي الشعبي الطريق على المؤامرات المضادة ، **وأتاح لها فرص الاستمرار** ، خاصة وان المشاعر الوطنية للجماهير ، جعلتها تتخلى عن مطالبها الاقتصادية ، وتتسامح ازاء محاباة السلطة للرأسمالية ، وبعض مظاهر العدوان على الحريات والعودة الى الاساليب التقليدية في الحكم ، رغم كل العهود والوعود باصلاحات ثورية (بيان ٣٠ مارس ..)

ومما تجدر الاشارة اليه ، تخلف « الفكر التقدمي » عن الحس الثوري التلقائي للجماهير الشعبية الكادحة ، حينئذ . فقد تفجرت حركة ٩/١٠ حزيران ، ثم شباط ١٩٦٨ (قادها عمال المصانع الحربية بحلوان) وتشرين ثاني ١٩٦٨ ، بشعارات ومطالب تحمل مضمونا اكثر تقدما ، ونزعة استقلالية ، بينما ظلت الغالبية العظمى من « المثقفين الثوريين » تصب الماء في طاحون السلطة ، وتدعو للعمل من خلالها ، وتندد بكل اتجاه استقلالي (باستعداء السلطة ضده) وتروج لكافة المفاهيم البرجوازية .

التغييرات في الخريطة الاجتماعية

ومن الظواهر التي تدعو الى التأمل ، **أن « دورة حياة هذه النظم ، لا تنتهي باحتلال البديل التاريخي لمواقع السلطة المنهارة .** فازمة النظام البرجوازي الوطني لا تقضي على العلاقات الرأسمالية وتطيح بحكم البرجوازية ، لمصلحة نظام اشتراكي بقيادة الطبقة العاملة ، وانما **ينتكس الى نظام تابع ،** خاضع للسيطرة الامبريالية . ويتبدد الاستقلال الاقتصادي والسياسي ، وتهيمن الاحتكارات والمصالح الاجنبية . وقد يبدو هذا التحول متعارضا مع المنطق ، وسنة الحياة وقوانين التطور . لكن هذه الظاهرة لها اسبابها الموضوعية ، التي يمكن استنتاجها من خلال متابعة ودراسة ما يطرأ على الخريطة الاجتماعية من تغييرات داخل هذه النظم .

فالقطاعات الطفيلية تنمو بمعدلات اكبر بمراحل من الشرائح الوطنية من الرأسمالية . ورأس المال التجاري يشكل النسبة الاضخم في تكوينه رأس المال المحلي .

ويرجع ذلك الى طبيعة النظام وأسلوب الحكم والمناخ السياسي ، وتركيز المسؤوليات بين ايدي البرجوازية البيروقراطية — متحررة من الرقابة الشعبية — ودور السلطة كأداة للتراكم الرأسمالي اسواء لعناصر هذه الفئة او القطاع الخاص (وفي علاقتهما المتبادلة والمشتركة) ، والافتقار الى الاستقرار السياسي ، مما يجعل رؤوس الاموال تتجه الى الاستثمار « الافقي » (١١) والمشروعات التي تكفل دورة سريعة وارباحا مجزية . وتعمل على زيادة حجم عملياتها — الظاهرة منها بصفة خاصة — بقروض تحصل عليها من البنوك والمؤسسات ، حتى لا تغامر باموالها الخاصة ، خاصة وأن فوائد الديون تقل كثيرا عن الارباح المحققة .

ولا نتصور اقبال رأسمالية — جبانة — في اوضاع غير مستقرة ، على بناء المصانع واستثمار اموالها في راس مال ثابت ومشروعات يصعب التخلص منها ، وقت الحاجة .

كما ان **الربحية العالية** لراس المال التجاري ، تغرى بالاستثمار في هذا المجال ، والاحجام عن المشاريع الانتاجية . بل ان هيمنة العقلية الطفيلية ، واغراءات الربح الاسطوري تسبغ طابعها المتميز على مختلف الانشطة الرأسمالية في المجتمع ، بما في ذلك القطاع الانتاجي ، وتثمر الاتجاهات الاحتكارية عند هذا القطاع الذي يطمح لتحقيق نفس مستوى العائد الذي تدره التجاره ، أو يتحول الى النشاط التجاري . ويعفي عنصر المضاربة في مجال المقاولات والعقارات والاسكان .

كذلك يؤدي فتح باب الاستيراد على مصراعيه وبلا قيود الى منافسة غير عادلة مدمرة للانتاج المحلي ، الامر الذي أدى الى افلاس واغلاق عدد من الصناعات الوطنية .

وهناك ظاهرة « البنوك المتنقلة » ، وهي طبقة جديدة من المولين تقوم بتمويل تراخيص الاستيراد وتحصل على فوائد عاليه ، نصيبها من « المال السايب » ، عرق وجهد الفلاح والعامل المصري .

وتشير التقديرات الرسمية الى ان « في مصر الان ٥٠ الف مكتب للاستيراد والتصدير والاستشارات ! وان ٢٢ من اصحاب هذه المكاتب من الوزراء السابقين » (اهرام ٤/٥)

وقد « قدر احد اعضاء مجلس الشعب قيمة العمولات التي حصل عليها بضعة افراد خلال السنوات الماضية بحوالي مليارين من الجنيهات » كما ان « واحدة فقط من العمولات وصلت الى اكثر من ٣ ملايين جنيه مصري » (عدد ١٥/٣ روز اليوسف) وأن عمولة وسيط في صندوقة واحدة من البطاطس بلغت نصف مليون جنيه ، ودخل التاجر الواحد من تجارة الجملة في سوق الخضار يبلغ ١٥٠٠ جنيه كل يوم ، وأن موظفا صغيرا في مصلحة الاستيراد يفتح مكتبا ويكون ثروة تبلغ مليون جنيه بالاضافة الى ٢٠٠ فدان (روز اليوسف ٤/٢٦) ، وأن كل جنيه يحقق ربحا قدره ٨٠ قرشا ... الخ وكم من المغريات للاقبال على القطاع الطفيلي !

وقامت السلطة برد جزء كبير من الاملاك ورؤوس الاموال (التي سبق مصادرتها او وضعها تحت الحراسة) ، وعوضت الالاف من كبار الاقطاعيين والرأسماليين القدامى ، فانتقلت ثروات اضافية الى هذه الطبقات ، معظمها في صورة اموال سائبة، تدخل سوق النشاط الطفيلي . ورفعت الحكومة قيمة التعويض بنسبة كبيرة ، على

الاراضي الزراعية والعقارات والمباني التي لم ترد بسبب التصرف فيها بالبيع ، وليس من المتصور بطبيعة الحال ان تستثمر الطبقات — التي « لدغت من الجحر مرة » — اموالها في رأس مال ثابت .

كذلك عاد عدد كبير من اصحاب الملايين ، « طيور كانت قد هاجرت من مصر بعد التأميم » (طبقا لتعليق للاخبار القاهرية) ومعظمهم من المتمصرين — كافوري وباتا وسالمون وسباهي وأبو رجيلة وعشرات غيرهم — . لم « يعودوا بملايينهم » كما تذكر الجريدة ، ولكنهم تهافتوا على مصر ليواصلوا عملياتهم الربوية والطفيلية .

كل هذه العوامل ادت الى **تضخم سرطاني في القطاع الطفيلي ، وتشابكه وتزاوجه مع العناصر القيادية في جهاز الدولة ، وضمور البرجوازية الوطنية وانسلاخ شرائح اساسية منها ، لتلتحم بالقطاع الطفيلي ، واختلال توازن القوى الاقتصادي والاجتماعي ، فالسياسي لمصلحة الفئة النامية بلا حدود . ولكل هذه الاعتبارات والتحولات يصبح البديل الطبيعي — المرحلي — لنظام رأسمالية الدولة الوطنية هو السيطرة المطلقة للرأسمالية الطفيلية على مقاليد السلطة .**

ومن البدهي أن العنصر الرئيسي الذي سمح لهذه العملية بالانطلاق الى ابعد مدى، هو عدم نضج القوى الشعبية الكادحة ، بسبب تخلف « القيادات الثورية » ومفاهيمها وتحليلاتها وبرامجها ، وانحرافها عن المنهج العلمي ، وانسياقها الى وضع التبعية والذيلية للايديولوجيات الرأسمالية .
« لا حركة ثورية دون نظرية ثورية »

ومما يؤسف له أن العديد من « القيادات التقدمية » لا ترى في التحولات التي تجري في هذه النظم ، اكثر من انزلاق لليمين ، وتكثيف للاستغلال الرأسمالي المحلي ، وتفاقم للتمايز الطبقي ، و « انتعاش » لفئات الطفيلية والطبقات التقليدية (حتى في مصر بعد انقلاب ١٩٧١) ، ويتعللون بأوهام عن مقاومة « الاجنحة » الوطنية والتقدمية داخل السلطة ، ويتجاهلون ، عن جهل — أو عمد — **حتمية** سقوط هذه الانظمة في قبضة الامبريالية ، وحتمية خيانة الفئات الحاكمة . ويأبى هؤلاء الاقرار بأن هذه التحولات **توفر العوامل الموضوعية لضياع الاستقلال السياسي والاقتصادي ، وعودة السيطرة الامبريالية ، لان التحالف والمصالح المشتركة بين هذه الطبقة والرأسمالية العالمية هو جوهر الاستعمار الجديد (١٢) كما أن البرجوازية الطفيلية هي القاعدة المادية والمولد لطبقة الكومبرادورية .**

وقد صيغت « قوانين الانفتاح » في مصر بعد اقل من ثلاثة اشهر من انقلاب ايار ١٩٧١ ، بعد هيمنة الفئة الطفيلية على مقاليد السلطة ، على رأس تحالف ضم مختلف القوى الاجتماعية والسياسية الرجعية (١٣) الا أن النظام الجديد احتاج الى عدة سنوات (من التصفيات والتطهير واعادة ترتيب الاوضاع) ، كما احتاج الى حرب تشرين ، حتى يتمكن من « تحرير » هذه القوانين وتطويرها والتوسع فيها وتنفيذها جرأة وتحد .

ونسفت تشريعات الانفتاح كل قواعد الاستقلال الاقتصادي والسيادة الوطنية ، وفتحت الابواب على مصراعيها لتحكم رأس المال الاحتكاري والنفوذ الامبريالي — خاصة الامريكي — . ونستعرض فيما يلي بعض هذه القوانين ، على سبيل المثال ، لا الحصر :

□ السماح لشركات الاستثمار وبنوك الاعمال وبنوك الاستثمار والبنوك التجارية وشركات التأمين الاجنبية بالعمل في مصر ، واقامة البنوك المشتركة ، تمارس نشاطها بالعملة المحلية . وتستثنى هذه المؤسسات من احكام قوانين البنوك والائتمان واللوائح المنظمة للرقابة على النقد ، ومن رقابة البنك المركزي (بنك الدولة !) والسلطات النقدية . وهو وضع لا نشهد له مثيلا في اي بلد مستقل في العالم . وهو بمثابة دولة (الاقوى) داخل دولة ، اذ تتحكم المصارف في عصب النشاط الاقتصادي وتمسك بكل خيوطه (١٤)

□ تحويل جميع الموانىء — وقطاع من القاهرة — الى مناطق حرة ، والتصريح للمستثمرين الاجانب بتصريف منتجاتهم في السوق المحلية كأفضلية لهم عن غيرهم من الموردين الاجانب . (منافسة الصناعة المحلية ، واستنزاف المهارات والعمال الفنيين ... الخ)

□ ومن اخطر الاجراءات التي اتخذت اخيرا « اطلاق حرية التعامل في العملات الحرة » (صحف ٥/٩ أي سوق تجارية للصرف تخضع للعرض والطلب . وهو يعني ببساطة رفع سعر كل الواردات من الغرب ، بنسبة الفرق بين السعر الرسمي وسعر « العرض والطلب » (أي سعر السوق السوداء) . فتتضاعف اسعار كل ما تستورده من السوق الرأسمالية ، سواء السلع الغذائية (وفي مقدمتها القمح) والسلع الوسيطة ومتطلبات الانتاج (بما لذلك من اثر هدام — على الصناعة الوطنية) ومستلزمات الانتاج الزراعي (المبيدات والاسمدة ..) ، الامر الذي يؤدي الى استنزاف موارد البلاد لمصلحة الاحتكارات متعددة الجنسية (١٥) وطفرة هائلة في الاسعار ، تطحن ذوي الدخل المحدود .

□ السماح بمشاركة رأس المال الاجنبي والاحتكارات العالمية في الصناعات المصرية الاساسية — والناجحة . (١٦)

□ فتح مجالات الاستثمار في المناجم والمحاجر لرأس المال الاجنبي .

□ السماح للاجانب بدخول كافة مجالات النشاط ، في التصنيع والتعدين والطاقة والسياحة والنقل .. الخ

□ حق الاجانب في شراء واستثمار اراض البناء والعقارات والاراضي الزراعية ، رغم ان القوانين المعمول بها في معظم انحاء العالم وفي العديد من البلدان العربية تحظر ذلك .

□ اعادة افتتاح بورصة الاوراق المالية . ومن اهدافه الرئيسية (كما اوضح القيسوني) تشجيع رأس المال الاجنبي ، حيث يسمح له بتصفية المشروعات التي يقيمها في البلاد (ببيع اسهمها) عندما تشاء للهروب عند ظهور بوادر ازمة مالية او سياسية . ولا شك ان سيولة حركة رؤوس الاموال (بالاضافة الى تعويم الجنيه المصري) ستؤدي الى سهولة تسرب الاموال من مصر الى الخارج .

□ قانون التوكيلات الاجنبية الذي **يشكل حلقة وصل** بين السوق المحلية والسوق الرأسمالية العالمية ، **بين الرأسمالية المصرية والاحتكارات متعددة الجنسية** . وقد أجاز هذا القانون للاجانب افتتاح مكاتب التوكيلات التجارية ، بشرط « مشاركة مصرية » !

.. وهي بعض نماذج من شبكة هائلة من القوانين والتشريعات . فقد اغدق نظام السادات الامتيازات على رأس المال الاجنبي ، في شكل اعفاءات ضخمة من الضرائب العامة وضرائب الايرادات والارباح والرسوم الجمركية وفوائد القروض ، واستثناه من الالتزام بتطبيق قوانين العمل (التوظيف والفصل والاجور ... الخ)

وقد حرصت الدوائر الامبريالية ، وبخاصة الولايات المتحدة (ملتقية في ذلك مع رأس المال المحلي) على اشراك رأس المال المصري في مشروعاتها ، وأن تتوفر له كل الضمانات والتيسيرات ، بهدف **خلق وتقوية القاعدة الاجتماعية المحلية التي تستند** اليها في بسط نفوذها ، وتعتمد عليها لاستمرار سيطرتها على البلاد . (١٧)

الجديد في عملية الاستقطاب على النطاق العربي

تتكرر نفس « الدورة » في جميع البلدان التي انتهجت طريق رأسمالية الدول الوطنية ــ تزيد او تقل ، ويختلف معدل سرعتها تبعا للظروف الخاصة التي ظهرت وعملت فيها ــ نلمسها في الانفصام المتزايد بين الشعارات المعلنة والممارسة الفعلية ، تعثر عملية التنمية الاقتصادية ، وتضاؤل دور التخطيط وقطاع الدولة ونمو المشروعات الرأسمالية الخاصة والسخاء في منح التيسيرات للقطاع الخاص ، وانعاش وتضخم رأس المال الكبير ، خاصة في القطاعات الطفيلية وتفاقم التمايز الاجتماعي ، وظهور مجموعة الاختناقات التي شهدناها في مصر ، وطرح شعارات ومفاهيم « الانفتاح الاقتصادي » على الغرب (مع ملاحظة ان الدور الاعلامي المباشر اقل حجما من التنفيذ العملي لهذه السياسة في بعض البلدان) ، واتساع نطاق ، التعامل التجاري مع المعسكر الامبريالي ، والزيادة الكبيرة لمعدل التعاقد مع الدول الغربية على المشروعات الجديدة ، على حساب التعامل مع المعسكر الاشتراكي (١٨) .

نلاحظ ايضا تصاعد الضغوط على الاتجاهات الراديكالية ، واستخدام مختلف اساليب القهر وأبشعها ، ومعاداة الشيوعية وأحزابها (حيث تقوم جبهات شكلية في بعض هذه البلدان) لمحاصرة وتحجيم نشاطها وتصفية تنظيماتها الجماهيرية .

ومن ابرز التحولات دلالة ، تلك التي تجري على المستوى العربي ، **بعمليات المصالحة والتفاهم فالتحالف ، بين هذه النظم مع اشد واعتى الدول والتنظيمات رجعية ، لتشكل تجمعا واحدا يسير في خط التقارب والارتباط بالمعسكر الامبريالي .**

تميز عهد ازدهار الحركة الوطنية والقومية ، بقيادة هذه النظم ، باحتدام الصراع والمعارك مع الرجعية العربية ، والاستقطاب العدائي بين المعسكرين الوطني والمالىء للامبريالية ، لكن هذه الظاهرة (المرحلية) اصبحت في ذمة التاريخ ، فيتلاشى التمايز وتلتقي المواقف ، وتتوثق العلاقات بين الطرفين . وليس من قبيل المصادفة ان كلا من هذه النظم « الوطنية » ، اصبح ينمي علاقاته مع اعمدة الاستعمار والعملاء المباشرين للامبريالية في المنطقة ، وتمتد الجسور منها الى السعودية والمغرب والاردن وايران ــ ومصر بعد الردة ــ وغيرها من الدول والدويلات الرجعية والعميلة . ويجمع الكل عداء متأصل للحركات الثورية والاحزاب والتنظيمات الراديكالية ، وبصفة خاصة الثورة الفلسطينية ، التي يتزايد التآمر على تصفيتها ــ كحركة ثورية ــ كلما تصوروا ان الطريق للتسوية اصبح ممهدا . والاحداث الاخيرة في لبنان ومواقف القوى المختلفة منها ، بالغة الدلالة واضحة المغزى ، تفضح المدى الذي بلغته عملية الاستقطاب ، وتبدل المواقع .

وترتكب بعض القوى الوطنية والتقدمية اخطاء فادحة في مواجهة هذه الظاهرة . ولعل اخطرها هو نفي وجودها اصلا ، او التقليل من شأنها ، الى مجرد انحرافات جزئية عابرة نتيجة حسابات غير موفقة ، واوهام سرعان ما تتكشف عن دخان فتعود المياه الى مجراها الطبيعي . وقد تعزى الى اعتبارات حزبية وشخصية — لا منهجية طبقية — .

ويبرر التخاذل ازاء هذه النظم بالاعتبارات التكتيكية ، لمنع ما هو اشد وادهى ! ولتجنب استفزاز القيادات المرتدة الى المزيد من الانزلاق . وتعالج المشكلة من قبل البعض الاخر بالانتقال الدراماتيكي من نظام الى اخر جيئة وذهابا (١٩) .

ومما تجدر الاشارة اليه ان الوعي بالشيء ، لا يعني بالضرورة اتخاذ مواقف انفعالية حياله فمثلا ادراك حقيقة هذه النظم ، لا يتطلب بالضرورة : دفع الاوضاع للاصطدام بها ، دون مراعاة توازن القوى ، ولا يتعارض مع استخدام التناقضات الثانوية بين هذه النظم لمصلحة الحركة الثورية .

اننا نفرق بحزم بين ما يعنيه التحالف الاستراتيجي بين القوى الاجتماعية المؤهلة لقطع مرحلة استراتيجية ما ، وبين امكانية عقد اتفاقيات موقوتة في موقف محدد ، من قضية واحدة ، معينة ، مع قوى او شخصيات او منظمات سياسية ، مع عدم الاخلال بالموقف المبدئي ، اي استمرار الصراع — خاصة الفكري والسياسي — مع هذه القوى ، دون توقف . وأن تكون طبيعة وحدود العلاقة واضحة ، للجماهير أساسا ، حتى لا تصاب بالبلبلة وفقدان الثقة من كثرة ما تشهده من تبادل القبلات والطعنات ، والعكس !

لقد بدأت اولى مؤشرات عملية الاستقطاب منذ اكثر من عشر سنوات ، لكن البعض ، ظل يدور داخل اطار قوالب متحجرة لنظريات ديماجوجية انتهازية ، عجز عن فهم جدلية التاريخ ، وان ما هو تقدمي في مرحلة ما ، لا يستمر تقدميا الى ما لا نهاية ، وان **وجه هذه النظم الرجعي يطغي على وجهها التقدمي تدريجيا حتى يغمره تماما** ، للتحول الى قوة رجعية وعقبة في طريق اي تقدم .

والبورجوازية لا تقود « ثورة مستمرة » ، ولكنها تتولى زعامة ثورة ، تتحدد امكانياتها ومداها باطارها الاجتماعي — الطبقي . وهي لا تحقق « تطورا وارتقاء مطردا » ، بل « دورة كاملة » ، حتى تلقي مصيرها المحتوم ، ككل نظام برجوازي ، اينما كان ، وفي اي صورة يتشكل . وهي لا تلغي التناقضات وتحلها ، وانما تؤججها وترتفع بها الى مستوى اعلى من التعقيد والحدة . والاهم من ذلك كله ان البرجوازية — بكل مراتبها — . لم تعد قادرة على انجاز اكثر من جزء محدود — ويقل باستمرار — من اهداف الثورة البرجوازية الوطنية . ان كسر حلقة التخلف ، لا يمكن ان تتحقق بواسطة حل برجوازي وطني ،بل حل اشتراكي وطني .وتبقى قبل ذلك مهمة استكمال الثورة البرجوازية الوطنية . وهنا يبرز دور الطبقة العاملة واحزابها — او الاحزاب التي تتبنى ايديولوجيتها في البلدان الاكثر تخلفا — لاستكمال هذه المهمة ، كحتمية تاريخية ، من خلال جبهة عريضة تضم كل الجماهير الشعبية الوطنية ، بما فيها البرجوازية الوطنية .

ذلك هو التشخيص العلمي **لازمة حركة التحرر العربي . فبعد ان لعبت نظم رأسمالية الدولة الوطنية دورا تقدميا على رأس حركة التحرر نكصت على اعقابها ، ودخلت منحنى النهاية ، مرحلة الانحدار والاندحار ، قبل ان ينضج البديل الثوري .**

بسبب عدم ادراك القوى الثورية ــ المؤهلة لكسر حلقة الجمود فالانهيار ــ **لطبيعة القوانين التي تحكم العملية الثورية عبر مراحلها المختلفة .**

وتمضي السنوات وتتراكم الهزائم ، وتبرز الى السطح كل المؤشرات والشواهد التي تؤكد خطأ تقديراتها .. سقوط النظم المشابهة في جميع انحاء العالم بسهولة ويسر ــ يثيران التساؤل ويلحان على تفسير مقنع ــ (٢٠) ازمة الانظمة العربية بدءا من العراق (١٩٦٣) فالنظام المصري (عام ١٩٦٥) ، فهزيمة ١٩٦٧ وانقلاب ١٩٧١ الرجعي والردة الكاملة للنظام المصري .. اجهاض حرب ١٩٧٣ ، وما اعتبها من تحالفات وتنازلات وتهالك على الحل الامريكي .وتتكرر الظاهرة ــ بدرجات متفاوتة من السرعة ــ في مختلف النظم المماثلة ، على كافة المستويات الاقتصادية والاجتماعية والوطنية والقومية .. ورغم ذلك تظل (معظم القيادات التقدمية) على تشبثها بافكار ومفاهيم بالية ، وتؤخذ على غرة المرة تلو المرة ، وتهزها « المفاجآت » غير المتوقعة (!) . دون ان تحاول جديا اعادة النظر في هذه المفاهيم .

الهجمة الامبريالية لترتيب الاوضاع تمهيدا لتمرير التسوية الاستسلامية

يعتبر « سقوط » مصر نقطة تحول هامة على مستوى الوطن العربي كله ، و«عامل حفاز » للتعجيل بعملية الاستقطاب ، وزيادة معدل سرعة الانحدار في المنحنى الاخير من « دورة حياة » نظم رأسمالية الدولة الوطنية . وقد تحول توازن القوى لمصلحة التحالف الرجعي ــ الامبريالي ، في اتجاه معاكس لحركة التاريخ ، ولموجة المد الثوري العام الذي يجتاح العالم (الانجازات الثورية في جنوب شرق اسيا واوروبا وافريقيا .)

وركزت الولايات المتحدة بكل ثقلها على « الشرق الاوسط » ، لتعويض خسائرها ونفوذها المتآكل في الانحاء الاخرى من المعمورة ، وتقديرا للاهمية الاستراتيجية للمنطقة (الموقع الجغرافي ، الثروات النفطية ، وعائداتها المالية ، الاسواق .. الخ) **واستفادت من الظروف المواتية ، وبالذات نتيجة ادراكها لطبيعة القوى الحاكمة ، والتحولات اليمينية الجذرية التي تجري داخل السلطة ، ونمو اتجاهات المصالحة والردة** ، والالتقاء والارتباط المتزايد مع المصالح الامبريالية ، وعملية الاستقطاب التي تدفع بالطبقات الحاكمة الى احضان المعسكر الذي كانت تعاديه في الماضي ، **ليشكلا معا تجمعا واحدا** ، مناهضا لحركة التحرر الوطني والاجتماعي العربية .

توخت الخطوة الاولى في المخطط الامبريالي توثيق عرى الارتباط بين **الحلقات الثلاث التي تعتبر بمثابة العمود الفقري** للمنطقة ، السعودية (بوزنها النفطي والمالي والديني) وايران (قوتها العسكرية والنفطية والاقتصادية) ومصر (بثقلها الحضاري والسكاني ورصيدها على النطاق القومي)

واستدارت الولايات المتحدة « للجيوب » التي تبقت على امتداد العالم العربي ، لتنفرد بها الواحد بعد الاخر (وضد الاخر) ، شارعة كل اسلحتها ، سواء بالابتزاز والتهديد والضغوط الاقتصادية والعسكرية (عبر ايران واسرائيل) او بالاغراء والترغيب والتلويح بالمساعدات « لانتشال » الاقتصاد القومي (بمعنى الرخاء للفئات الطفيلية داخل هذه المجتمعات) .

واطلقت يد طهران في الخليج العربي ، فصعدت عمليات العدوان العسكري ضد ثورة ظفار ، واعتدت على اراضي اليمن الجنوبية (بالاضافة الى ضغوط اليمن الشمالي المدعوم والموجه من السعودية) .

وفجرت مشكلة الصحراء « الاسبانية » لشغل الجزائر في معركة مع المغرب وموريتانيا

وحققت اكبر نصر لها بتوقيع **الاتفاق المصري ــ الاسرائيلي ــ الامريكي** في ايلول الماضي ، والحصول على حق اقامة **قاعدة عسكرية** اليكترونية لها على ارض سيناء ، وتكريس خط الحلول الجزئية والمنفردة . وتفجرت موجة جارفة من الاحتجاج والمعارضة الشعبية ، اجتاحت العالم العربي كله . أما القيادات والنظم ، فتفاوتت ردود فعلها .. البعض وجه نقدا « محسوبا متزنا » ــ للاستهلاك المحلي والعربي ــ ثم التزم الصمت ، بل ودعم علاقاته مع السلطة المصرية ــ والبعض الاخر شن حملات مكثفة عن الاتفاقية وضد الدوائر الحاكمة في القاهرة . لكن المنطلقات كانت تتراوح بين اصالة الحس القومي الثوري (خاصة في القاعدة الشعبية) وبين التعبير عن الغضب والاحتجاج ، بسبب اسقاط هذا النظام أو تلك القيادة من الصفقة ، الامر الذي يحرجها ويضعف من اوراق المساومة التي « تلعب بها » في اطار « التسوية الامريكية » .

واشتد التنافس والتسابق على كسب ود اكثر النظم رجعية وعداءا للشعوب ، خاصة ايران والسعودية والاردن . وفي نفس الوقت زاد العداء للقوى والحركات الثورية ، خاصة الاحزاب الشيوعية والتنظيمات التي تتبنى الماركسية ، وزاولت النظم حملات منظمة من الضغوط عليها والتضييق على تحركاتها .

وحاصرت المؤامرات الثورة الفلسطينية من كل جانب ، متخذة مختلف الاشكال ــ والتبريرات ــ ، سواء بوقف المعونات والدعم لبعض التنظيمات دون البعض الاخر ، أو استعداء منظمات ضد الاخرى في محاولة لفصم عرى الوحدة داخل منظمة التحرير .

وبعد أن بلغ التدهور في الوطن العربي مداه ، دخل المخطط الاستعماري مراحله الاخيرة ، مستهدفا **تصفية المعقل الاساسي المتبقي** ، الصامد والمتصدي للمخطط الامبريالي (بغض النظر عن تباين الدوافع) ، ونعني التحالف القائم بين الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية وسوريا ، من موقع قناعة بأن المعركة الرئيسية ، لفتح الطريق الى التسوية الامريكية ، تحسم على ارض لبنان .

وبدأت المعركة بتسليط القوى الطائفية الانعزالية اللبنانية ــ بنزعاتها الفاشية ــ ضد قوى الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية . الا ان هذه القوى تمكنت من احباط المؤامرة في مراحلها الاولى . هزمت « **الخط الاول** » المشكل من ميليشيات الكتائب والاحرار وحراس الارز .. الخ ، وانهار « **الخط الثاني** » مع تفسخ وانقسام القوات المسلحة ، حينئذ ساد الاضطراب والقلق صفوف العدو . ورغم تحركات الاسطول الامريكي والتهديد بالتدخل العسكري ومؤامرات التدويل والتعريب ، كانت واشنطن تدرك استحالة التدخل العسكري المباشر (٢١) لذلك رأت المخرج والحل هو في الاستعانة « بأداة عربية » ، لها سمعتها الطيبة ومكانتها في الاوساط القومية والتقدمية ، فخططت لتوريط سوريا في لبنان .

وقامت « بلعبتها » البارعة ، نتيجة استيعابها وفهمها لحقيقة التغييرات التي تجري داخل هذه النظم ــ موضوع هذا البحث ــ مع استغلال طموحات النظام السوري لاقامة شكل من اشكال الكيان الموحد من سوريا والاردن ولبنان والاراضي الفلسطينية التي تنسحب منها اسرائيل .. أي « جبهة عريضة من الناقورة الى العقبة » طبقا لتصريحات عبد الحليم خدام .

وصدرت تصريحات امريكية ، وجرت مقابلات ، وتعددت الايحاءات بأن لا اعتراض لامريكا على تدخل القوات السورية في المناطق التي تتواجد بها قوات جبهة الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية ، المقاومة الفلسطينية — **فقط لا غير** ! — . وحددت اسرائيل الخط الاحمر الذي لا يجوز لهذه القوات ان تتجاوزه كان ذلك بمثابة الضوء الاخضر لتدخل دمشق ، لوقف عجله « اختلال التوازن » لمصلحة القوى اليسارية ، ومن اجل حماية « الصيغة اللبنانية » ، وفي اتجاه يتعارض مع ما ترى المقاومة الفلسطينية والقوى الوطنية انه يتسق مع مصالحها . وحقق العدو : اهم انجاز له في تفجير الخلاف والدفع الى التصادم المسلح وشق صفوف « الجبهة الثلاثية » .

وأبدت سوريا استعدادها لحضور مؤتمر جنيف — الذي سبق ان رفضته هي والاردن منذ وقت قصير — وتسارعت خطوات الوحدة — الكونفدرالية مع المملكة الهاشمية — ، ونشطت مساعي السعودية والكويت لمصالحة سوريا مع مصر وتسوية الخلاف بينهما .

وفي مجال التعليق على المصالحة المصرية السورية ، عقبت الاهرام بقولها « ان ازمة الشرق الاوسط تقترب الان من مرحلة الحل النهائي . وهذا يفرض على القاهرة ودمشق والمقاومة وحدة الشعور ازاء مؤتمر جنيف . » (اهرام ٥/١٢)

واعلن الرئيس فورد « ان الوقت قد حان لمناقشة اقرار تسوية شاملة لازمة الشرق الاوسط .. وهذا بالطبع يعني اقرار السلام في المنطقة »

وصرح كيسنجر ان « الفرص المتوفرة الان لايجاد تسوية عربية — اسرائيلية ، لم يسبق لها مثيل » (وكالات الانباء ٥/١٠) .

ونجح المخطط الامريكي — الاسرائيلي في دفع الامور الى اخطر ما واجهته الامة العربية من تدهور ، بلغ الذروة ، عندما اصطدمت قوات الصاعقة ، وجيش تحرير فلسطين (بقياداته السورية) مع قوات الحركة الوطنية اللبنانية والمقاومة الفلسطينية .

استبدال العمامة برأس حقيقي

ان اخطر سلبيات الحركة الثورية العربية تتمثل في قصور الجانب الفكري عن مستوى المهام المطروحة في الاطار المحلي والعربي ، في الحقل الوطني والاجتماعي . وسيادة « عقلية » لا عقلانية ، تمجد العفوية وتستخف بالنظرية ، فتتخبط في دائرة التبعية والذيلية للايديولوجيات البرجوازية ، الامر الذي يعرضها «لمفاجآت » حساباتها الخاطئة ، ويكبدها خسائر فادحة ، ويتسبب في كوارث ونكبات متلاحقة لحركة التحرر الوطني العربية .

ان الحركة الوطنية والتقدمية العربية تواجه حاليا أخطر التحديات . وقد آن الوقت « لاستبدال العمامة برأس حقيقي » (٢٢) ، والعضلات البدائية بالخلايا الرمادية (٢٣) استبدال التلقائية بالوعي ، و « الفهلوة » بالعلم ، والتجريبية بنظرية الثورة .

وضرورة حل المسائل الخلافية ، والخوض فيها دون وجل ، والوعي بأسبقيتها على غيرها من المشاكل التاكتيكية والممارسات اليومية ، ليس من قبيل الترف الفكري أو المتعة الذهنية . انه الاساس في فهم الواقع واستيعابه ، والتنبؤ العلمي المستقبل . وهو المنطلق الموضوعي لصياغة استراتيجية وتاكتيكات الحركة الثورية ، وتطوير

برامجها وتحالفاتها ومبادراتها ، بما يتسق مع هذا الواقع المعاش ، ومتغيراته في مراحل التطور المختلفة .

وتقع على كاهل القوى التي تتبنى الماركسية اللينينية مسؤوليات اساسية في هذه المرحلة بالذات ، لانه **كمنهج** ، هو اكثر ايديولوجيات عصرنا ثورية ، يكفل القدرة على رؤية واضحة للتناقضات ، وتعقيدات الوضع العربي والعالمي ، من خلال الربط في تزاوج جدلي بناء ، بين النظرية والواقع — بخصوصيته — والعصر ، بكل تفاعلاته وتأثيراته على المنطقة والصراعات الدائرة فيها . وبذلك وحده يمكن تجسيد المهام الاستراتيجية في اهداف ملائمة لكل مرحلة ، وصياغة خط سياسي ثوري سليم ، يدخل في اعتباره عملية الحراك الاجتماعي والسياسي داخل صفوف البرجوازية ، وانسلاخ قطاعات منها ، تنضم الى المعسكر المعادي في المراحل الحرجة والحاسمة من الصراع .

---

(١) يمكن مقارنة هذه المرحلة ، بعصر محمد علي ، الذي اجرى اصلاحات جذرية ، في اطار النظام القائم العلاقات الاجتماعية السائدة حينئذ . فقد طبق « الاصلاح الزراعي » الذي انزل ضربة قاسية بنظام الالتزام — وملكية الارض من جانب الملتزمين والمماليك ، وقضى على تبعية الفلاح الشخصية لهم ، واستملك اراضي الاوقاف ، وطور نظم الري وتوسع في اقامة الصناعات الكبيرة الحكومية . واطاح بمخلفات القرون الوسطى الاكثر رجعية ، دون ان يقضي على نمط الانتاج الاقطاعي .

(٢) حتى في حالة قيام جبهات وطنية ، يظل القرار حكرا للفئة الحاكمة .

(٣) خلال عمليات التطهير المتتابعة في الجيش حرصت السلطة على توفير وظائف مغرية للمبعدين ، سواء في السلك السياسي او القطاع العام ، وساعدتهم على مزاولة الانشطة الخاصة ، والتغافل عن كل ما يقترفون من انتهاكات . وعلى العكس كانت تشجع احيانا ، لابعادهم عن الانشطة « الخطرة » .

(٤) من كتاب « سنوات التدول الخمس » الذي اصدره علي صبري ، رئيس الوزراء والمشرف على تنفيذ الخطة الخمسية الاولى .

(٥) اخطر اساليب القهر واكثرها فاعلية تتمثل في الجانب الايديولوجي ، ومجموع النظريات المراجعة والانتهازية التي روجتها قيادات تقدمية — بعضها ماركسي — وادت الى تخريب الوعي الاجتماعي ، واثارت البلبلة والسلبية ، واضعفت الحركة الثورية المنظمة .

(٦) ومن هنا اعتراضنا ورفضنا « لنظرية » نظم البرجوازية الصغيرة .

(٧) هذه العملية يمكن ان تجري في اتجاه عكسي فقط عندما تتغير موازين القوى العالمية بشكل اكثر جذرية ، ومع نمو السوق الاشتراكي العالمي الى الحد الذي يسمح بتقديم معونات هائلة تكفل تحرير الاقتصاد من كل ارتباط بالسوق الرأسمالي العالمي ، كعوامل مساعدة هامة (ايضا العنصر الجغرافي ، كالحدود المشتركة) بالاضافة الى العامل الاساس ، وهو ان تبلغ الطبقة العاملة وحزبها من القوة — والبرجوازية من التفسخ — ما يمكنها من فرض مشاركتها المتزايدة ، فقيادتها الحقيقية للدولة .. وكلها خزون لم تتهيأ بعد ، وليس من المتوقع توفرها قبل فترة طويلة من الزمن .

(٨) فشل اليسار في اقناع الحكومة بفرض ضرائب على الفئات الثرية ، المتهربة ، فظلت الرأسمالية الزراعية — مثلا — معفاة من ضريبة الارباح ، رغم انها كانت

تحصل من كل الانشطة الاخـــــرى ـ الرسمية ـ وفي نفس الوقت تتضاعـف الضرائب غير المباشرة على كاهـــل الجماهير الكادحة ـ (على سبيل المثال رفعت ضريبة الدمغة خلال عام واحـد بمقدار ٤٠ مليون جنيه لتبلغ حصيلتهـا ٤١٨ مليون جنيه) ٠

(٩) حرم القانون الجديد الفلاحين الاميين من عضوية مجالس ادارة الجمعيات التعاونية وتبلغ نسبة الامية في هذا القطاع نحـو ٩٦٪ ٠ كما رفع حد الملكية لعضوية اربعة اخماس المجلس من خمسة الى عشـرة افدنة ٠

(١٠) بعد عام ٦٥/٦٤ (العام الاخير من الخطة الخمسية الاولى) لم تتمكن الدولة مـن وضع اي خطط اخرى رغم انه تقرر عـدة مرات وضع خطة خمسية ، فسبعية ثـم لمدة ثلاث سنوات ، فخطة انجاز سنوية٠

(١١) توزيع رأس المال على عدد كبير مـن المشروعات ، ونقله من مجال الى اخر ، فنجد البرجوازي الجديد يحرص علـى التنوع والتعدد، بين استثمار ارض زراعية واشتغال بالتجارة ـ خاصة الاستيـراد وتجارة الجملة ـ واعمال المقاولات والشقق المفروشة والتاكسات ٠٠ الخ وهي ظاهـرة اصبحت شائعة في احضان « الثـورة » وتفاقمت بعد « الانفتاح » ٠

(١٢) « ان الامل الوحيد لها (الرأسماليـة المحلية) في النمو هو ان تربط نفسهـا بحركة الاحتكارات العالمية وتقتفي اثرها وتتحول الى ذيل لها ، وتجر اوطانهـا وراءها الى هذه الهاوية الخطيـرة » الميثاق الوطني (١٩٦٢) ص ٧٧ ٠

(١٣) ورغم ذلك ظلت معظم الكتابـات « التقدمية » تردد نفس نغمة التحـول الاشتراكي والطريق اللارأسمالي ، بـل اعتبر البعض الانقلاب ، تخليصا للناحرين من سلبياتها ، خاصة في حقل الحريـات والديمقراطية !

(١٤) من نصوص الميثاق الوطنـي (١٩٦٢) « يجب ان تكون المصارف في اطار الملكية العامة ، فان المال وظيفة وطنية ، لا تترك للمضاربة او المغامرة ٠ كذلك فان شركات التأمين لا بد ان تكون في نفس اطـار الملكية العامة ، صيانة لجزء كبير مـن المدخرات الوطنية » ص ٨٢ ٠

(١٥) اقر هذا الاجراء تحت الضغط الامريكي ٠ وتقرر اثناء اللقاء الاخير للسادات مـع سايمون ـ وزير الخزانة الامريكي ـ ومع ممثلي صندوق النقد الدولي والبنك الدولي للانشاء والتعمير ، وعلى اثر زيـارة الرئيس المصري للخليج ، والاتفاق علـى انشاء صندوق دعم عربي ، وما يسمـى « بمشروع مارشال » الجديد ٠

(١٦) دخلت شركة هولدر بانك وهي اكبـر احتكار عالمي في صناعة الاسمنت والطوب الحراري شريكا (٤٩٪) مع صناعـة الاسمنت المصرية (٤ مليون طن سنويا) التي تحقق ارباحا هائلة ، دون اي مبرر ٠

(٧١) راجع نص اتفاق « مبادىء العلاقـات والتعاون بين مصر والولايات المتحدة » ٠ وعلى سبيل المثال وضع شرط تشكيـل المجلس الاقتصادي المشترك من « ممثلي القطاع الخاص في كل من البلديـن » مستعدا القطاع العام ٠٠٠ الخ من نصوص معبرة ٠

(١٨) في المجال الاعلامي يستخدم نموذج طبـق الاصل من المبررات والحجج التي روجت في مصر تمهيدا لاعداد الرأي العام لتنفيذ هذه السياسة ٠

(١٩) بعد ان بلغت ظاهرة المصالحات هـذا الحد من الشمول ، لم يبق من النظم مـا يمكن للقوى الثورية ان تلجأ اليه لحمايتها من هجوم النظم الاخرى ٠ ومع ذلك مـا زال المجال مفتوحا للاستفادة بالتناقضات في حدود ، ودون اوهام ٠ والاهم من ذلك كله هو العمل الجاد من اجل اعادة ترتيب القوى على اساس من الواقع الجديد ،

والخروج تدريجيا من دائرة النظم الى آفاق العمل الجماهيري وتوثيق عرى التضامن والتنسيق بين التنظيمات الثورية ، والمزيد من التعبئة والتنظيم الجماهيري ٠

(٢٠) في الفترة ما بين تشرين ١٩٦٥ حتى تموز ١٩٦٦ سقطت عشر نظم حاولت شق نفس الطريق ، وذلك بواسطة انقلابات عسكرية ٠

(٢١) في هذه المرحلة بعثت بمندوبها براون الى لبنان ٠ ووقعت اتفاق تأجير قواعد عسكرية باليونان ، واتفقت مع تركيا على العودة لاستخدام قواعدها في الاراضي التركية ٠

(٢٢) طبقا لتعبير ماركس ٠

(٢٣) الخلايا التي تقوم بوظيفة الفكر في المخ البشري ٠

الاستراتيجية العسكرية الاسرائيلية
بين حربين : ١٩٦٧ ــ ١٩٧٣

المقدم الهيثم الأيوبي

حققت اسرائيل في حرب ١٩٦٧ انتصارا عسكريا حاسما فاق تصورات قادتهـــا السياسيين والعسكريين ، وظهرت المؤسسة العسكرية بعد هذه الحرب كقوة متطورة قادرة على خوض الحرب الحديثة بكل ما تتطلبه من حركية ومرونة وحسم ومبادهة ، ومؤهلة لتجاوز التعقيدات الادارية والتقنية التي تفرضها الحرب الخاطفة. واستطاعت القوات المسلحة الصهيونية خلال فترة زمنية قصيرة تدمير جيوش ثلاث دول عربية ، والسيطرة على مساحات واسعة من الاراضي العربية خارج « الخط الاخضر » ، الامر الذي اعطاها ثقة مفرطة بالنفس وقدرة على الافادة من العمق الجغرافي الجديد في اي صدام مقبل مع الدول العربية ، ووضع بين يديها « رهينة » كبيرة (الارض والسكان) للمساومة عليها في المستقبل ، ومنحها بالتالي حرية عمل سياسية واسعة.

ولقد خلقت حرب ١٩٦٧ في اسرائيل احساسا بالتفوق ، وزادت الروح الهجومية في الجيش الاسرائيلي تأججا . وكان من المفروض ان تخلق في المعسكر العربـــي احساسا بالدونية ، وان تعمق الروح الدفاعية التي اصيبت بها الجيوش العربية منذ حرب ١٩٤٨ ، وان تزيد تأثيرات الردع الاستراتيجي التي كانت موجودة داخـــل القيادات العربية قبل حرب ١٩٦٧ باشكال ونسب متفاوتة ، ولكنها كبيرة على كـل حال . واذا كانت النتائج السيكولوجية الايجابية قد دفعت القيادة الاسرائيلية الـى التمسك بمكاسب حرب ١٩٦٧ ومحاولة استغلالها الى الحد الاقصى ، فان النتائـج السيكولوجية السلبية المتوقعة لم تؤد الى شل الارادة القتالية العربية ، ولم تدفـع العرب الى وهدة اليأس التي تصور الاسرائيليون انها ستبتلع الصمود العربي بشكل نهائي وتكون منعطف تحول جذري في الصراع العربي ــ الاسرائيلي ، بل ادت علـى العكس الى رد فعل تمثل بالتوجه نحو العقلنة ، والبحث عن الاخطاء لتلافيهـــا ، وتعميق الحقد القومي على العدو ، وتنامي الدوافع النفسية التعرضية والدوافـــع الوطنية اللازمة للتحول من الدفاع الى الهجوم .

وهكذا فشلت الحرب العربية ــ الاسرائيلية الثالثة في تحقيق الغرض الـــذي اندلعت من اجله . فبدلا من ان تقهر العرب وتدجنهم ، وتكون خاتمة الحروب فـي المنطقة ، فانها حملت في رحمها بذور حرب جديدة اشد عنفا . ويرجع ذلك الى عـدة عوامل : **اولا ،** التعنت الاستفزازي الاسرائيلي الذي اضاع فرص السلام التي كـان من الممكن استغلالها بعد وقف القتال ، او بعد انتهاء حرب الاستنزاف على الاقـل لو كان لدى القيادة الصهيونية اية رغبة حقيقية في السلام . **ثانيا ،** العربدة الاسرائيلية (اللفظية والعملية) التي ظهرت بوضوح في فترة ١٩٧٠ ــ ١٩٧٣ ــ ، وخلقت داخل

الانسان العربي احساسا عميقا بضرورة الرد على العنف القهري بعنف تحريري واسع النطاق . **ثالثا** ، دعم الدول الاشتراكية للدول العربية الراديكالية سياسيا وعسكريا ، ومساعدة دول المواجهة على اعادة بناء قواتها المسلحة بشكل اعاد التوازن العسكري والمعنوي الى المنطقة وامن الظروف المناسبة لمتابعة الجهد العسكري العربي التحريري . **رابعا** ، فشل جميع محاولات التسوية السلمية ، وفقدان أي امل بالوصول الى الغرض السياسي عن طريق المباحثات والضغوط والمبادرات ، واعتبار اللجوء الى السلاح الوسيلة الوحيدة لتحقيق الغرض السياسي (التحرير) ، ومنع العدو من تحقيق غرضه السياسي (ضم الاراضي المحتلة وتدجين سكانها) .

وفي مناخ التوازن المادي والمعنوي العام ، ووجود الدفع النفسي القوي نحو الحرب ، وايمان العرب بان شمس التحرير لا يمكن ان تشرق الا من فوهة البندقية ، واعتقاد الاسرائيليين بان المدافع العربية صمتت الى الابد بفعل الردع ، اندلعت حرب ١٩٧٣ وكسرت حالة الجمود التي دامت ثلاث سنوات ، واعتبر الاسرائيليون والعالم وكثرة من العرب ان القيادتين المصرية والسورية قد اخطأتا الحساب وتورطتا في حرب خاسرة سلفا ، وان العسكرية الاسرائيلية ستحسم المعركة باسلوب حزيران ١٩٦٧ ، وتفرض على العرب سلم المنتصرين . ولكن الامور سارت بشكل مخالف لذلك ودارت المعارك باسلوب لم يتطابق مع التوقعات ، كما لم يتطابق (الى حد ما) مع توقعات القيادة العربية التي خططت لها . وسنعمد في هذا المقال الى تحديد عناصر الاستراتيجية العسكرية التي طبقها الاسرائيليون للرد على الهجوم العربي ، واظهار الفروق بين هذه الاستراتيجية والاستراتيجية العسكرية الاسرائيلية في حرب ١٩٦٧ .

الحقيقة ان الفرق بين الاستراتيجيتين المذكورتين هو فرق نوعي . فعندما كانت اسرائيل تحتل رقعة صغيرة لا تعطيها العمق الامني الكافي ، وكانت ترغب في التوسع على حساب الارض العربية ، كانت استراتيجيتها **هجومية الطابع** تستخدم فيها القوات اسلوب الحرب الخاطفة قصيرة الامد . وبعد التوسع الذي نجم عن حرب ١٩٦٧ ، ووصول القوات الاسرائيلية الى خطوط ارض رأت انها تلائمها امنيا (قناة السويس ، ونهر الاردن ، ومرتفعات الجولان) ، واعتقادها بان بوسعها الاعتماد على هذه الخطوط للحفاظ على المكاسب وهضمها ، تبنت الدولة استراتيجية **دفاعية الطابع هجومية الاسلوب** ، يمتزج فيها الصد الدفاعي مع الرد الهجومي العنيف والحاسم ، وتتعاون فيها التحصينات مع الحركة والصدمة ، من اجل ردع العرب او الحاق الهزيمة بهم ، بشكل يجبرهم في الحالتين على التخلي عن غرضهم السياسي .

ورغم هذا الاختلاف النوعي الجذري بين الاستراتيجيتين ، والناجم عن اختلاف الاوضاع (الجغرافي ، والسياسي الدولي ، والهدف السياسي) فان العناصر التي بنيت عليها هاتان الاستراتيجيتان بقيت ثابتة تقريبا ، مع وجود تمايزات (كمية) تتعلق بتسلل العناصر على جدول الافضليات ، وسنأتي على ذكر هذه التمايزات خلال مجرى البحث الذي سيحدد ايضا الدور الذي لعبه كل عنصر في حربي ١٩٦٧ و ١٩٧٣ ، اي التباين في مستوى تطبيق العناصر الاستراتيجية خلال الحربين .

عنصر المعلومات :

اعتمدت الاستراتيجية الاسرائيلية دائما على مسألة جمع المعلومات ، واعتبرتها عنصرا اساسيا يؤمن لها هامش الامن بالزمان . ويعطيها الفرصة لاتقاء الصدمات

المفاجئة وتسديد الضربات في المكان والزمان المناسبين . ولهذه المسألة اهمية بالغة في جميع الاستراتيجيات ، ولكن لها في الاستراتيجية الاسرائيلية مكانة خاصة تنبع من وضع الدولة الصهيونية الجغرافي ، ووجودها المفتعل اصلا والمحاط باعداء دائمين ، وواقعها السكاني الذي لا يسمح لها بخلق قوة عسكرية دائمة كبيرة ، ويجبرها على اعتماد اسلوب الجيش الاحتياطي الذي تتطلب تعبئته هامشا زمنيا معينا . لذا كان الحصول على هامش زماني واسع في رأس جدول الافضليات خلال الحربين . ولكن استغلاله كان متباينا في الحالتين :

ففي الفترة التي سبقت حرب ١٩٦٧ جمع الاسرائيليون معلومات وافية عن الاوضاع العربية السياسية والاقتصادية والنفسية والعسكرية ، واستطاعوا من خلالها تحديد النوايا الحقيقية الكامنة وراء اعلان حالة الاستعداد القصوى في القوات المسلحة المصرية ، في ١٩٧٦/٥/١٤ ، ووراء سحب الرئيس جمال عبد الناصر لقوات الطوارىء الدولية من شرم الشيخ وسيناء وقطاع غزة في ٥/٢٢ ، والمغزى السياسي لحشد القوات المصرية في سيناء خلال النصف الثاني من ايار ، وحجم هذه القوات وتدريبها وتسليحها ، واستنتجوا أن هذا الحشد لا يشكل تهديدا هجوميا فعليا ، وكانوا في استنتاجهم على صواب . ولهذا قاموا بالتعبئة دون استعجال مفرط ، وهم واثقون من انهم لن يتعرضوا خلال فترة التعبئة لاية مفاجأة استراتيجية . وحصلوا على حرية عمل واسعة بفضل دقة المعلومات وحسن تحليلها . ثم استفادوا من المعلومات اثناء القتال بشكل ساعدهم على تطبيق استراتيجيتهم بأفضل شكل ممكن .

اما في الفترة التي سبقت حرب ١٩٧٣ ، فقد جمع الاسرائيليون المعلومات نفسها من مصادر متعددة (ذاتية واجنبية) . ولكنهم لم يحسنوا تحليلها ، ولم يستطيعوا تقدير المغزى العسكري للحشد العربي على الجبهتين المصرية والسورية ، كما لم يقدروا نوايا القيادة السياسية في القاهرة ودمشق ، وكان تقييمهم لكفاءة القوات العربية وتكتيكاتها المحتملة وقواها المعنوية مغلوطا ، رغم حصولهم على المعلومات الوافية عن عددها وتسليحها . واستنتجوا من كل ذلك ان الحشد العربي لا يشكل تهديدا هجوميا فعليا ولا يتطلب اجراء التعبئة الشاملة طالما ان القوات العاملة المنتشرة على الخطوط الدفاعية قادرة على تنفيذ عملية الصد بنجاح ، واعطاء الاحتياط الهامش الزماني اللازم للتعبئة والتحشد ودخول معركة الصد .

وعندما تأكدت القيادة الاسرائيلية في صباح ١٠/٦ من ان الحشد ذو طابع هجومي، وان الهجوم العربي سيبدأ في الساعة ١٨ر٠٠ من اليوم نفسه ، اعطت اشارة الانذار وامرت بالتعبئة بعد فوات الاوان ، وضاق هامش الامن الزماني الى ساعات قليلة بدلا من ان يكون اياما . وزاد من ضيق هذا الهامش اندلاع القتال في الساعة ١٤ر٠٠ بدلا من الساعة ١٨ر٠٠ ، الامر الذي افقد الاسرائيليين اربع ساعات ثمينة وحيوية . وهكذا فشلت الاستخبارات الاسرائيلية في تأمين العنصر الاول للاستراتيجية ، ولم تعط القيادة هامش الزمان اللازم ، وحرمتها بذلك من حرية العمل قبل القتال وعرضتها للمفاجأة الاستراتيجية ، كما جردتها من بعض حرية العمل وعرضتها للمفاجأة التكتيكية خلال القتال (وخاصة في الايام الاولى) لانها لم تستطع مسبقا تقييم الكفاءة القتالية العربية ، وقدرة المعدات وفاعليتها واساليب استخدامها (الصواريخ والمدافع الرادارية الموجهة المضادة للطائرات والصواريخ المضادة للدبابات ، وقتال كتل المشاة ضد رؤوس الحراب المدرعة المندفعة بعمق دون تغطية كافية من المشاة والمدفعية ، ووسائط العبور ، وسرعة نصب الجسور العائمة .... الخ) .

الاعتماد على الجيش الاحتياطي :

جاء الاعتماد على الجيش الاحتياطي في اسرائيل من عدة اسباب سكانية واقتصادية . وكان نجاحه يرتكز على الانذار الطويل المسبق كما ذكرنا من قبل ، كما يعتمد على سرعة التعبئة ، وسرعة الحركة من مراكز التعبئة الى مراكز الحشد ، وارتفاع المستوى القتالي والنفسي لقطعات الاحتياط .

وليس بوسعنا حتى اليوم تحديد الكفاءة والسرعة اللتين تمت بهما التعبئة والحشد في حرب ١٩٦٧ لان هاتين العمليتين تمتا في ظروف عادية ، وليس تحت ضغط المعركة . والعاملان الضاغطان الوحيدان اللذان لعبا دورا في النصف الثاني من ايار ١٩٦٧ ، هما : الخوف من تحشد القوات العراقية بحجم كبير في الاردن ، والرغبة في قطع الطريق امام اي تدخل دولي يجمد الموقف قبل اندلاع القتال ، ويحرم الاسرائيليين من اغتنام الفرصة التي سنحت امامهم للقيام بعمل عسكري يدمرون به القوات المسلحة العربية ويوسعون بواسطته حدود الارض التي يحتلونها .

وليس بوسعنا ايضا تحديد المستوى القتالي والنفسي لقطعات الاحتياط ، لان حرب ١٩٦٧ لم تأخذ شكل الحرب من جانبين (صدام بين ارادتين) ، بل اخذت شكل العمليات من جانب واحد ، بعد الانهيار الاستراتيجي الذي اصاب القيادات العربية منذ يوم ٥ حزيران بعد تكامل المعلومات حول اثار الضربة الجوية الاسرائيلية . ومن المؤكد أن الانهيار الاستراتيجي بلغ ذروته على الجبهة السورية في ٩ حزيران (يوم بدء الهجوم الاسرائيلي على الجولان) ، لان اثار الضربة الجوية الاسرائيلية اقترنت بالاثار الناتجة عن تحطيم الجيشين المصري والاردني في الايام الاربعة السابقة ، وبقبول مصر وقف اطلاق النار في ليلة ٨ — ٩ حزيران .

اما في حرب ١٩٧٣ ، فيمكن القول ان سرعة التعبئة والحشد كانت عالية جدا . فلقد استطاعت القطعات الاحتياطية التي استدعيت الى الخدمة في يوم ٦ تشرين الاول ، تحقيق التعبئة والحشد واحتلال قواعد الانطلاق وتلقي اوامر العمليات ودخول معركة الرد (الهجوم المعاكس الاستراتيجي) على الجبهة السورية في صباح ١٠/٨ . وهذا يعني ان ستة الوية مدرعة (الالوية الاحتياطية ١٤ و ١٧ و ١٩ و ٢٠ و ٦٠ و ٧٩) ولواء مشاة ميكانيكي (اللواء المظلي ٣١ المحمول) لم تنتقل خلال ٣٦ ساعة من حالة السلم الى حالة الاستعداد القصوى للحرب فحسب بل انتقلت الى الاشتراك بالقتال الهجومي ، كما ان بعض كتائبها وصلت الى مسرح العمليات وشاركت في معركة الصد منذ يوم ١٠/٧ . وفي الوقت نفسه عبأ الاسرائيليون وحشدوا وحركوا نحو الجبهة المصرية ثلاث مجموعات الوية واصبحت هذه الالوية مستعدة للقيام بعمليات هجومية واسعة بعد ٧٢ ساعة من بدء التعبئة ، لو ان الوضع الاستراتيجي في سيناء كان يسمح بشن مثل هذا الهجوم .

ولهذه الارقام معنى هام ، فهي تدل على ان انظمة التعبئة والتحشد والفتح التي وصلت في اسرائيل الى مستوى متقدم قد خدمت الاستراتيجية العسكرية الاسرائيلية في حرب ١٩٧٣ ، ووسعت بذلك حرية عمل القيادة ، وسمحت لها بامتلاك القوات اللازمة للعمل في الزمان والمكان المناسبين . ولكن السرعة التي تمت بها كل هذه العمليات تفقد موضوعيا شيئا من بريقها اذا عرفنا انها تمت تحت سماء نظيفة وفي ظل انعدام التهديد الجوي ، وان عددا من القطعات الاحتياطية توجهت الى مسرح العمليات قبل استكمال معداتها وتجهيزاتها وذخائرها ومحروقاتها ، وان دبابات

مجموعة الوية بيليد التي تحركت نحو الجولان على سلاسلها تعرضت لكثير من الإعطال وتأخرت بشكل جعل مشاركتها في الهجوم المعاكس خلال يوم ٨/١٠ اقل من المستوى المطلوب .

الهجوم الاجهاضي (الوقائي) المسبق :

يستهدف « الهجوم الاجهاضي المسبق » الافادة من عاملي المبادرة والمفاجأة ، لتسديد ضربة قوية الى الخصم المحتشد كليا او جزئيا ، وتدمير قواته قبل ان تقوم بتنفيذ نواياها . ولقد تبنت اسرائيل فكرة الهجوم الاجهاضي المسبق منذ حرب ١٩٥٦، واعطت نفسها حق تسديد الضربة الاولى المسبقة لتفادي التعرض للمفاجأة ولاحباط التدابير العربية التي تؤثر عليها امنيا ، واعتبرت ذلك عنصرا في صلب استراتيجيتها العسكرية . ولكنها لم تستخدم هذا العنصر حتى اليوم ، في اي حرب من حروبها مع العرب .

ففي حرب ١٩٦٧ كانت نوايا القوات العربية المحتشدة على الحدود الاسرائيلية دفاعية الطابع . ولم يكن حجم هذه القوات المحتشدة يشكل تهديدا جديا لامن اسرائيل . وكان هدفها منع اسرائيل من الاعتداء على سورية ، وتغطية عملية سحب قوات الطوارىء الدولية من شرم الشيخ واغلاق مضائق تيران امام الملاحة الاسرائيلية (تصفية اخر اثار حرب ١٩٥٦) . وفي يوم ٢ حزيران عقد في القاهرة مؤتمر اعلن فيه الرئيس جمال عبد الناصر قراره بالاستعداد لتلقي الضربة الاولى ثم القيام بعد ذلك بضربة معاكسة . وكان من الممكن ان يتجمد الوضع العسكري عند هذا المستوى ويبدأ العمل لايجاد مخرج سياسي لمسألة الملاحة في خليج العقبة (وقد بدأ بالفعل دون ان يصل الى نتائج سريعة) لولا ان الولايات المتحدة ، واسرائيل وجدتا الفرصة المناسبة لتسديد ضربة قاصمة الى حركة التحرر الوطني العربي .

وفي الخامس من حزيران بدأ الاسرائيليون هجومهم . ولا يمكن اعتبار هذا الهجوم « هجوما اجهاضيا مسبقا » لان انتفاء التهديد العربي (من ناحية النية والقدرة) يجرد الهجوم الذي قامت به اسرائيل من طابعه الاجهاضي المسبق ، ويضعه في نوع « الهجوم » لا في نوع « الهجوم لمنع الهجوم » .

وهناك نوع اخر من « الهجوم الاجهاضي المسبق » هو « الهجوم لمنع استكمال التحشد الدفاعي » ولا يدخل الهجوم الاسرائيلي في هذا النوع ايضا ، بل يدخل على العكس في نوع « الهجوم بعد السماح للعدو بالتحشد » . وهو هجوم مبني على مبدأ طرح الطعم لجذب حشود الخصم الى ارض القتل ، وتسديد الضربة عند تكامل التحشد بغية تدمير كبد قوات الخصم وحسم الحرب بمعركة اساسية واحدة .

ولقد كان بوسعنا اعتبار الهجوم الاسرائيلي في ٥ حزيران « هجوما لمنع استكمال التحشد الدفاعي » لو انه بدأ قبل ذلك في النصف الثاني من ايار ، عندما كانت القوات المصرية تتحرك نحو سيناء ، وقبل ان يطير الملك حسين الى القاهرة في ٣٠ ايار ويعقد مع مصر معاهدة دفاع مشترك . وكان المناخ العام ملائما لمثل هذا الهجوم ، نظرا لارتفاع مستوى التعبئة النفسية في اسرائيل ، واقتناع الاسرائيليين آنذاك بوجود « خطر الابادة » ، ووقوف الرأي العام العالمي الى جانب اسرائيل « الضعيفة » التي يهددها العرب بالفناء ، ووجود القوة اللازمة لتحقيق الضربة . ولكن مهندسي حرب ١٩٦٧ فضلوا التريث حتى يسمحوا للعرب بوضع البيض في سلة واحدة ، وحتى تكون الضربة الموجهة الى هذه السلة حاسمة ماديا ومعنويا .

وفي حرب ١٩٧٣ كان الوضع العام مختلفا من جميع الوجوه . فلقد توفرت مبررات الهجوم الاجهاضي المسبق (الحشد العربي) . وكان بوسع اسرائيل ، من وجهة نظر امنية نظرية ، القيام بهذا الهجوم . ولكن عدة عوامل اجبرتها على التريث واتخاذ قرار تلقي الضربة الاولى للرد عليها بضربة معاكسة . وتتمثل هذه العوامل التي قلصت حرية عمل القيادة الاسرائيلية ومنعتها من تطبيق احد مبادئها الاستراتيجية العسكرية بما يلي : ١ ــ الاسترخاء الامني وعدم وجود دفع نفسي داخلي نحو الهجوم بعد ان بددت حرب ١٩٦٧ مخاوف « خطر الابادة » وخلقت الاحساس بالتفوق ٢ ــ عدم ملاءمة الرأي العام العالمي للضربة المسبقة ، ٣ ــ الاعتماد على خطوط التحصينات المنيعة والاعتقاد (بناء على تحليلات الاستخبارات) بان الحشد العربي غير مهدد ، ٤ ــ عدم توفر القوة اللازمة للضربة بسبب التأخر في جمع الاحتياط ، والخوف من تسديد ضربة مسبقة تستفز العرب وتدفعهم الى الرد قبل جمع الاحتياط ، ٥ ــ الايمان المطلق بقدرة سلاح الطيران والتحصينات على ردع العرب . وهكذا ادى تشابك العوامل العسكرية والسياسية غير الملائمة من حرب ١٩٧٣ الى منع انطلاق الهجوم الاجهاضي المسبق ، وعندما توفرت المعلومات المؤكدة بان العرب ينوون الهجوم ، وصار من الضروري القيام باي عمل وقائي كانت الفرصة قد تبددت ، ولم يعد امام اسرائيل عمليا سوى التخلي عن المبادرة وانتظار الصدمة الاولى .

الحسم الاستراتيجي الجوي :

يعتبر الحسم الاستراتيجي الجوي شرطا من شروط الحرب الخاطفة . وهو يأخذ اهمية زائدة في الحروب التقليدية المحدودة بين الدول الصغرى التي يكون الصراع المسلح بينها اقرب الى العملية (او المعركة احيانا) منه الى الحرب بمعناها الواسع (عدة عمليات على مسرح او عدة مسارح عمليات) . وينطبق هذا القول الى حد بعيد على الصراع العربي ــ الاسرائيلي ، خاصة وان القتال في هذا الصراع يتم عادة على مسرح مكشوف ومحدود وتحت سماء صاحية .

ولقد تبنى الاسرائيليون فكرة الحسم الاستراتيجي الجوي بناء على خبرة حرب ١٩٥٦ التي استطاع فيها الطيران الانكلو ــ فرنسي تدمير القوة الجوية المصرية واجبر المصريين على الانسحاب من سيناء ، وفسح المجال امام القوات الاسرائيلية للتقدم العميق والسريع واقتطاف ثمار الحسم الجوي . وفي العام ١٩٦٧ طبق الإسرائيليون الاسلوب نفسه مع استخدام طيرانهم الخاص . وحسموا الحرب في اليوم الاول للقتال ، بان سددوا الضربة الجوية الاولى الساحقة الى القوات الجوية العربية ، وبدلوا ظروف المعركة البرية التي صارت تتم في ظل التفوق الجوي الاسرائيلي ، وخلقوا داخل القيادات العربية احساسا بالعجز ادى الى الشلل الاستراتيجي ، في الوقت الذي وصلت فيه القيادة الاسرائيلية الى ذروة احساسها بالتفوق . وهكذا جردت الضربة الجوية الاولى الجانب العربي من حرية العمل ووسعت حرية عمل الجانب الاسرائيلي بشكل مطلق . ولم تعد المعارك البرية التي تمت بعد ذلك على الجبهات المصرية والاردنية والسورية اكثر من تصفية للجيوب واستثمار للفوز الاولي باسلوب الحرب الخاطفة التي شارك التفوق الجوي الاسرائيلي في تسريع نتائجها .

ويعود نجاح الضربة الجوية الاسرائيلية الاولى في تحقيق الحسم في العام ١٩٦٧ الى عدة عوامل اهمها : ١ ــ الاستطلاع الجيد ، ٢ ــ المبادرة الهجومية التي اعطاها العرب الى الاسرائيليين عندما قرروا تلقي الضربة الاولى وتحمل نتائجها ، ٣ ــ ضعف

شبكة الاتصالات وعدم جدية الاستعداد الجوي العربي ، ٤ ــ ضعف اجهزة الرصد والانذار المبكر عند الجيوش العربية آنذاك ، ٥ ــ وجود الطائرات العربية مكشوفة على المهابط وليس داخل ملاجىء من الاسمنت المسلح ، ٦ ــ بطء رد فعل القيادة المصرية على قيام القوات الاسرائيلية البرية (عن طريق الخطأ) بمهاجمة موقع ام بسيس الموجود على المحور الاوسط في الساعة ٧ر٣٠ واضاعة الزمن الطويل بين الساعة ٧ر٣٠ والساعة ٨ر٤٥ (ساعة بدء القصف الجوي المعادي للمطارات المصرية) دون اتخاذ اي تدبير استثنائي مع ان مهاجمة السرية المدعمة في ام بسيس كان ، من مناخ التوتر القائم آنذاك ، انذارا كافيا لتنبيه القيادة المصرية الى طبيعة الخطر المحتمل ، ويشكل سببا كافيا لتصور الموقف ومعالجته وتجنب التعرض للمفاجأة .

وساعد نجاح الطيران في تحقيق الحسم الاستراتيجي على تمسك الاسرائيليين بسلاحهم الجوي ودعمه وتطويره . وبعد وصول الطائرات الاميركية « سكايهوك » و « فانتوم ف ــ ٤ » الى اسرائيل ، صار من الواضح ان الدولة الصهيونية ستستخدم قواتها الجوية في تثبيت اركان الردع قبل اندلاع الحرب ، وستلجأ اليها لتحقيق الحسم الاستراتيجي اذا ما كسر العرب جلقة الردع . ومع هذا فان القيادة الاسرائيلية لم تستخدم الضربة الجوية الاولى في اواخر ايلول والايام الاولى من تشرين الاول عندما كانت القوات المصرية والسورية تحتشد بكثافة على الحدود . ويدخل هذا الامتناع عن تسوية الضربة الجوية الاولى ضمن اطار القرار السياسي بعدم اطلاق الرصاصة الاولى . ولقد تحدثنا عن دوافع هذا القرار في فقرة الهجوم الاجهاضي المسبق . ولكن هل كان بوسع مثل هذه الضربة الجوية احباط الاستعدادات العربية للهجوم ؟ ان كل الدلائل العملية تشير الى ان النتائج التي كان بوسعها تحقيقها محدودة جدا ولا تتناسب مع السلبيات السياسية الناجمة عنها . ويرجع ذلك الى قوة الدفاعات الارضية المضادة للطائرات ، ووجود الطائرات نفسها داخل ملاجىء من الاسمنت المسلح ، وارتفاع مستوى الاتصالات ، وتطور وسائل الرصد والانذار ، واستعداد القيادات العربية للقيام برد فعل سريع .

وسدد العرب هذه المرة الضربة الجوية الاولى التي جعلها ميزان القوى ضربة ذات اثار تكتيكية وعملياتية فقط ، ولم يسمح لها بتدمير الطيران الاسرائيلي على الارض والارتقاء الى مستوى الحسم الاستراتيجي . وكان من الطبيعي ان تستخدم اسرائيل طيرانها السليم في عمليات الصد والرد لتحقيق الحسم الاستراتيجي . ولقد مارست ذلك بالفعل منذ بدء القتال ، ولكن شبكات الصواريخ ارض ــ جو العربية احبطت نشاط الطيران وجردته من حرية العمل ، وحرمت الاستراتيجية العسكرية الاسرائيلية من احد اركانها . ولقد استعاد الطيران الاسرائيلي جزءا محدودا من حرية العمل في الجولان بعد ان بذل جهدا كبيرا وغاليا لضرب قواعد الصواريخ ارض ــ جو ، ولكنه لم يستطع تحقيق الحسم الاستراتيجي على هذه الجبهة ، ولم يشارك في صنع هذا الحسم الذي لم يتم . اما على الجبهة المصرية ، فقد استعاد الطيران الاسرائيلي جزءا كبيرا من حرية العمل فوق قطاع الجيش الثالث بعد ان استطاعت طلائع « قوة شارون » عبور القناة في يوم ١٥ وتدمير بعض قواعد الصواريخ ارض ــ جو على الضفة الغربية للقناة ، ومنحت بذلك ممرا جويا نظيفا ، لم يلبث الطيران والقوات البرية ان وسعته بشكل ساعد الطيران على المشاركة في حسم معركة ثغرة الدفرسوار ومعركة الدبابات على الضفة الشرقية لقناة السويس (معركة ١٠/١٧ التي حاول المصريون خلالها قطع طريق قوة شارون على

الضفة الشرقية) . ولكن المشاركة الجوية بقيت عند حدود الحسم التكتيكي ولـــم تتوصل الى اي حسم استراتيجي .

القتال على الخطوط الداخلية :

من المعروف ان الوضع المركزي لاسرائيل ، واحاطتها بخصومها من عدة جهات ، قد فرضا عليها استخدام « استراتيجية القتال على الخطوط الداخلية » . لذا اعدت الدولة الصهيونية الاداة اللازمة لهذه الاستراتيجية : قوات سريعة الحركة ، خطوط دفاعية للتأخير ، شبكة طرقات ذات كفاءة عالية . وكانت خطتها الاستراتيجية العامة تتمثل في : الدفاع التأخيري امام جبهة او اكثر ، وحشد القوات على احدى الجبهـــات لتحقيق الحسم السريع ، والانتقال بعد ذلك لحسم الوضع على الجبهات الاخرى .

ولقد طبقت اسرائيل هذه المناورة في حرب ١٩٦٧ بشكل ممتاز عندما وجهت مركز ثقل قواتها نحو الجبهة المصرية ، وشاغلت الجبهة الاردنية بشكل ديناميكي ، وجمدت الموقف على الجبهة السورية . واستخدمت اسرائيل لتسوية الضربة الرئيسية على الجبهة المصرية ٧ الوية مدرعة و ٣ كتائب دبابات مستقلة من اصل قوتها المدرعـــة العامة البالغة ١١ لواءا مدرعا (٧٢٪) ، و ٤ ــ ٥ الوية ميكانيكية احدها مظلي من اصل ١٣ لواءا ميكانيكيا (٣٥٪) ، و ٦ الوية مدفعية من اصل ١٢ لواءا (٥٠٪) . ولم تستخدم لتسديد الضربة الثانوية على الجبهة الاردنية سوى ٣ الوية مدرعة ولواء مظلي و ٥ الوية مشاة ميكانيكية ووحدات مساندة، وتركت في مواجهة الجبهة السورية لواء ميكانيكيا واحدا .

وعندما حققت الضربتان على الجبهتين المصرية والاردنية هدفهما وتم الوصـــول الى قناة السويس ونهر الاردن ، بدأ الحشد الاسرائيلي يتجه نحو الجبهة السورية . ولم تسحب القيادة الاسرائيلية الالوية المخصصة لمهاجمة الجولان في ٩ حزيران مـــن سيناء (نظرا لبعدها) ، بل جلبت القوات من الجبهة الاردنية ، حتى اصبح مجمـــل القوات التي حسمت الوضع على الجبهة السورية ثلاثة الوية مدرعة وكتيبة دبابات مستقلة ولواء مظليين وكتيبة مظليين مستقلة و ٣ الوية مشاة احدها ميكانيكي (٣٠ الف جندي و ٢٥٠ دبابة) .

وخلقت حرب ١٩٦٧ وضعا جديدا وكان لهذا الوضع بالنسبة الى المنـــــاورة الاستراتيجية على الخطوط الداخلية **ايجابية** تتمثل في امكانية تثبيت الجبهات بسهولة استنادا الى قناة السويس ونهر الاردن ومرتفعات الجولان ، كما كان له في الوقـــت نفسه **سلبية** تتمثل في تباعد الجبهات عن بعضها بشكل يعرقل حركة نقل القطعـــات البرية من جبهة الى أخرى ويزيد مسافة الطيران عند نقل الجهد الجوي من مكان الى اخر ، وزيادة مسافة الطيران من القواعد الجوية المركزية الى اجـــواء مســـارح العمليات ، الامر الذي ادى الى انخفاض عدد الطلعات اليومية .

ولقد ارادت اسرائيل في حرب ١٩٧٣ تطبيق المناورة الاستراتيجية نفسها ، مـــع تركيز الجهد الرئيسي هذه المرة على الجبهة السورية نظرا لضيق هامش المنـــاورة بالمكان في الجولان (عمق ٢٠ ــ ٢٥ كيلومترا) ، وخطورة التهديد الذي يمثله وصول القوات السورية الى المناطق المشرفة على سهل الحولة وطبرية . وكانت تعتقد ان بوسعها تثبيت المصريين عند خط بارليف ريثما يتم حسم الوضع على الجبهة السورية، ونقل مركز الجهد بعد ذلك الى الجبهة المصرية . ولكن اختراق خط بارليف بسرعة فائقة ، وتدفق القوات المصرية عبر الجسور المنصوبة على القناة في ليلـــة ٦ ــ ٧

تشرين الاول ، واحتمالات تقدمها نحو الشرق لاحتلال ممرات سيناء ، اجبرت الاسرائيليين على تعديل مناورتهم ، وتقسيم قواتهم بين الجبهتين المصرية والسورية الضاغطتين هجوميا بتناسق . وبهذا خالفت القيادة الاسرائيلية اول شرط من شروط النجاح في القتال على الخطوط الداخلية .

ولقد حاولت اسرائيل تخفيف اثار هذه السلبية بتركيز الجهد الجوي على جبهة قناة السويس ، حتى تقطع الجسور وتصفي القوات المصرية التي عبرت القناة (القتال على الخطوط الداخلية جوا) . ولكن طائراتها اصطدمت بجدار الصواريخ ارض — جو وعجزت عن تنفيذ مهمتها . **عندها قررت القيادة الاسرائيلية** تثبيت الجيش المصري ، ونقل جهدها الجوي الى الجبهة السورية لحسم المعركة هناك برا وجوا ، وقامت بالهجوم المعاكس الاستراتيجي في الجولان منذ ١٠/٨ ولم يستطع هذا الهجوم حسم الوضع بالسرعة المطلوبة بسبب صمود القوات السورية ، ووصول طلائع القوات العراقية ودخولها المعركة منذ يوم ١٠/١٢ ، وتحرك المصريين نحو الشرق في ١٠/١٤ بشكل تطلب سحب الطيران لمجابهتهم . وعندما وجد الاسرائيليون ان ميزان القوى يتحول في الجولان ضدهم بسبب استمرار وصول القوات العراقية ، واحتمالات تحرك قوات اردنية ايضا الى الجولان ، ورأوا انه لم يعد بوسعهم قلب التوازن الاستراتيجي للجبهة السورية وتحقيق الحسم في الشمال ، نقلوا محور جهدهم الجوي الرئيسي من جديد الى سيناء لتنفيذ عملية « الغزالة » الرامية الى قلب التوازن الاستراتيجي وتحقيق الحسم في الجنوب . ولكنهم لم يستطيعوا نقل اي جزء من قواتهم البرية العاملة في الجولان ، خوفا من ان تستغل القيادة السورية سحب القوات وغياب الطيران في الجنوب لشن هجوم معاكس سوري — عراقي — اردني يؤدي الى تصفية القوات الاسرائيلية المتورطة في جيب سعسع ، ومتابعة التقدم في الجولان . وبسبب عدم القدرة على حشد القوة المتناسبة مع المهمة تأخر الحسم على الجبهة المصرية ، وتوقف القتال قبل ان يتحقق ، وفشلت المناورة الاستراتيجية **البرية** على الخطوط الداخلية ، ولم تستطع اسرائيل تنفيذ هذه المناورة الا بقواتها **الجوية** وبكفاءة محدودة نسبيا .

تدمير القوة المسلحة

اعتمدت الاستراتيجية العسكرية الاسرائيليةفي حرب ١٩٦٧ على المفهومالكلازفيتزي القائل بان تدمير القوة المسلحة للخصم وتجريده من ذرعه هو هدف المعركة . لذا كان غرض قواتها البرية والجوية والبحرية تدمير الجيوش العربية على مسارح المعارك وفي اجوائها . ولم تبذل هذه القوات اي جهد لضرب الاهداف المدنية (التجمعات السكانية والمراكز الصناعية) مع انها كانت تملك حرية العمل الكاملة وخاصة في الجو والبحر .

وكان من الممكن ان تطبق اسرائيل المفهوم نفسه في حرب ١٩٧٣ ، لو ان قواتها استطاعت تحقيق انتصار عسكري سريع كانتصار ١٩٦٧ . ولكن فشلها في تحقيق هذا الانتصار ، وتعرضها لخسائر موجعة جعلها تتجه نحو قصف الاهداف الاستراتيجية في العمق العربي ، وخاصة العمق السوري ، بغية التأثير على معنويات المواطنين وتعطيل عجلة الانتاج الاستراتيجي (البترولي اساسا) . بيد ان محدودية حرية عمل الطيران وارتفاع نسبة الخسائر بالطائرات والطيارين وضخامة الاعباء الميدانية الملقاة على عاتقه ، حددت نتائج وفاعلية هذا القصف الاستراتيجي الذي اثبتت كل الحروب السابقة انه لا يستطيع تحقيق انهيار الجبهة الداخلية وتعطيل

الانتاج (وخاصة في بلد زراعي) ، الا اذا كان كثيفا وطويل الامد . والذي اثبتت حرب ١٩٧٣ انه لا يحقق اي اثر ردعي اذا كان الخصم يمتلك صواريخ ارض — ارض التكتيكية والعملياتية القادرة على ردع الردع .

الحرب الخاطفة :

الحرب الخاطفة في المفهوم العام للكلمة هي الحرب التقليدية التي تطبق فيها استراتيجية الافناء ، مع استخدام قوى ووسائط متفوقة تملك قوة الصدمة وغزارة النار وسرعة الحركة ومرونة المناورة في سبيل تدمير تجمعات العدو او اسرها عن طريق الخرق والتطويق والاندفاع في العمق نحو المؤخرات لتحقيق الانهيار الاستراتيجي والحسم بسرعة (تحسب بالاسابيع والشهور) قبل ان يستعيد الخصم توازنه وينظم صناعته الحربية ويحشد قواته الاحتياطية الاستراتيجية ويتابع القتال . وللحرب الخاطفة بالمفهوم الاسرائيلي (المحكوم بظروف الحرب المحدودة في الشرق الاوسط) المعنى نفسه تقريبا ، والاختلاف بين المفهومين هو ان الانهيار الاستراتيجي والحسم ينبغي ان يتما بسرعة (تحسب بالساعات والايام) قبل ان تستعيد جيوش دول المواجهة توازنها ، وتصل الى مسارح العمليات قوات كبيرة من دول المساندة ، وقبل ان يتدخل المجتمع الدولي لوقف القتال في هذه المنطقة الحساسة من العالم ، وقبل ان يمد الحليف الاستراتيجي للعرب (السوفييت) جسرا جويا يساعد على اعادة التنظيم واستعادة التوازن .

ولقد كانت حرب ١٩٦٧ بالتأكيد تنفيذا مثاليا لهذا المفهوم الاستراتيجي . فلقد حشد الاسرائيليون قوة متفوقة مرنة ضاربة تملك قدرة النار والصدمة ، وسددوا ضربة عنيفة افقدت الجيوش العربية توازنها وحققت الحسم الاستراتيجي قبل ان يستفيق المجتمع الدولي من ذهوله ويتدخل لايقاف القتال ، وقبل ان تصل القوات العراقية او الجزائرية — وكانت آنذاك القوات العربية الوحيدة المؤهلة لدعم دول المواجهة — الى مسرح العمليات وتشارك في القتال بفاعلية .

وكان من الطبيعي ان تحاول اسرائيل تطبيق الاستراتيجية نفسها في حرب ١٩٧٣ ، خاصة وانها دعمت سلاحها الجوي (كما ونوعا) في فترة ١٩٦٧ — ١٩٧٣ ، وزادت عدد الويتها المدرعة ، ومكننت الوية مشاتها ، ورفعت قدرتها على النقل الجوي ، وادخلت الكثير من التحسينات على اتصالاتها وشؤونها الادارية . وكان من المنتظر ان تقوم الالوية المدرعة المدعومة بالطيران فور انتهاء التعبئة (اي بعد ٤٨ ساعة على الاكثر) بهجوم خاطف سريع ، يدمر الجيوش العربية المهاجمة ويوسع رقعة الارض المحتلة .

ولكن مثل هذا الامر لم يتحقق في ١٩٧٣ ، اذ اصطدمت المدرعات الاسرائيلية بقطعات عربية جيدة التدريب والتجهيز والتسليح ومرتفعة المعنويات ، وحدت الصواريخ ارض — جو من حرية عمل الطيران ، وعندما كانت رؤوس الحراب المدرعة تندفع باسلوب الحرب الخاطفة دون دعم كاف من المدفعية ودون حماية كافية من مشاة المرافقة ، كانت وحدات المشاة العربية المسلحة بالصواريخ م/د تدمرها . وتعطلت الحرب الخاطفة ، وبقيت القوات الاسرائيلية على الجبهة المصرية في وضع الدفاع الهجومي حتى يوم ١٠/١٥ .

ولقد حاول الاسرائيليون الانتقال من الدفاع الهجومي الى الهجوم الاستراتيجي في الجولان ، وبدأوا هجومهم المعاكس في ١٠/٨ ، وحققوا خرقا باتجاه سعسع على

طريق القنيطرة — دمشق ، ولكن الخرق لم يكن عميقا كما ينبغي ، ولم يصل الى مؤخرة القوات السورية لقلب توازنها الاستراتيجي ، بل خلق انحناء محدودا في الجبهة ، وشكل جيبا محاطا من كل جانب . وكان عمق التقدم الاقصى لرؤوس الحراب الاسرائيلية المدرعة خلال اربعة ايام (من ٨ الى ١٢) حوالي ٤٠ كيلومترا ، اي بمعدل ١٠ كيلومترا في اليوم ، وهذه وتيرة بطيئة جدا في الحرب الخاطفة . وكان من الطبيعي ان يتابع الاسرائيليون الضغط للوصول الى مؤخرات السوريين ، والانتقال بعد ذلك الى حرب الحركة ، ولكن المقاومة العنيفة وطبيعة الارض ، والاعداد الهندسي الجيد لمسرح القتال ، منعتهم من تحقيق غرضهم . لذا توقف الضغط الاسرائيلي على هذه الجبهة نهائيا منذ يوم ١٠/١٢ ، وتحولت القوات الاسرائيلية الى الدفاع الديناميكي ، وتوقفت الحرب الخاطفة .

وحتى يوم ١٠/١٤ (اي بعد ٩ ايام من القتال) كان الاسرائيليون يراوحون في مواقعهم امام القوات العربية (ولقد بقوا يراوحون على الجبهة السورية حتى نهاية الحرب) . وكان مرور هذا الوقت دون تحقيق الحسم يعني فشلا ذريعا لاستراتيجية الحرب الخاطفة (بالمفهوم الاسرائيلي وبالظروف الشرق اوسطية) .

وفي يوم ١٥ عبرت طلائع قوة شارون قناة السويس في مكان غير مدافع عنه جيدا . ووجدت نفسها فجأة على مؤخرة المصريين ، وارادت عند ذلك تطبيق حرب الحركة والعودة الى اساليب الحرب الخاطفة ، وفتح مروحة تطوق الجيشين المصريين الثاني والثالث . ولكن قوة الدفاع والهجمات المعاكسة التي شنها الجيش المصري الثاني حدت من التقدم نحو الشمال وحولت المروحة الى نصف مروحة لتطويق الجيش المصري الثالث فقط . ورغم بطء وعدم عنف رد الفعل الاستراتيجي المصري على قوة شارون في الايام الثلاثة الاولى بعد عبور قناة السويس ، ورغم تمكن الاسرائيليين من حشد حوالي ٣٠٠ دبابة على الضفة الغربية لقناة السويس ، فان تقدم نصف المروحة نحو الجنوب لم يكن سريعا بشكل يتناسب مع متطلبات الحرب الخاطفة ، واضاع الاسرائيليون سبعة ايام من ١٦ الى ٢٢ دون ان يتمكنوا من اغلاق الطوق حول الجيش المصري الثالث . وفي هذا الوقت استطاع المجتمع الدولي ، الذي لا يسمح بان تطول الحرب في منطقة الشرق الاوسط الحساسة ، التوصل الى اتفاق حول وقف القتال . وصدر قرار ٣٣٨ (١٩٧٣/١٠/٢٢) قبل ان ينجز نصف المروحة الجنوبي مهمته . وكان مجمل التقدم الذي حققه الاسرائيليون في سبعة ايام حوالي ٥٠ كيلومترا ، اي بمعدل ٧ كيلومترات في اليوم .

وبسبب هذه السرعة البطيئة التي لا تتناسب مع استراتيجية اسرائيل استطاع الجيش المصري الثالث استعادة توازنه والصمود امام نصف المروحة الجنوبي ، كما استعادت القيادة المصرية العليا المبادرة ، وبدأت تطوق قوات الثغرة بقطعات مرسلة من العمق . ولولا استغلال اسرائيل للوضع الناجم عن وقف القتال في ليلة ٢٢ — ٢٣ لما استطاعت احتلال ميناء الادبية واغلاق الطوق حول الجيش المصري الثالث في فجر يوم ١٠/٢٤ .

وتحت ستار وقف القتال ، حاول الاسرائيليون استغلال الوضع الجديد الناجم عن تطويق الجيش الثالث ، وقاموا بالضغط على السويس لاحتلالها . وهنا ايضا اضاع الاسرائيليون زمنا طويلا نسبيا تفاعلت فيه الازمة دوليا (تهديد السوفيات بارسال قوات لفرض وقف القتال ، والاستنفار النووي الاستراتيجي الاميركي) وصدر عن

مجلس الامن القراران رقم ٣٣٩ (١٠/٢٣) و ٣٤٠ (١٠/٢٤) . وتوقف القتال بالفعل في يوم ١٠/٢٥ دون حسم الموقف على مؤخرة الجيش الثالث .

وهكذا نرى انه رغم الاستعداد للحرب الخاطفة ، وتبني اساليبها ، ومحاولة تطبيق هذه الاساليب لحسم المعركة بسرعة قبل تبدل الظروف المحلية والدولية فقد فشل الاسرائيليون في انجاز مهمتهم بالسرعة المطلوبة ، وطالت مدة الحرب ١٧ يوما (رسميا) و ٢٠ يوما (عمليا على الجبهة المصرية) ، الامر الذي اعطى القوات العراقية والليبية والجزائرية الفرصة للانتقال من العمق الاستراتيجي الى مسرح العمليات والمشاركة بالمعركة ، واعطى المجتمع الدولي الفرصة للتدخل وفرض وقف القتال بعد تأزم الموقف بين الدولتين العظميين ووصوله الى حافة الصدام النووي .

الحدود الامنة :

لم تكن فكرة الحدود الامنة عنصرا من عناصر الاستراتيجية العسكرية الاسرائيلية في حرب ١٩٦٧ . وكان من نتائج هذه الحرب وصول اسرائيل الى مواقع اعتبرتها حسب قول يشعياهو جافيتش «افضل مواقع على الخطوط الامامية تمتعت بها اسرائيل في اي وقت من الناحية العسكرية » . ولقد صرح حاييم بارليف في مطلع العام ١٩٦٨ بان هذه الخطوط هي « اهم مكاسب حرب حزيران ١٩٦٧ » . وبفضل الوصول الى هذه الخطوط ظهرت فكرة الاعتماد على الحدود الامنة (الرادعة والتي يمكن الدفاع عنها باقل قوة ممكنة) ودخلت في صلب الاستراتيجية العسكرية الاسرائيلية ، وبنيت على اساسها خطوط التحصينات في الجولان وعلى الضفة الشرقية لقناة السويس .

ولقد حدد ييغال الون مفهوم الحدود الامنة بانها « حدود سياسية ترتكز على عمق اقليمي وموانع طبيعية كمجاري المياه والصحراء والممرات الاجبارية الضيقة لمنع تقدم الجيوش البرية والميكانيكية . انها حدود تضمن اولا امكانية اقامة نظام الانذار المبكر والناجع ضد اقتراب الطائرات المعادية ، وتتيح من ناحية اخرى قواعد مريحة للهجوم المضاد » . وانطلاقا من هذا المفهوم وعلى هديه بنى الاسرائيليون خطي بارليف والون ، وانشأوا المستعمرات الزراعية والدفاعية في الجولان وغور الاردن ومنطقة رفح .ووفق هذا المفهومدخل الاسرائيليون حرب ١٩٧٣ .وكانت النتيجة العملية سقوط المفهومبشكل مأساوي ، رغم العمق الاستراتيجي الذي حصلت عليه ، الدولة الصهيونية : فلقد اجتازت الجيوش العربية الحدود الامنة « المثالية » بسهولة ودمرت القوات المتمركزة عليها . وخلق عمق سيناء الكبير معضلات ادارية للقوات الاسرائيلية وادى بعد مسارح العمليات عن بعضها الى عرقلة المناورة على الخطوط الداخلية كما ذكرنا من قبل . وظهرت عبثية مساهمة المستوطنات في القتال منذ اليوم الاول للحرب وكانت عملية اجلاء سكانها في الايام الاولى للحرب عبئا اضافيا على عاتق القيادة العسكرية الامر الذي دفع الجنرال الاحتياطي متتياهو بيليد الى القول بعد حرب تشرين : « كانت الثقة كبيرة جدا بهذه المناطق ، حتى اننا نسينا انه في ضوء جودة الاسلحة الحديثة فان العمق الذي اكتسبناه لا يضر ولا ينفع ، لان المشاكل الاساسية للدولة التي تعاني من وضع تطويق تقوم به قوات تفوقها عددا ، لا تتبدل في اعقاب اية اضافة اقليمية طالما ان الوضع الاستراتيجي الاساسي لم يتبدل . وهذا الوضع لم يتغير بعد حرب الايام الستة . ولكن التراخي العام الذي تسلل الى داخلنا ، وبلبل الصفاء الذهني الاستراتيجي لدينا ، تجسد في تبني هذا المفهوم الدفاعي القديم والفاشل .

ونستنتج من كل ما تقدم انه كان بين الاستراتيجيتين العسكريتين الاسرائيليتين في

حربي ١٩٦٧ و ١٩٧٣ فرقان واضحان : **اولهما** نوعي ، يتمثل في التحول من الهجوم الاستراتيجي الى الدفاع الهجومي . **والثاني** كمي، يتمثل في تطبيق عناصر الاستراتيجية العسكرية الاسرائيلية بشكل مثالي في حرب ١٩٦٧ ، وتعثر تطبيق هذه العناصر في حرب ١٩٧٣ ، بفضل التطور الكبير الذي حققه جيشا مصر وسورية في فترة ١٩٦٧ — ١٩٧٣ ، والقفزة النوعية التي قاما بها في جميع المجالات للرد على الهزيمة بالتحدي ، في الوقت الذي نامت به العسكريتاريا الاسرائيلية على امجاد ١٩٦٧ . ولقد كان من الممكن استثمار هذا التعثر بشكل افضل خلال الحرب لو كان الهدف العربي الاستراتيجي اكثر اتساعا ، كما كان من الممكن استثمار حرب تشرين (التي تمثل ضربة الايقاف العربية للحد الصهيوني الذي وصل الى ذروته في حرب ١٩٦٧) لو أن العرب حافظوا على خط المجابهة مع معسكر العدو والتحالف الاستراتيجي مع معسكر الصديق ، وتابعوا الضغط على اسرائيل في لحظة فقدان التوازن النفسي التي خلقتها حرب ١٩٧٣ .

قبل الخروج من الاردن
وقائع واحداث

غازي الخليلي

[١]

« ... راقبوا الوضع بدقة ، ابقوا الاصابع على الزناد ، انتظروا تعليمات جديدة » . كانت هذه ملخص التعليمات التي نقلها المسؤول العسكري لموقع جبل عمان الى مجموعة من المقاتلين في متراس متقدم ليلة الخميس السابع عشر من ايلول ١٩٧٠ . اعاد احد المقاتلين الكلمات بصوت اقرب الى التمتمة ، راقبوا .. انتظروا .. الزناد ، ثم انفجر بصوت واضح : ولماذا الانتظار ، الامور باتت واضحة ، والمعركة لا بد منها ، ان لم نبادر نحن بالهجوم ونحسم الامر ، فان القوات الملكية ستحسم الامر بالنيابة عنا ، ولن تعطينا المزيد من الوقت للتفكير . انهى كلماته ، ثم اتكأ بثقل على اكياس الرمل . قال المقاتل الذي يجلس قبالته وقد شد من قبضة يده على البندقية : ولماذا الاستعجال ؟ الم تعتد بعد على مثل هذه الامور ؟ او لم تعرف بعد اننا لن نكون البادئين في اي معركة ؟ هكذا كنا وهكذا لا نزال ، على كل لن يطول انتظارك ايها الرفيق ، فالليلة موعدنا مع الموت لنصنع الحياة .

« كفاكم ضجيجا وكلاما بدون طعم ، انصتوا ، انني اسمع هديرا كأنه هدير دبابات » . قال مقاتل اخر . سيطر الصمت ، العيون تراقب البعيد ... البعيد ، والاذان اصغت ترصد ادنى حركة . لحظات ، ثم ارتفع صوت قائد المجموعة : ايها الرفاق ، لقد بدأت المعركة ، استعدوا ، وليكن عناقنا للسلاح عناق عشاق ، وليكن حبنا للموت لا يعلوه الا حبنا للارض . ودوت القذائف ، وامتلأ الجو رصاصا وقنابل .

كانت الساعة ١٦ر٤٥ من صباح الخميس السابع عشر من ايلول ١٩٧٠ عندما فتحت القوات الملكية نيران اسلحتها من جميع المواقع على جميع مواقع الثورة في عمان .. في الزرقاء .. في اربد .. وكانت عشرة ايام من القتال الدامي ، لم تستطع خلالها القوات الملكية ان تسيطر على اكثر من ربع العاصمة ، وبقيت الاشرفية — اشرفية عمان — صامدة تقاتل ، وبقيت جبال الهاشمي والتاج والنصر ، وحي المصاورة في جبل عمان ، تقاتل بعناد . ومن صويلح الى الحدود السورية ، ظلت قوات المقاومة مسيطرة على كامل المنطقة حتى بعد انسحاب القوات السورية . ولم تخرج عن سيطرة المقاومة الا مدينة الزرقاء ومنطقة الجنوب .

وجاءت اتفاقية القاهرة في السابع والعشرين من ايلول ، لتضع نهاية لمعركة ، ولكن لترسي معالم معركة ، وربما معارك ، جديدة .

منذ اليوم الاول لاعلان اتفاقية القاهرة والمباشرة بتنفيذ وقف اطلاق النار ، اخذ النظام الاردني يتحرك بطريقة لا تترك اي لبس او ابهام في ان موافقته على اتفاقية القاهرة ، ليست الا محطة ، اضطر الى الوقوف عندها ، ولكن لن يطول وقوفه فيها . كان الملك مجبرا على القبول بهدنة ، وان ارتدت ثوب اتفاقية تنظم علاقات « النظام » مع المقاومة على ضوء النتائج التي اسفرت عنها معارك الايام العشرة ، وهي نتائج لم يكن يتوقعها ، وكانت دون ما يريده وما استهدفه من المجزرة التي ارتكبها ، بكثير . كانت تقديرات « النظام » ان المقاومة لن تصمد اكثر من ثلاثة ايام ، ولكن النتائج جاءت مغايرة لكل التوقعات والتقديرات ، ولم يكن بمقدور الملك ان يتابع المعركة ، ليس لان الحكومات العربية استفاقت بعد اكثر من ٤٨ ساعة على بدء المجزرة ، بل ، لان مقاتلينا في العاصمة اثبتوا قدرة على المواجهة والصمود ، ولان ذخائر الملك نفذت او كادت ان تنفذ . حدثني احد ضباط الجيش الاردني بعد انتهاء المعارك فقال : « لقد انهارت معنويات اكثرية الجنود في الايام الثلاثة الاخيرة من القتال ، ولم يعد لدينا ذخائر كافية ، ولو استمرت المعارك اربعة او خمسة ايام اخرى ، ربما لكانت الامور تختلف كليا عما هي عليه الان » .

قبل نهاية شهر ايلول ١٩٧٠ وصل الباهي الادغم ، رئيس اللجنة العليا للمتابعة ، الى عمان ، كما وصل ايضا العميد احمد عبد الحميد حلمي ، رئيس لجنة الرقابة العسكرية ، « اضافة » الى معظم ضباط لجان الرقابة العسكرية ، الذين اختيروا من بعض الدول العربية . وفي ١٩٧٠/١٠/١ ، تم التوقيع على اتفاقية بين المقاومة و « النظام » بخصوص تنفيذ المادة الثانية من اتفاقية القاهرة والتي تنص على انسحاب كافة القوات الاردنية والقوات الفدائية من عمان . وفي ١٩٧٠/١٠/١٣ تم الوصول الى اتفاقية عمان ، تنفيذا للمادة «٨» من اتفاقية القاهرة والتي تنص على ان « تقوم اللجنة العليا للمتابعة باعداد وابرام اتفاقية ملزمة للطرفين تضمن استمرار النشاط والعمل الفدائي واحترام سيادة البلاد في حدود القانون ، فيما عدا الاستثناءات اللازمة للعمل الفدائي » . وفي ١٩٧٠/١٠/٢٢ ، تم اعداد بروتوكول تنظيم تواجد العمل الفدائي في الاردن . وقد شكلت هذه الاتفاقات جميعا والبروتوكول الملحق بها ، الارضية التي يجب ان تقوم عليها العلاقة بين المقاومة الفلسطينية والنظام الاردني بعد معارك أيلول .

اتسمت حركة النظام الاردني وتصرفاته ، خلال فترة عقد الاتفاقات واقراها ، بمرونة نسبية على الصعيد الرسمي ، وباعداد ترتيبات لمواجهة جديدة على الصعيد العملي .

فقد كان بحاجة الى تطمين المقاومة حتى يعيد ترتيب اوضاعه . فمن جهة استبدل وزارة محمد الداوود الذي استقال ، بحكومة يرأسها احمد طوقان ، رئيس الديوان الملكي ، كي يوحي للمقاومة انه جاد في انهاء الحكم العسكري . ومن جهة ثانية كان عملاؤه يشيعون أن الملك سيعهد الى شفيق ارشيدات بتشكيل وزارة جديدة بعد الانتهاء من توقيع الاتفاقات ، وذلك حتى يقلل من معارضة المقاومة لبعض البنود التي كان يسعى لتضمينها اتفاقية عمان ، وكي يوحي لها انه جاد في تنظيم العلاقة معها على اسس جديدة ، بان يعهد الى شخصية تطمئن اليها في تشكيل وزارة تشرف على تنفيذ الاتفاقات .

غير ان هذه المرونة النسبية التي كان يوحي بها « النظام » كانت تتناقض مع مجمل ممارساته العملية . فمن جهة رفض « النظام » اصدار عفو عام عن جميع الحوادث

التي ارتكبت قبل ٢٧ ايلول ١٩٧٠ ، ووعد فقط بالافراج عمن تبقى من المعتقلين ،ومن جهة ثانية اغلق منطقة الجنوب نهائيا في وجه المقاومة واحال مدينة الزرقاء الى ثكنة عسكرية ، واكمل سيطرته عليها باعتقال كل من كان يمت بصلة ، مهما كانت واهية ، مع المقاومة الفلسطينية . اضافة الى ذلك فقد اخذ يكثف وجوده العسكري في مدينة عمان تحت ستار فتح مخافر امن جديدة في اكثر من حي من احياء عمان .

كانت المقاومة في تلك الفترة ، تبدي من الحرص على تنفيذ الاتفاقات المعقودة ، والوصول من خلالها ، الى ارضية واضحة تقوم عليها علاقة المقاومة مع النظام الاردني مستقبلا ، اكثر من حرصها على ترصد حركات « النظام » على الصعيد العملي ووضع حد لها منذ البداية . فتهاونت في قضية فتح المخافر ، ولم تثر كثيرا من الاعتراضات حول احقية تواجدها في منطقة الجنوب ومدينة الزرقاء ، كما تنص على ذلك الاتفاقات المعقودة . لقد اتسمت حركة المقاومة في تلك الفترة ، بالتشوش والاضطراب ، فكانت لتوها خارجة من معركة طاحنة ، وتحتاج الى بعض الوقت لاعادة تنظيم صفوفها وقواتها ، اضافة الى انها لم تتوصل بعد الى تحديد واضح لابعاد المرحلة القادمة ، هل ستطول الهدنة على ارضية الاتفاقات المعقودةمع «النظام» مع ان الوضع سيعود الى التفجر من جديد وخلال فترة قريبة ؟ وما هي الاشكال التي سيتخذها تفجر الوضع مجددا ؟ الاجابة على مثل هذه الاسئلة الهامة كانت تضيع في دوامة العمل اليومي ، وكانت قضايا التموين واغاثة الجماهير التي حوصرت بالجوع والمرض خلال الاحداث تستنفذ القسط الاكبر من جهد المقاومة . وربما لهذه الاسباب ، ولاسباب اخرى غيرها ، لم تجتمع اللجنة المركزية لحركة المقاومة لدراسة الوضع الجديد وتحديد سياسات العمل خلال المرحلة القادمة الا في ١٩٧٠/١٢/٤ اي بعد مضي اكثر من شهرين على انتهاء المعارك . وخلال هذين الشهرين ، كان النظام الاردني قد استعاد تنظيم صفوفه الى حد كبير ، عسكريا وسياسيا ، واستعد لمباشرة الهجوم من جديد على حركة المقاومة .

[٢]

لم يكد حبر الاتفاقات يجف ، حتى بدا اكثر من مؤشر واضح يدل على ان «النظام» سيتابع هجمته على حركة المقاومة . وكان من اوضح هذه المؤشرات المجيء بوصفي التل ، رئيسا للوزراء ، وبوزارة تضم اشخاصا معروفين بعدائهم للمقاومة ، امثال مازن العجلوني وضابط المخابرات عدنان ابو عودة .

وعلى الرغم من ان المقاومة كان لديها معلومات ، حتى قبل توقيع اتفاقية عمان ، ان وصفي التل ، هو الشخص الذي يعهد اليه الملك برئاسة الوزارة خلفا لوزارة احمد طوقان ، فانها فوجئت بمجيئه بهذه السرعة ، لان مجيئه كان يعتبر تحديا للمقاومة ، ومؤشرا على ان « النظام » لن يلتزم باي اتفاقية ، وانه سيتابع هجمته على المقاومة استكمالا لهجمته في ايلول . ومع مجيء التل بدأت تتضح سياسات « النظام » اكثر فاكثر ، وبدا واضحا للجميع ، ان الصراع مع « النظام » مستمر وان ارتدى اشكالا جديدة ، قد لا تكون بالضرورة على شاكلة ايلول ، اي ضربة سريعة وشاملة وخلال ايام ، ثم حصد النتائج السياسية لمثل هذه الضربة في حال نجاحها . وكان التقدير ، **ان هجمة « النظام » ستقوم على اساس تجنب خوض معركة حاسمة، بل تجزئة المعركة ، باستهداف المراكز الاضعف للمقاومة ، تصفيتها واحكام سيطرة « النظام » عليها ، وبتكثيف الوجود العسكري « للنظام » في المناطق التي تسيطر عليها المقاومة لخلق نوع من التوازن العسكري ، وثم بالسيطرة على نقاط هامة تقع على**

الطرق التي تربط اماكن تواجد المقاومة في المدن وخارجها ، لاحكام الطوق على المقاومة تمهيدا لمعركة حاسمة يكون النجاح فيها مضمونا للنظام . وهي السياسة التي عرفت باسم « القضم والهضم » والتي مارسها « النظام » بقدرة ، مستفيدا من كونه امسك بزمام المبادرة سياسيا وعسكريا بعد ايلول ، ومن كون ان المقاومة لم تقرر بشكل واضح **هل تواجه الهجمة الجديدة ، ام تناور لتجنب المعركة ؟** وبين حدي المواجهة والمناورة فقدت المقاومة قدرتها على تحديد سياسة واضحة في ادارة دفة الصراع ، واختلطت المواقف ، وشوشت القاعدة ، وتبلبلت الجماهير ، وعندما كان تحرك « النظام » يضيق امامنا مجال المناورة ويفرض علينا ان نواجه ، كنا نستصرخ الدول العربية ونستغيث باللجنة العربية ، وان واجهنا ، فمواجهتنا كانت محدودة ، وبحدود حركة « النظام » . وكانت مواجهتنا تفقد اي اهمية سياسية ، عندما يعود « النظام » ويفتح المجال للمناورة ، بعد ان يكون قد حقق من تحركه الهدف الذي حدده له .

لقد تحرك « النظام » على جميع الاصعدة الاعلامية والسياسية والعسكرية بتناسق شبه كامل . فعلى **الصعيد الاعلامي** اعتمد على التمييز بين فدائي شريف واخر غير شريف ، بين فدائي يعمل من اجل فلسطين ، وفدائي يرتبط بمنظمات تسعى لقلب نظام الحكم في الاردن ، بين منظمات يمكن التفاهم معها ، ومنظمات خطرة ، ليس على النظام الاردني ، ولكن على حركة المقاومة نفسها ، لانها تورط المقاومة في مواقف وسياسات ليست من شأنها . اما عمليا ، فلم يكن « النظام » يميز بين فدائي واخر ، فكلهم معادون له . لقد كان الهدف من هذه السياسة احداث شق في صفوف المقاومة باستغلال بعض الخلافات في وجهات النظر حول بعض القضايا بين منظمات المقاومة . ولقد حاول عدنان ابو عودة ، وزير اعلام الملك ، ان يجرب حظه في هذه السياسة ، عندما بدأ يحرض اللجنة المركزية لحركة المقاومة على الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين اثر الخلاف الذي نشب في اوساط المقاومة حول اتفاقية الميليشيا التي عقدها مندوبون عن اللجنة المركزية مع النظام الاردني في ١٩٧١/١/١٤ لقد استعر الخلاف بين الطرفين لدرجة ان اللجنة المركزية اصدرت قرارا في ١/١٥ بتجميد عضوية الجبهة الشعبية في اللجنة المركزية لانها لم تمتثل لقرار وقف اطلاق النار . وكان من المقرر بموجب اتفاقية الميليشيا ان تقوم صباح ١٩٧١/١/١٦ لجنة رباعية مشكلة من ممثلين عن اللجنة المركزية ولجنة المتابعة والجيش الاردني وقوات الامن الاردنية ، بتفتيش الاحياء والتأكد من ان السلاح الموجود هو مجرد سلاح فردي ومجمع في الاماكن التي حددتها الاتفاقية . لقد اجاب عدنان ابو عودة ، عندما سئل ، كيف ستتصرف الحكومة الاردنية فيما لو اصرت الاطراف غير الموافقة على الاتفاقية على موقفها ؟ اجاب بانه يترك هذا الامر للجنة المركزية ، اي بمعنى اوضح انه كان ينتظر ان يحصل الصدام المسلح بين صفوف المقاومة .

كانت الدقائق ثمينة والوقت ضيق ، ولم يبق الا ساعات على بدء عملية التفتيش . الاصابع على الزناد والكل مستنفر ، لحظات وقد ينفجر الوضع . واذكر في تلك الليلة ،ليلة ١٩٧١/١/١٦ ، ان الاخ ابو عمار كان مدركا لخطورة الوضع ، وكان يؤكد ان اي خلاف ممكن ، الا الصدام المسلح ، الا الاقتتال الداخلي . وبالمقابل فقد كان الدكتور جورج حبش مدركا ايضا لخطورة الوضع ، وكان يؤكد ان كل شيء ممكن الا الصدام المسلح ، الا الاقتتال الداخلي . وقبل ان ندخل اللحظة الحرجة او المأساة بمعنى ادق ، انتصر العقل الفلسطيني ، وانتصرت ارادة الوحدة ، بان التزمت الجبهة الشعبية بالاتفاقية ، واصدرت اللجنة المركزية بيانا ترحب بعودة الجبهة الشعبية الى

موقعها في اللجنة المركزية . لقد انتظر عدنان ابو عودة ، ان يحترق السهل الفلسطيني بأيد فلسطينية ، ولكن ارادة الحفاظ على الارض الفلسطينية دون هـزات او زلازل كانت اقوى من كل شيء .

اما على **الصعيد السياسي** ، فقد كانت حركة « النظام » ذات اوجه عديدة . فمن ناحية كان « النظام » يبرر تحركه العسكري سياسيا ، بانه لمواجهة **« الامن الفلتان»** في البلد ، وكان يتخذ من بعض التصرفات الفردية لبعض افراد من المقاومة ، سلاحا للتشهير السياسي بالمقاومة ، وبان « الامن فلتان » في المناطق التي تسيطر عليها ، لدرجة انه اخذ يصور في اعلامه ان وجود المقاومة في المدن هو السبب في «فلتان الامن» **ومن فكرة « الامن الفلتان » انطلق « النظام » في الهجوم على ميليشيا المقاومة والمطالبة بنزع سلاحها** . طالب اولا بمنع حمل السلاح في الاحياء مع السماح باقتنائه في البيوت، ثم تدرج في مطالبه ، بان طالب بجمع السلاح في اماكن معينة في الاحياء تحت اشراف حراسات من الكفاح المسلح ، بعد ذلك طالب بان تقفل مراكز جمع السلاح بالشمع الاحمر وان تشرف عليها حراسات من الامن العام . وللوصول الى هذه الغاية ، ضخم اعلام « النظام » من قضية الامن الداخلي وبالغ فيها ، واستطاع في النهاية ان يفرض نزع سلاح الميليشيا وجمعه في اماكن محددة ، بعد عدة معارك عسكرية خاضها من اجل الوصول الى هذه الغاية . لقد عمد « النظام » الى تسليح اعداد من المواطنين الشرق ـ اردنيين تحت اسم « المقاومة الشعبية » ، وذلك في اماكن تواجد المقاومة في احراج جرش وعجلون ، واخذ يساوم المقاومة على نزع سلاح المقاومة الشعبية وتخفيف نسبة التسليح في المخافر التي اقامها في قلب وعلى مداخل الاحياء في مدينة عمان ، مقابل نزع سلاح الميليشيا . كذلك فقد كان « النظام » يبرر تحركاته امام الدول العربية بتكرار نغمة ان المقاومة تستهدف قلب نظام الحكم في الاردن ، وانه مضطر للدفاع عن نفسه . وامام اللجنة العربية العليا كان يدعي ان المقاومة غير ملتزمة باتفاقيتي القاهرة وعمان ، في حين ان كل الشواهد كانت تؤكد انه هو الطرف غير الملتزم . وواضح ان اي اتفاقية بين طرفين ، تفسر لدى تنفيذها لصالح الطرف الاقوى ، وكان « النظام » يستغل سيطرته الكاملة على مدينة الزرقاء ومنطقة الجنوب بالادعاء انه مستعد لفتح مكاتب للمقاومة في هذه المناطق حسب نصوص الاتفاقية ، ولكن بشرط ان تلتزم المقاومة بنقطة كذا وكذا ، وكانت النقطة التي يركز عليها « النظام » هي وجود ما يدعيه **سلاح ثقيل** لدى المقاومة في الاردن ، وكان يعتبر القنبلة ، وال ب ٧ سلاحا ثقيلا اضافة الى الفرينوف ، فكيف بالدوشكا ! واحيانا كان مندوب اللجنة المركزية يقبل بهذه المساومة ، فيوافق على اتفاق جديد يعطي للنظام هذا الحق في اخراج ما يسميه السلاح الثقيل ، او في جمع سلاح الميليشيا ، مقابل فتح مكتب للجنة المركزية في الجنوب او الزرقاء . ولكن عمليا ، هذه المساومة ليست ممكنة ، فالمناطق التي كان يسيطر عليها « النظام » لم يكن يسمح لاي فرد من المقاومة وحتى من اللجنة العربية ـ احيانا ـ بدخولها . فكان يماطل في هذا الموضوع بينما يكون قد حقق ما يبغيه من الاتفاق الجديد .

وعلى الصعيد العسكري ، فقد كانت حركة « النظام » هنا هي الاهم في مجمل تحركاته . وكان يتحرك ضمن حسابات دقيقة ، وضمن خطة عامة وضعها بناء على سياسته في « القضم والهضم وتقطيع الاوصال » . وكانت تقوم على الاسس التالية :

(١) احكام قبضته وسيطرته الكاملة على المناطق التي سيطر عليها خلال معارك ايلول ، ونشر حالة من الرعب فيها ضد كل العناصر الوطنية .

(٢) تكثيف وجوده العسكري في المناطق التي تسيطر عليها المقاومة في المدن ، بالسيطرة العسكرية على عمارات تسيطر على هذه المناطق او تقع على مداخلها ، وبالاكثار من مخافر الامن في الاحياء واملائها بعناصر من الجيش التي حولها الى الامن العام والمسلحة بالرشاشات الثقيلة وبسيارات للمطاردة . فمثلا في حي المصاورة ، وهو حي فقير يقع في جبل عمان ، انشأ النظام اربعة مخافر تتحكم بجميع مداخل الحي وتسيطر عليه بالنيران سيطرة كاملة .

(٣) اغلاق المدن بحواجز التفتيش المتعددة على مداخلها ، وعلى مداخل احيائها الرئيسية ، والقيام بتفتيش السيارات والمارة باستمرار . وغالبا ما كانت هذه الحواجز تعتقل المواطنين العاديين بهدف ارهابهم ، او اعتقال افراد المقاومة على الرغم من الاوراق الثبوتية التي بحوزتهم .

(٤) تسيير دوريات عسكرية بكثافة على الطرق التي تشرف على مراكز المقاومة في احراج جرش وعجلون ، كنوع من الاستفزاز ولابراز العضلات .

(٥) السيطرة على مواقع تقع على مشارف اماكن تواجد المقاومة في احراج جرش وعجلون او تتحكم في الطرق المؤدية اليها .

وتنفيذا لهذه الخطوط فقد عمد « النظام » الى اتباع سياسة تقوم على اساس **حسم المعركة اولا في المدن** بانهاء تواجد المقاومة المسلح فيها ، ضمن خطة تقوم على استهداف اماكن تواجدها الاضعف ، وبنفس الوقت العمل على **تضييق الخناق على المقاومة خارج** المدن اي في احراج جرش وعجلون ،بجعلها معزولة عن جماهيرها وجسمها البشري ، وهي السياسة التي عرفت بسياسة « **الحصر والعصر** » .

[٣]

كانت البداية في تحرك « النظام » العسكري ، استهداف السيطرة على **ثغرة عصفور** ، وهي تلة تشرف على الطريق العام بين اربد وعمان ، كانت تسيطر عليها المقاومة ، فقامت القوات الملكية باحتلالها مدعية ان اتفاقية عمان تنص على ان تكون مواقع المقاومة بعيدة عن الطريق العام مسافة كيلومترين . وبلعت المقاومة العملية بصمت . ولكن بعدها انطلق النظام الى موقع اخر عندما وضع حاجز للتفتيش على جسر الزرقاء على طريق جرش ــ عمان والذي يربط جرش بمخيم غزة . واذكر ان اقامة هذا الحاجز اثار اعتراضات واسعة من المقاومة . ولكن ثبت « النظام » نفسه في هذا الموقع عندما كانت الاوامر تنص على « **ضبط الاعصاب وعدم الرد** » . وبعد يومين من السيطرة على هذا الموقع قامت قوات « النظام » صباح ١٩٧٠/١٢/٦ **باقتحام مدينة جرش** والسيطرة عليها وبانهاء كل تواجد علني للمقاومة هناك . لقد كانت ضربة جرش ، ضربة كبيرة نوعا ما ، اعطت « النظام » وضعا عسكريا متقدما، استغله في محاولة فرض اتفاق جديد على المقاومة ، فكانت **اتفاقية الميليشيا الاولى** في ١٩٧٠/١٢/١٣ .

لقد عقدت هذه الاتفاقية بدون علم كل اطراف المقاومة ، ويتحمل مسؤوليتها بشكل اساسي مندوب اللجنة المركزية لحركة المقاومة لدى اللجنة العربية العليا ــ آنذاك ــ وقد رفضت هذه الاتفاقية من كل قواعد المقاومة ، ومن معظم فصائلها ، ولم تجد امكانية لتنفيذها . الا ان هذه الاتفاقية طرحت على بساط البحث قضية الميليشيا وسلاحها ، وكان كل جهد « النظام » يتركز على هذه الناحية ويستميت في نزع سلاح

الميليشيا ، لانه اذا حقق هذا الهدف ، فانه يضمن السيطرة على المدن . وحيث ان هذه الاتفاقية لم تنفذ في وجه الاعتراضات التي اثيرت ضدها ، فقد انتظر « النظـــام » شهرا اخر حتى يعيدها الى الوجود بعد ان حقق نصرا عسكريا اخر .

بعد ان احكم « النظام » سيطرته على جرش والمواقع الاخرى ، قام بالسيطرة على مفرق **مرحاب** الذي يربط جرش ــ بالمفرق ، وبالطريق الى العراق ، وبذلك احكم سد منافذ الطرق التي تربط المقاومة بسوريا والعراق . بعدها انطلق الى المطالبة **بجبل طلوزة** ، وهو جبل يتمتع باهمية عسكرية ، لانه يشرف على منطقة السلـــط والبقعة ويحمي مواقع المقاومة في ام الرمان من اي تقدم للقوات الملكية باتجاه مواقع المقاومة هناك . طرح « النظام » الامر في اللجنة العربية العليا وادعى انه مهم لـــه لحماية قواته في منطقة الاغوار ، فسلم اليه تسليما على اساس ان يتواجد عليه افراد من المقاومة ومن الجيش الاردني . واقيمت المناسف ــ بهذه المناسبة ــ على قلعـــة الجبل ، تأكيدا على الوحدة بين الجيش الاردني والمقاومة . ولكن كما يقال « فـــان جهنم مبلطة باصحاب النوايا الحسنة » فبعد الاستيلاء على جبل طلوزة ، تقدم مندوب الملك بطلب اخر ، وهو **مخفر ام الرمان** الذي يقع في قلب مناطق المقاومة ويسيطـــر سيطرة كاملة على طرق مواصلات قواعد المقاومة في جلعاد والرميمين وفي السلط ، وتلك التي في احراج جرش . رفضت المقاومة ذلك ، ولذا فصباح ١٩٧١/١/٨ ادعى « النظام » ان فدائيين اختطفوا اثنين من جنوده في تلك المنطقة مما جعله يقوم بقصف كل مواقع المقاومة في احراج جرش ، في دبين وفي برما وقزازه ، وفي مخيم غزة . ثم تقدمت قواته فاحتلت مواقع المقاومة في جلعاد والرميمين ، وبذلك انهى وجود المقاومة العسكري في منطقة الغور الاوسط لتصبح محصورة في احراج جرش وعجلون .

اثار هجوم « النظام » هذا ردود فعل واسعة ، واختلفت المواقف بين اطـــراف المقاومة في كيفية التعامل مع هذا الهجوم وصده ، ولكن كان النظام قد حقق نقطـــة قوية باتمام سيطرته على المنطقة ، ولا سيما انه قام خلال هجومه **بانهاء وجود المقاومة في منطقتي الرصيفة وشنلر** ، وبذلك قلص وجود المقاومة كثيرا ، فأصبحت محصورة في عمان ، وفي اربد ، ثم في الاحراج . لقد ترتب على هذه الهجمة ان فرض «النظام» **اتفاقية الميليشيا الثانية** التي عقدت في ١٩٧١/١/١٤ ، والتي اثارت الكثيـــر مـــن الخلافات في صفوف المقاومة . وبهذه الاتفاقية انتقل « النظام » الى موقع قوي ، واخذ يعد نفسه للمواجهة في العاصمة . ولكن قبل المواجهة في العاصمة **انهى وجود المقاومة في اربد** ، الذي تقلص الى وجود في مخيم اربد فقط بعد ان نشرت قوات الملك وجودها في معظم انحاء المدينة . وفي ١٩٧١/٣/٢٦ شن النظام هجمته الكبيرة على مخيم اربد، وانهى المعركة لصالحه خلال يومين . وساق من اعتقلهم من افراد المقاومة الـــى زنازين العبدلي وبركسات معتقل الجفر الصحراوي .

كانت ضربة اربد مؤشرا على ان الضربة القادمة ستكون في العاصمة ، فلم يبق من وجود مسلح للمقاومة في المدن الا في عمان ، فمتى تكون الضربة ؟

لم ينتظر الملك طويلا ، بل انتقل مباشرة الى طرح وجود المقاومة في العاصمـــة بعد ان انهى وجودها في اربد ، وطالب بسحب كل المقاتلين وافراد الميليشيا من عمان، وبانهاء كل وجود مسلح للمقاومة في العاصمة ، مقابل ذلك فانه سيصدر عفوا عاما ، وسيحافظ على سلاح الميليشيا المجمع في اماكنه في الاحياء تحت حراسة الامن العـــام الاردني .

واذكر تلك الايام القليلة ما قبل الانسحاب من عمان ، كان « النظام » يســـرب

معلومات من انه سيقوم باقتحام عمان وقصف قواعد المقاومة في الاحراج اذا لم تنسحب المقاومة من العاصمة « بسلام » ولقد اكد الملك تهديدات كهذه في لقائه مع وفد من التجمع المهني في الاردن . وكانت المعلومات دقيقة وكثيفة لدرجة تأكدنا ان تسربها مقصود للتأثير على الموقف السياسي للمقاومة .

كانت جماهير المخيمات تتابع اخبار الهجوم الملكي على اربد بكل الم ، ولما تحركت الجماهير النسائية في عمان بتظاهرة يوم ٣/٢٨ احتجاجا واستنكارا على ما يجري في اربد ، لم تتورع القوات الملكية عن اطلاق الرصاص على المتظاهرات . اما قيادات المقاومة فكانت تعيش اجواء الانسحاب من عمان .

في ١٩٧١/٤/٢ ، جرى اجتماع للجنة المركزية لحركة المقاومة في مقرها في جبل اللويبدة لمناقشة الوضع واتخاذ القرار المناسب ، وكان قبل هذا الاجتماع ، قد جرى لقاء بين مندوبين من اللجنة المركزية والحكومة الاردنية بحضور وصفي التل ، الذي قدم مسودة اتفاقية جديدة لانسحاب المقاومة من عمان مقابل اصدار العفو العام . لم يتخذ قرار واضح في هذا الاجتماع — اجتماع اللجنة المركزية — واكتفي بالتأكيد على الاستنفار العام للمقاومة للرد على اي تحرك للنظام الاردني لاقتحام عمان ، مع رفض اي فكرة لعقد اي اتفاق جديد بين المقاومة و « النظام » . وصباح ٤/٤ عقدت اللجنة المركزية اجتماعا اخر ، وقدم « البعض » مشروع اصدار بيان من المقاومة يشير الى تعهد المقاومة بسحب ما تبقى لديها من سلاح ثقيل في عمان حقنا للدماء ، وتحميل النظام الاردني مسؤولية وضع البلد على ابواب أيلول جديدة . وشرح اصحاب المشروع وجهة نظرهم بانه يجب تجنب خوض الصراع مع « النظام » في اضعف حلقة بالنسبة للمقاومة ، حيث ان امكانية المواجهة في عمان محدودة وضعيفة ، في حين ان بالامكان المواجهة عبر القيام بعمليات عسكرية من قواعد المقاومة في الاحراج وفي سوريا . كان واضحا ان الجو المسيطر هو جو انسحاب ، بدليل انه في ٤/٣ اي في اليوم السابق للاجتماع شوهدت شاحنات تقل عناصر باسلحتها تابعة لتنظيمين من تنظيمات المقاومة ، تنطلق من امام اللجنة المركزية في طريقها الى الاحراج . وللحقيقة فان جميع تنظيمات المقاومة كانت مع الاتجاه العام للبيان باستثناء مندوب الجبهة الشعبية الذي تحفظ على اصدار البيان ، وباستثناء الجبهة الشعبية — القيادة العامة التي غاب مندوبها عن الاجتماع . وربما يدين البعض وينتقد فكرة الانسحاب من عمان بهذه الطريقة ، ولكن الادانة ، حتى تأخذ مداها وتعبر عن الحقيقة ، يجب ان تشمل ادانة كل السياسات التي قادت الى مثل هذه النتيجة . فالذين كانوا يتصورون ان الانسحاب من عمان لن يؤدي الى اخراج المقاومة كليا من الاردن ، وكانوا يدعون ان الانتقال الى الاحراج سيكون مفيدا ، لانه يتيح لكثيرين التدريب العسكري الجيد في الاحراج ، اضافة الى انه يكشف « النظام » امام الجماهير العربية والحكومات العربية ، ان هؤلاء يتحملون القسط الاكبر في مسؤولية ما انتهت اليه المقاومة في الاردن . واذكر قول احدهم : « انه ليس بثائر من لا يستطيع اخفاء بندقية » ! !

لقد كان انسحاب المقاومة من عمان ، الفصل ما قبل الاخير في مسلسل اخراج المقاومة من الاردن ، وكان المحطة الرئيسية في سيطرة اجواء القمع الاردنية على جماهيرنا في الاردن . واذكر انه مساء الرابع من نيسان « ابريل » ١٩٧١ ، كنت واقفا وبعض الرفاق نشاهد المنظر الكئيب لقافلة الشاحنات التي انطلقت من امام اللجنة المركزية وهي تقل المقاتلين باسلحتهم الى الاحراج . الامهات والاطفال كن على جانبي الطريق يبكين ويصرخن : كيف ستتركونا . وبعض المقاتلين كان يسيطر على

الوضع باطلاق زخات من الرصاص في الهواء . وفي لحظة من الشعور بالاسى همست في اذن الرفيق الذي يقف الى جانبي : بربك كم تقدر ، يوما او شهرا ، حتى ترى هذه الجموع نفسها ولكن بسيارات اخرى ، وبوجوه غير هذه الوجوه ، تساق الى معتقل الجفر الصحراوي . « ربما لن يزيد الوقت عن شهرين او ثلاث على ابعد تقدير » . قالها الرفيق بأسى وهو يبلع ريقه من شدة التأثر .

[٤]

حدثني رفيقي القادم من الاحراج الى معتقل الجفر الصحراوي ، وهو يشد بأصابعه على قدميه اللتين انتفختا من كثرة الضرب « لقد بدأت معركة الاحراج منذ ان انتهى « النظام » من السيطرة على عمان . فمنذ اواسط شهر نيسان ١٩٧١ وقوات الملك تقصفنا بشدة ، ضيقت الحصار علينا ، منعت التموين عنا ، واقفلت جميع الطرق المؤدية الى مواقعنا في احراج جرش وعجلون . قصفوا مخيم غزة بقسوة ، واوقعوا اصابات كثيرة فيه . وفي يوم ٧١/٧/١٣ بدأ الهجوم الشامل من اكثر من محور ، اقتحموا مخيم غزة وتقدموا باتجاه القزازه ، وبرما ، سيطروا على جبل الاقرع ، ثم تقدموا باتجاه دبين . كان ابو علي اياد بطلا ، فقد رفض ان يسلم ، وصمدت عجلون ، وصمد مقاتلون في اكثر من موقع .. ولكن .. تجمعنا في خشيبة ، وقالوا انهم سينقلوننا الى مواقع جديدة ... لقد نقلونا الى المفرق ، ومن هناك ، سفر البعض الى سوريا ، واخذ البعض القليل الى زنازين المخابرات في العبدلي ، والبقية الباقية ، سيقت الى هنا ، الى الجفر ... »

نظر الى السماء من بين اوراق شجرة الحور حيث كنا نجلس ، كانت الشمس بحرارتها اللاهبة تكاد تحرق رمل الصحراء ، بقي لحظات ينظر الى قرص الشمس الذي يتوسط السماء الصافية الزرقاء ، ثم التفت الي وقال « الحقيقة تبقى ناصعة ، وتحرق احيانا كثيرة ، ونحن هنا لاننا جزء من الحقيقة ، ومهما قست رمال الصحراء علينا ، فستظل اكبر منها ، لان الحقيقة ستنتشر في النهاية . والحقيقة ، او جانب منها ، يا رفيقي ، ان سحر الصعود الى الجبل قتلنا ، لقد قتلنا عندما حاولنا ان نجذف خارج بحر الجماهير في المدن ، كان يجب ان لا نتساهل في الدفاع عن وجودنا العلني في المدن ، فاحراج جرش وعجلون ، ليست جبال سييرامايسترا ، انها بقعة ضيقة محاصرة ومعزولة ، ولا اعتقد يا رفيقي اننا سنكرر التجربة الاليمة » .

اللعب خارج المعادلة

ملاحظات على أساس البرنامج السياسي للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين

سميح سماره

قد يتوفر قول يؤكد انه في مثل هذا الظرف الذي تشن فيه قوى العدوان الثلاثي : الامبريالية ، الصهيونية ، وادواتهما العميلة في المنطقة هجمة بالغة الشراسة على الثورة الفلسطينية كطليعة نضالية لقوى حركة التحرر الوطني العربية بهدف تصفية نسغها ، لتمرير صيغ الترتيب و « التوضيب » الاستسلامي للمنطقة على جثتها .

وانه في مثل هذا الظرف الذي تندفع فيه هذه القوى العدوه لمحاولة قتل الساحة اللبنانية كنقطة استقطاب تاريخي للطموحات الجماهيرية العربية في الحرية والتقدم الاجتماعي والوحدة .

ومقابل ذلك حيث يشتد السعي الفلسطيني لتلبية الحاجة الموضوعية المتمثلة ببناء وصيانة وحدة وطنية فلسطينية راسخة بين فصائل الثورة لتأكيد استقلاليتها وصيانة جوهرها الصدامي .

في مثل هذا الظرف قد يبدو من المستهجن او من غير المستحب او من خارج الموضوع ان نتجه الى نشر خلافاتنا الداخلية على سطح النقاش العلني ، وخصوصا ان هذا من حيث المبدأ موقف لا يتسم بالصواب .

لكن ، حين لا يكون للامر علاقة مع مسألة الصواب والخطأ بنسبيتهما . وحين يكون هناك سعي حثيث من احد الاطراف الى محو العلامات الفاصلة بين الصواب والخطأ . اي تجاوز الدائرة التي يجوز خلالها الاختلاف ، الى دائرة اخرى تتلون بالوان اخرى .

اي ، وخصوصا ، حين يكون هناك سعي حثيث ايضا لمس مكونات الارضية التي تشكل انطلاقا منها النضال الوطني الفلسطيني المعاصر ، وسعي حثيث كذلك لمس سقف هذا النضال .

حينذاك تصبح معظم المحاذير غير واردة ، ويكون التصدي لمثل محاولات المس هذه واجبا نضاليا تفرضه معايير الالتزام بالثورة وميثاقها وبرنامجها .

★ ★ ★

لعل من اهم او محور ما افرزه الواقع الفلسطيني — العربي منذ اقرار البرنامج السياسي المرحلي لمنظمة التحرير الفلسطينية في حزيران ١٩٧٤ هو القناعة التي بدأت تتشكل مؤخرا للثورة الفلسطينية بان مجريات الامور في العامين الماضيين قد دلت على ان تغييرا معينا قد طرأ على موازين القوى في ساحة الصراع العربي — الصهيوني

والامبريالي وهو التغيير الذي تبلور باعلان اتفاقية سيناء بين جمهورية مصر العربية وبين اسرائيل والولايات المتحدة الامريكية ، وبالانحياز المعلن للنظام الحاكم في مصر الى الامبريالية الامريكية بعد ان قطع آخر خيط يربطه بالمعسكر الاشتراكي بالغائه لمعاهدة الصداقة مع الاتحاد السوفييتي ، وبالانجذاب **المطرد** لهذا النظام الى دائرة القوى الرجعية العربية ، وهو الامر الذي انعكس على علاقة مصر مع القوى الوطنية والتقدمية محليا وعربيا ودوليا .

ثم جاءت الحرب الاهلية اللبنانية لكي تثبت انعكاسا اخر لمثل هذا التغير ، نراه هذه اللحظة في طبيعة التحالفات الجديدة في الساحة اللبنانية التي تؤكد مسألة رئيسية بالغة الاهمية هي ان القوى الاجتماعية الحاكمة في بعض الاقطار العربية المتقدمة تحكمها اولا طبيعتها الوسطية ، الاصلاحية التي لن تفرز غير سياسات وتحالفات من هذا النمط ، مما يعني ان اية مراهنة على مشاريع مرحلية تعتمد بشكل اساسي على مثل هذه التحالفات مع مثل هذه القوى ، هي مراهنة خاطئة بالضرورة ، ومما يعني كذلك ان اية محاولة لقلب الواقع وايقافه على رأسه وذلك باعتبار مسألة التحالف والعامل الموضوعي الذي خلقته حرب تشرين الوطنية ، سابقة على مسألة العامل الذاتي والحجم الذاتي في التأثير على فرض البرامج ايا كانت ، هي محاولة خاطئة ولا تستند الى الواقع ، خصوصا بعد ان وضح ان كل طرف قد سعى لحياكة « ثوب تشرين » على مقاسه ، وجلسوا بانتظار الطرف الفلسطيني الذي سيرتدي الاثواب الجاهزة .

ولقد اظهرت الفترة منذ الدورة الثانية عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني حتى الان انه رغم ان الثورة الفلسطينيةقد استطاعت فعلا عبر انتصاراتها العسكرية والسياسية والديبلوماسية ، وعبر زج قطاعات اوسع من جماهير شعبنا في الوطن المحتل ضمن اطر « الجبهة الوطنية الفلسطينية » والمشاركة الواسعة للجماهير الفلسطينية في التصدي للاحتلال وللوصاية الهاشمية ورفع راية منظمة التحرير في كل مكان ، وكذلك عبر تمتين العلاقة مع القوى الصديقة والحليفة لشعبنا وقضيته ، استطاعت الثورة ان « تحدث تغييرا ملموسا في ميزان القوى لصالح شعبنا ونضاله » كما اكد البرنامج المرحلي .

رغم ذلك ، فان الفترة نفسها قد ابرزت ايضا اختلالا واضحا في ميزان القوى على الصعيد العربي ، وذلك بعد ان كشفت البرجوازية الصغيرة العربية عن حدودها وامكانياتها في عملية التصدي للهجمة الامبريالية — الصهيونية — الرجعية .

هذا الواقع ذاته هو الذي دعا الثورة الفلسطينية الى ان تعلن عبر الصحيفة المركزية لها انها بصدد وضع برنامج جديد ، انطلاقا من اننا « نقف على ابواب مرحلة جديدة من النضال » . وهو برنامج ينسجم مع كل البرامج السابقة « ومن ضمنها برنامج النقاط العشر » مع الاخذ في الاعتبار « كل المتغيرات التي وقعت على مستوى الساحة الفلسطينية والعربية والدولية خلال الفترة التي اعقبت حرب تشرين ١٩٧٣ » والاخذ في الاعتبار ايضا ان يأتي « البرنامج الجديد كوسيلة اساسية لترسيخ وحدة كافة فصائل المقاومة ، والقوى الفلسطينية العاملة (. . .) بعيدا عن كل اشكال الانتهازية والعصبية التنظيمية البغيضة » « فلسطين الثورة » العدد ١٨٠ .

ويبدو ان نفس هذا الواقع ، مع الاختلاف في طريقة النظر اليه ، هو الذي دعا الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين الى الاعلان عن برنامجها السياسي الذي اعتبره

امينها العام الاخ نايف حواتمة في مؤتمره الصحفي برنامج الثورة الفلسطينية بكل فصائلها !

اذن . فنحن نقف على ابواب مرحلة جديدة ، وعلى ابواب دورة جديدة للمجلس الوطني الفلسطيني (كما تؤكد ذلك « فلسطين الثورة » في عددها ١٨٠) ، مما يقتضي بالضرورة برنامجا جديدا يراعي التحولات الجديدة التي نشأت بين دورتي المجلس .

وهكذا بادرت الجبهة الديمقراطية الى طرح برنامجها . ونحن مدعوون اذن لمناقشة هذا البرنامج الذي هو « برنامج الثورة الفلسطينية » مع ما يحمل ذلك من عسف ، على اعتبار انه لم تجر اية مناقشة لهذا البرنامج قبل الاعلان عنه !

ولكن قبل ان نحدد موقفنا من الركائز الاساسية التي قام عليها برنامج الجبهة الديمقراطية يجدر بنا ان نتوقف عند الملامح العامة للمرحلة الراهنة وعلاقة ذلك مع الافق السياسي العربي بشكل عام .

هناك شبه اتفاق في الساحة الفلسطينية على ان مرحلة جديدة من الصراع في الساحة العربية قد بدأت ملامحها في التشكل ، وذلك في ظل :

● ● توقيع اتفاقية سيناء والانفتاح السياسي — الاجتماعي — الاقتصادي المصري على الامبريالية .

● ● ازدياد نفوذ قوى الرجعية العربية .

● ● تمكن النظام الهاشمي من الخروج من عزلته عبر تحالفاته الجديدة !

● ● تشديد الهجمة الانعزالية في لبنان من خلال التحالف والدعم الكاملين مع الامبريالية والصهيونية وقوى عربية مختلفة بهدف تصفية او تحجيم الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية .

● ● ازدياد عزلة بعض الانظمة العربية المتقدمة ، وغرق او اغراق انظمة اخرى بالقضايا الجانبية .

● ● ازدياد النفوذ الامبريالي الامريكي في المنطقة العربية ، مع ما يلازمه من انحسار لحضور القوى الاشتراكية الصديقة .

وفي المقابل هناك :

● ● انتزاع الثورة الفلسطينية لعدد هائل من الانتصارات على مختلف الاصعدة .

● ● تثبيت انعطافة بالغة الاهمية في مجرى حركة التحرر الوطني العربية كما برز ذلك في التلاحم الوطني الفلسطيني — اللبناني في مواجهة المؤامرة التي تمكن هذا التلاحم من صدها وافشالها طيلة عام كامل من القتال الضاري .

وهكذا . وفي ظل الملامح والمؤشرات، فالى اين تتجه رياح المرحلة المقبلة ؟ من حيث ن مسألة الصراع العربي — الصهيوني والامبريالي هي محور هذه المرحلة وكل مرحلة ب الزمن المنظور ، وفي ظل الاختلال الكبير في موازين القوى لصالح القوى المساومة حلفائها الدوليين ، وكذلك في ظل المكاسب والانجازات التي تمكنت الثورة الفلسطينية ن احرازها ، فما هي طبيعة البرامج السياسية التي يمكن للثورة الفلسطينية ان

تطرحها او تأخذ بها والتي تضمن تأكيد وتثبيت انتصاراتها ، وتفتح الباب كذلك للنضال من اجل احراز انتصارات جديدة على طريق تحقيق الاهداف الاساسية للثـــــورة والشعب ؟

الامر الذي اصبح واضحا هو انه اذا كان البرنامج السياسي المرحلي لمنظمـــــة التحرير الفلسطينية قد جاء كنتيجة منطقية لحرب تشرين الوطنية وذلك من حيث تحديده للحلقة المركزية في هذه المرحلة من النضال الوطني الفلسطيني ، وهي الحلقة القائمـــة على الكفاح من اجل اقامة سلطة الشعب الوطنية المستقلة المقاتلة على كل جزء مـــن الارض الفلسطينية التي يتم تحريرها . اذا كان ذلك ، فالامر الذي اصبح واضحا هو ان شركاء حرب تشرين الوطنية قد ساروا باتجاهات اخرى لا تلتقي على الاطلاق مـــع خصائص هذه السلطة التي يعد النضال من اجل تحقيقها هدفا مشروعا .

اي ان الذي اثبتته المرحلة الماضية هو ان تعارضا وتناقضا حادا قد ظهر بين فهـــم شركاء حرب تشرين للسلطة الوطنية الفلسطينية في الاراضي التي يتم تحريرها وبين الفهم الفلسطيني لهذه السلطة ، مما يعني تبعا لذلك ان اي برامج جديدة تحمل مثل تلك الخصائص ، انطلاقا من الحلقة المركزية ذاتها للمرحلة ذاتها وعبر التحالفـــات العربية ذاتها ، سوف لن تخرج باي حال عن مثل هذه الاتجاهات الجديدة التي سار عليها شركاء حرب تشرين ، مما يؤدي بالضرورة الى السقوط في تسويات التحالف مع الامبريالية الامريكية والعدو الصهيوني .

وقد كانت النقطة العاشرة من برنامج النقاط العشر قد نصت : انه « على ضوء هذا البرنامج تضع قيادة الثورة التكتيك الذي يخدم ويمكن من تحقيق هذه الاهداف » وبالفعل فقد وضعت قيادة الثورة تكتيكها الذي استطاع ان يخدم وان يحقق عـــددا كبيرا من الانجازات ، لكن النتيجة الرئيسية التي فرضت نفسها في نهاية هذه المرحلة كلها ، وبعد ان افترق شركاء حرب تشرين كل الى فهمه الخاص لطبيعة المرحلة ، ان هذه الطبيعة ذاتها وموازين القوى فيها لن تؤدي بالتأكيد الى اي شكل من اشكـــال « سلطة الشعب الوطنية المستقلة المقاتلة » التي نص عليها البرنامج المرحلي .

من هنا اذن برزت الدعوة الى المرحلة الجديدة التي نشاهد ملامحها في الافق ، والى البرنامج الجديد المتناسب مع هذه الملامح . ومن هنا تصبح العودة الى الينابيع الاولى اي الى الميثاق الوطني الفلسطيني للاسترشاد ببنوده والخروج من ذلك بالبرنـــامج الجديد ، هو الامر المنطقي الوحيد .

ومن هنا كذلك تصبح الدعوة الى :

- تصليب وتأكيد الخط الاستراتيجي للثورة الفلسطينية .
- ترسيخ الوحدة الوطنية الفلسطينية والارتقاء بها لمواجهة الهجمة الحاليـــة والمستمرة .
- تأكيد التحالف مع قوى حركة التحرر الوطني العربية وجماهيرها .
- تثبيت التحالف مع حركة التحرر العالمية والقوى الاشتراكية والديمقراطية .
- الدفاع عن الساحة اللبنانية كقاعدة انطلاق للثورة .

تصبح الدعوة الى فرض هذا الاتجاه البرنامجي ، وفي ظل الظروف الراهنة ، هي الدعوة الاكثر منطقية ، والاكثر انسجاما مع الظرف الموضوعي وميزان القوى الحالي.

ولكن . وفي ضوء كل ما سبق ، ماذا طرحت الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين في برنامجها الذي اكدت على انه برنامج المرحلة القادمة ؟ ؟

الجبهـــة والبرنامج :

يهمنا ان نؤكد بدءا على المركز المهم الذي شغلته الجبهة الديمقراطية ضمن اطار منظمة التحرير الفلسطينية ، في العامين الماضيين بشكل خاص . وذلك عبر المشاركة النضالية السياسية والعسكرية والجماهيرية الفاعلة للجبهة سواء في الوطن الفلسطيني او في التصدي للهجمات والمؤامرات التي شنتها القوى العدوة للثورة والجماهير خارج الوطن . ويهمنا ان نؤكد على ملمح بارز ميز هذه المشاركة النضالية وهو قدرة الجبهة الديمقراطية على توظيف هذه النضالات لصالح البرنامج السياسي المرحلي الذي وضعته الثورة الفلسطينية .

وفي الواقع انه منذ تكوين الجبهة في ٢٢ شباط ١٩٦٩ (وقد مرت ذكراها التأسيسية السابعة مؤخرا) فقد استطاعت ان تقدم اضافة مهمة الى النضال الفلسطيني مما اهلها ان تشغل مثل هذا المركز . وبصرف النظر عن التأكيد الدائم والمستمر من طرف الجبهة على انها تمثل « يسار الثورة الفلسطينية المستقل ايديولوجيا وسياسيا وتنظيميا وعسكريا » (! !) وبصرف النظر كذلك عن مدى علاقة الشعارات التي تطرحها وتتبناها الجبهة مع الواقع الملموس ، وبصرف النظر كذلك عن مدى علاقة الموقف المبدئي للجبهة مع التكتيك السياسي الذي تنتهجه في علاقاتها الفلسطينية والعربية والدولية . وبصرف النظر رابعا عن اعتناق الجبهة للمركزية الديمقراطية كمبدأ تنظيمي يقود الى توفير وحدة الارادة ووحدة الفكر ، ثم عن ترجمة ذلك الى الواقع اليومي للعلاقات الداخلية للجبهة .

بصرف النظر عن كل ذلك فاننا نستطيع ان نتوقف دائما عند مجموع المبادرات التي قدمتها الجبهة الديمقراطية على كافة المستويات لتطوير اوضاع الثورة الفلسطينية وتعزيز علاقاتها مع حركة التحرر الوطني العربية ومع البلدان الاشتراكية .

من هنا فاننا لا يجب ان ننسى ان الجبهة كانت وراء الدعوة الى مرحلة النضال الفلسطيني وتحديد الحلقة المركزية في مهمات الثورة . بما في هذه الدعوة من اهمية وتأثير حيث انها تفتح الباب امام هذه المرحلة من نضالنا للخروج من التعميم والخطوط العريضة واللابرمجة وسيطرة الحماس الجماهيري غير المنظم . وكان ذلك قد شكل في احدى الفترات حاجة موضوعية للثورة لكي تتمكن من مواجهة ما يستجد من مؤامرات خصوصا بعد مجزرة ايلول ١٩٧٠ ، وقد جاءت الجبهة الديمقراطية لكي تلتقط مثل هذه الحاجة وتلبيها وتعبر عنها .

ورغم ان الشعارات التي اطلقتها وتطلقها الجبهة والتي تعد استتباعا لمثل هذا التعبير كانت او كادت تؤدي الى توريط الثورة الفلسطينية في المواقع غير المألوفة ، الا ان مثل هذه الدعوة قد شكلت مساهمة ملموسة واضافة مهمة الى النضال الفلسطيني .

ومع ان البعض يعترض بان جميع ما قدمته الجبهة قد اقتصر في الواقع على هذه المساهمة لا اكثر ، الا انه من الصعب اعتبار ذلك صحيحا . اذ رغم العلاقة البراجماتية القائمة بين العمل العسكري للجبهة ، وخاصة في العامين الماضيين ، وبين محور البرنامج المرحلي ، غير ان مثل هذا العمل العسكري وعمليات احتلال مواقع ومنشآت

العدو في الاراضي المحتلة (رغم ملابسات ذلك) ، والمردود الاعلامي والجماهيري لمثل هذه العمليات ، قد شكل بالفعل مساهمة ملموسة .

لكن التضخيم والتعسف السياسي والايديولوجي الذي يصاب به غالبا التنظير السياسي للجبهة الديمقراطية ، مصدره في تقديرنا ، خاصة محددة تتسم بها التنظيمات الصغيرة ، ولا نريد ان نقول تنظيمات البرجوازية الصغيرة . وهي الخاصة التي تتكفل بالخلط بين الطموح وبين الواقع او الممكن ، او بالخلط بين الافق الاستراتيجي وبين الصياغة الراهنة لبنوده في ظل التوازن القائم ، فيجيء طرح الشعار الذي قد يكون صحيحا من حيث المبدأ مصحوبا بوهم مضخم بان ترجمته الى الواقع العملي هي مسألة مطروحة وراهنة . وحيث ان مثل هذا الشعار يكون في الغالب من خارج السياق وخارج النطاق العملي الا انه يجري الدعوة اليه والتحريض لتحقيقه دون اي مراعاة للظرف الذاتي والامكانيات الذاتية والظرف الموضوعي (احدهم كان ينتظر ، ولو من باب المبالغة والتجريح ، ان تطرح الجبهة الديمقراطية مسألة الاستيلاء على السلطة في لبنان ، او طرح شعار « لا سلطة فوق سلطة المقاومة ») ثم هناك خاصة اخرى يتميز بها في الغالب الطرح السياسي والايديولوجي للجبهة الديمقراطية ، وهي ما يمكن ان يسمى بـ « شوق تجاوز القائم » او الحرص على الاتسام بالطليعية ، مع ما يصاحب هذه الخاصة من نظرة تقترب من الشفقة والتعالي غير المبرر وغير الموضوعي الى بقية الفصائل في الساحة الفلسطينية ، وما يلازم ذلك من هجمات تتسم بالعنف والحدة حتى حدود الشتائم المنظرة !! لجميع التنظيمات الاخرى ، بحيث يتنافى ذلك تماما مع الدعوات المتكررة من طرف الجبهة الى تشكيل الجبهة الوطنية الفلسطينية الموحدة . ويخيل لمن يقرأ ادبيات الجبهة وبرامجها السياسية منذ ٢٢ شباط ١٩٦٩ حتى الان ان القناعة الاساسية للجبهة الديمقراطية ، مبعث كل تنظير هي ان احدا لا يستحق ان يعيش في الساحة الفلسطينية غيرها ، وان كان لا بد من ذلك ، فتحت ابطها لا اكثر !!

اما كيف يحدث ذلك ، ولماذا يحدث ذلك ، فانه من الافضل هنا ان يتم الرجوع الى الادب الماركسي الكلاسيكي والحديث في تعريفه لتنظيمات البرجوازية الصغيرة التي لا تتعب من التأكيد ، بمناسبة وبدون مناسبة ، انها وحدها الحزب الجماهيري ، ووحدها الحزب الثوري البروليتاري الذي يشكل اداة الثورة الخلاقة القادرة على تعبئة الجماهير وتنظيمها والزج بها في اتون حرب لا تنتهي الا بتحقيق النصر .

اي نريد ان نخلص من ذلك الى القول : كما ان مثل هذا « الوهم التجاوزي » بما يشمل من تضخيم غير معقول لحجم الجبهة الديمقراطية السياسي والعسكري والايديولوجي ، والذي يكاد يسيطر على البنية التنظيمية الداخلية للجبهة ، هو الذي كان يقف خلف معظم الشعارات التي اتصفت احيانا بالخرق ، فان هذا الوهم هو نفسه الذي يقف الان وراء البرنامج الجديد الذي تطرحه الجبهة الديمقراطية للثورة الفلسطينية . فماذا يقول البرنامج ؟

البرنامج :

في البدء لا بد من الاشارة الى نقطة بالغة الاهمية في تقديرنا تتكفل بتفسير الكثير من بعض نقاط البرنامج الغامضة او المتعارضة . اذ في الوقت الذي جرت فيه المصادقة على مشروع البرنامج السياسي للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين في الربع الاخير من عام ١٩٧٥ ، جرت ايضا ، وبنفس الوقت ، المصادقة على مشروع النظام الداخلي للجبهة الديمقراطية « كما عدله واقره الاجتماع الموسع للجنة المركزية » .

وفي هذا الاخير تحديد واضح للوضع التنظيمي الذي يشتمل الجبهة ، وذلك من حيث اعتبار الجبهة لنفسها بانها « منظمة ديمقراطية ثورية موحدة تسير على طريق التحول الى حزب ماركسي — لينيني يمثل الفصيلة الطليعية من الطبقة العاملة وسائر الكادحين » النظام الداخلي ص ٥ .

ونحن اذا راعينا الربط بين هذا التحديد وبين تحديد الامين العام للجبهة لمهماتها او اطر مهماتها القادمة كما شرحها في مقابلة له مع «عدد من الصحفيين العرب التقدميين» واعادت مجلة « الحرية » نشرها في العدد ٧٦١ ، لشكل ذلك اضواء اخرى تكشف بعض الجوانب والزوايا غير الواضحة لمشروع برنامج الجبهة السياسي .

فالاخ نايف حواتمة يؤكد في مقابلته انه « اذا كان دور بعض الفرق الوطنية يتوقف عند حدود انجاز مهام التحرر الوطني فدور الجبهة الديمقراطية متواصل ويمتد الى مرحلة انجاز مهام الثورة الوطنية الديمقراطية على ارض فلسطين المحررة بعد تحرير الوطن والمهام اللاحقة لصنع مستقبل فلسطين الاشتراكي لجميع ابناء الشعب الذين رووا بالدماء والالام تراب الوطن . وفي اطار الوحدة القومية للوطن العربي تحت رايات الديمقراطية والاشتراكية والسلام » .

اذن . وكما هو واضح ، ففي افق الاراضي الفلسطينية التي يتم تحريرها ، او افق السلطة الوطنية الفلسطينية نقطتان مركزيتان : وجود حزب ماركسي — لينيني (شيوعي) نواته الحالية الجبهة الديمقراطية . وبرنامج عمل لهذا الحزب مهامه هي مهام الثورة الوطنية الديمقراطية ، وقراءة سريعة لبنود هذا البرنامج تؤكد ان هذا الحزب (الذي ما زال طموح الجبهة الديمقراطية) سوف يشغل موقع حزب المعارضة ضمن اطر النظام السياسي الذي سيقوم في هذه الارض التي سيتم تحريرها .

هذه نقطة محورية تمنعنا من الغرق في التفصيلات المجزوءة عند استعراضنا ومناقشتنا لمثل هذا البرنامج .

وفي الواقع ليس هناك اعتراض ما على مثل هذا الطموح للجبهة الديمقراطية ، فهي مسألة تتعلق بها اولا وبالظروف المتاحة ، لكن الاعتراض ، وبشكل محدد هو حول نقطتين :

١ — ان يجري القفز السريع عن الزمن وعن الواقع ، وان يجري الافتراض بشكل متعسف وغريب أن الارض الفلسطينية قد اصبحت محررة فعلا ، وان السلطة الوطنية قد قامت فعلا ، وان الامر الوحيد المطلوب هو برمجة النضالات والعمل داخل اطر هذه السلطة التي اصبحت قائمة وراهنة ! ! ؟

اذ حتى لو اصبحنا على ابواب القدس ، فهل الامر الوحيد الذي ينقصنا هو كيف يمكن ان نحسن حياة الجماهير ؟ ! فمشروع برنامج الجبهة الديمقراطية هو برنامج حزب ما ، اي حزب ، ولنقل شيوعي او غيره ، في ظل نظام قائم ليس هناك من تناقضات رئيسية معه غير التناقضات الاجتماعية التي تقدم الجبهة الديمقراطية برنامج عمل التغلب عليها وكأن « مهام التحرر الوطني » التي يتحدث عنها الرفيق حواتمة قد تم انجازها فعلا ، ونحن فقط الذين لا نرى ذلك !

٢ — اما النقطة الخطيرة التي تفتح الباب ليس للتعارض فقط مع الجبهة وبرنامجها بل ايضا للتناقض الرأسي معها ، فهي المتعلقة بامر التخلي الواضح عن ارضية النضال الوطني الفلسطيني التي يعبر عنها الميثاق الوطني الذي لا يجوز ومن الخطأ الفادح ان

لم نقل اكثر ، الخروج عن تحديداته الواضحة لطبيعة صراعنا مع العدو الصهيوني والامبريالية .

ان الموقف من الصهيونية كحركة عنصرية من خلق البرجوازية التجارية الاوروبية لتطويع اقطار الوطن العربي وتسهيل السيطرة الاستعمارية عليها . وان الموقف من الاستعمار الاستيطاني لبلادنا فلسطين — والموقف من التجمعات اليهودية في فلسطين ، والموقف من الاعتراف بمثل هذا الكيان العنصري الصهيوني ، ثم ان الموقف من النظام الهاشمي في الاردن وطبيعة تناقضنا معه . هذه المواقف جميعها هي التي تمثل الاساس الاستراتيجي للثورة الفلسطينية والتي حدد الموقف الواضح منها والذي لا يحمل اي التباس الميثاق الوطني والمجالس الوطنية الاثنا عشر . لذا فان اي خروج عن هذه التحديدات وهذه المواقف الواضحة هو مس بالاساس الاستراتيجي للثورة الفلسطينية لم يجرؤ عليه احد حتى الان ، ليس لانه « التابو » المقدس بل لانه الموقف الاستراتيجي الصحيح من عدونا القومي وتناقضنا الرئيسي معه ، لذا فاننا نلاحظ الان (ونحن الان خارج دائرة الاتهام الضيقة الافق) تخليا ملموسا من جانب مشروع البرنامج السياسي للجبهة الديمقراطية ، وان كان قد غلف بطبقة سميكة من التنظير « الثوري » ، فان هذا يدفعنا لكي نقف وبصوت مرتفع جدا ، ضد مثل هذا التخلي الخطير .

فماذا تضمن البرنامج ؟

(١) المسألة اليهودية والموقف منها :

لم يحدث على الاطلاق ، ومنذ كتاب « المسألة اليهودية » لماركس الذي اعتبر اول تحديد علمي لطبيعة ومستقبل التجمعات اليهودية في اوروبا ، واول موقف علمي من مسألة اضطهادهم على يد الرأسمالية الاوروبية ، وحتى الان ، وحتى عند اغلب المنظرين البرجوازيين ان وافق احدهم على وصف هذه التجمعات اليهودية او وضع هذه التجمعات ضمن اطار قومي يهودي يستتبع الاعتراف بحق هذه « الامة » في تقرير مصيرها .

وقد كان واضحا منذ البدء ، وما زال ، ان الايديولوجية الصهيونية التي جرى بعثها على يد البرجوازية اليهودية الصغيرة بدفع ودعم كاملين من البرجوازية الاوروبية لم تكن الا انعكاسا للواقع الاقتصادي والاجتماعي الذي يحيا يهود اوروبا ضمن اطاره، وان هذه الايديولوجية لم تكن الا انعكاسا مشوها لمصالح هذه البرجوازية اليهودية الصغيرة المختنقة بين الاقطاع الاوروبي المنهار وبين الرأسمالية الاوروبية الاخذة في الانحطاط ، وذلك بدليل ان اللاسامية او الاضطهاد اليهودي الذي هو ليس الا افرازا للمجتمع الطبقي الرأسمالي الاوروبي كان اداة التحريض الافضل وشبه الوحيدة التي استخدمتها الصهيونية لتحقيق الهجرة اليهودية الى فلسطين .

ومنذ بدء العمل على تحقيق المشروع الاستيطاني الصهيوني — الاستعماري في فلسطين في اوائل القرن التاسع عشر كان واضحا لدى الاستعمار البريطاني والفرنسي ان فرض الاطار القومي اليهودي وتوطينه في فلسطين ليس الا سعيا من جانب هذه البرجوازية الاوروبية التجارية الباحثة عن أسواق جديدة وعن مواد خام جديدة ، لاقامة « دولة مستقلة في سوريا وفلسطين بشكل خاص تحت السيطرة الاوروبية يقوم اليهود باستيطانها بكثافة بحيث تنشأ دولة يهودية تقوم بدور العازل بين السلطنة العثمانية ومصر » مما كان من شأنه ان يعزز النفوذ البريطاني ، كما يوضح ذلك اللورد شافتسبوري . هذا بالاضافة الى حل الازمة الداخلية للبرجوازية الاوروبية امام نضوج

الوعي الجماهيري العمالي في اوروبا ضد هذه الطبقة وسلطتها ، فجرى استخـــدام تلك التجمعات اليهودية المضطهدة ، التي فقدت موقعها الاقتصادي منذ بدء تطـــور البرجوازية التجارية الاوروبية ، وتطور القوى المنتجة ، ووفرة الفائض الانتاجـــي، وجرى استخدام ذاك التعلق اليهودي الاسطوري بالارض الفلسطينية (كما هو تعلق المسلمين بالكعبة كما يقول الماركسي اليهودي اسحق دويتشر) الذي هو بحد ذاتـــه ليس الا انعكاسا للظروف الاضطهادية التي كانت تعيشها الجماهيـــر اليهوديـــة في مجتمعات التحكم البرجوازي . وجرى استغلال « بقايا العنصر اليهودي التعس » كما يسميه دويتشر ، من قبل البرجوازيات النهمة .

وفي الاساس ، ان عملية طرد اليهود واضطهادهم من المجتمع الرأسمالي ، وتطور الرأسمالية المعاصرة ذاتها لم تبدأ الا بعد انتهاء تشكيل القوميات ، وبعد ان ضاقـــت القوى المنتجة ذرعا بالحدود القومية ، وقد ترافق القضاء على اليهود واليهودية مـــع انحطاط الرأسمالية ودخولها مرحلة الاستعمار (اعلى مراحلها) .

وكما يقول ابراهام ليون : « عوضا عن ان تكون الصهيونية نتيجة لتطور القـــوى المنتجة (كما هو الحال لدى كل التشكيلات القومية المعاصرة) فقد جاءت نتيجة لتوقف هذا التطور وتجمد النظام الرأسمالي . وبينما نرى ان الحركة القومية هي نتيجـــة مرحلة الرأسمالية الصاعدة نرى بان الصهيونية هي ثمرة عصر الامبريالية . ومـــا المأساة اليهودية التي استغلت استغلالا كاملا من الرأسمالية الاوروبية الا النتيجـــة المباشرة لانحطاط الرأسمالية » ـــ المفهوم المادي للمسألة اليهودية ـــ . لكن . لماذا نورد مثل هذا التحديد المكثف « للمسألة اليهودية » و « القومية اليهودية » ؟ ان هذه المقدمة ، وهذا التحديد الواضح لاصول « المسألة اليهودية » وكيفية نشوءها وتوضيح المبررات الحقيقية لزرع مثل هذا الكيان الصهيوني العنصري في بلادنا ، قد جـــاء بالتحديد الرد على الفقرتين أ و ب من الفصل الثاني للبرنامج السياسي الذي طرحته الجبهة الديمقراطية . هذا مع ان الدهشة والاستغراب الكاملين ما زالت تحكمنا بسبب اضطرارنا الى مناقشة فصيل فلسطيني « ماركسي ـــ لينيني » في مثل هذه المسألـــة التي عف عنها الجدل ! !

تحدد الفقرة « أ » التي تقع تحت عنوان « السمة الوطنية الديمقراطية لثورتنا » (ص ٣٠ من البرنامج) المهمة الاستراتيجية للثورة الفلسطينية «في انجاز حل ديمقراطي جذري للمسألة الوطنية للشعب الفلسطيني » . ما هي هذه المسألة ؟ « هي في جوهرها مسألة التبديد القومي (...) بسبب من الغزو الاستيطاني الصهيوني (...) واقامة دولة اسرائيل كدولة يهودية **مغلقة** (التشديد مني) تعتبر نفسها وطنا لجميع يهـــود العالم على الارض الفلسطينية » « ان هذا التبديد القومي يقود الى نشوب **تناقض قومي** محتدم بين الصهيونية وتجسيدها السياسي (اسرائيل) وبين الشعب الفلسطيني » (والتشديد مني ايضا) .

والخلاص من هذا التبديد القومي « يتوقف على النجاح اولا في انجاز حل جذري لهذا **الصراع القومي** بازالة اسبابه الجوهرية المتمثلة في مصادرة الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني على ايدي الدولة الصهيونية اساسا » ، هذا للوصول الى مستقبل فلسطين الاشتراكي .

اذن فهذه الفقرة تتضمن :

١ ـــ الاعتراض من جانب « الديمقراطية » على انغلاق « الدولة اليهودية » ، وهو

اعتراض يحمل مطالبة بانفتاح هذه « الدولة » على الجماهير والاقطار العربية كخطوة اولى لحل « التناقض القومي » بينهما !!

(٢) الاعتراف « بالتناقض القومي » يتضمن اعترافا واضحا بكيان قومي يهودي في فلسطين يعتبر الصهيونية « وتجسيدها السياسي » معبران عنه ! !

٣ ــ هذا « التناقض القومي » فجر « صراعا قوميا » تبرعت الجبهة الديمقراطية دونما تكليف بايجاد « حل جذري » له يراعي مصالح القوميتين المتصارعتين ، وذلك بان تتفضل « القومية اليهودية » وتسمح بالتخلي عن « مصادرة الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني » !!

وتحمل الفقرة « ب » ما تطلق عليه الجبهة الديمقراطية « الحل الجذري للمسألة الوطنية » وهو الحل الذي يتكون من الاربعة بنود الرئيسية التالية :

١ ــ انجاز الاستقلال الوطني للشعب الفلسطيني (وسنوضح في الصفحات القادمة السبل التي تراها الديمقراطية لتحقيق هذا الانجاز)

٢ ــ اقامة دولة ديمقراطية موحدة في فلسطين (اي تواجد القوميتين المتصارعتين في اطار سياسي واحد) .

٣ ــ اعلان المساواة القومية الكاملة بعيدا عن اياضطهاد او تمييز قومي اوعنصري او ديني .

٤ ــ الارتباط بعلاقات وحدوية مع سائر اقطار الوطن العربي .

كيف يمكن التوصل الى مثل هذا « الحل الجذري » ؟

ان هذا يتطلب ، في تقدير الجبهة ، سلسلة من التدابير (لا اكثر) السياسية الملموسة ، وتتمثل في :

١ ــ فرض الاعتراف العملي بالوجود الوطني المستقل للشعب الفلسطيني وحقه في تقرير مصيره بحرية في اطار دولة وطنية مستقلة .

٢ ــ اقرار حق جميع اللاجئين الفلسطينيين في العودة الى ديارهم الاصلية .

٣ ــ الغاء قانون العودة الصهيوني ووضع حد للهجرة الصهيونية .

٤ ــ الغاء كافة مظاهر التمييز القومي والعنصري والديني .

هذا البرنامج السياسي العريض الذي تضعه وتتبناه الجبهة الديمقراطية «لتحرير» فلسطين يستاهل النقاش من جانبين :

١ ــ مسألة الاعتراف بـ « القومية اليهودية » والدعوة الى المساواة القومية .

٢ ــ الكشف عن التناقضات والمغالطات التي يتضمنها البرنامج ذاته .

كما هو واضح فان مشروع برنامج الجبهة الديمقراطية يقوم على قاعدة الاعتراف البديهي وغير المشروط والذي ليس بحاجة حتى الى الحاقه ببعض المبررات ، بالقومية اليهودية ، وهو الهدف الذي تقوم على اساس تحقيقه بنية الكيان الصهيوني ، الذي لم يترك وسيلة ما منذ قيامه الا وعمل بها من اجل نيل هذا الهدف المحوري : الاعتراف

بكيانه القومي . وبدون اي ثمن ، وبدون اي شرط تتقدم الجبهة الديمقراطية بكل مروءة لتقدمه له مرفقا بالاعتراف بالجميل .

ونحن نريد القول انه اذا كان الامر الواقع من حيث هو كذلك ، وبصرف النظر عن صوابه او خطأه ، يفترض الاعتراف به واقراره ، فان جميع الاقليات في كل المجتمعات ، وان جميع الدعوات الكيانية القومية الفاشيستية ، مدعوة لتقديم طلباتها الى الجبهة الديمقراطية لكي تمنحها صك الاعتراف بها .

وفي واقع الامر ان هذا ليس تطاولا ، اذ اننا نستطيع ان نفهم الان خلفية الاعتراف الفوري والغريب من جانب الجبهة الديمقراطية بالحركات الانفصالية في كل من الصحراء المغربية والعراق !

فتحت شعار حق الامم في تقرير مصيرها يستطيع اي تجمع في عرف الجبهة الديمقراطية ان ينتزع استقلاله « القومي » . مما يفقد — بالتالي — قتالنا المحتد منذ عام ضد القوى الانعزالية في لبنان كل مسوغاته وكل حججه ، طالما ان العمود الفقري للهجمة الانعزالية هو هدفها بتقسيم لبنان وتشكيل كيانها القومي .

وفي وقت لم تجد فيه جميع الادبيات الماركسية (على اعتبار ان الجبهة الوطنية تسترشد بالماركسية — اللينينية ومبادىء الاممية البروليتارية كدليل للعمل) حلا لـ « المسألة اليهودية » وللتجمعات اليهودية في كل مكان ، ولهذا « الشعب — الطبقة » — وهو اقصى حد من الاعتراف بطبيعة كيانيتها نالتها هذه التجمعات .

في وقت لم تجد فيه جميع هذه الادبيات حلا الا بتحقيق ديمقراطية بروليتارية واسعة تستطيع ان تستوعب وتدمج هذه التجمعات اليهودية ضمن اطرها .

في هذا الوقت ، تقوم الجبهة الديمقراطية متخطية جميع الحواجز ، ومتجاوزة لكل الادبيات والاعراف والمواثيق والبرامج لتقدم اعترافها الكامل بالقومية اليهودية ، وهو التناقض المضحك .

فالجبهة الديمقراطية تعتب على دولة العدو الصهيوني لانغلاقها غير المبرر ، اذ لو فتحت ابوابها على هذا العالم العربي الواسع منذ البدء لالغيت على الفور كل التناقضات معها ، ويبدو ان الجبهة الديمقراطية كانت تريد ان تستغل الكيان الصهيوني اذ ان فتح ابوابه يعني ذوبانه وذوبان كيانه القومي في هذا البحر القومي العربي !

وطالما ان مثل هذا الاستغفال لم يتم — فلا بد من الاعتراف بقومية هذا الكيان الصهيوني — لكن المسألة لا تتوقف عند هذه الحدود . اذ هناك التناقض القومي المحتدم بين الصهيونية وتجسيدها السياسي (اسرائيل) وبين الشعب الفلسطيني ، هذا التناقض الذي فجر الصراع ، اذن لا بد من العمل على ايجاد حلول جذرية لمسألة الصراع هذه — وهي مسألة بسيطة للغاية ، اذ لا تتطلب اكثر من الاعتراف بالحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني !

هذا دونما اي اعتبار ، ودون ان يساور الجبهة الديمقراطية اي قلق ، من تناقض ما بين طرحها وبين مواد الميثاق الوطني الفلسطيني التي تشكل الارضية التي تقوم عليها منظمة التحرير الفلسطينية التي تعتبر الجبهة الديمقراطية نفسها جزءا منها وعضوا في لجانها وكان الميثاق قد اتخذ موقفا بالغ الوضوح لا يحتمل اي التباس من هذه المسألة ، الا اذا كانت الجبهة الديمقراطية قد اصبحت ترى في هذا الميثاق ، موقفا رجعيا — عينيا لم يراع مقتضيات ومتغيرات العصر !!

ففي مادته الاولى يؤكد الميثاق ان « فلسطين هي وطن الشعب العربي الفلسطيني». وفي مادته الثانية يؤكد الميثاق ان « فلسطين بحدودها التي كانت قائمة في عهد الانتداب البريطاني وحدة اقليمية لا تتجزأ » .

اما بالنسبة للتجمع اليهودي في فلسطين فيؤكد الميثاق في مادته السادسة ان « اليهود الذين كانوا يقيمون اقامة عادية في فلسطين حتى بدء الغزو الصهيوني لها يعتبرون فلسطينيين » .

هذا هو الحل واضحا كما يراه الميثاق الوطني ، للجانب السياسي للمسألة ، اما الجانب النظري فيوضحه حين يؤكد في مادته العشرين على « اليهودية بوصفها دينا سماويا وليست قومية ذات وجود مستقل . وكذلك فان اليهود ليسوا شعبا واحدا له شخصيته المستقلة وانما هم مواطنون في الدول التي ينتمون اليها » .

اذن . فما الذي جرى ، وما الجديد الذي طرأ حتى تطرح الجبهة الديمقراطية مثل هذا التعديل او النقض الصارخ لمواد الميثاق الوطني ، وهي التي تعرف انه لا يحق لها تعديل هذا الميثاق الا باكثرية ثلثي مجموع اعضاء المجلس الوطني لمنظمة التحرير الفلسطينية ، وفي جلسة خاصة يدعى اليها من اجل هذا الغرض .

ما الذي طرأ لكي تضع الجبهة الديمقراطية نفسها على طرفي نقيض مع جميع البرامج والقرارات السياسية الصادرة عن المجالس الوطنية الفلسطينية التي شاركت في معظمها ؟!

وما الذي طرأ لكي تضع الجبهة الديمقراطية نفسها على طرفي نقيض مع نفسها ، ومع ادبياتها ذاتها .

ففي كتيب نشرته الجبهة الديمقراطية تحت عنوان « العمل بعد حرب تشرين » لم تبرد سخونته بعد ، يحدد امينها العام ما يسميه بـ « منطق العصر » حيث يؤكد « ان منطق العالم ومنطق العصر الذي نعيشه هو منطق الحاق الهزائم المتتالية بالامبريالية والكيانات العنصرية سواء في فلسطين او في افريقيا ،فان جميع هذه الكيانات العنصرية التي ولدت على ارض شعوب تم اقتلاعها وتبديدها من اراضيها قد ولدت في مرحلة تاريخية ماضية ، تم فيها تزاوج شامل بين الحركة الاستعمارية العالمية وحركات الغزو الاستعمارية الاستيطانية مثل الحركة الصهيونية . ان هذه المرحلة قد اخذت تشهد بداية نهايتها » .

ونحن نستغرب ونسأل حين نرى الرفيق حواتمة والجبهة الديمقراطية يلاحظان المراحل التاريخية بمثل هذه الدقة وهذا الجزم ، ما الذي دعا الى مثل هذا « التكويع » بنسبة ١٨٠ درجة ، وخصوصا انهم لم يتركوا فرصة الا ليكيلوا فيها لاصحاب « النظرة الاستراتيجية التحريفية للقضية الفلسطينية » — يستحسن مراجعة الموضوعات السياسية الصادرة عن المجلس الوطني العام الاول للجبهة الديمقراطية—.

اذن . نريد ان نسأل باختصار : هل نشهد الان تطويعا للموقف الاستراتيجي او ليا لعنقه لصالح موقف سياسي راهن ومطلوب كان وراء مثل هذا الاعتراف المجاني « بالقومية اليهودية » ، بل مثل هذا الاعتراف المجاني بالكيان الصهيوني نفسه ، على اعتبار ان المطلوب ليس الغاء للكيان الصهيوني — ولا اعترافا منا به — فهو امر واقع والاعتراف به تحصيل حاصل ، بل المطلوب هو اعتراف هذا الكيان بنا — اي بكيان فلسطيني اخر على الارض الفلسطينية !! ؟

تناقضات البرنامج :

لا نريد أن نوضح اولا ان ليس همنا اقتناص الاخطاء في هذا البرنامج . بل اننا ننطلق من موقع الاحترام لدور الجبهة الديمقراطية النضالي ولبرامجها ومواقفها السياسية .

لكننا نشير الى نقطتي تناقض وقع بهما برنامج الجبهة الديمقراطية اثناء عملية بحثه عن « حل جذري للمسألة الوطنية » !

فمشروع البرنامج يقوم على قاعدة مبدأ حق الامم في تقرير مصيرها ، اي وكما انه يطالب باعطاء الشعب الفلسطيني حقه في تقرير مصيره ، كذلك فقد قدم حق « الامة اليهودية » في تقرير مصيرها . وهنا وقع في نقطتي التناقض :

الاولى : حين فرض على « الدولة اليهودية » في فلسطين شرط الانضمام الى « دولة ديمقراطية موحدة في فلسطين » ، وذلك دون ان يراعي حق هذه « الدولة » بالانفصال ورفض الوحدة ، وهو مبدأ لازم ولا مناص منه .

والثانية : حين فرض ضرورة « الغاء قانون العودة الصهيوني » وهذه سقطة قانونية اخرى ، اذ طالما انه اعترف بحق هذه « الامة » في دولتها في فلسطين ، فلماذا يقف ضد حق « الدولة » ، في استدعاء شعبها الى كيانه القومي .

واضافة الى ذلك هناك تناقض واضح وغريب بين تعريف البرنامج للحركة الصهيونية بانها « تعبير سياسي قومي زائف عن طموح البرجوازية المتوسطة والصغيرة اليهودية ، الحرفية والصيرفية » ــ ص ٤ ــ وبين الاعتراف بهذا التعبير السياسي القومي ذاته بعد ان اصبح امرا واقعا في فلسطين !

(٣) من « الحل الديمقراطي للمسألة الفلسطينية » الى « الحل الجذري للمسألة الوطنية » .

لا شك انه يذكر للجبهة الديمقراطية دائما انها سباقة الى العمل على برمجة النضال الفلسطيني وتنظيمه ، وذلك منذ طرحها للدولة الديمقراطية في فلسطين ، والى هذا البرنامج ، مرورا بطرح مسألة « السلطة الوطنية في الاراضي التي يتم تحريرها » ، ورغم حرص الجبهة على « طليعية » معينة في هذا المجال ، الا انه يبدو ان شدة اندفاعها وتحمسها لطرحها هو الذي يوقعها في مثل هذه المآزق النظرية والسياسية .

وكانت الجبهة قد طرحت ، وبعد اشهر من اعلانها عن نفسها عام ١٩٦٩ ، تصورها الخاص « لحل ديمقراطي للمسألة الفلسطينية » ، وقد راعى هذا الحل النقاط الرئيسية التالية :

١ ــ رفض الحلول الشوفينية والرجعية الصهيونية ــ الاستعمارية ، والقائمة على الاعتراف بدولة اسرائيل .

٢ ــ رفض الحلول الشوفينية الفلسطينية والعربية القائمة على ذبح اليهود ورميهم بالبحر .

٣ ــ وهذا هو محور الحل ، النضال من اجل حل ديمقراطي شعبي للمسألة الفلسطينية والمسألة الاسرائيلية يقوم على ازالة الكيان الصهيوني ، وانشاء دولة فلسطينية ديمقراطية شعبية يعيش فيها العرب واليهود بدون تمييز .

٤ ــ هذه الدولة تصبح جزءا لا يتجزأ من دولة اتحادية عربية .

اذن ، فان هذا الحل يقوم على رفض الاعتراف بما يسمى « اليهود » في اقامة كيان قومي في فلسطين ، بل هو يلغي عنهم اي تشكيل قومي وهو يلتقي بذلك مع اساس الميثاق الوطني الفلسطيني ، ولا يطرح حلا للتجمع اليهودي في فلسطين غير الاندماج ضمن الدولة الفلسطينية ذات القوميه الواحدة (العربية) .

فما الذي دعا الجبهة الديمقراطية الان ، عبر برنامج « الحل الجذري » هذا ان تدعو الى دولتين وكيانين وقوميتين في فلسطين ، ونحن لا نسأل عن التناقض بين البرنامجين اذ قد تجد الجبهة تبريرا لذلك ، لكن نسأل عن مبررات هذا الطرح الجديد، في ظرف نجد فيه ان العدو الصهيوني والامبريالية الامريكية والغربية عموما تقاتل بشراسة غير محدودة من اجل انتزاع الاعتراف العربي والفلسطيني بشرعية الكيان الصهيوني . اي ان السؤال هو : ما هي خلفية هذا التبرع المجاني العجيب الذي تتقدم به الجبهة ، في حين انه قد اصبح واضحا وبشكل ملموس ، وخلال المعركة العظيمة التي تشهدها الساحة اللبنانية ان مسألة المراهنة على مشروع السلطة الوطنية الفلسطينية المستقلة لا تقوم ، وخصوصا في هذه الفترة ، وضمن موازين القوى الراهنة ، على اي اساس موضوعي . لماذا هذا الاقتراب الشديد من مشروع تقسيم فلسطين الاستعماري في حين ان الاتجاه العام الذي اصبح قائما في الثورة الفلسطينية هو الدعوة الى تأكيد وتصلب بالخط الاستراتيجي للثورة الفلسطينية .

واعتمادا على كل المبادرات السابقة للجبهة الديمقراطية كنا ننتظر فعلا ان تقوم بطرح برنامج جديد للساحة الفلسطينية يؤكد على هذا النهج ، ويشدد على هذا الاتجاه ، لذا فان علامات الاستفهام والتعجب ما تزال قائمة وبحاجة الى اجابة .

(٤) البرنامج المرحلي .. وبرنامج العمل في الضفة الغربية وقطاع غزة .

بذات الوقت الذي طرحت فيه الجبهة الديمقراطية هذه المهام الاستراتيجية امام الثورة الفلسطينية لتتبناها وتعمل على تحقيقها ، فهي قد طرحت ايضا مهمات راهنة ومباشرة جمعتها في اطار « برنامج نضالي مرحلي ملموس » يرسم « سياسة تمكن من التحويل والتغيير المطرد لنسبة القوى الراهنة في صالح توفير شروط الانتصار الثوري الحاسم » فما هي هذه المهمات ؟

اولا ان « المحور المركزي » لهذا البرنامج المرحلي هو النضال من اجل طرد الاحتلال الاسرائيلي . لكن كيف ؟ بالتالي :

١ ــ مقاومة كافة اجراءات الاحتلال في مصادرة وشراء الارض .

٢ ــ حماية الاقتصاد الوطني من اجراءات الدمج والتدمير والضرائب .

٣ ــ تنظيم نضال الطبقة العاملة ضد الاستغلال والتمييز .

٤ ــ حماية الحريات المدنية .

٥ ــ ضمان حق النساء والطلبة والمعلمين والشبيبة وسائر فئات الشعب في اقامة منظماتهم الجماهيرية والمهنية .

٦ ــ حماية الثقافة والتراث الوطني وبرامج التعليم والمقدسات الدينية .

ويبدو ان الجبهة قد غفلت او تغافلت عن شكل النضال ضد الاحتلال ،اذ ان الواضح والغريب ان البرنامج قد تغافل عن ذكر اي اشارة عن المبدأ الذي يكون المادة التاسعة من الميثاق الوطني ، والذي يشكل سقف النضال الوطني الفلسطيني ، والذي لم يخل اي برنامج واي ميثاق واي موقف واي نظام داخلي فلسطيني منه وهو مبدأ « الكفاح المسلح » الذي يؤكد عليه الميثاق الوطني من حيث انه «**الطريق الوحيد لتحرير فلسطين، وهو بذلك استراتيجية وليس تكتيكا ، ويؤكد الشعب العربي الفلسطيني تصميمه المطلق وعزمه الثابت على متابعة الكفاح المسلح والسير قدما نحو الثورة الشعبية المسلحة لتحرير وطنه**» .

ان الواضح تماما ان برنامجا مثل هذا يمكن ان يكون برنامجا نموذجيا لحزب معارضة يناضل نضالا اجتماعيا لالغاء التسلط والقهر الطبقي ، وهو برنامج يمكن ان يكون صالحا للحزب الشيوعي الاسرائيلي (راكاح) مثلا . لكن ما علاقة كل ذلك بوضع كوضعنا ، يخضع فيه الوطن الفلسطيني كله للاحتلال ونباشر نحن كثوره فلسطينيه قتالا مريرا وعلى شتى الاصعده وبشتى الوسائل ضد الاحتلال ، واول هذه الوسائل الكفاح المسلح ؛ والغريب في الامر ان الجبهه الديمقراطيه تؤكد ان هذا هو برنامج المهمات الراهنه والمباشره فكيف يمكن حل هذه المعادلة طالما ان المهمه الرئيسيه والمحوريه هي « دحر وانهاء الاحتلال الاسرائيلي » ؛ ليس هنا ان نطرح علامات الاستفهام ، او نحدد اتهامات معينه ، لكن المطلوب فعلا هو توضيح المبررات لهذا التخلي الكامل والنهائي عن سقف النضال الوطني الفلسطيني : الكفاح المسلح ؛ وما هي مبررات طرح مثل هذه المهمات المطلبيه في اطار صراع اجتماعي تحت حيمه نظام لا نعرف كنهه ؛ اين ومتى وفي ظل اي نظام سنباشر النضال لتحقيق مثل هذه المهمات ؛

٥ ــ البرنامج المرحلي .. وبرنامج العمل في الاردن :

ان هذا البرنامج كذلك يتضمن تخليا غريبا ومدهشا عن احد الشعارات الاساسية التي طرحتها الثورة الفلسطينية ، والجبهة الديمقراطية على رأسها ، وهو شعار : اسقاط النظام الاردني. وتبعا لذلك لم تطرح الجبهة الديمقراطية وسائل النضال لتحقيق المهمات التي يجب النضال لتحقيقها في الساحة الاردنية وهي :

١ ــ الغاء النفوذ الامبريالي في البلاد وانجاز التحرر الوطني الكامل وتعزيز استقلال البلاد عن المساعدات الاجنبية الاستعمارية وبناء اقتصاد وطني انتاجي . ولم يذكر البرنامج كيف يمكن تحقيق ذلك ؟

٢ ــ انجاز اصلاح زراعي جذري وفقا لقاعدة « الارض لمن يحرثها » .

٣ ــ اطلاق الحريات الديمقراطية .

٤ ــ تطوير الجيش وتطهيره من العمالة والفساد والرشوة .

٥ ــ الاعتراف غير المشروط بالحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني .

٦ ــ انتهاج سياسة تعليمية وطنية وديمقراطية .

٧ ــ تحرير المرأة ومساواتها بالرجل .

كل هذه المهمات في وقت يؤكد فيه البرنامج وفي نفس الصفحة ان الطبقة الحاكمة الاردنية التي تتكون من تحالف كبار الملاكين والبورجوازية الكمبرادورية والبيروقراطية الرجعية والارستقراطية الملكية ، هي التي تشكل العائق الرئيسي امام تطور البلاد وطنيا وديمقراطيا ، دون ان يطرح البرنامج رغم هذا الاعتراف الواضح بمثل هذا العائق الرئيسي اية اشارة الى ضرورة اسقاط حكم هذه الطبقة او هذا العائق ؟!! بل بالعكس ، فان هذا البرنامج يطالب او يناشد ربما (طالما انه لم يقترح شكل النضال ضدها) هذه الطبقة الحاكمة بان تفتح الباب لتحقيق مثل هذه المهمات !!

ثم ان لمن له اي اطلاع ولو جزئي على البرامج السياسية التي تطرح لكي تشكل دليل عمل الجماهير ضد نظام ما يعرف ان هكذا برنامج يطرح في العادة للنضال ضد حكم برجوازي معين لاحداث تغييرات اساسية على مساره السياسي والاجتماعي والاقتصادي ، لكن ان يطرح نفس هذا البرنامج للنضال ضد حكم كبار الملاك والبيروقراطية والارستقراطيه الملكيه ، فهذه معادله اخرى تحتاج الى حل !

الملاحظة الاولى :

بالاضافة الى التناقضات والمغالطات العديدة التي يقع فيها البرنامج ، وبالاضافة الى المنهج الانتقائي الذي لا يمت بصلة الى المنهج المادي الجدلي فيتحليل الواقع واقتراح الحلول لمعضلاته ، فان البرنامج غفل او تغافل عن مسألة خطيره اخرى . اذ في نفس الوقت الدي نوقش فيه هذا البرنامج واقر وجرت المصادقة عليه من جانب اللجنة المركزية للجبهة الديمقراطية ، ثم صدر وعرض في مؤتمر صحفي عالي الرنين كانت الجماهير الفلسطينية واللبنانية تخوض معركة ضارية ضد التحالف الامبريالي — الصهيوني — الرجعي في لبنان ، وكانت دماء مقاتلينا وجماهيرنا الفلسطينية واللبنانية تضمخ ارض لبنان العربي ، وكانت حركة التحرر العربي تحقق في معركتها بلبنان انعطافة نوعية خلاقه تدفع الحركة كلها عشرات الخطى الى الامام . ورغم كل ذلك فان الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين لم تجد اي مبرر لكي تضمن برنامجها ، الذي هو برنامج الثورة الفلسطينية كلها ، ولو اشاره واحده بسيطه الى هذه المعركة !! وفي حين انها طرحت المهمات العديدة امام الجماهير الفلسطينية في كل الساحات الا انها غفلت او تغافلت عن ان تطرح ولو مهمة واحدة امام الجماهير الفلسطينية في لبنان ، التي يتفق الجميع ، وبمن فيهم الجبهة ، انها تخوض معركتها المصيرية والحاسمة ؟؟!!

الملاحظة الثانية :

في اواسط كانون الثاني ١٩٧٦ صدرت نشرة « الوطن » التي يصدرها « التنظيم الشيوعي الفلسطيني في الضفة الغربية » وهي تحمل مقالا رئيسيا بعنوان : فلتتوطد نجاحات منظمة التحرير ببرنامج واقعي لتسوية عادلة . وفيه تؤكد « الوطن » ان الفضل الاساسي لتحقيق نجاحات منظمة التحرير السياسية يعود « للمساندة المادية والمعنوية التي قدمتها الشعوب العربية وانظمتها الوطنية والاتحاد السوفيتي والبلدان الاشتراكية » وانه لولا هذا الدعم « لما كان بالامكان تحقيق مثل هذه النجاحات » !!

اذن فعلى منظمة التحرير ان تعرف المعطيات الحقيقية للمرحلة الراهنة . وهذه المعطيات تتطلب من منظمة التحرير التالي :

١ ــ اعلان التخلي عن شعار الدولة الديمقراطية العلمانية بحجة ان الشعار لـــم ينل قبول السكان اليهود !!

٢ ــ اعلان الموافقة على حضور مؤتمر جنيف !!

٣ ــ اعلان الاستعداد للدخول في تسوية سياسية !!

الملاحظة الاخيرة :

★ هل هناك من يرى رابطا ما بين معطيات هذا « التنظيم الشيوعي » وبين برنامج الجبهة الديمقراطية ؟

الاستيطان :

بين الدافع الايديولوجي والخطة السياسية

صبحي طـه

مقدمة عامة :

ان لظاهرة الاستيطان الاسرائيلي ابعاد تاريخية ارتبطت بالحركة الصهيونية منذ نشوءها وحتى الوقت الحاضر ، فقد شكلت سياسة الاستيطان ، والهجرة حجر الزاوية الرئيسي في تنفيذ المشروع الاغتصابي الصهيوني خلال مراحله الاولى وحتى قيام « الدولة اليهودية » عام ١٩٤٨ .

استمرت عمليات الاستيطان بعد ذلك حينما برزت ظواهر جديدة اهمها تبعثر المستوطنين الصهيونيين في مدن الساحل الفلسطيني وابتعادهم عن المناطق الاخرى في الشمال والجنوب التي بقيت اقل من غيرها عرضـة للتوغل السكاني اليهودي . وقد كانت الغاية وراء انشاء المستوطنات تكريس واقع الاحتلال الصهيوني من خلال الانغراس في الارض التي لا يتواجد فيها اليهود بكثرة وذلك بقصـد اعادة التوزيـع الديموغرافي بما يتلائم واهداف الكيان الصهيوني في خلق اوضاع يكون لليهود اغلبية راجحة في كل المناطق التي تشملها حدود « دولة اسرائيل » .

بيد ان جميع الاجراءات العملية التي تم تنفيذها لتحقيق هذا الغرض لم تستطع ان تحقق التفوق العددي لليهود على السكان العرب في تلك المناطق بالنسب المرجوة. فبناء مدينة الناصرة العليا وسلسلة المستوطنات التي اقيمت في شمال فلسطين كذلك تطوير مدينة بئر السبع وتوسيع مستعمرة سيدي بوكر ومدن الساحل في الجنوب لم تؤثر ـ بشكل كبير ـ على اوضاع تلـك المناطق خاصـة امام ظاهرة النمـو الديموغرافي الواسع للسكان العرب في الجليل والجنوب (النقب) . ان هذا يفسر لنا بشكل كاف القلق المتزايد الـذي تبديه الاوسـاط الصهيونية ازاء مستقبل تلك المناطق ، ويوضح حاليا اهداف مخططات السلطات الاسرائيلية وسبب تركيزها على تهويد منطقة الجليل من خلال زيادة المبالغ المخصصة لتوزيع استثمارات البناء ضمن مشاريعها الاستيطانية الحالية . ففي شهـر شباط ١٩٧٥ اعلـن اسحق رابين ـ رئيس وزراء العدو « ان الحكومة الاسرائيلية قررت منح افضلية الجليل (في مجال الاستيطان) اكثر من اي وقت مضى » وقال « ان هذا الاسلوب في راينا افضل حتى من نقط الاستيطان (الاخرى) فحدود الشمال والجليل كله منطقة حساسة ويجـب الا توطن زراعيا فقط بـل باشكال استيطـان اخـرى كاقامة المدن والقـرى الصناعية . . . (١) » وفي اوائل شهر تشرين الثاني عام ١٩٧٥ كشف النقاب عـن خطة واسعة اعدتها دوائر الاستيطان الاسرائيلية تقضي « بزيادة عدد المستعمرات

ليهودية في منطقة النقب وستقام في تلك المنطقة ــ كمرحلة اولى ــ ثلاث مستعمرات
حديثة بالقرب من بيرعسلوج تحمل اسماء « اشاليم ، وبيبيم ، مسآبي ساديه» (٢) »

وعلى صعيد المناطق المحتلة عام ١٩٦٧ فان الرسم البياني لحركة الاستيطان يشير
لى ارتفاع ملحوظ في عدد المستوطنات في كل من الجولان والضفة الغربية وقطاع
زة وشمال سيناء . فبالاضافة الى اهتمام سلطات الاحتلال بتعزيز وتطوير نحو ٦٥
ستوطنة اقيمت خلال سنوات الاحتلال التسع الماضية فانه يعمل على انشاء
ستوطنات اخرى يعتبرها العدو ذات اهمية استراتيجية وامنية واقتصادية لكيانه(٣)،
ل على ذلك ازدياد حجم الاستثمارات المخصصة لمجال الاستيطان في موازنة العدو
لصهيوني في العام الماضي بمقدار يزيد عن ثلاثة اضعاف ما خصص لمجال الاستيطان
ي عام ١٩٧٤ (٤) .

على ان ثمة صعوبات مختلفة تقف في وجه العدو في تنفيذ مخططاته الاستيطانية ،
بالاضافة الى ردود الفعل القوية من جانب السكان العرب ضد اجراءات العدو
صادرة الاراضي واقامة مستعمرات على الارض المحتلة . فهناك نقصا شديدا في
دد المستوطنين الراغبين في الاقامة في تلك المستوطنات ، وخاصة بعد الانخفاض
لتزايد الذي طرأ على معدلات الهجرة اليهودية من الخارج خلال الفترة التي تلت
رب تشرين (اكتوبر) ١٩٧٣ . وفي الوقت الذي اعلن فيه وزير الاسكان الاسرائيلي
ن « نقاط الاستيطان ستزداد عام ١٩٧٥ بمعدل ٥٠ ٪ مقابل العام الذي سبقه سواء
ن حيث عدد الوحدات او المال اللازم (٥) » اشار الى « ان المشكلة ليست اقامة
ستوطنات جديدة وانما ايجاد المستوطنين ليقيموا فيها (٦) » وقد اكد يتسحاق
فائيل ــ وزير الاديان ــ تلك الظاهرة عندما قال « ان ٣٠ مستوطنة على الاقل
ستقام خلال العام الحالي (١٩٧٥) خارج الخط الاخضر .. ولكن للأسف ليس هناك
دد كاف لاسكان هذه المستوطنات التي ستقام ، وتلك التي ستقام في المستقبل
بعيد (٧) » .

ونظرة سريعة لعدد المستوطنات في المناطق المحتلة واعداد الافراد القاطنين فيها
ن لنا بوضوح حجم تلك الظاهرة . فقد دلت الاحصاءات الاسرائيلية « ان ٤٤
ستوطنة تحوي فقط نحو ٤١٠٠ نسمة موزعين على الشكل الآتي : ــ الجولان : ١٨
ستوطنة بلغ عدد افرادها ٢٫٠٠٠ نسمة غور الاردن : ١٢ مستوطنة ١٥٠٠ نسمة،
ح وسيناء ٦ مستوطنات بلغ عدد افرادها ٦٠٠ نسمة ، وتلك المستوطنات تضم
١ مستوطنة تعاونية ، و ١١ كيبوتس ، و ٨ مستوطنات ناحال ، و ٣ مراكز قطرية ،
/ مستوطنات اخرى (٨) » .

ومن جهة اخرى فهناك الازمة الاقتصادية التي يعانيها العدو والتي اثرت ــ ولو
كل ضئيل ــ على مشاريع الاستيطان التي يخطط العدو لتنفيذها ، فقد اعترف
ير الاسكان الاسرائيلي ان « ثمة تخلف في مشاريع البناء (للمستوطنات) يصل الى
ود ١٥ ٪ نتيجة ارتفاع الاسعار (٩) » .

امام هذا الواقع تبدي السلطات الصهيونية اهتماما خاصا لحل تلك المعضلات
ن برنامج مخطط ومدروس وضع على رأس اولوياته اقامة مستوطنات مدينية
صناعية الى جانب انشاء قرى زراعية وتعاونية اخرى . وقد حظيت مدينة القدس
لمناطق المجاورة لها ، كذلك مستوطنة كريات اربع ومدينتي ياميت (في مشارف
ح) ومدينة اوفيرا (في شرم الشيخ) ؛ على النصيب الاكبر من موازنة العدو

المخصصة لمجالات الاستيطان . اضافة الى النشاط المتزايد لانشاء مستوطنات صناعية في الخان الاحمر واقامة انوية اخرى مشابهة في وسط الجولان وشمال سيناء.

سياسة التهجير الوجه الآخر للاستيطان .

تشكل الارض المحتلة الواقع المادي الملموس الذي يجري فوقه عمليات الاستيطان والتهويد وعلى ذلك ارتبطت مسالة الاستيطان تاريخيا بسياسة التهجير (او التفريغ) التي تمارسها سلطات الاحتلال ضد المواطنين العرب . واذا كانت تلك السياسة تنسجم مع المنطلقات الصهيونية فانها جاءت ايضا لدوافع تكتيكية واستراتيجية في اطار الهدف الصهيوني لتكريس واقعه الاحتلالي والمحافظة على « نقاء » كيانه العنصري . فقد شكل ما يزيد عن مليون ونصف مواطن عربي يعيشون في ظل الاحتلال الصهيوني مصدر قلق رئيسي للزعامات الصهيونية ، ويعتبرون اهم المشاكل الرئيسية التي تهدد كيانهم العنصري على المديين المتوسط والبعيد . وبالرغم ان اجراءات العدو لتهجير المواطنين العرب وطردهم من الوطن المحتل قد اثرت على الاوضاع السكانية والاجتماعية والسياسية للمجتمع الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين ، الا انها لم تحقق الهدف الصهيوني المطلوب خاصة بعد خيبة الامل التي اصيبت بها الهيئات الرسمية الصهيونية على صعيد الهجرة اليهودية وبعد ارتفاع معدلات الزيادة السكانية الطبيعية للسكان العرب في المناطق المحتلة .

وامام التزايد السكاني العربي في مناطق الجليل والنقب يمضي العدو في تنفيذ مخطط يرمي الى تهويد الجليل بالدرجة الاولى من خلال انشاء مستوطنات زراعية وصناعية مختلفة بهدف خلخلة الوضع الديموغرافي وتفتيت البنية السياسية والاجتماعية للمدن والقرى التي تتمتع باغلبية كبيرة للمواطنين العرب .

وعلى صعيد المناطق المحتلة عام ١٩٦٧ فقد برزت مشاريع متعددة لانشاء مستوطنات مدينية كبيرة ضمن المناطق التي يعمل العدو على ضمها ، في وقت يعمل فيه وبمختلف الوسائل لترحيل اكبر عدد ممكن من السكان العرب من اجل تخفيف قوة النمو السكاني عموما ، وزرع المستوطنين الجدد ضمن الاحياء الذي خصصها لهم في القدس ومشارف رفح وشرم الشيخ .

ويمكن تحديد الوسائل التي ينتهجها العدو في هذا المجال كما يلي :

١ ــ سياسة الجسور المفتوحة : فقد ساهمت في دفع وتيرة النزوح الفلسطيني الى خارج الوطن المحتل ، وخاصة بعد ان قامت سلطات الاحتلال بتقديم تسهيلات كبرى للمواطنين العرب وفق تصاريح السفر المؤقتة التي تمنحها للطلاب والعمال ومختلف الفئات الاخرى .

من جهة اخرى فقد تركت سياسة « الدمج اقتصادي » التي استخدمها العدو للتعامل مع « اقتصاديات الضفة والقطاع » آثارا سلبيه ليس فقط على صعيد اضعاف اسس وبنية الاقتصاد الوطني في المناطق المحتلة ، وانما ايضا على ازدياد عوامل الهجرة العربية الى الخارج . فقد ازدادت معدلات النزوح « المؤقت والدائم » عندما تفاقمت اوضاع العدو الاقتصادية خلال الاعوام التي تلت حرب تشرين ١٩٧٣ . ففي تحقيق نشرته صحيفة « دافار » الاسرائيلية بينت ان « ثمة تحولا في توجه قسم كبير من العمال العرب في الارض المحتلة » حيث قالت انه « بسبب الأزمة الاقتصادية (الاسرائيلية) والازدهار في دول النفط العربية زاد عدد المغادرين الى شرق الاردن

ودول النفط ... وان تلك الظاهرة ستزداد اتساعا اذا تفاقم الوضع الاقتصادي وتعاظمت البطالة » (١٠) . وفي احصاء نشرته صحيفة عل همشمار في اواخر العام الماضي اوضحت ان « ١٣ر٢٦٧ شخصا من ذوي المهن والكفاءات والمثقفين غادروا الضفة الغربية المحتلة الى الدول العربية (١١) » .

٢ ــ نشاطات المؤسسات الصهيونية بالتعاون مع بعض السفارات الاجنبية لتشجيع هجرة الشباب العربي في المناطق المحتلة الى دول اوروبا واميركا الشمالية وكندا واستراليا . وقد كشفت الصحف العربية الصادرة في الوطن المحتل بمناسبات كثيرة عن نشاط تلك المؤسسات واستجابة بعض المواطنين العرب لها ضمن مخطط العدو في تفريغ المناطق المحتلة .

ومن جهة اخرى فان سلطات الاحتلال تعمل من اجل زعزعة التجمعات السكانية وخاصة ضمن المناطق العربية التي ينوي العدو اقامة مستوطنات عليها . ففي منطقة مشارف رفح عمد العدو على طرد « حوالي ١٥٣٠ عائلة عربية » (١٢) ، يقدر عدد سكانها بنحو ٢٠ الف نسمة من اراضيهم بغية اقامة مستوطنات عليها . اضافة الى نقل عدد من سكان مخيمات اللاجئين في قطاع غزة الى مناطق اخرى في الضفة الغربية .

ويركز العدو حاليا على مسألتين : ــ

الاولى : توطين اللاجئين الفلسطينيين في قطاع غزة ، وتخصص السلطات مبالغ متزايدة ضمن موازنتها المالية لتحقيق هذا الهدف ، ففي عام ٧٣ ــ ٧٤ انفق نحو ٥٠ مليون ليرة اسرائيلية لتوطين بعض اسر اللاجئين في المخيمات .. وقد زاد حجم الاستثمارات في هذا المجال الى ٧٥ مليون ليرة في عام ١٩٧٥ «لانشاء احياء ومؤسسات عامة للاجئين في قطاع غزة » (١٣) . وقد كشف شمعون بيرس وزير الدفاع الاسرائيلي ان « الحكومة ماضية بتنفيذ **خطة معدة** تستغرق بضع سنوات وتهدف الى بناء ١٩ حيا جديدا في قطاع غزة لتوطين اللاجئين من سكان المخيمات (١٤) » ، وحسب ما نقلته احصائيات العدو فقد « تم توطين ١٥٠٠ عائلة من اللاجئين وسيقام في عام ١٩٧٥ نحو ٢ر٠٠٠ ــ ٢ر٥٠٠ وحدة سكنية في الاحياء الجديدة في غزة وخان يونس ورفح لاستيعاب ١٥ر٠٠٠ ــ ١٨ر٠٠٠ نسمة من بين ١٦٠ الف لاجيء يشكلون مجموع اللاجئين الفلسطينيين الذين يعيشون في مخيمات قطاع غزة » (١٥) .

الثانية : تخفيف الاكتظاظ السكاني العربي في مدينة القدس ضمن مخطط يهدف الى تهويد المدينة ــ كما سنتعرض له بالتفصيل فيما بعد ــ فبالاضافة الى هدم احياء عربية بكاملها في بعض المناطق وخاصة داخل اسوار المدينة ، فان سلطات الاحتلال فرضت اجراءات كان من نتيجتها حرمان السكان العرب من اقامة اي مشاريع سكنية ضمن مناطق معينة في وقت تجري فيه عمليات واسعة لبناء احياء يهودية كاملة في القدس . ويعمل العدو حاليا على اقامة ضاحية سكنية في قرية العيزرية تشمل ١ر٠٠٠ منزل اعطيت فيها اولوية الاسكان لاسر البلدة القديمة (١٦) « التي يطمع العدو بتهويدها .

ستعالج السطور القادمة بشيء من التفصيل التصريحات الرسمية والاجراءات العملية التي تمت على صعيد الاستيطان الاسرائيلي في المناطق المحتلة عام ١٩٦٧ والتي شكلت اهم العوامل الرئيسية للانتفاضة الشاملة التي عمت مدن وقرى الوطن

المحتل خلال الشهور الماضيـــة في اطار الصراع الطويـــل الذي يخوضه شعبنا ضد العدو الصهيوني .

★ ★ ★

الاستيطان في منطقة رفح

بدأ استيطان شريط رفح عام ١٩٦٩ عندما اقدمت سلطات الاحتلال على مصادرة ١٥٠٠ هكتار من اراضي المنطقة . وفي اوائـــل كانون الثاني عـــام ١٩٧٢ اتسعت عمليات المصادرة رافقتها اجراءات طرد الاف الفلاحين والبدو من منازلهم ومنعهم من الاقتراب من المنطقة المصادرة.وفي اوائل تشرين الاول ١٩٧٣ صادرت السلطات ٣٦٠٠ هكتار اخرى بعد ان طردت مزيدا من السكان الذين وصل عددهم نحو عشرين الف نسمة . وحتى حزيران ١٩٧٥ اقيمت **عشر مستوطنات في شريط رفح منها اربع قرى تعاونية وخمس مستعمرات زراعية شبه عسكرية ونواة مدينية كبيرة تدعى «ياميت» على الساحل ، ويخطط العدو لبناء ٩ قرى تعاونية وستة من الكيبوتس (١٣)** .

ويولي العدو اهمية خاصة للموقع الاستراتيجي الهام الذي يحتله المثلث الممتد من رفح شمالا الى « نيتسانا » (العوجة) في الجنوب والعريش غربا . فهو برأيـــه « يفصل قطاع غزة عن اي توجه نحو مصر ، ومنه تمـــر الطرق المهمة التي تمكن العدو من الانطلاق الى شمالي سيناء ويشكل حاجزا امنيا من الدرجة الاولى لتأمين الهدوء في قطاع غزة وفي مستوطنات النقب (١٨) » . وقد كشفت الصحافة الاسرائيلية عن مخطط وضعت معالمه في منتصف ١٩٧٣ يهدف الى « اخلاء كل المنطقة الكبيرة التي تكمل المثلث لغاية العريش ونيتسانا وتوقعت انه سيكـــون حجم الاخلاء اكبر ستـــة اضعاف مما صودر خلال عامي ١٩٦٩ و١٩٧٢ (١٩) » .

من جهة اخرى « فقد سلمت وزارة الاسكان بعض العائلات من مهاجري الولايـــات المتحدة والى بعض المستوطنين من اماكن اخرى مفاتيح المساكن التي سوف يستعملونها في مستوطنة « يميت » في مشارف رفح (٢٠) » وكان وزير الاسكان قد اعلـــن « ان ١٨٥ شقة في المستوطنة سيكتمل بناؤها في شهر تموز ١٩٧٥ وان الافضلية ستعطى الى المهاجرين من الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي (٢١) » .

وكان من نتيجة سياسات الاستيطان طرد السكان العرب وحصرهم ضمن شريط ضيق لا تتجاوز مساحته ١٥٠٠ دونم بعد ان كانوا يقيمون في منطقة مساحتها ١٤٠ الف دونم قبل اجراءات العدو الاستيطانية . ويتعرض هؤلاء السكان الى خطر الطرد المجدد حيث يبذل سكان المستوطنات في تلك المنطقة ضغوطا على حكومة رابين مـــن « أجل طرد البدو تماما من المنطقة وخصوصا من شاطىء البحر القريب من مدينـــة ياميت والمنطقة الصناعية القريبة منها (٢٢) » وكانت سلطات الاحتلال «قد انذرت عدة آلاف من بدو رفح الذين يقيمون على بعد ٣٠٠ متر من طرفي الطريق العام المؤدي الى مستوطنة « ياميت » لاخلاء اماكنهم بصورة نهائية (٢٣) » وفي احصاء نشرته صحيفة دافار (٧٥/٤/٩) تبين « ان ١٥٣٠ عائلة اجليت من منطقة مشارف رفح لم تعتمد الحكومة سوى عشرين مليون ليرة فقط لاغاثة ٦٦٦ عائلة بدوية » .

ردود الفعل

ظل سكان رفح متمسكين بحقوقهم رغم الاجراءات الوحشية التي انتهجها العدو لحملهم للتنازل عن اراضيهم .. وقد صمد سكان المنطقة رغم الوسائل القمعية التي

اتخذتها سلطات الاحتلال وصلت الى التهديد بقطع حصص الطعام التي يحصلون عليها من شركة الاحسان الاميركية « كير » وسجن اعداد كبيرة منهم رفضوا التوقيع على وثيقة التنازل التي تقدمت بها السلطات . والتهديد بتجريد مشايخ العشيرة من صلاحياتهم اذا ما رفضوا بيع اراضيهم وفصل كل معلم من وظيفته اذا ما فشل في اقناع عشيرته بالتوقيع (٢٤) .

وقد رفع مشايخ رفح سلسلة مذكرات احتجاج لسلطات الحكم العسكري . اضافة الى مناشدة الحكومة الاسرائيلية لايقاف عمليات المصادرة والتهجير التي تمارسها قوات الاحتلال الاسرائيلي ضدهم ، معلنين تمسكهم بالارض . وقد كشف الشيخ صباح عبدالله السلامي من مشايخ بدو رفح عن الضغوط التي يتعرض لها اهالي المنطقة في مذكرة قدمها للسلطات العسكرية بين فيها الاجراءات الوحشية التي قامت بها سلطات الاحتلال عندما رفضوا استلام التعويض الذي قدمه المسؤولون مما ادى الى قيام الجنود « بتقليع اشجارنا انتقاما منها على موقفنا بعدم التنازل عن الارض وهدم منازلنا ومسجدنا ومدرسة العشيرة » . وعندما رفع السكان المهجرين قضيتهم الى « محكمة العدل العليا الاسرائيلية » جاء قرارها دعما لحجج سلطات الاحتلال بأن عملية المصادرة تمت « لاغراض امنية ! (٢٥) » .

وقد دلت التحقيقات التي قامت بها بعض الصحف الاسرائيلية مدى تمسك السكان باراضيهم . ومدى استيائهم الشديد من الحكم العسكري الصهيوني . فقد عبر احد المشايخ عن الواقع الاليم هذا عندما قال « لم يبق لنا الا ان نعتمد على الله ... نحن مصريون وليس بامكان مصر ان تساعدنا فلماذا يطردوننا ، لقد حكمنا الاتراك والانجليز ولم يتعرضوا قط لارضنا اما الاسرائيليون فهدفهم الاول مصادرة ارضنا » (٢٦) .

الى جانب مصادرة الارض تتم عمليات استغلالية ضد المواطنين العرب وذلك باستخدامهم كايدي عاملة رخيصة لبناء المستوطنات الاسرائيلية بعد واقع البطالة القسرية التي خلفتها سياسات العدو التهجيرية . وفي الوقت الذي اكد فيه وزير الصحة الاسرائيلي شيمطوف انه « لا يعمل عامل يهودي واحد في جميع الاراضي المستصلحة للاستيطان في مشارف رفح (٢٧) » انتقدت بعض الاحزاب الاسرائيلية ما يجري في منطقة رفح ، ففي رأي حزب مبام ان عدم قيام اليهود بانشاء المستوطنات من شأنه « ان يشوه مفهوم الاستيطان اليهودي » واشارت الصحف الاسرائيلية بانه « يجب عدم تزييف الاستيطان بواسطة استخدام البدو كعمال مأجورين واذا ما اردنا الاستيطان علينا ايجاد يهود يكونون على استعداد لتهيئة الارض كما يفعل البدو (٢٨) » .

★ ★ ★

الاستيطان في هضبة الجولان

بعكس معظم المراكز الاستيطانية التي اقيمت في المناطق المحتلة ، فان الجولان يحظى على اهتمام خاص ومتميز من قبل الاوساط الصهيونية الحاكمة. فبالاضافة الى ان اقامة مستوطنات في الهضبة السورية يقع ضمن الافضليات الاولى في برنامج العدو الاستيطاني ، فهناك دوافع امنية وسياسية وراء تمسك العدو باراضي الجولان وسلسلة المستوطنات التي شيدها خلال سنوات الاحتلال الماضية . وفي الوقت الذي يؤكد فيه رئيس وزراء العدو « عدم التخلي عن الجولان .. والتمسك بالقرى الاستيطانية الزراعية كعامل دائم وثابت » ، تعمل المؤسسات الصهيونية على تطوير

المستعمرات التي اقامتها وبناء مستوطنات اخرى جديدة ، فقد اعلنت مصادر قسم الاستيطان في الوكالة اليهودية انه « سيجري خلال عامي ١٩٧٥ ، ١٩٧٦ اقامة ٥ قرى صناعية تعاونية في هضبة الجولان (٢٩) » الى جانب مشروع اعدته ادارة التخطيط والاستيطان في الجولان يقضي بان « تضم هذه المنطقة حتى نهاية عام ١٩٧٨ تسعا وعشرين قرية ومدينة واحدة (٣٠) » وبالفعل « فقد قررت وزارة الاسكان الاسرائيلية انفاق اكثر من ٩٠ مليون ليرة لبناء المرحلة الاولى لمستوطنة « كاتسرين» الجديدة حيث بوشر بانشائها في اواسط عام ١٩٧٥ وبحسب مخطط الوزارة فانه سيتم توطين السكان في نهاية عام ١٩٧٧ بعد ان تكون الوزارة قد انتهت في بناء ٢٠٠ شقة الى جانب مدرسة وروضة اطفال (٣١) » .

ازداد عدد المستوطنات في هضبة الجولان حيث بلغت نحو احدى وعشرين مستوطنة ، وقد جاءت تلك الزيادة في اعقاب القرار الذي اتخذته اللجنة الوزارية لشؤون الاستيطان في اوائل شهر كانون الاول الماضي يقضي باقامة « اربع نقاط استيطانية اخرى في الجولان » وذلك « ردا على قرار مجلس الامن الدولي في عقد دورته لبحث القضية الفلسطينية وحضور منظمة التحرير الفلسطينية في مناقشات المجلس (٣٢) » . وقد دل تصميم الحكومة الاسرائيلية على اقامة تلك المستوطنات عندما رفض رئيس وزراء العدو استلام مذكرة امريكية كان الرئيس فورد قد ارسلها الى الحكومة معبرا عن استيائه من قرار اللجنة الوزارية في اقامة مستوطنات اخرى على هضبة الجولان المحتلة (٣٣) فقد باشرت سلطات الاحتلال منذ اتخاذ القرار باقامة نواة لمستوطنة « سلعيت » وفق المخطط الذي وضعته الوكالة اليهودية وحركة الموشاف (٣٤) . اضافة الى البدء في العمل في ٧٥/١٢/٥ لبناء مستعمرة جديدة تقع الى الشرق من مدينة القنيطرة السورية ستضم افرادا من حركة بتيار للشبيبة (٣٥) .

ويواجه العدو حاليا مشكلة ايجاد المستوطنين لتعزيز مواقعه الاستيطانية فمعظم المواقع الاستيطانية تشرف عليها قوات تابعة للجيش الاسرائيلي (الناحال) ولم يزد عدد السكان في احدى وعشرين مستوطنة على ٢٢٠٠ نسمة ، فقد كشفت صحيفة يديعوت احرونوت عن تلك الظاهرة عندما قالت « ان هضبة الجولان التي تشمل الآن ثماني كيبوتسات وثماني مستوطنات ومركزين بلديين وقريتين صناعيتين لم تتمتع بعدد سكاني كبير ، ولكن الجميع يفخر بالستمائة ولد الذين ولد معظمهم (وليس كلهم) في الجولان (٣٦) » .

ومن جهة اخرى فقد خفت التوجهات الاستيطانية الغير رسمية لانشاء مستوطنات في الجولان اذا قورنت بالسنوات التي سبقت حرب تشرين (اكتوبر) ١٩٧٣ ، ويولي العدو اهتماما لمعالجة ظاهرة النزوح من قبل المستوطنين في المستعمرات الاسرائيلية في الجولان ، والتي جاءت في اعقاب شعورهم بقلق حول مستقبل اوضاع تلك المستوطنات في اطار الاحتمالات المطروحة بالنسبة للتسوية وما قد تؤدي الى انسحاب من الجولان وبالتالي من المستعمرات المقامة حاليا ، او الحرب وما تعكسه من اخطار تهدد اوضاع المستوطنين . ولذلك تحرص قيادات العدو في عقد زيارات مستمرة مطلقة تصريحات « تطمينية » لحمل السكان على البقاء في المراكز الاستيطانية وتخصيص مبالغ ضخمة لبناء مشاريع سكنية وصناعية في تلك المراكز في اطار سعيها لتثبت مواقعها في الهضبة . وفي هذا المجال نورد الملاحظات التالية :

١) ان استمرار القتال اثر وبشكل ملموس على زعزعة المستوطنات الاسرائيلية في الهضبة فخلال حرب تشرين ١٩٧٣ وما اعقبها من معارك الاستنزاف شهدت

المستوطنات ظاهرة نزوح كبيرة الى مناطق اخرى داخل الوطن المحتل . ففي شباط ١٩٧٤ عقد سكان المستوطنات الاسرائيلية في الضفة والجولان اجتماعا ناقشوا فيه « كيفية الاحتجاج على سياسة الحكومة التي تركتهم لمصيرهم » .. فقد اعترف زعيم حركة الاستيطان في منظمات الكيبوتس (شلومو وولف) بمدى تأثير الحرب على اوضاع سكان المستعمرات بقوله « ان الاحساس الذي يراودنا هو ان هذه هي بداية النهاية .. ان المعنويات بين سكان المستوطنات تتهاوى شيئا فشيئا كما ان الصعوبات تتزايد في اقناع الشبان للسفر والاقامة في تلك القرى بينما اعرب عدد من السكان عن عزمه على الرحيل » (٣٧) .

٢) ان معظم المواقع الاستيطانية في الجولان ذات طابع عسكري ومهام امنية محصنة ولم ينجح العدو لاسباب عديدة في تكريس اي مستوطنات مدينية او صناعية بالمعنى الذي يطمح اليه رغم اهتمامه الكبير في تحقيق هذه الغاية .

وليس من شك في ان تعزيز مواقع العدو الاستيطانية يجد منها العدو عوامل اساسية لتقوية مركزه خلال مرحلة المفاوضات لانجاز تسوية سياسية في المنطقة وبالتالي فان تلك السياسة توفر للعدو الصهيوني ورقة ضغط هامة في اطار سعيه لفرض شروطه على سوريا والمراهنة على ان تقدم سوريا تنازلات سياسية من شأنها ان تعطي العدو مجالا واسعا للمناورة لتكريس احتلاله الهضبة او على الاقل الحصول على اتفاق من شأنه ان يوفر ضمانات عملية لانهاء ما يسمى « بحالة الحرب » من خلال تجريد الجولان من السلاح والاحتفاظ ببعض المواقع الاستراتيجية الذي يراها ضرورية « لضمان امنه » .

الاستيطان في الضفة الغربية المحتلة :

كان من ابرز اثار العدوان الصهيوني عام ١٩٦٧ احتلال اراض عربية تبلغ مساحتها ثلاثة اضعاف الاراضي التي احتلتها « اسرائيل » عام ١٩٤٨ . وقد انتهج العدو اسلوب اقامة عدد من المستوطنات العسكرية كاحدى الوسائل الذي وضعها لاقامة «حزام امني» على طول مرتفعات الجولان ووادي الاردن ووادي عربة وشرم الشيخ . وحتى عام ١٩٧١ انشىء ست مستوطنات في منطقة الاغوار على يد سلاح الناحال ،في وقت ركز فيه العدو على تنفيذ مشاريع استيطانية اخرى في القدس والخليل وبعض المناطق الوسطى في الضفة الغربية .ومنذ عام ١٩٦٧ وحتى منتصف عام ١٩٧٥ اقامت سلطات الاحتلال نحو ١٩ مستوطنة زراعية في الضفة الغربية اضافة الى مستوطنة مدينية في مدينة الخليل (كريات اربع) هذا عدا سلسلة المستعمرات والاحياء اليهودية التي شيدت في مدينة القدس والمناطق المجاورة لها .وقد ذكرت صحيفة هآرتس « ان اسلوبا جديدا للاستيطان بدأته السلطات في الضفة الغربية وفق خطة تقضي باقامة موقع عسكري كخطوة اولى ثم يتحول وباسلوب تدريجي الى مستوطنة مدينية» (٣٨).

وتستأثر مسألة استيطان الضفة الغربية باهتمام مختلف الاوساط الصهيونية في اطار تمسك العدو بها ، ويبدو ان حكومة العدو لم تحسم بعد تبني اي مشروع محدد من بين المشاريع التي طرحت لتحديد مستقبل الضفة الغربية . الا انها تسير في سياستها ضمن خطوط عريضة تقضي بما يلي :

١) ان المستعمرات اليهودية (وخاصة الرسمية) ستبقى جزءا من دولة اسرائيل ضمن اي تسوية محتملة .

٢) ان اسرائيل لن توقع اي اتفاق يقضي بتقديم تنازلات بشأن اي جزء من الضفة الغربية دون عرض القضية على الشعب في انتخابات جديدة اذا طلبت ذلك اي فئة من الفئات المشتركة بالحكم . (٣٩)

بيد ان مشروع آلون قد حظي على تأييد بعض الزعامات السياسية الاسرائيلية ، الامر الذي يعد اقرب المشاريع التي يمكن ان تحظى على موافقة الحكومة الاسرائيلية على المدى البعيد . وقد تضمن هذا المشروع النقاط الرئيسية التالية :

١) اقامة شريط من المستوطنات شبه العسكرية على طول الضفة الغربية لنهر الاردن وذلك لحماية اسرائيل من التسلل والهجوم بالاضافة انه سيجنب اسرائيل مشكلة استيعاب اعداد كبيرة من العرب وهذا ما يسمى « بحزام الامن » .

٢) اعطاء حكم ذاتي للضفة الغربية ـ كجزء من الاردن ـ غربي حزام الامن فيما عدا القدس وبعض اجزاء من اللطرون والخليل .

٣) في حالة قيام معاهدة سلام بين الاردن واسرائيل ستعطى الاردن ممرا بريا خلال حزام الامن الى المنطقة العربية من الضفة الغربية التي سيكون لها بدورها ممر الى البحر المتوسط واستخدام جزء من مرافىء اسرائيل .

٤) توضع كل التسهيلات تحت تصرف الاردن ، وستضمن حرية الوصول الى الاماكن المقدسة في القدس لجميع العرب مسيحيين ومسلمين .

ومن خلال متابعة حركات الاستيطان في الضفة الغربية نجد ان برنامج الحكومة يسير في اطار هذا المشروع ، دل على ذلك سلسلة المشاريع التي اعتمدتها حكومة العدو في تثبيت مواقع الاستيطان ضمن الحدود الجغرافية التي رسمها الون ، في وقت جاءت فيه المحاولات الاستيطانية من قبل بعض الكتل والاحزاب المعارضة لتثير جدلا واسعا بين الزعامات الاسرائيلية ، فقد صرح ابراهام عوفر وزير الاسكان « ان ٦٢ مستوطنة اقيمت في المناطق التي لا يدور حولها جدل باستثناء مستوطنتين» (٤٠) وربما يقصد بذلك مستعمرة عفرا في شمال رام الله وسبسطية بالقرب من مدينة نابلس .

النشاطات الاستيطانية « غير الرسمية » :

شهدت المناطق المحتلة محاولات استيطانية من قبل بعض التكتلات والاحزاب الصهيونية جاء بعضها مخالفا لبرنامج الاستيطان الذي وضعته حكومة العدو . وقد نجحت تلك المحاولات في اقامة بعض المراكز الاستيطانية وخاصة على اراضي الضفة الغربية . بل ان العديد منها حظي بموافقة الحكومة فيما بعد ، وجاء بعضها بتنسيق مسبق مع الحكومة الاسرائيلية وخاصة في منطقة الخليل (كريات اربع) ومستوطنة « عفرا » على سفوح جبال شمال رام الله . الا ان سلطات الاحتلال تصدت للعديد من المحاولات التي قامت بها جماعات صهيونية استيطانية وافشلت مخططاتها في العديد من المناطق .

واذا كانت الاطماع التوسعية الصهيونية وضعت بعض الكتل والاحزاب الصهيونية لتسعير نشاطها الاستيطاني في الفترة من ١٩٦٧ وحتى عام ١٩٧٣ . فان ثمة اعتبارات سياسية وداخلية كانت وراء معظم المحاولات الاستيطانية التي نظمتها احزاب المعارضة « الليكود » بعد حرب تشرين الاخيرة . فقد شكلت مسألة الضفة الغربية احد المجالات الرئيسية التي ساعدت بتهيئة المناخ امام المعارضة في التصدي لحكومة

رابين . وقد بانت اهداف المحاولات الاستيطانية التي قامت بها احزاب المعارضة عندما نظمت كتلة « الليكود » اضخم مسيرة ضمت نحو عشرين الفا من المستوطنين الصهاينة لاقامة مركز استيطاني في سبسطية قرب مدينة نابلس (٤١) وقد وصف رئيس وزراء العدو محاولة استيطان سبسطية بانها كانت عملا سياسيا هدفه تقويض سلطة الحكومة وربما اكثر من ذلك » . وجاء في تعليق اوردته صحيفة عل‌همشمار (٧٤/١٠/١١) : « لا يعتقد بان الاف المستوطنين هؤلاء كانوا ينوون حقا الاستيطان في الاماكن التي اختاروها اذ انهم كانوا على علم بان الحكومة وقوات الجيش لن يسمحا لهم بتنفيذ مآربهم ، الا انهم ارادوا بهذه التظاهرات تشديد الصراع ضد الحكومة واجراء بروفة في الصراع الذي سيكون اعنف عندما تأخذ التسوية مسارها الحقيقي » (٤٢) .

وفي اوائل اذار ١٩٧٥ ، وعندما اتسعت حدة الخلاف بين كتل المعارضة والحكومة الاسرائيلية ، نظمت الاحزاب الصهيونية المتطرفة حملات استيطانية الغرض منها اخراج الحكومة وتهديدها بالسقوط . وفي وقت واحد شن مستوطنون تابعون لتلك الاحزاب هجمات من اجل اقامة اربعة مراكز استيطانية اخرى غير سبسطية وهي : دير نظام شمال رام الله ، وهضبة بالقرب من الخان الاحمر ، وكنيس قديم قرب « دير قمران » على بعد مسافة قصيرة من مدينة اريحا ، ومنحدرات وادي القلط (٤٣) في وقت قدم فيه رؤساء جميع الكتل المؤلفة « لليكود » لرئيس الكنيست يسرائيل يشعياهو « عريضة موقعة من قبل ٦١٩,٤٥٠ مواطنا يشكلون ٤٤٪ من سكان الدولة اليهود يطالبون الحكومة بعدم التنازل عن اراضي يهودا والسامرا » (٤٤) .

وقد دفعت تلك المحاولات الحكومة لان يعلن رابين — لاول مرة — عن استعداده للاستقالة ، بعد الانتقادات الشديدة التي تعرض لها من قبل حزب العمل الاسرائيلي حين اعلنت كتلة الحزب النيابية عدم موافقتها « للتسوية التي تمت بين المستوطنين والحكومة » (٤٥) من خلال قبول رئيس الوزراء اقامة مستوطني سبسطية في معسكر كفر قدوم القريب من مكان المستعمرة . وفي الوقت نفسه شنت احزاب المعارضة المتمثلة في « كتلة الليكود » حملة قوية ضد الحكومة لعدم سماحها باقامة المستوطنة في سبسطية ، وقد تطورت حدة الخلافات فيما بعد الى درجة باتت فيها الحكومة امام خطر الانهيار حين هدد حزب « المفدال » بسحب وزرائه من الحكومة اذا لم تسو الخلافات القائمة حول قيام مستوطنة سبسطية (٤٦) .

مخططات العدو الاستيطانية :

في اطار سعيها لتعزيز مواقعها الاستيطانية قررت الحكومة اقامة مستوطنات صناعية وزراعية وعمالية في منطقة الاغوار ، في وقت تستمر فيه لاستكمال مشاريع البناء لتطوير الاحياء اليهودية ضمن المناطق المحيطة بالقدس . وبعد ان باشر العدو في اقامة مراكز صناعية في الخان الاحمر وقرية عناتا في شمال القدس ، فقد اقر مؤخرا اقامة ثلاث مستوطنات احداها عمالية في وادي الاردن وهي لانتيف هفدود ، ومعاليه افرايم،وكوخاف هشامرا شمال شرقي ستيلا بالقرب من طريق رام الله — اريحا (٤٧) وكان رئيس قسم الاستيطان في الوكالة اليهودية قد صرح في ايلول ١٩٧٤ ان «مشروعا استيطانيا جديدا سينفذ في الاربع سنوات المقبلة وستتم في اطاره اقامة ٦ مستوطنات في الخليل وغور الاردن ومنطقة الجفتلك » (٤٨) كما ان ثمة اهتماما تبديه الحكومة لاقامة مستوطنات اسرائيلية في مناطق قلقيلية ونابلس وطولكرم — جنين (٤٩) .

وفيما يلي سنتعرض لاهم المشاريع الاستيطانية التي ينفذها العدو وفق التقسيم التالي :

تهويد مدينة القدس :

حددت سلطات الاحتلال حدود مدينة القدس وفق الشكل الاتي : قلندية (بما في ذلك مطار القدس) شمالا ومنطقة الخان الاحمر في منتصف طريق اريحا شرقا ، صورباهر وجزء كبير من اراضي منطقة بيت لحم بما في ذلك قرية سلوان جنوبا ، وقد اقامت السلطات الصهيونية سلسلة مستعمرات في اطار مخططها لتطويق « العاصمة» باحياء يهودية (٥٠) .

من جهة اخرى كشفت الصحف الاسرائيلية عن مخطط يقضي بتوسيع حدود مدينة القدس بحيث يشمل جزء كبيرا من اراضي الضفة الغربية (نحو ٣٠٪ من مساحتها) وتضم تسع مدن وستين قرية عربية يقدر عدد سكانها الحاليين ب ٢٥٠ الف مواطن عربي . فقد صرح ايجال الون وزير خارجية العدو ان « القدس في حاجة الى منطقة خلفية خاصة بها على امتداد قطر معين من حولها .. وفي الامكان اقامة نقط ضرورية استيطانية في صحراء يهودا تستمد منها القدس فائدة بلدية هامة » واضاف انه « يجب شمل صحراء يهودا ومعاليه ادوميم (الخان الاحمر)ضمن حدود مدينة القدس »(٥١). وقد اوردت صحيفة دافار في كانون الثاني ١٩٧٥ تفصيلات حول « خارطة القدس الموسعة التي تمت الموافقة عليها بالكنيست حيث شملت الضواحي التالية : الخان الاحمر شرقا و « بيت ايل » قرية بتين (شمال مدينة البيره) شمالا ، ومدينة الخليل (مستعمرة كريات اربع التي انشأها العدو بعد عام ١٩٦٨ جنوبا ، واللطرون « مستعمرة بيت شيمش » غربا (٥٢) .

وقد مهدت سلطات الاحتلال لتنفيذ هذا المشروع باقامة عدد من المستوطنات اهمها ما يلي :

أ) اعتبار مستوطنة « معاليه ادوميم » الخان الاحمر ، حدود منطقة القدس الشرقية :

ففي العام ١٩٧٢ تم اغلاق المنطقة وفق قرار من الحاكم العسكري باعتبار الخان الاحمر منطقة عسكرية . وفي ٢٤ — ١١ — ١٩٧٤ اقرت الوزارة الاسرائيلية انشاء مدينة صناعية فيها ، وفور ذلك تمت مصادرة ٧٠الف دونم واقيمت مشاريع لشق طرق داخلية بحيث شمل المشروع « شق طريق يحيد عن القدس الشرقية ويربط معاليه ادوميم عبر طريق عناتا شمال شرقي القدس ولغاية سديروت اشكول قرب التلة الفرنسية » (٥٣) .

وقد اثارت مسألة إستيطان الخان الاحمر خلافات واتهامات من بعض الاحزاب الاسرائيلية وحكومة رابين ، حسمت من خلال القرار الذي اتخذته الحكومة والذي نص « ان تقوم ادارة اراضي اسرائيل بتنفيذ اعمال التأسيس في ذلك المكان وستواصل الادارة العمل حتى نهاية السنة الحالية (نيسان ١٩٧٥) ثم تنتقل ، مسؤولية اعمال التعمير الى وزارة التجارة والصناعة وبعد ان ينجز المشروع تنتقل المسؤولية الى وزارة الاسكان» (٥٤) . وفي الوقت الذي صادقت فيه حكومة رابين على تخصيص ١٠ ملايين ليرة اسرائيلية من اجل تنفيذ اعمال اقامة المستوطنة الصناعية ، نوه رئيس وزراء العدو باهمية المستوطنة بالنسبة الى القدس عندما قال « ان توطين معاليه ادوميم (الخان الاحمر) ضرورة حيوية لتحصين القدس اليهودية ، وطبقا لهذا الاعتبار

اتفق على ان تكون اهمية بناء معاليه ادوميم مساوية لاهمية بناء القدس ، ولذا حظيت المستوطنة باولوية من الدرجة الاولى» (٥٥) وقد حدد الوزير يسرائيل غاليلي اهداف بناء المستوطنة بتلبية « الحاجات الاستراتيجية لتحصين القدس والحاجات البلدية للعاصمة » (٥٦) .

ووفق مخطط العدو لتوسيع حدود القدس فان المنطقة المراد توسيعها على الحدود الشرقية للمدينة تشمل القرى العربية : العيزرية ، ابو ديس ، العيسوية ، الطور ، العبيدية ، عرب التعامرة ، عرب السواحرة ، والخان الاحمر » (٥٧) .

ب) اعتبار « بيت ايل » قرية بيتين حدود منطقة القدس الشمالية :

قامت المستوطنة على يد نواة « شيلوش » التابعة لكتلة جوش ايمونيم الاستيطانية، وقد حظيت اقامة المستوطنة بتأييد شمعون بيرس وزير الدفاع الصهيوني عندما سمح للمستوطنين بالاقامة في معسكر اردني مهجور يقع على اعلى قمة من جبال بيت ايل ويدعى « باعل‌حشور » ويبعد نحو ٩ كلم شمالي شرقي رام الله وسط مجموعة من القرى العربية وتحمل المستوطنة اسم « عفره » . ويبدو ان الحكومة الاسرائيلية تنوي انشاء مستوطنة جديدة في المنطقة الواقعة بين قريتي عين يارود والمزرعة الشرقية في قضاء رام الله (٥٨) فقد قام عدة مئات من المستوطنين بتسوية الاراضي الواقعة بين قريتي ، عين قينيار المزرعة الشرقية تمهيدا لاقامة المباني وانشاء مستوطنة جديدة (٥٩) . ومن اجل ربط تلك المستوطنات بمدينة القدس كشف النقاب عن مخطط قامت بوضعه وزارة المواصلات بالتعاون مع بلدية القدس يقضي باقامة طريق « يلتف خلف مدينة القدس عن طريق النبي يعقوب ويتصل بالخان الاحمر ثم اقامة طريق خارج القدس يصل منطقة الخان الاحمر ــ برام الله ، وقالت صحيفة الشعب « ان الغاية من هذه الطريق هو عزل القدس عن الضفة الغربية » (٦٠) .

وعلى الشريط الممتد بين القدس الى قرية بيتين شمالا قام العدو بتركيز اهتمامه على تحصين المواقع التي تحيط بالمدينة ، ففي **منطقة قلنديا** يبدي العدو أهتماما لضم المنطقة الى المدينة ، فقد اعاد تشغيل المطار هناك كما ان ثمة خطط لاقامة مشاريع صناعية في قلنديا ، فقد صرح شمعون بيرس وزير دفاع العدو « ان الصناعات الجوية الأسرائيلية ستقيم مصنعا للطائرات بكلفة ٦٠ مليون ليرة حول مدينة القدس ، وقال ان هذا المصنع مع المنطقة الصناعية في الخان الاحمر سيشكل جزءا حيويا من المستوطنات اليهودية التي ستحاصر مدينة القدس » (٦١) .

من جهة اخرى اشارت صحيفة معاريف عن مشروع لربط منطقة قلنديا بشبكة القطارات الاسرائيلية التي تمر بالقدس ، وتأكيدا على ذلك نقلت صحيفة الشعب تصريحا لرئيس بلدية القدس تيدي كوليك اقترح فيه « نقل محطة القطارات من القدس الى منطقة قلنديا » وذكر « ان الدراسات قد افادت انه في حال ايصال خط القطارات الى قلنديا فلن تكون هناك صعوبة فنية لايصاله الى الخان الاحمر » (٦٢) ويمكن تصور مخطط العدو هذا اذا ما اخذنا بعين الاعتبار المشروع الصناعي الذي اقامه العدو في قرية « عناتا » الى الشمال من مدينة القدس ، فقد أعلن تيدي كوليك ــ رئيس بلدية القدس ــ انه « متمسك بتطوير المنطقة الصناعية في عناتا وهو يرى ان لذلك اهمية تفوق بناء المركز الصناعي في الخان الاحمر » (٦٣) .

وتستمر سلطات الاحتلال بمصادرة بعض الاراضي الواقعة ضمن المنطقة المشمولة في مخطط توسيع القدس ، فقد لجأت الحكومة الاسرائيلية الى التستر وراء شركات

وهمية من اجل تمرير لعبة شراء الاراضي في قرى **بيتونيا وبيرنبالا** الواقعة الى شمال مدينة القدس ، وقد كشفت صحيفة الشعب بعض تلك الالاعيب من خلال نشر اعلانات لاصحاب تلك الاراضي يحذرون فيها من اي محاولة تستهدف شراء اراضيهم . وكان من نتيجة يقظة المواطنين واصحاب الاراضي العرب وتحركهم السريع « ان اجبر ضابط الشؤون العدلية في الضفة الغربية على ايقاف تسجيل حوالي ٤٠٠ دونم من اراضي بيتونيا والجيب وبيرنبالا » (٦٤) .

وحسب مخطط العدو لضم المنطقة الشمالية ضمن حدود مشروع القدس الموسعة فمن المفروض ضم ٤ مدن هي البيره ورام الله وبيتونيا ودير دبوان و ١٣ قرية هي : بيتين ، يرقة ، كفرعقب ، جبع ، حزما ، فحماس ، قلنديا ، بيرنبالا ، بيت حنينا ، عناتا ، رافات ، جديره ، الرام (٦٥) .

د) اعتبار مستوطنة كريات اربع في مدينة الخليل حدود منطقة القدس الجنوبية :

تقع المستوطنة على طريق بني نعيم ــ الخليل واقيمت على قمة الجبل المشرف على الحرم الابراهيمي. بدأ بناء المستوطنةفي اواسط نيسان ١٩٦٨ .وفي ٢٣ ــ ١ ــ ١٩٧١ تم انشاء اول حي سكني ضم ٦٠ منزلاً . حظيت المستوطنة باهتمام خاص من قبل الحكومة الاسرائيلية وتقوم وزارة الاسكان حاليا بتنفيذ خطة لبناء ١.٠٠٠ وحدة سكنية حتى نهاية عام ١٩٧٧ اضافة الى مؤسسات تربوية وصناعية وتجارية وخدمات مختلفة (٦٦) . ولاجل ربط المستعمرة بمنطقة القدس « فقد تم تخصيص مبلغ ٤ ملايين ليرة لشق الطريق الذي سيصل القدس بالخليل » (٦٧) .

وصل عدد سكان المستوطنة حتى اذار ١٩٧٥ ١٠ الاف نسمة اغلبهم من المتدينين المتعصبين (السكناج) وينتمي القسم الاعظم منهم لحزب حيروت ، ويطمح سكان المستوطنة بازدياد أعدادهم ، فقد ذكر **موشيه ليفنجر** (رئيس المستوطنين اليهود في كريات اربع) ان سكان المستوطنة رفضوا عرضا قدمه موشى دايان باقامة علاقات قد تشمل ايضا توحيد المستوطنة اليهودية المحاصرة والخليل الاسلامية ، وبرر ذلك بقوله « ما دامت المستوطنة اليهودية متخلفة عن الخليل كثيرا في عدد السكان وليس لديها امكانات مضمونة للنمو فلن يكون مناسبا لنا ان نجري مفاوضات اذا كنا جيبا صغيرا .. فهناك ٤٠ الف عربي ، اما نحن فاقلية تعدادها ١٠ الاف وان العلاقات حاليا محدودة في المسائل التجارية » (٦٨) من جهة اخرى تحوى المستوطنة عددا كبيرا من المصانع والورش وتفيد احصاءات وزارة التجارة والصناعة ان « ممولين اسرائيليين اقاموا حتى الان نحو ٢٠ ورشة في كريات اربع من بين ٦٠ مصنعا وورشة في المناطق المحتلة » (٦٩) .

من بين **الاهداف المباشرة التي يسعى اليها العدو** وراء عملية الاستيطان في مدينة الخليل ما يلي :

ا) خلخلة الروابط الاجتماعية والاقتصادية باهالي مدينة الخليل العربية عن طريق استغلال الظروف الصعبة التي تعانيها مدينة الخليل تحت الاحتلال الصهيوني . ويمكن رؤية المخطط الصهيوني عندما فتحت سلطات الاحتلال المجال امام العمال العرب للعمل ضمن المشاريع الانشائية والصناعية لتطوير المستوطنة ، وتوجيه قوة العمال لاغراض استيطانية توسعية .

ب) يعمد العدو على تطوير وتوسيع كريات اربع وسط المدينة في وقت يحرص فيه

على ابقاء مدينة الخليل ضمن ظروف اقتصادية متخلفة الامر الذي يخلق معادلة غير متوازنة تؤدي في المدى البعيد الى اعتماد سكان مدينة الخليل (حوالي ٥٠ الف نسمة) تدريجيا على المستوطنة في سد احتياجاتهم من المصانع والمشاريع الانتاجية الاسرائيلية في مستوطنة كريات اربع ، ومن الجدير بالذكر ان العدو قام بربط شبكة كهرباء مدينة الخليل بشبكة كهرباء كريات اربع (٧٠) .

ومن الواضح ان العدو متمسك بالحفاظ على تلك المستوطنة ، مما دفع مراسل صحيفة معاريف الى القول « ان الجانب الاسرائيلي المسؤول عن البناء لا ينظر الى المسألة باعتبارها مجرد اقامة عدد من المساكن ، وانما على اساس انها مدينة حقيقية بغض النظر عن كل النتائج السياسية التي ستترتب عن احتمال قيام تسوية للنزاع العربي ـ الاسرائيلي » (٧١) . ففي اوائل شهر تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٤ اصدر الحاكم العسكري في الضفة الغربية امرا بتشكيل ادارة محلية في كريات اربع ، ويأتي هذا القرار بعد سنوات من الجدل والتردد لمسألة ضم المستوطنة للكيان الصهيوني وبموجب هذا الامر فان الحي اليهودي في الخليل سيتمتع بادارة محلية تعمل حسب القانون البلدي الاسرائيلي . وقد اشارت الصحافة الاسرائيلية الى ان هذا الاجراء يعتبر الاول من نوعه خلال سنوات الاحتلال الصهيوني منذ عام ١٩٦٧ .

تهويد الحرم الابراهيمي :

تمت عملية بناء المستوطنة جنبا الى جنب مع عملية الاغتصاب التدريجي للحرم الابراهيمي . وفي الوقت الذي قام به العدو في هدم بعض المنشئات والابنية الاثرية والوقعية الملاصقة للمسجد وتوسيع رقعة الاراضي المحيطة به فقد نشط الصندوق القومي اليهودي « الكرين كايميت » بعقد صفقات لشراء اراضي من المدينة وخاصة مع هيئات كنسية واصحاب اراض عرب يقيمون في المهجر (٧٢) .

وبعد سلسلة نشاطات وضغوط قام بها مستوطنوا كريات اربع ، اصدرت سلطات الاحتلال سلسلة اجراءات ادت في النهاية الى « **تقسيم الحرم الابراهيمي بين المسلمين واليهود بحيث خصص جناحان من الاجنحة الثلاثة من المسجد لليهود بينما خصص الجناح الثالث للمسلمين** » (٧٣) .

ولتأكيد مخطط العدو لضم كريات اربع ضمن « مشروع القدس الكبرى » اشارت صحيفة هآرتس ان « السلطات الاسرائيلية تسعى لاحاطة القدس بالمستوطنات اليهودية ولهذا الغرض اقامت الحي اليهودي في كريات اربع وتقيم حاليا منطقة صناعية في معاليه ادوميم » (٧٤) .

وعلى امتداد الطريق الممتد بين الخليل جنوبا وحتى مدينة القدس اقام العدو سلسلة من المستوطنات اهمها ما يلي :

١ ـ **هضاب الخليل الشمالية** : حيث اقيمت ثلاث مستوطنات ، في منطقة **كفار عستيون** ضمن مخططها في اقامة مجموعة قرى زراعية في المنطقة وصل عددها الى خمس مستوطنات . ويقوم الصندوق القومي اليهودي بالانفاق على مشروع لشق طريق بين غوش عستيون ومدن ومستوطنات السهل الشمالي من جهة وبين مدينة القدس من جهة اخرى .

٢ ــ منطقة بيت لحم وبيت جالا ، بيت ساحور

ففي نهاية شهر كانون الثاني عام ١٩٧٥ قامت سلطات الاحتلال بالاستيلاء على اراضي عرب الرشايدة الممتدة من الجنوب الشرقي لمدينة بيت لحم حتى الفشخة قرب البحر الميت وتدعى هذه المنطقة نجربة « تقوع » وذكرت صحيفة يديعوت احرونوت « ان ادارة اراضي اسرائيل والكرين كايجت شرعتا في شق طريق تمهيدا لاقامة مستوطنة فيها (٧٥) » من جهة اخرى قامت سلطات الاحتلال يوم ١٩٧٥/١١/١٩ « بمصادرة مئات الدونمات في منطقة بيت ساحور قضاء بيت لحم ، وانذرت السكان بضرورة اخلائها خلال خمسة عشرة يوما » (٧٦) .

وفي **منطقة بيت جالا** اعلن وزير الاسكان الاسرائيلي ان وزارته تقوم «بانشاءضاحية في جبل جالا» وقد احتج رئيس بلدية بيت جالا فرح الاعرج على ذلك وقال «ان اسرائيل ضمت منذ عام ١٩٦٧ ٥٠٠٠ر دونم تخص سكان بيت جالا بغرض توسيع القدس ، والان يسعون لاقامة ضاحية في المنطقة على اراضي تبلغ مساحتها ٨٠٠ دونم تخص البلدة » (٧٧) .

وفي منطقة **بيت ساحور** قامت السلطات بمصادرة مئات الدونمات من اراضي المنطقة وقد سبق ان احتج اهالي بلدة بيت ساحور في مذكرات ارسلوها الى الحاكم العسكري في بيت لحم والى رؤساء بلديات بيت ساحور وبيت لحم وبيت جالا احتجوا فيها على مصادرة السلطات لاراضيهم وطالبوا بارجاعها (٧٨) .

وتضم المنطقة الجنوبية مدينتين هما : بيت ساحور وحلحول واحدى وعشرين قرية وهي : صورباهر ، بيت صفافا ، بيت امر ، ام طولى ، شرفات ، بيتير ، الخضر ، حوسان ، وادي فوكين ، ارطاس ، نحالين ، صوريف ، خراس ، نوبا ، بيت اولا ، سعير ، الشيوخ ، بني نعيم ، بيت كامل ، تفوح ، ترقوميا .

د) اعتبار اللطرون « مستعمرة بيت شميش » حدود مدينة القدس الغربية .

وتضم هذه المنطقة قرى : بيت اكسا ، النبي صمويل ، الجيب ، بيت سوريك ، بدو قطنة ، القبيبة ، بيت عنان ، بيت دقو ، الطيره ، عين قينيا ، دير ابزيع ، عين عريك ، بيت عور التحتا ، بيت عور الفوقا ، بيت اجزا « يالوبيت نوبا وعمواس التي دمرت في حزيران ١٩٦٧ » حنفا ، بيت صير ، بيت لقيا ، بيت تول واللطرون (٧٩) .

اهداف المخطط الاسرائيلي :

مما سبق يتبين لنا اهداف المشروع الصهيوني هي اقتطاع اجزاء من الضفة الغربية تقدر مساحتها نحو ٣٠٪ من مساحة الضفة الغربية وضمها الى الكيان الصهيوني او على الاقل تحقيق الاشراف الكامل على تلك المناطق .ويأتي هذا المخطط ضمن اطار المشروع الصهيوني لتمزيق المناطق المحتلة من خلال زرع سلسلة من المستوطنات اليهودية ضمن المناطق المأهولة المحيطة بمنطقة القدس .

ولاجل هذه الغاية يعمل العدو على زيادة عدد المستوطنين في كل من القدس وكريات اربع ومعاليه ادوميم (الخان الاحمر)وتعزيز المستوطنات المحيطة بها في قرية بيتين ، وجبل جيلا ، واقامة بعض الضواحي السكنية في بيت ساحور ومنطقة اللطرون .

وقد كشفت صحيفة هآرتس عن وثيقة سرية حول « مشروع القدس الكبرى »

تضمنت خطة لبناء ٣٠ الف وحدة سكنية . حيث قررت اللجنة الوزارية « البدء في بناء تلك الوحدات في القدس ، منها ٦٥٠٠ مسكن في « راحون » من اراضي قرية النبي صمويل و ٨٠٠٠ وحدة سكن في حبيلو (بيت جالا) و ٢٤٠٠ وحدة في تل ديون . و ١٠٠٠ وحدة في النبي يعقوب و ٩٠٠ وحدة في محطة اللنبي ، و ١٧٠٠ وحدة سكنية في رامات هاكيرم » (٨٠) .

ومن جهة اخرى كشف تيدي كوليك ان عدد السكان في كلا شطريها يتراوح بين ٥٥٠ ــ ٦٠٠ الف نسمة من عرب ويهود (٨١) . واذا ما راعينا عدد السكان العرب في حدود الثمانين الفا فان عدد السكان اليهود في القدس حاليا يبلغ ما بين ٤٧٠ ــ ٥٢٠ الف يهودي (٨٢) . وقد اشارت صحيفة دافار (١٩٧٥/٤/١٤) ان ثمة زيادة طرات على عدد اليهود خلال العشر السنوات الماضية بنحو ١٤٢ الفا . وقالت انه « بلغ عدد المهاجرين اليهود الجدد الذين تم استيعابهم (في الاحياء الجديدة التي اقامتها سلطات الاحتلال بعد عام ١٩٦٧ في مدينة القدس) نحو ١٣ الف شخص خلال عام ١٩٧٤ فقط . وقد اوضح مدير لواء القدس والجنوب في وزارة الاستيعاب الاسرائيلية « ان القدس تستوعب ١٠٪ من مجموع القادمين الجدد » (٨٣) .

الخلاصـــة :

ازدادت حمى الاستيطان الاسرائيلي في المناطق المحتلة في اعقاب حرب تشرين (اكتوبر) ١٩٧٣ وحتى الوقت الحاضر . وهذه دلالة هامة على عزم العدو الصهيوني على تكريس واقعه الاحتلالي التوسعي رغم كل ما يقال عن امكانية تحقيق « تسوية سياسية » في المنطقة . واذا كانت مخططات العدو الاستيطانية قد كشفت اوهام البعض حول ما يسمى « بالسلطة الوطنية » على اراضي الضفة الغربية وقطاع غزة . فان اهتمام العدو بتعزيز قدراته العسكرية وتطويرها وتحصين مواقعه الامامية يعطي مؤشرا هاما لنواياه العدوانية على المديين القريب والمتوسط .

ومما سبق يتبين لنا ان العدو الصهيوني لم يلتزم بمشروع محدد ازاء نظرته المستقبلية للاراضي المحتلة عام ١٩٦٧ ، في وقت حكمت سياساته خطوطا عريضة ، واطرا معينة شكل الاستيطان محورها الرئيسي . ومن خلال متابعة تصريحات العدو الرسمية نجد ان سياسة العدو تتركز على الاسس التالية :

١) بالنسبة الى الضفة الغربية وقطاع غزة : فان اقصى ما يمكن ان « يتنازل » به العدو هو اقامة « حكم ذاتي » في الضفة والقطاع مرتبط بالنظام الاردني بعلاقة فيدرالية او كونفدرالية من جهة ويكون الكيان الصهيوني محتفظا بالمستوطنات العسكرية التي اقامها في بعض المواقع الاستراتيجية في وادي الاردن وقطاع غزة من جهة اخرى . هذا عدا تمسكه بمدينة القدس والمستوطنات المدينية المحيطة بها (وخصوصا كريات اربع) ، باعتبارها جزء من كيانه ولا تقبل الجدل والمناقشة او التفاوض في اي محادثات ترمي الى تحقيق تسوية سياسية في المنطقة .

٢) بالنسبة الى هضبة الجولان : ــ ففي الوقت الذي يعمل العدو على تطوير وتوسيع مستوطناته عليها ، فهو يرى من خلالها ما يعزز مواقعه العسكرية من جهة وورقة هامة للضغط على سوريا لتقديم تنازلات سياسية تؤدي في النهاية الى تجريد الجولان من السلاح على الاقل من خلال اتفاق من شأنه ان ينهي حالة الحرب في المنطقة ويعطيه مكاسب سياسية وعسكرية هامة على غرار ما حصل عليها من خلال اتفاق سيناء او ربما اكثر من ذلك بكثير .

واذا كانت ثمة صعوبات تعترض سياسة العدو الاستيطانية فهي تتعلق بقدراته البشرية نتيجة الانخفاض الشديد الذي طرأ على معدلات الهجرة اليهودية خلال السنوات الثلاث الماضية وما رافقها من ازمات اقتصادية اثرت — بشكل محدود — على مشاريع البناء اللازمة لتطوير مستعمراته . وعلى الرغم من ان ثمة تغيرات طرأ على مواقف بعض الاحزاب والكتل السياسية الصهيونية باتجاه ايقاف عمليات الاستيطان ، الا ان تأثيرها كان محدودا حيث لم تزل بعيدة عن مواقع السلطة صاحبة القرار السياسي اضافة الى بروز تيارات متطرفة تدفع باتجاه استكمال عمليات الاستيطان في اطار سعيها الحثيث للاحتفاظ بالمناطق المحتلة .

لقد شكل القتال واستمراره العامل الاهم في اضعاف مراكز العدو الاستيطانية وحمل المستوطنين الصهيونيين للنزوح عن العديد من المستعمرات التي انشأها العدو وخاصة على الحدود الشمالية من فلسطين وفي هضبة الجولان . بيد أن حالة الجمود السياسي والعسكري التي تلت حرب تشرين ١٩٧٣ اتاحت للعدو فرص معالجة الظواهر السلبية التي نتجت عنها ، وافسحت المجال امامه لتعزيز مستوطناته على نحو اكثر قدرة وقوة .

وعلى الجانب الاخر فقد رافقت عمليات الاستيطان مقاومة شديدة من جانب جماهيرنا العربية داخل الوطن المحتل التي ظلت متمسكة بارضها وبحقوقها رغم الاجراءات القمعية التي تمارسها سلطات العدو خلال سنوات الاحتلال الماضية .

وقد تراكمت سلسلة النضالات الجماهيرية لتشكل اروع انتفاضة جماهيرية عارمة عمت المدن والقرى الفلسطينية منذ اوائل العام الحالي وحتى الوقت الحاضر . وليس من شك ان الصراع حول الارض شكل محور النضال العربي الفلسطيني ضد ابشع استعمار عنصري استيطاني شهده التاريخ الوسيط والحديث .

الهوامش :

١ ـ معاريف ١٩٧٥/٢/٢٠

٢ ـ السفير ١٩٧٥/١١/٤

٣ ـ صرح ابراهام عوفر وزير الاسكان الاسرائيلي (هاتسوفيه ١٩٧٥/٥/٣٠) « انشىء منذ حزيران ١٩٦٧ «٧٥» مستوطنه جديدة منها «٦٥» مستوطنة خارج الخط الاخضر » .

٤ ـ اشارت الاحصائيات الاسرائيلية انه تم انفاق نحو ٨٩٠ مليون ليرة اسرائيلية منذ حزيران ١٩٦٧ وحتى منتصف عام ١٩٧٤ في مجال الاستيطان في مناطق عام ١٩٦٧في حين بلغت ميزانية الحكومة لعام ٧٤ ـ ١٩٧٥ نحو ٤٣١ مليون ليرة .

٥ ـ معاريف ١٩٧٥/٣/٥

٦ ـ هآرتس ١٩٧٥/٢/٧

٧ ـ ر٠ا٠ت ١٩٧٥/١/٢

٨ ـ انظر : التقرير الشهري العام لدائرة شؤون الوطن المحتل لشهري شباط وآذار ١٩٧٥ .

٩ ـ ر٠ا٠ت ١٩٧٥/٥/٣١ .

١٠ـ دافار ١٩٧٥/١١/١١

١١ـ عل همشمار ١٩٧٥/١٢/١٠

١٢ـ دافار ١٩٧٥/٥/١٩

١٣ـ دافار ١٩٧٥/٤/٢٢

١٤ـ معاريف ١٩٧٥/١/١٤

١٥ـ معاريف ١٩٧٥/١/١٥

١٦ـ معاريف ١٩٧٥/١٠/٢٠

١٧ـ الرأي الاردنية ١٩٧٥/٦/٢

١٨ـ عل همشمار ـ الملحق ـ ١٩٧٥/٢/١٤

١٩ـ نفس المصدر .

٢٠ـ مجلة فلسطين المحتلة العدد : ٣٧ /١٥ ١٩٧٥/١٢ .

٢١- صحيفة الشعب المقدسية ١٩٧٥/٧/٨ ٠
٢٢- دافار ١٩٧٥/١١/٣٠
٢٣- الاتحاد ١٩٧٥/٢/١٨ ٠
٢٤- نشرت صحيفة عل همشمار (١٤/٢/ ١٩٧٥) مزيدا من التفاصيل للضغوط التي مارستها سلطات الاحتلال ضد المواطنين العرب في مشارف رفح ٠
٢٥- الرأي الاردنية ١٩٧٥/٦/٢ ٠
٢٦- نفس المصدر ٠
٢٧- عل همشمار ١٩٧٥/٥/٢٦
٢٨- عل همشمار ١٩٧٥/٥/٢٧
٢٩- صحيفة الانباء الاسرائيلية ١٩٧٥/١/٢٧
٣٠- القدس ١٩٧٥/٥/١٠ ٠
٣١- جيروساليم بوست ١٩٧٥/٦/١٢
٣٢- رقم ١٠ ١٩٧٥/١٢/٣
٣٣- رقم ١٠ ١٩٧٥/١٢/٢٤
٣٤- مجلة فلسطين المحتلة العدد : ٣٨ ٢٢/١٢/ ١٩٧٥ ٠
٣٥- النهار اللبنانية ١٩٧٥/١٢/٦ ٠
٣٦- يديعوت احرونوت ١٩٧٥/٢/١٨ ٠
٣٧- الفداء اللبنانية ١٩٧٤/٢/٨
٣٨- السفير اللبنانية ١٩٧٥/٤/٦ ٠
٣٩- تصريح لاسحق رابين - رئيس وزراء العدو ٠ الانوار ١٩٧٥/٥/١١
٤٠- دافار ١٩٧٥/٢/٧ ٠
٤١- عل همشمار ١٩٧٤/٧/٢٦
٤٢- انظر : عيسى الشعيبي « سيناريو الاستيطان الاسرائيلي في الضفة الغربية المحتلة » السفير ١٩٧٥/٣/٢٥ ٠
٤٣- هآرتس ١٩٧٤/١٠/١٠
٤٤- هاتسوفيه ١٩٧٥/٣/١١ ٠
٤٥- النهار اللبنانية ١٩٧٥/١٢/١١ ٠
٤٦- رقم ١٠ ١٩٧٦/٣/٢٠
٤٧- معاريف ١٩٧٥/٥/٤
٤٨- دافار ١٩٧٤/٩/١٣
٤٩- الفجر المقدسية ٧٤/١٢/٦
٥٠- جيروساليم بوست ١٩٧٤/١١/٨
٥١- يديعوت احرونوت ١٩٧٥/٣/٥
٥٢- دافار ١٩٧٥/١/٢٠
٥٣- يديعوت احرونوت ١٩٧٥/٣/٩
٥٤- هآرتس ١٩٧٥/١/١٣
٥٥- معاريف ١٩٧٥/١/١٣
٥٦- يديعوت احرونوت ١٩٧٥/١/٢٢
٥٧- انظر : مذكرة روحي الخطيب امين القدس الى رئيس اللجنة الملكية لشؤون القدس الدستور الاردنية ١٩٧٥/٦/١
٥٨- السفير اللبنانية ١٩٧٥/١٢/٥ ٠
٥٩- مجلة فلسطين المحتلة العدد : ٣٩ ، ١٩٧٥/١٢/١٩ ٠
٦٠- الشعب المقدسية ١٩٧٥/١/١٣ ٠
٦١- هآرتس ١٩٧٥/٢/٢٨
٦٢- الشعب المقدسية ١٩٧٥/١١/١٩ ٠
٦٣- الفجر ١٩٧٥/١/١٤
٦٤- الشعب المقدسية ١٩٧٥/٢/٧
٦٥- مذكرة روحي الخطيب - المصدر السابق٠
٦٦- يديعوت احرونوت ١٩٧٥/٢/٢٥
٦٧- معاريف ١٩٧٥/٣/٦ ٠
٦٨- جيروساليم بوست ١٩٧٥/٣/٦
٦٩- يديعوت احرونوت ١٩٧٥/٢/٢٥ ٠
٧٠- لمزيد من التفاصيل انظر التقرير الخاص الصادر عن مركز التخطيط بتاريخ ٤/٢/ ١٩٧٥ بعنوان « مستوطنة كريات اربع في مدينة الخليل » ٠
٧١- بيروت ١٩٧١/٥/٢٨ ٠
٧٢- هآرتس ١٩٧٥/١/٤ ٠
٧٣- الشعب المقدسية ١٩٧٥/٨/١٥
٧٤- هآرتس ١٩٧٥/٢/٧
٧٥- يديعوت احرونوت ١٩٧٥/٥/٢٢
٧٦- السفير اللبنانية ١٩٧٥/١١/٢١ ٠
٧٧- هآرتس ١٩٧٥/١٠/١٢
٧٨- البعث السورية ١٩٧٤/٧/١٦
٧٩- مذكرة روحي الخطيب - المصدر السابق٠
٨٠- وفا ١٩٧٥/١٠/٢٨
٨١- هامودیع ١٩٧٥/٢/١١ ٠
٨٢- مذكرة روحي الخطيب - المصدر السابق٠
٨٣- دافار ١٩٧٥/٤/١٤

مستقبل
الليرة الاسرائيلية

عبد القادر شهيب

لم تهنأ العملة الاسرائيلية والليرة ، طول عمر اسرائيل وحتى الان بالاستقرار ، فمنذ عام ١٩٤٨ — عام قيام اسرائيل — والليرة الاسرائيلية تتعرض لسلسلة من التخفيضات التي لم تنته بعد حتى الان ! .. كان الدولار عند قيام اسرائيل في عام ١٩٤٨ يساوي ليرة واحدة ، والان الدولار يساوي ٣٥ر٧ ليرة ، بل ان التقديرات الرسمية لخبراء وزراء المالية الاسرائيلية تتوقع أن يصل سعر الدولار في نهاية العام الحالي الى ٩ر٧ ليرة ، وذلك بسبب اجراءات (التخفيض الزاحف للعملة) والتي تعد احد البنود الهامة في السياسة التقشفيةا التي تبنتها الحكومة الاسرائيلية منذ قليل ، وتتمسك بها حتى الان في سعيها لتطويق الازمة التي تمسك وبعنف بخناق اقتصادها .. وهكذا لا يلوح في الافق امام العملة الاسرائيلية غير تضاعف المتاعب ، وعدم الاستقرار ، فمنذ نهاية العام الماضي ، تكاد الليرة الاسرائيلية تتعرض شهريا للتخفيض في قيمتها .

الشكلين معا :

ولقد تعرضت قيمة الليرة الاسرائيلية لكل هذه التقلبات والتغيرات نتيجة للاهمية الخاصة التي منحها القائمون على ادارة الاقتصاد الاسرائيلي لمسألة تعديل اسعار الصرف معا ، وهما .. اولا تخفيض قيمة العملة من خلال تعدد اسعار الصرف الاقتصادية التي تبنتها الحكومات المتعاقبة في اسرائيل ، وزادت اهميتها مؤخرا في السياسة التقشفية الجديدة التي تحاول الحكومة الاسرائيلية تنفيذها تخفيفا لحدة المشاكل التي يعاني منها الاقتصاد الاسرائيلي حيث يخضع سعر الليرة الان لاعادة النظر في أمره شهريا !

ولان مسألة تعديل اسعار الصرف ، كانت وما زالت لها مثل هذه الاهمية في تفكير مديري الاقتصاد الاسرائيلي ، فلقد عرف هذا الاقتصاد شكلي تعديل اسعار الصرف معا ، وهما .. اولا تخفيض قيمة العملة من خلال تعدد اسعار الصرف الرسمية او الفعلية (١) ، وثانيا تخفيض قيمة العملة الرسمية مباشرة بالنسبة للعملات الاجنبية (٢) .. بل والاكثر من هذا ان الاقتصاد الاسرائيلي لم يعرف شكلي تعديل اسعار الصرف معا فقط ، بل انه افرط في استخدامها كثيرا .

ففي اسرائيل تتعدد اسعار الصرف لليرة بالعملة الاجنبية .. ويمكننا التمييز بين ستة أسعار مختلفة للصرف هي .. السعر الرسمي ، والسعر القانوني ، والسعر الحقيقي ، وسعر التعادل ، والاسعار الفعالة ، واسعار السوق السوداء (٣)

الليرة .. ورحلة التخفيضات :

أما تخفيض قيمة العملة الرسمية بالنسبة للعملات الاجنبية ، فلقد عرفه الاقتصاد الاسرائيلي مبكرا للغاية ، وفي العام الاول من عمر اسرائيل ، ثم تلاه تخفيض اخر في العام الثاني ، حتى اذا ما جاء عام ١٩٦٢ ، كانت الليرة الاسرائيلية قد تعرضت للتخفيض خمس مرات متتالية . (٤)

وفي مواجهة تخفيض قيمة الجنيه الاسترليني عام ١٩٦٧ ، قامت الحكومة الاسرائيلية بتخفيض قيمة عملتها بنسبة ١٤ر٣ ٪ ليصير سعر الدولار ٣ر٥ ليرة .

ثم عادت الحكومة الاسرائيلية الى اجراء تخفيض جديد لعملتها عام ١٩٧١ ليرتفع سعر الدولار الى ٤ر٢ ليرة اسرائيلية ، ولقد جاء هذا التخفيض في اعقاب الاجراءات الاقتصادية التي اعلن عنها الرئيس الامريكي نيكسون وقتها علاجا لازمة ميزان المدفوعات الامريكي ، فأي تغير في قيمة الدولار كان من الضروري أن يترك اثره في قيمة الليرة الاسرائيلية خاصة وأن خمس اجمالي الصادرات الاسرائيلية يتجه اساسا الى الولايات المتحدة الامريكية (٥)

وعندما اضيفت اعباء حرب اكتوبر ١٩٧٣ الى ما يتحمله الاقتصاد الاسرائيلي من اعباء ، تفاقمت مشاكل هذا الاقتصاد ، فلقد كلفت هذه الحرب الاقتصاد الاسرائيلي ثمنا باهظا بلغ اكثر من سبعة امثال نفقات حرب يونيو ١٩٦٧ . لقد اعلن بنحاس سابير وزير المالية السابق وهو يقدم اول ميزانية اسرائيلية بعد اكتوبر ١٩٧٣ : « أن الحرب كلفت البلاد خسائر في الانتاج والاستثمارات قدرت بحوالي ٣٠ مليار ليرة اسرائيلية ، ! بينما بلغت تكاليف حرب يونيو ٤ مليارات ، ٣٧٥ مليون ليرة فقط » (٦)

ولمواجهة هذه الاعباء اعلنت اسرائيل ما يسمي وقتها (بأقسى) برنامج تقشف او « السياسة الاقتصادية الجديدة » في نوفمبر ١٩٧٤ ، وتضمن هذا البرنامج فرض ضرائب ورسوم جديدة ، ورفع لمعدلات بعض الضرائب والرسوم القائمة ، وتخفض بعض النفقات ، ومنع استيراد بعض السلع ، مثل السلع الكهربائية والسيارات وغيرها ، لمدة ستة اشهر ، الى جانب اجراءات نقدية تستهدف الحد من التوسع في الاقراض ، وشمل هذا البرنامج ايضا تخفيضا جديدا لليرة الاسرائيلية بنسبة ٤٣ ٪ . وكان هذا التخفيض هو التخفيض الثامن لها . (٧)

غير ان هذا التخفيض الجديد لليرة الاسرائيلية ، وبقية الاجراءات الاقتصادية التقشفية كلها ، لم تنجح في وقف التدهور الاقتصادي الذي تعاني منه اسرائيل ، فتصاعدت صيحات الخبراء الاقتصاديين فيها تهدد من حلول خطر الافلاس ، وتنتقد وبقسوة السياسات المالية والاقتصادية ، واستحوذ وزير مالية اسرائيل على الاغلب الدائم من هذا النقد حتى انه ظل يردد دائما : « انني اذا اضطررت الى السير فوق بضعة مسامير .. سأفعل ذلك ! » . وعلقت مجلة التايم على ذلك القول : « ان وزير المالية يسير بالفعل على عدد وافر من هذه المسامير ! » (٨)

ولذلك لم تلجأ الحكومة الاسرائيلية فعلا الى اجراء تخفيض جديد لعملتها ولكنها اعلنت عن برنامج شامل للتخفيض الزاحف لعملتها ، تخففا من الام هذه المسامير . ففي منتصف شهر يونيو ١٩٧٥ ، عندما وافقت الحكومة الاسرائيلية على تخفيض جديد لليرة بنسبة ٢ ٪ قامت في نفس الوقت بتعيين لجنة وزارية مسئولة لمراقبة

سعر تبادل العملة ، برئاسة وزير المالية ، وتضم وزراء التجارة والصناعة والعدل ، وخولت هذه اللجنة حق اجراء اية تخفيضات جديدة لليرة بنسبة ٢٪ بعد التشاور مع رئيس مصرف اسرائيل ، وبعد موافقة رئيس الحكومة ، على الاقل المدة التي تنقضي منذ التخفيض السابق عن ثلاثين يوما (٩) ، وقد سمى هذا التخفيض الجديد بالتخفيض الزاحف .

ومنذ ان شكلت هذه اللجنة (لجنة التخفيض الزاحف لليرة) وهي تمارس الصلاحيات التي خولت لها في تخفيض الليرة الاسرائيلية تقريبا مرة كل شهر وكان اخر تخفيض لليرة الاسرائيلية بنسبة ٢٪ في شهر مارس (١٩٧٦) حيث ارتفع سعر الدولار ليساوي ٧ر٥٣ ، وهذا هو التخفيض رقم (١٦) للعملة الاسرائيلية منذ قيام اسرائيل ، والتخفيض رقم (٨) منذ الاعلان عن خطة التخفيض الزاحف للعملة الاسرائيلية ، ويجمع كثيرون من خبراء الاقتصاد ورجاله خارج اسرائيل وداخلها ان هذا التخفيض لن يكون اخر تخفيض للعملة الاسرائيلية ، خاصة وان الحكومة الاسرائيلية ما برحت متمسكة بخطة التخفيض الزاحف للعملة والتي اعلنتها منذ قرابة التسعة اشهر . بل ان مصدرا اسرائيليا مسئولا صرح تعليقا على اخر تخفيض تم للان : « ان الحكومة تبحث اجراء التخفيض على فترات اقل من الثلاثين يوما ! » (١٠)

وهكذا لن تقدر الليرة الاسرائيلية ـ كما يبدو في المستقبل المنظور ـ ان تهنأ بنوع من الاستقرار ، كما لم يتح لها ذلك في الماضي المعروف . بل لعل هذا الاستقرار المفقود سوف يكون مضاعفا .

عدم الاستقرار .. لماذا ؟

كانت توجد باستمرار اسباب تفرض على الليرة الاسرائيلية عدم الاستقرار ، وهذه الاسباب تضاعف عددها وزاد تأثيرها ، وان كانت تختلف نوعيتها من فترة الى اخرى ! .. فلا توجد اسباب واحدة تفسر كل هذه التخفيضات التي تعرضت لها الليرة الاسرائيلية . ولكن توجد اسباب خاصة بكل مرحلة مر بها الاقتصاد الاسرائيلي وعملته .

ويمكننا التمييز بين ثلاث مراحل تتميز كل منها باسباب خاصة فرضت على العملة الاسرائيلية عدم الاستقرار ، وعرضتها للتخفيض المرة تلو الاخرى .

المرحلة الاولى : ظروف النشأة غير الطبيعية :

ترجع اسباب التخفيضات التي تعرضت لها الليرة الاسرائيلية في السنوات الاولى الى ظروف النشأة غير الطبيعية لاسرائيل ، ففضلا عن عدم الاستقرار الذي تميز به الاقتصاد الاسرائيلي وقتها (نتيجة لاختلال العلاقات داخله بين الاسعار والاجور والاستثمارات) فلقد ووجه القائمون على ادارة هذا الاقتصاد بمطالب اقتصادية هامة كان عليهم تلبيتها وهي :

اولا : مواجهة مشاكل المهاجرين الجدد الى اسرائيل خاصة وان السنوات الاولى في حياتها شهدت سيلا جارفا من المهاجرين من مختلف بلاد العالم فقد بلغ عدد اليهود المهاجرين الى اسرائيل منذ قيامها حتى عام ١٩٦٥ اكثر من مليون ونصف مليون يهودي من انحاء العالم . (١١)

وكان على حكومة اسرائيل ، وبالذات القائمون فيها على ادارة اقتصادها ، ان

غير ان هذا التخفيض جاء عقب الاجراءات الاقتصاوية التي اعلنها الرئيس الامريكي السابق نيكسون علاجا لازمة ميزان المدفوعات الامريكي ، نتيجة (قـــــوة الروابط التجارية بين اسرائيل والولايات المتحدة الامريكية .) ففي السنوات الاخيرة مثـلا كانت الصادرات الاسرائيلية الى امريكا تعادل خمس اجمالي كل صادراتها . (٢١)

وخلاصة القول .. ان التخفيض الذي تعرضت له الليرة الاسرائيلية في هـــــذه المرحلة ولمرتين (١٩٦٧ و ١٩٧١) يرجع سببه اساسا الى الطبيعة الشاذة للاقتصاد الاسرائيلي ، والتي تتسم بالاعتماد الكبير على المصادر الخارجية في تمويل الاستثمارات الداخلية ، ولذلك كان تخفيض العملة خلال هذه المرحلة يستهدف امرين معا : الامر الاول معالجة مشكلة تحديد اسعار الصرف لليرة الاسرائيلية على ضوء الاهميـــة الكبرى للعلاقات الاقتصادية والتجارية لاسرائيل مع العالم الخارجي ، وهو ما يؤكده ان تخفيض العملة في هذه المرحلة كان يأتي دائما في اعقاب اجراءات اقتصادية خـــارج اسرائيل وفي دول لها روابط اقتصادية او تجارية وثيقة بها ، .. والامر الثانـــي تخفيف حدة الاختلال المزمن في ميزان المدفوعات وهو الامر الذي سيصبح احـــد المشاكل الرئيسية للقائمين على ادارة الاقتصاد الاسرائيلي ، وحتى الان !

المرحلة الثالثة : البديل المرغوب فيه :

اما في المرحلة الثالثة ـــ والتي بدات بعد حرب اكتوبر ـــ فلقد صار تخفيض الليرة الاسرائيلية ضرورة اقتصادية يحبذها الساسة الاسرائيليون ، أو بديلا مرغوبـــا فيه من جانب القائمين على ادارة الاقتصاد الاسرائيلي والحكم كله .

فلقد كانت امامهم عدة اختيارات لمعالجة مشاكل الاختلال في الميزان التجـــاري وميزان المدفوعات اهمها :

اولا : الاعتماد على احتياطي الذهب والعملات الاجنبية القابلة للتحويل . غير ان هذه الوسيلة كانت تعد غير مجدية في ظروف مثل ظروف اسرائيل ، فهـي تفترض اساسا أن تكون النسبة بين حجم الاحتياطي من الاصول الاجنبية والذهب الى حجم التجارة الخارجية ، كبيرة نسبيا ، وأن تكون مشكلة العجز في الميزان التجاري ذات طبيعة عارضة او سطحية . وهذه الشروط لم تكن متوفرة في الظروف الاقتصاديـــة لاسرائيل . فالعجز في الميزان التجاري الذي تعاني منه اسرائيل هو عجز من النوع المزمن يتزايد عاما بعد الاخر ، وقد وصل في نهاية العام الماضي (١٩٧٥) الى حوالي ٣ مليارات دولار (٢٢) بينما الحجم النسبي لاحتياطي اسرائيل من العملات الاجنبية ضئيل وفي تناقص مستمر ، حتى اصبح هذا الاحتياطي لا يكفي لاكثر من ستة اسابيـــع بدلا من ثلاثة شهور . (٢٣)

ولهذه الاسباب استبعد رجال الاقتصاد الاسرائيلي هذا الاختيار مـــن بيـــن الاختيارات المطروحة عليهم لمعالجة مشاكل الميزان التجاري وميزان المدفوعات .

ثانيا .. اللجوء الى تخفيض أو تجميد مستويات الاسعار والاجور ، لمحاولة احتواء اي ارتفاع في تكلفه انتاج سلع التصدير ، حتى لا تفقد ميزتها النسبية في الاســـواق العالمية فيتناقص الطلب عليها . وهذه الوسيلة تقتضي اتباع سياسة نقدية مرنـــة ، وتستلزم تجاوبا كبيرا من جانب نقابات العمال فتتراخى في مطالبتها بزيـــادة اجـــور العمال المنضمين لها ، وهو أمر من الصعب تحقيقه . ومما يؤكد ذلـــك تصاعـــد الاضرابات العمالية في اسرائيل ، وتنوعها وشمولها عددا كبيرا ومتزايدا من العمال ،

واضطرار النقابات هناك للرضوخ — وان كان بعد تسويف ومماطلة — لهذه المطالب .

اما من الناحية العملية فهذه الوسيلة تعادل في اثارها اسلوب تخفيض قيمة الليرة مع بقاء مستوى الاسعار ثابتا .

ثالثا .. فرض رقابة على عمليات الاستيراد واتباع سياسة تمييزية فيما يتعلق بالصادرات . فهذا من شأنه تخفيض الواردات ، ورفع مستوى الصادرات ، الامر الذي سوف يؤدي في النهاية الى خفض العجز في الميزان التجاري ، والنتائج هنا مباشرة وسريعة التأثير في علاج خلل الميزان التجاري وميزان المدفوعات . غير ان هذه الوسيلة ليست مستحبة في البلاد ذات النهج الراسمالي ، فعادة لا يلجأ المخطط الاقتصادي الى اتباع هذا الاسوب الا في البلاد التي تمثل فيها الملكية العامة وزنا ملحوظا وتتسم فيها السياسة العامة الداخلية براديكالية واضحة ، وهو ما تفتقده اسرائيل .

ولذلك بات اسلوب تخفيض قيمة العملة هو البديل الوحيد المرغوب فيه من قبل الساسة الاسرائيليين ، ومديري اقتصادها خلاصا من مشاكل عجز موازين التجارة والمدفوعات ، أو تخفيفا من حدتها . فالوسائل السابقة — كما راينا — لا تعد بدائل مرغوب فيها من قبل الساسة الاسرائيليين .

وهكذا قامت الحكومة الاسرائيلية في نوفمبر ٧٤ باجراء تخفيض كبير في قيمة عملتها بلغت نسبة ٤٣ ٪ ضمن مجموعة من الاجراءات الاقتصادية . ذات الطابع التقشفي في أطار ما يسمى بها (بالسياسة الاقتصادية الجديدة .) ثم عادت في منتصف يونيو ١٩٧٥ باعلان برنامج شامل لتخفيض قيمة عملتها عرف ببرنامج التخفيض الزاحف ، يحق بمقتضاه للجنة يراسها وزير المالية اجراء تخفيض شهري بنسبة ٢ ٪ في قيمة الليرة . ومن يومها ، واللجنة تستخدم هذا الحق كل شهر تقريبا !

اهداف التخفيض الزاحف :

ولقد اعلنت الحكومة انها تسعى بهذه السياسة الجديدة (سياسة التخفيض الزاحف) لتحقيق جملة من الاهداف .

اولا: تخفيض حجم العجز في الميزان التجاري عن طريق زيادة الصادرات الاسرائيلية، فكما يزعم (ابراهام دوفرات) المستشار الاقتصادي لوزارة المالية الاسرائيلية : « ان تخفيض سعر الليرة شهريا من شأنه ان يضع الصادرات الاسرائيلية في مركز تنافس مع الدول الاخرى ، لانه يسمح بتعويض ارتفاع اسعار السلع المصدرة بمعدل اعلى بكثير من معدل ارتفاع الاسعار في اسرائيل » . (٢٤)

ثانيا : تخفيض حجم العجز في ميزان المدفوعات بواسطة زيادة تدفق الاموال ورؤوس الاموال الى اسرائيل . فدوائر وزارة المالية الاسرائيلية تتوقع ان يساهم تخفيض الليرة سنويا في اقرار حالة من الاستقرار في سوق الاوراق المالية من شأنه تشجيع تدفق رؤوس الاموال الاجنبية اليها . فكما يدعي السيد كافتير وفتيسن مراقب النفقات بالعملات الاجنبية في وزارة المالية الاسرائيلية بأن احدى مزايا التخفيض الزاحف هو « ان السوق السوداء للتعامل بالعملات الاجنبية ستفقد غرضها وذلك لان الفرق الكبير بين السعر الرسمي وسعر السوق الحرة سوف يتلاشى بسرعة وكذلك الفرق بين سعر البضائع والخدمات المستوردة » . (٢٥) . وعندما تختفي

السوق السوداء ، تستقر سوق الاوراق المالية ، ويتشجع اصحاب رؤوس الاموال تتدفق الاموال على اسرائيل لتساهم في حل مشكلتي الاستثمارات بها والعجز المزمن بميزان مدفوعاتها .

ثالثا : تخفيف عبء الديون على الخزانة الاسرائيلية ، فزيادة الصادرات المنشودة سوف يزيد من حصيلة هذه الخزانة من النقد الاجنبي ، الامر الضروري لمواجهة عبء هذه الديون ، خاصة عبء الفوائد وهو متزايد ، كما أن تخفيض الواردات — المرجو تحقيقه كأحد اثار تخفيض الليرة من شأنه تقليل احتياجات اسرائيل من كميات النقد الاجنبي ، وهذا اما أن يوفر عليها قروضا او ديونا جديدة ، او يحقق لها بعض الوفر من النقد الاجنبي تواجه به عبء الدين الاجنبي .

وهكذا يتضح ان الحكومة الاسرائيلية ، خاصة دوائر وزارة المالية فيها ، تراهن بشكل اساسي على سياسة التخفيض الزاحف للعملة لحل عديد من مشاكلها الاقتصادية والتي لم تنجح خطتها التقشفية في عام ٧٤ في القضاء عليها أو التخفيف من حدتها ، وهذا ما يفسر اصرارها على المضي قدما في هذه السياسة ، فها هو وزير المالية الاسرائيلية يعلن اصراره عليها عندما يقول : « أن السياسة الاقتصادية — المنفذة بالطبع — قد منعت التدهور الذي كان متوقعا . لكن يجب الاستمرار باتخاذ الاجراءات الشديدة والخطيرة في خلال السنتين القادمتين كسياسة مستمرة وليس على شكل مرة واحدة فقط » . (٢٦)

وفي مواجهة هذا الاصرار الحكومي على السياسة الاقتصادية كانت ثمة معارضة على الجانب الاخر من قبل بعض خبراء الشئون الاقتصادية ، مثل المعلقين الاقتصاديين لبعض الصحف وأبرزهم معلق صحيفة دافار — ، ورئيس الغرفة التجارية ورئيس بنك الاتحاد الصناعي .. وغيرهم (٢٧) .. وترتفع اصوات هؤلاء الان وغيرهم محذرة الحكومة من عواقب هذه السياسة لكن الحكومة ما برحت مصرة على المضي قدما في السير فوق هذه المسامير ، كما ابدى وزير ماليتها استعداده لذلك غير عابيء بكل التحذيرات .

حصاد سياسة تخفيض العملة :

غير أن حصاد سياسة تخفيض العملة في الماضي خاصة في السنتين الماضيتين ٧٤ ، ١٩٧٥ ، والنتائج المتوقعة لاستمرارها ، انما تخذل الحكومة الاسرائيلية بحق ، وتؤكد رأي معارضي سياستها الاقتصادية ، فلا الاهداف المرجوة من اجراءات تخفيض العملة المتتابعة تحققت ، ولا الأمال المعلقة على سياسة التخفيض الزاحف سوف تتحقق هي الاخرى .

ففي المرحلة الاولى استهدف تخفيض العملة الجديد التضخم الناشيء من السياسة النقدية (التمويل بالعجز) التي اتبعتها الحكومة الاسرائيلية لمواجهة متقلبات ظروف النشأة الاولى لاسرائيل ، غير أن التخفيض لم ينجح في مجرد تخفيض حدة هذه المشكلة ، بل صار التخفيض احد الحلقات في الدورة الحلزونية التي شهدها الأقتصاد الاسرائيلي ، وما زال يتلوها ارتفاع في الاسعار يلغي الاثار التي استهدفها التخفيض الأول ويجعل من الضروري اجراء تخفيض جديد في العملة وهكذا دواليك .. ! . . .

اما في المرحلتين التاليتين ، فلقد فشلت اجراءات تخفيض العملة في مجرد تخفيف حدة المشاكل المالية والاقتصادية التي تعاني منها اسرائيل ، وهو الامر الذي كان

المسئولون في اسرائيل — وما يزالون — يعربون عن املهم في ان يساهم تخفيض العملة في تحقيقه .

● فالعجز في الميزان التجاري يتجه خطه البياني الى الصعود المستمر .. لقد كان العجز في عام ١٩٧٢ لا يتجاوز المليار دولار (٨٢٠ مليون دولار) ولكنه في العام الذي يليه بلغ مليارا ونصف مليار دولار ثم ارتفع في العام ١٩٧٤ الى ١٨٠٠ مليون دولار ، أما في نهاية العام الماضي فلقد بلغ العجز ثلاثة مليارات دولار ، ولقد زاد هذا العجز — كما اعلن موشيه زنبار حاكم مصرف اسرائيل أمام اللجنة الاقتصادية التابعة للكنيست — بمبلغ ٤٠٠ مليون دولار عما كان متوقعا في بداية السنة المالية بسبب عدم تحقق التوقعات بشأن زيادة الصادرات وهو ما كانت تنشده الدوائر الاقتصادية الاسرائيلية من عمليات التخفيض المتوالية لليرة . (٢٨)

● واتجه ايضا الخط البياني لميزان المدفوعات الى الصعود وبمعدل مرتفع .. حتى بلغ في العام ١٩٧٤ حوالي ثلاثة مليارات ونصف مليار من الدولارات ، وهو ما يعادل تقريبا العجز في بريطانيا ، رغم ان تعداد السكان في اسرائيل يقل كثيرا عن تعداد السكان في بريطانيا . (٢٩)

وهكذا زاد العجز بمقدار اربعة اضعاف منذ حرب اكتوبر ١٩٧٣ ، أي انه زاد اربع مرات خلال عامين فقط (٣٠) ، ولم تفلح اجراءات تخفيض العملة في التخفيف من حدة هذا العجز او مجرد وقف تزايده :

● وزادت كذلك ديون اسرائيل وزاد عبئها عليها . فمنذ سنوات قليلة ، وبالتحديد عام ١٩٦٧ ، كانت جملة الديون الخارجية الاسرائيلية لا تتجاوز ١٦٠٠ مليون دولار ، غير انها ارتفعت مع نهاية العام الماضي الى ٨ مليارات دولار كاملة . (٣١) ، ولقد قدرت اعباء الديون ومدفوعاتها في العام ١٩٧٥ وحده حوالي ١٥٠٠ مليون دولار ، أي ما يوازي ثلاثة ارباع قيمة صادرات اسرائيل . ولقد نقل عن مسئول بوزارة المالية الاسرائيلية قوله : « بعد سنتين أو ربما بعد سنة سوف تضطر اسرائيل الى تسديد ديون وفوائد بالعملة الصعبة تساوي كل القيمة الاضافية لصادراتها الصناعية » . (٣٢) ، ولقد قدرت صحيفة معاريف جملة هذه الديون في نهاية العام الحالي بحوالي ٩ر٢ مليار دولار . (٣٣) بينما ترتفع بها توقعات اخرى الى ١٠ مليارات دولار . (٣٤)

● اما احتياطي العملات الاجنبية لدى اسرائيل ، فلقد تناقص بشكل ملحوظ وواضح . ففي عام ١٩٧٤ انخفض احتياطي العملات الاجنبية بنسبة ٥٠٪ عن العام الذي قبله ، ليبلغ ٩٠٠ مليون دولار فقط (٣٥) وفي العام الماضي اضطر وزير المالية الى مد يده الى ما يسمى باحتياطي الخط الثاني من العملة الصعبة (وهو ودائع السكان المقيمين بالخارج) ، فلقد قرر وزير المالية السماح للمصارف الاسرائيلية التي تحتفظ بهذه الاموال باعطاء الشركات الاسرائيلية التي تحتاج لعملة صعبة من اموال الودائع الخارجية حتى تستورد ما يلزمها من معدات ومواد خام ، ولقد بلغ استهلاك احتياطي الخط الثاني كله حوالي ٧٠٠ مليون دولار في العام الماضي (٣٦) ، أما الان ومع بداية العام الحالي ، فلقد اصبح احتياطي النقد الاجنبي لا يكفي لاكثر من ستة اسابيع بدلا من ثلاثة شهور . (٣٧)

● كما انخفضت الاستثمارات الاجنبية في اسرائيل كثيرا ورؤوس الاموال الواردة اليها في السنتين الماضيتين — وهما السنتان اللتان شهدتا تخفيضات متتالية لسعر

الليرة . ففي عام ١٩٧٤ ، انخفضت رؤوس الاموال الواردة اليها بنسبة ٤٥٪ (٣٨) ، بينما بلغت نسبة الانخفاض في العام الماضي ٥٠٪ (٣٩) واحد العوامل الهامة في هذا الانخفاض هو اسلوب التخفيض الزاحف ـ كما صرح بذلك رئيس مجلس ادارة مصرف الاتحاد الصناعي (٤٠) . فهذا التخفيض الزاحف قد الحق الضرر بالمولين الاجانب العاملين في اسرائيل حتى ان بعضهم قام بتحذير الهيئات الحكومية وتنبيهها الى انهم لن يستطيعوا مواصلة العمل في الظروف التي خلت باسرائيل نظرا للخسائر التي تعرضوا لها اثر التخفيضات ، وعلى اثر ذلك انشغلت الدوائر الحكومية الاسرائيلية في الفترة الاخيرة بالبحث في كيفية تقديم تسهيلات لهؤلاء المولين تشجيعا على البقاء والعمل في اسرائيل . (٤١)

● ولحق الانخفاض ايضا بمستوى المعيشة في اسرائيل وذلك نتيجة لاتساع موجة التضخم التي تمسك بخناق اقتصادها منذ سنوات ، والارتفاع المستمر في الاسعار خاصة اسعار المواد الضرورية وبقد ارتفعت الاسعار مع نهاية العام الماضي (١٩٧٥) بنسبة ٥٥٪ (٤٢) ويتوقع رجال الاقتصاد في بنك اسرائيل استمرار هذه الزيادة وبنسبة لن تقل عن ٤٠٪ في العام الحالي . (٤٣)

ونتيجة لهذا الارتفاع في الاسعار انخفض مستوى المعيشة في اسرائيل عام ١٩٧٤ عن العام الذي قبله بنسبة ٥٪ (٤٤) ، ويلعب تخفيض قيمة الليرة دورا في ترسيخ اقدام التضخم في اسرائيل ، وظاهرة تدني مستوى المعيشة ، بل ان المراسل الاقتصادي لصحيفة عل همشمار يتوقع ان ينخفض معدل استهلاك الفرد بالدولار في العام الحالي الى ٢٠٥٠ دولار مقابل ٢١٨٠ دولار في العام الماضي اي بنسبة انخفاض ٦٪ ، وذلك نتيجة لتوقع انخفاض سعر الليرة في العام الحالي ليصير الدولار يساوي ٩٫٦٨ ليرة اسرائيلية ، بينما انتهى عام ١٩٧٥ وهو يساوي ٧٫٤٨ ليرة فقط ! (٤٥)

وهكذا لم تساهم التخفيضات ـ ومنها ٥ تخفيضات ضمن ما يسمى بسياسة التخفيض الزاحف ـ في تخفيف حدة المشاكل المالية والاقتصادية التي تعاني منها اسرائيل ، بل وعلى النقيض تماما كان لهذه التخفيضات دور في تفاقم هذه المشاكل ، مثل مشكلة الاستثمارات الاجنبية ، والتضخم في اسرائيل .

كذلك ليس من المتوقع ـ كما يراهن ساسة اسرائيل ـ ان تساهم سياسة التخفيض الزاحف في تلطيف الام هذه المشاكل الحادة والمزمنة للاقتصاد الاسرائيلي . وذلك لاكثر من سبب :

اولا : ان زيادة الصادرات الاسرائيلية لا يتوقف فقط على عامل واحد هو انخفاض السعر عن غيرها من السلع ، وهو الامر الذي يحققه تخفيض الليرة شهريا كما قدرت دوائر وزارة المالية الاسرائيلية . ولكن هناك عوامل اخرى هامة ايضا تتحكم في نمو حركة الصادرات باسلب والايجاب ، مثل جودة هذه السلع نفسها ، وهو الامر الذي لن يوفره تخفيض قيمة الليرة ولو يوميا ! ، خاصة اذا كانت نصف الصادرات الاسرائيلية تتجه الى الاسواق الاوروبية ، فهناك سوف تجد من السلع الاوروبية منافسا قويا لتفوقه في الجودة ! .. وايضا مثل تكلفة الانتاج ، وهو امر لا يؤثر فيه بالقليل او بالكثير اجراءات تخفيض العملة لانه يتوقف اساسا على حجم الانتاج ، والطلقة الانتاجية المتاحة والمستخدمة للاقتصاد القومي . وعندما يكون الاقتصاد الاسرائيلي يعمل بنصف طاقته الانتاجية الان ، خاصة وان ذلك سوف يزيد

كثيرا من تكلفة الانتاج ، وبالتالي سيؤثر بنفس الدرجة في امكانيات واحتمالات زيادة الصادرات ، وهو ما تسعى اليه اجراءات تخفيض الليرة ! ، خاصة اذا كانت نصف الصادرات الاسرائيلية تتجه الى السوق الاوروبية ، فهناك سوف تجد السلع الاوروبية مناف قويا في الجودة ! . . وأيضا مثل تكلفة الانتاج ، وهو امر لا يؤثر فيه بالقليل أو الكثير اجراءات تخفيض العملة ، لانه يتوقف اساسا على حجم الانتاج والطاقة الانتاجية المتاحة والمستخدمة للاقتصاد القومي . وعندما يكون الاقتصاد الاسرائيلي للعمل بنصف طاقته الانتاجية الان ، فان ذلك سوف يزيد كثيرا من تكلفة الانتاج ، وبالتالي سيؤثر بنفس الدرجة في امكانيات واحتمالات زيادة الصادرات ، وهو ما تسعى اليه اجراءات تخفيض الليرة .

ومعنى ذلك كله ان اجراءات تخفيض الليرة — وشهريا — سوف يكون تأثيرها هامشيا في احتمالات زيادة الصادرات ، لان هناك عوامل اخرى تتحكم في هذا الامر وباتجاه معاكس .

واذا تضافر مع ذلك صعوبة تخفيض الواردات ، فاننا يمكننا ان نتوقع ان يساهم التخفيض الزاحف في ايجاد حل لمشكلة الميزان التجاري او تخفيف حدتها .

ثانيا : ان التخفيض الزاحف لليرة الاسرائيلية لن يقضي على المضاربات الحالية في اسرائيل لانه لا يلغي الظروف التي تدعو للمضاربة ، فمن ناحية ما برح سعر الفائدة في اسرائيل عاليا ، وأعلى من مثيله في اوروبا ، ومن ناحية اخرى لا يوفر هذا التخفيض الزاحف (الاستقرار الحالي المطلوب لافتقاد (السعر الهدف) الذي تسعى سياسة التخفيض الزاحف للوصول اليه . ومن ناحية ثانية لن يلغي هذا التخفيض الشهري السوق السوداء للعملات في اسرائيل ، بل لعله سيساهم في اتساعها ، فيتزايد اقبال الاسرائيليين على تحويل مدخراتهم من الليرات الاسرائيلية ، والى عملات اجنبية قوية تضمن لهم المحافظة على القوة الشرائية ، على عكس الليرة التي سيزداد توقع استمرار انخفاض قوتها الشرائية في ظل التخفيض الزاحف .

وبسبب افتقاد هذا الاستقرار لن تكون هناك امكانية لاطراد تدفق رؤوس الاموال الاجنبية على اسرائيل ، وحتى الان ما برح قادة اسرائيل يرفضون وبعناد التخلي عن سياستهم العدوانية ، ولذلك سوف تستمر المشاكل الاقتصادية لاسرائيل وتزايد حدتها .

ومعنى هذا ان تفشل سياسة التخفيض الزاحف في مجرد تخفيف حدة مشكلة ميزان المدفوعات ، وايضا مشكلة التحويل الخارجي ، وعندما يسجل التخفيض الزاحف فشله في حل مشكلة الميزان التجاري ، وميزان المدفوعات ، فهذا يعني بالضرورة فشلا في ايجاد حل لمشكلة الديون ايضا !

ثالثا : ان المحصلة النهائية لسياسة التخفيض الزاحف ، وعلى عكس ما قدر خبراء الاقتصاد الاسرائيليون — سوف تكون زيادة لحدة التضخم وارتفاعا مستمر للاسعار ، فالتخفيضات المتتابعة في سعر تبادل العملة الاسرائيلية سوف يؤدي الى ارتفاع اسعار السلع المستوردة التامة الصنع ، وأيضا اسعار السلع المنتجة المحلية التي يدخل في انتاجها المستورد . كما ان التخفيض المستمر يسبب جوا من الذعر وعدم الاستقرار وهو ما يضاعف من الضغوط التضخمية ، والحصيلة في النهاية انخفاض في مستوى المعيشة .

أما اذا اضطرت الحكومة — تحت ضغوط شتى — الى الاستمرار في زيادة

الاجور ، والمحافظة على اسعار السلع الغذائية الاساسية بزيادة الاعانات الممنوحة لها ، فسوف تضطر بالضرورة الى زيادة انفاقها بالعجز لتغطية هذه المطالب ، الامر الذي سوف يرتد الى صدرها بزيادة الضغوط التضخمية !

غير ان اخطر النتائج المتوقعة لسياسة التخفيض الزاحف لليرة هو عملية اعادة توزيع الدخل بين السكان من اصحاب الدخول المنخفضة الى اصحاب الدخل المرتفع ، نتيجة للتزايد المستمر للاسعار ، وهو ما يأتي باستمرار على حساب مصالح اصحاب الدخول المحدودة والمتوسطة ، ونتيجة لاتساع رقعة السوق السوداء ، وهو ما يلحق الغبن بالفقراء ، وهذه هي نقطة البداية لافتقاد الاستقرار الاجتماعي وتزايد الاضطراب داخل المجتمع ، ومن هنا يمكن ان نفسر تزايد الاضرابات العمالية في اسرائيل .

هكذا لن تقدر سياسة التخفيض الزاحف لليرة علا حل مشاكل اقتصادها المعقدة ، بل سوف تساهم في زيادتها تعقيدا .. فحل هذه المشاكل يقتضي نوعا اخر من الحلول، ومنهجا مختلفا من التفكير ، يقتضي ان تعيد الحكومة الاسرائيلية النظر في الاموال التي تنفقها على التسليح والاستعداد العسكري ، خاصة بعد ان وصلت نسبة هذه الاموال الى ٤٠٪ من ميزانية العام الحالي ، وتوظيف هذه الاموال في مجالات اخرى اكثر نفعا ، وحتى يحدث هذا لا بد وأن يتخلى قادة اسرائيل عن اهدافهم وسياستهم العدوانية في المنطقة ، ويقبلون بالسلام العادل !

الهوامش :

(١) تخفيض قيمة العملة من خلال تعدد اسعار الصرف الرسمية او الفعلية يتضمن تمييزا بين السلع المختلفة من حيث اسعار الصرف وذلك تبعا للاهمية النسبية لكل منها في مجال التصدير او الاستيراد .

(٢) أما تخفيض القيمة الرسمية لعملة البلد بالنسبة للعملة الاجنبية ، فالهدف وراءه هو تخفيض اسعار السلع المصدرة مقومة بالعملة الاجنبية ، الامر الذي يؤدي الى تشجيع الصادرات وتقليل الواردات للتقليل من العجز في الميزان التجاري .

(٣) دراسة حول تخفيض الليرة الاسرائيلية ـ ١٩٧٢ ـ نشرات مركز الدراسات الاستراتيجية بالاهرام ، القاهرة ص ( )

(٤) جاء تخفيض الليرة في عام ١٩٦٢ بعد فترة استقرار طويلة للسعر الرسمي لها تجاوزت التسعة اعوام ، أما التخفيضات الاربعة السابقة لتخفيض عام ١٩٦٢ فلقد حدثت كلها بشكل متتالي هكذا ٤٨ ـ ٤٩ ـ ٥٢ ـ ١٩٥٣ .

(٥) دراسة حول تخفيض الليرة الاسرائيلية ـ نشرة مركز الدراسات الاستراتيجية بالاهرام ـ المرجع السابق ـ ص ٤ .

(٦) الاهرام الاقتصادي ـ الاقتصاد الاسرائيلي بعد عامين من حرب اكتوبر ـ العدد ٤٨٣ أول اكتوبر ١٩٧٥ ص ١١ .

(٧) نشرة الارض ـ السنة الثانية ـ العدد (٢٣) ـ ٤١/ ٨/ ١٩٧٥ وهل سينجح التخفيض الزاحف في القضاء على مشاكل الاقتصاد الاسرائيلي ، ص ١٤

(٨) التايم الامريكية ١٩٧٦/١/٥ ص ٧

(٩) نشرة الارض ـ السنة الثانية ـ العدد (٢٣) ـ المرجع السابق ص ١٧ .

(١٠) جريدة الاهرام ١٩٧٦/٢/١٢ .

(١١) جريدة الجمهورية ١٩٧٣/١٢/١٣ ـ مستقبل الهجرة الى اسرائيل بعد حرب اكتوبر ـ عبد القادر شهيب ص ٤

(١٢) اسرائيل والسوق الاوروبية المشتركة ـ كتاب ـ سلسلة دراسات فلسطينية ـ انجلينا الحلو ص ٤٦

(١٣) نمو الاقتصاد الاسرائيلي ـ عثمان محمد عثمان ـ ص ٨٤

(١٤) السياسة المالية في اسرائيل ـ يوسف شبل ـ دراسات فلسطينية ص ٧٨

(١٥) المرجع السابق ص ٧٨

(١٦) كان التضخم المالي في السنوات الثلاث الاولى من عمر اسرائيل تضخم من النوع المكبوت حيث لجأت الحكومة وقتها الى فرض رقابة على الاسعار ولم يطل الامر حتى بدأت السوق السوداء تظهر الى الوجود ، واشتد الطلب على مختلف السلع نتيجة لارتفاع الشرائية فلجأت الحكومة الى تخفيض لسعر الليرة الاسرائيلية .

(١٨) نمو الاقتصاد الاسرائيلي ـ المرجع السابق ـ ص ١٤

(١٩) مجلة العمال ـ باب معنى الارقام ـ عبد القادر شهيب ـ ١١ ديسمبر ١٩٧٢ العدد ٢٦٦ ص ٦

(٢٠) حول تخفيض الليرة الاسرائيلية ـ دراسة ـ المرجع السابق ـ ص ٤

(٢١) المرجع السابق ص ٤

(٢٢) الاهرام الاقتصادي ـ العدد ٤٨٣ ص ١٠

(٢٣) مجلة التايم الامريكية ـ مقال بعنوان (بحر من المداد الاحمر) ١٩٧٦/١/٥

(٢٤) نشرة الارض ـ السنة الثانية ـ العدد ٢٣ ـ ٧٥/٨/٢١ ـ المرجع السابق ص ١٧

(٢٥) المرجع السابق ص ١٨

(٢٦) نشرة الارض ـ العدوان ٨٠٧ ـ ٣١/ ١٢/ ٧٥ ص ٣٦

(٢٧) رئيس بنك الاتحاد الصناعي من المرشحين لتولي مسؤلية وزارة المالية .

(٢٨) مجلة العصر الحديث ـ ٧٥/٨/٥ ص١٣ نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية ـ العددان (٢٣ ، ٢٤) ـ ٧٥/١٢/١٦ ص ٦٠٠

الاهرام الاقتصادي ـ العدد ٤٨٣ ـ اول اكتوبر ٧٥ ص ١١

(٢٩) العصر الحديث ٧٥/٨/٥ ص ١٣ مجلة الاكسبرس ـ نقلا عن جريدة الجرائد العالمية ٧٦/١/١٢ ـ نشرة مصلحة الاستعلامات المصرية .
نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية ٧٥/١٢/٣١

(٣٠) الاهرام المصرية ١٩٧٦/١/١٤

(٣١) مجلة العصر الحديث ١٩٧٥/٨/٥

(٣٢) نشرة مؤسسة الدراسات ـ المرجع السابق ـ ٧٥/١٢/٣١

(٣٣) نقلا عن نشرة الارض ٧٥/١٢/٣١ ـ المرجع السابق ص ١٥

(٣٤) الاهرام المصرية ـ مقال للسيدة عليوه ـ وداعا للرخاء ودولة الرفاهة في اسرائيل ١٩٧٦/٢/٩

(٣٥) العصر الحديث ٧٥/٨/٥ ـ المرجع السابق .

(٣٦) نشرة مؤسسة الدراسات ـ المرجع السابق ص ٢٠٧

(٣٧) مجلة التايم الامريكية ـ نقلا عن جريدة ـ الجرائد العالمية ٧٦/١/١٢

(٣٨) الاهرام الاقتصادي ـ العدد ٤٨٣ ـ المرجع السابق

(٣٩) تصريح لوزير التجارة والصناعة الاسرائيلي في صحيفة معاريف الاسرائيلية نقلا عن نشرة مؤسسة الدراسات ـ المرجع السابق ص ٢٠٧

(٤٠) المرجع السابق

(٤١) نشرة الارض ـ عدد ٨٢٧ ـ ٧٥/١٢/٣١ ـ المرجع السابق ص ٢٨

(٤٢) الاهرام ١٩٧٦/١/٢٦

(٤٣) الاستماع السياسي ـ اذاعة عبرى ـ الاهرام ١٩٧٦/١/٢٦

(٤٤) وكالة تاس ١٩٧٦/١/١

(٤٥) نقلا عن نشرة الارض ـ ٧٥/١٢/٣١ ـ المرجع السابق ص ٢٧

مـن الانتظار الى اليقظة في أدب اميل حبيبي

د. فيصل دراج

منذ روايته الاولى « سداسية الايام الستة » وقف اميل حبيبي أمامنا كاتبا قمينـا بالاهتمام ، فما ان ظهرت روايته الثانية « الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد ابي النحس المتشائل » حتى اخذ حدسنا مصداقيته ، فرأينا في اميل حبيبي كيانا ادبيا ذا ظلال ، اديبا مبدعا يستعيد حقله النضالي الرحب ويعيده لنا جسما ادبيا رحبا بـدوره ، ولا ينبع حقله الادبي الرحب من خصب تجربته النضالية فقط ، بل من قدرته على تجسيد هذه التجربة الجمعية ادبيا .

وسنحاول هنا لمس دلالة عمله الادبي ، تلمسا لا يحتضن المضمون فقط ، بل يسعى ايضا للمس الخصوصية الادبية الكامنة في جدران العمل الادبي .

سعيد أبي النحس ومسار الحس العام :

تمثل رواية « الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد ابي النحس المتشائل » نمطا روائيا متميزا ، متميزا في شكله الروائي وفي شكل البطل او الابطال الذين يتحركون فـي الفضاء الروائي ، كما يتميز في شكل عكسه للواقع . فالرواية لا تقدم صورة مباشـرة للواقع ، صورة مستوية ، لكنها تقدم هذا الواقع من خلال منعطف أو « استدارة » ، بحيث يمثل امامنا ظاهرا كثيفا ليس في دلالته الا الجوهر المستتر الذي يعطي الظاهر المعنى ويمنحه الجذور . فالخاص لا يفهم الا بعد ربطه بالعام ، والهزلي لا يوعى الا من خلال ربطه بالمأساوي . فلا يقدم الواقع بكل مأساويته مباشرة بل يتقدم من خلال قناع الهزلي او الساخر ، فتضحو الملهاة بكل ابعادها الظاهرية تجسيدا للمأساوي . فالجوهري والاساسي هو المأساوي الذي يتجلى أدبيا من خلال قناع الساخـر ، ويتشخص هذا التناقض الظاهري ــ الديالكتيكي بواسطة شكل البطل الذي يحمـل الحدث بكل تناقضاته ويعكسه كملهاة من حيث هي قناع للمأساة .

تطفو مأساة الواقع المستند على علاقة المحتل بالمحتل عبر شخصية ضاحكة ، لكن الضحك لا يصدر بسبب جمال الواقع واتساقه بل بسبب لا معقوليته وبعده عن الوضع السليم ومجافاته للمنطق ، أي يصبح الضحك الجواب المعقول ازاء واقع لا معقول . الضحك هنا لا مباشر ، لا معقول ، تعبير عن واقع كاسر وكسير . وبذلك يشكل هذا الموقف الضاحك ــ اللامعقول احتجاجا على واقعه ، احتجاجا لا متوازن ، فيتوازن من خلال تطور الحركة التاريخية ، وعندما يتوازن يبتعد الضاحك ــ اللامعقول ليحل مكانه عنصر جديد : المقاومة .

ليس « سعيد أبي النحس المتشائل » في جوهره الا الشعب الفلسطيني الواقع تحت الاحتلال منذ عام ١٩٤٨ خلال مستويات زمنية مطردة . فاذا نظرنا اليه أدبيا وجدنا فيه نموذجا متميزا ، فهو لا يمثل على المستوى الادبي بطلا ايجابيا او سلبيا ! بل هو تعبير عن شكل البطل السائد في فترة تاريخية محددة ، انه الانسان العادي المحكوم بخصائص شروط وجوده . يقبل بالاحتلال ويحافظ على جلده . وينمو ، كي يعود في أفق قادم فيقاوم الاحتلال ، أي ان الصحيح يمكث باستمرار وراء الزائف . فليس « سعيد أبي النحس » الا شخصية زائفة في سذاجتها وممتلكة ادراكا للعالم المباشر ، وتصورا عفويا ، شعبيا وديمقراطيا له ، اي انها بشكل اخر تشخيص للانسان العفوي أو **الحس العام** ، المقولة الاجتماعية الاكثر انتشارا في ظروف تاريخية محددة . ويصبح البطل هنا ذاتا ــ نمطا خاضعة لجملة تحديدات اجتماعية ــ تاريخية . فهو ليس ممثل الحس العام بشكل مطلق أو في الفراغ بل ضمن حقل زمني محدد . ونعني بالحس العام الرؤيا والسلوك والممارسة المتواجدة لدى القطاع العام من الشعب ، أي القاسم المشترك الذي يتحلق ويتمركز حوله غالبية الشعب ازاء موقفهم من العالم وحركته ، والذي لا يسفر عن وجهه الصحيح الا في لحظات مؤاتية ، فالحس العام يسير مقزما ، مراعيا بذلك الشروط المهيمنة وموازين القوى المرتبطة بها .

ونعود فنلخص اطروحتنا بالشكل التالي :

ــ ان « سعيد أبي النحس » تعبير عن الحس العام ، أي قطاع من الشعب الفلسطيني ، لذلك فهو لا يمثل من وجهة النظر الادبية **فردا** او شخصية ، بل هو بطل نمطي يحمل خصائص ومزايا ومواقف شعبه ، ويكون بهذا المعنى **شكل ــ ذات** ، شخصية تحمل في كيانها كيان الشعب بأسره .

ــ ان « سعيد » من حيث هو بطل زمانه ــ النموذج السائد في فترة محددة ــ محكوم في ممارساته وأفعاله وردود أفعاله بميزان القوى المسيطر ، لذلك فمواقفه لا تتحدد بخصائصه الفردية بل بمحصلة القوى السائدة ، فلكل بطل زمانه ، ولكل زمن بطله ، وهو بذلك بطل زمانه لا بطل في التاريخ . لكنه يصبح بطلا في التاريخ عندما يصبح قادرا على خلق وصياغة واقعه كما يريد .

ــ ان « سعيد » من حيث هو شكل ــ ذات لا يمثل كيانا جامدا ، فهو يحبو ويسير على الخلفية التاريخية ، أي ينمو ويكبر ويزداد وعيه لحاضره بحيث يصل في المستوى الاخير للتحكم بشروط وجوده .

فاذا عدنا الى رواية اميل « الوقائع الغريبة » وجدنا ان البطل الذي هو الحس العام من حيث المضمون وشكل ــ ذات من حيث الشكل يبرز هويته في اكثر من مكان « اخرون ــ هؤلاء أنا . الصحف لا تسهو عني . فكيف تزعم انك لم تسمع بي ؟ أنا انسان فذ . فلا تستطيع صحيفة ذات اطلاع ، وذات مصادر ، وذات اعلانات ، وذات ذوات ، وذات قرون ، أن تهملني . ان معشري يملأون البيدر والدسكرة والمخمرة . أنا الاخرون . أنا فذ » (١) فبطلنا يوجد في كل مكان ، انه الاخرون . ان ذلك الذي لم « يعشق سوى يعاد ولم يتزوج سوى باقية ولم ينجب سوى ولاء » (٢) . وعلى الرغم من أنه « قضى نصف عمره في خدمتهم » فان دلالة الاشياء تغيرت عندما قابل الفدائي الفلسطيني القادم من لبنان : « وضمد جراحي بالحديث عن جراحه . وظل يوسع في الكوة الضيقة الوحيدة حتى رأيتها في عرض الافق الذي لم أره من قبل . وأصبحت قضبانها المتشابكة جسورا نحو القمر ، وما بين فراشي وفراشه حدائق معلقة » (٣)

فبطلنا هو شعب يسير ، ربما يراوح تارة ويتراجع تارة اخرى ، لكنه مع ذلك يتقدم ، فهو ان لم يمش « بالفعل » مشى « بالقوة » . منتظرا عودة « يعاد » ، عودة وجهه الحقيقي .

البطل كشخصية فنية : ان ما يهب عملا ادبيا ديمومة ووجودا حقيقيا هو بناؤه الفني ، فالمضمون مهما كان حقيقيا لا ينتج عملا فنيا ، فما يحيي المضمون وما يميته ايضا هو الشكل الفني او الاناء الذي يحمله . لذلك فان نضارة العمل الفني تتحدد بعناصره ومكويناته الفنية : الشخصيات ، الحوار ، المنطق الداخلي الذي يربط الحدث . لن نتناول هنا الحوار الرائع الذي يعبق في رحاب رواية اميل ، بل سننظر فقط الى شخصية البطل ، شخصية « سعيد » التي تذرع بقامتها الرائعة صفحات الرواية ، شخصية « متشائلة » تسخر من ذاتها ومن اطارها العائلي ، بل ومن شعبها بأسره ، سخرية نقدية تنصب على الايدلوجيا المسيطرة ، وعلى حزمة الاوهام التي ساهمت في ضياع الوطن :

ـ « كانت البداية حتى ولدت مرة اخرى بفضل حمار »

ـ « اقوم في الصباح من نومي فأحمده على أنه لم يقبضني في المنام . فاذا اصابني مكروه في يومي احمده على أن الاكره من لم يقع . فأيهما أنا المتشائم ام المتفائل »

ـ « غير اني تذكرت وصية ابي وبركة والدتي . فقلت في نفسي : سأثور عليه اذا ما اطلق الرصاص . ولكنه يهددها فحسب . فبقيت متكمشا »

ـ « فهذه هي شيمة عائلتنا النجيبة . أن نظل نبحث تحت اقدامنا »

ـ « حين تنتهي الحرب . سيقيمون لنا كيبوتسات يعتمدون فيها على امثالي من الشبان المتحررين الذين يتقنون لغة انسانية »

يحاول البطل هنا ان يعكس جميع الاوهام التي غاصت في اعماق شعبنا يوما ، مع ذلك فاننا نرى فيه ذلك الفلسطيني الذي يعشق بلده ويذكرها ويذكر تاريخها ، انه فلسطيني بكل خصائصه وكل نتف حياته اليومية :

« ايقظني عطر القرية ، الذي عبق به ليلها الانيس . فوجدتني مستلقيا على فراش من الصوف نظيف . فتخيلت أنني نائم على صدر أمي ، في بيتنا العتيق . وكانت تأتيني رائحة المونة وخابية الزيت وطين الطابون ، وأصوات همس مكبوت ، وانفاس اطفال نائمين بلا كبت ، وخيالات نساء قرويات وهن رائحات غاديات يحملن اطباق الارز المعصفر وفوقه لحم الدجاج ، ومائدة خشبية منخفضة في وسط البيت العتيق . تناديت أماه ! » (٤)

شخصية تمثل في خصوصيتها الفردية الحية ، نموذجا بيننا يمكن أن تستعاد معايشته ، قريبا منا لانه منا ، فهو ليس شخصية ذهنية ، شخصية ـ فكرة ، انه العكس شخصية ـ فكرة محددة زمانيا ومكانيا وثقافيا ، شريحة فلسطينية نمطية داخل الذاكرة ولا يطويها النسيان ، مستحيلة بذلك الى نموذج ، الى كيان ذي سيماء تاريخية محددة . أي اننا بمعنى اخر امام **شخصية جمعية** واضحة في علاقاتها مع نفسها ومع بيئتها ووجودها الاجتماعي ومع معضلات هذا الوجود ، مشكلة بذلك صورة كاملة لواقعها التاريخي :

« هكذا حالي . عشرون عاما أهر وأموء حتى اصبح هذا الحلول يقينا في خاطري . فاذا رأيت هرة توسوست : لعلها والدتي ، رحمها الله ! فأهش لها وأبش . وكنا نتماوأ أحيانا » (٥)

يشتمل الوصف هنا على نظرة الشخصية الى العالم . فالنظرة الى العالم هي الشكل الارقى للوعي من حيث هي تجربة شخصية عميقة يعيشها الفرد ، وهي تعبير يميز ماهيته الداخلية ، ويعكس خصائص الفضاء التاريخي الذي يعيش فيه .

نعثر في شخصية « سعيد » على عنصرين مترابطين مكونين بذلك البناء الكامل للشخصية الفنية : العنصر الاول يتمثل **بالحياة الحسية** ، فيما يفعله في ارجاء حياته اليومية بكل رغباتها وأوهامها ، مسراتها وأتراحها . أما العنصر الاخر فهو **السيماء الفكرية** التي تحكم شكل العلاقة بين الوجود الشخصي والموقف امام العالم . **ويلعب** الحوار والموقف هنا دور **التوسط** الذي يعكس السيماء الفكرية في الحياة اليومية : « فقمت وعلقت ورقة الاقامة الجبرية على جدار البسطة فلم يمض يومان حتى جاءت الشرطة ، وابلغتني بأن الحاكم تلطف وألغى اوامر الاقامة الجبرية . وأن دولتنا ديمقراطية . ثم انتزعوا الامر من على الجدار واعادوني الى السجن قائلين انني حقرت اوراق الدولة الرسمية » (٦) .

واذا كان البطل هنا يعرض شكل حياته اليومية وموقفه منها ، فانه يعرض ايضا وعيه بكل رواسبه وحمله المساره التاريخي بطرقه المتعرجة :

« وودعتني يعاد مصافحة . ثم اقتربت بوجهها من وجهي وقالت : هل قبلت والدتي قبل رحيلها ، يا عماه ؟

قلت : حالوا ما بيني وبينها .

قالت : اذن ضاعت عليك القبلة الثانية » (٧)

نرى فيما سبق الوحدة الديالكتيكية بين الموضوعي والذاتي ، بين البطل وعالمه ، بين الفردي والجماعي . أما مكان التلاقي بين الموضوعي والذاتي فهو الحدث وشكله، فالحدث هنا « ملتقى للافعال المتبادلة المتشابكة في ممارسة الانسان ، والصراع شكل اساسي لهذه الافعال المتبادلة الكفاحية والمليئة بالتناقض ... ... ، فالظواهر العامة النموذجية تصير بذات الوقت تصرفات خاصة ، نوازع شخصية لاناس معينين » (٨)

ان الفردي في رواية اميل « ينهض الى مستوى النموذجي ، دون ان تسلب منه القسمات الفردية ، بل بالتشديد على القسمات الفردية بالذات . ان هذا الوعي الملموس — مثله مثل الهوى المندفع المتفتح تفتحا تاما والبالغ أعلى ذراه — يهب الفرد تفتحا انسانيا لقدراته الغافية فيه ،والتي لا يمتلكها في الحياة ذاتها الا على نحو مشوه، والتي لا تتعدى فيها نطاق الرغبة والامكان » (٩)

و « سعيد » يشكل اذن بهذا المعنى **ذاتا جمعية** ، فهو في الكل والكل فيه ، انه التلخيص الدينامي لشرطه التاريخي ، شخصية فردية — جماعية ، او بشكل اخر شخصية تأليفية واعية لمصيرها ، أو بناء يحمل الخاص والعام في الوقت نفسه .

ان القيمة الفنية لرواية اميل تنبع من الشخصية الحية للرواية « سعيد » ، حية

كنمط ، وحية كذات مستقلة . فبطلنا سعيد على الرغم من مزاياه الفردية يمثل في كل مساره **اللحظة المركزية** ، اي يشرح ويعبر عن الحدث الذي تقوم عليه الرواية : مسار شعب . ويذكرنا هذا بلوكاتش في تحديده للسيماء الفكرية :

« ان صياغة السيماء الفكرية تقتضي وصف الاشخاص وصفا انسانيا عاما وعميقا وواسعا الى ابعد حد ، ..... ، وهذا يشترط قبل كل شيء القدرة على استحضار المعايشة غير المنقطعة للصلة الحية بين التجارب الشخصية للوجه الادبي وتعبيرها الفكري ، وبالتالي صياغة الافكار كمسار للحياة لا كنتيجة لها ، ويتطلب الى ذلك تصورا للشخصيات يجعل الرقي الفكري يظهر ، انطلاقا منها ، كأمر ممكن وضروري » (١٠)

نصل الان الى امر اخير هو الدور المركزي لشخصية البطل «سعيد » ، فهو ليس مادة للحدث بل هو **حامل الحدث** ، ويشكل عالماه الداخلي والخارجي البنيان الزماني والمكاني للحدث ، انه صورة مكثفة للحدث بأكثر اشكالها حدة وتطرفا ، بحيث يمكن القول أنه الشخصية ــ الحدث ، فهو ليس **شخصية يومية** بل شخصية **تاريخية ــ اجتماعية** ، وبالتالي فهو لا يعكس تناقضات الحياة اليومية بل يعكس **تناقض فترة تاريخية** يقول لوكاتش « ان المعرفة العميقة للحياة لا تنحصر ابدا في معاينة الشأن اليومي .بل انها تقوم ،استنادا الى استيعاب الملامح الجوهرية ، على خلق شخصيات وحالات غير ممكنة تماما في الحياة اليومية ، لكنها تكشف عن تلك الطاقات الفاعلة والميول ، والتي لا يظهر فعلها في الحياة اليومية الا مشوشا مضطربا ، في وضوح التفاعل الارقى والاصفى للتناقضات » (١١)

ان بطلنا يمثل التطرف في كل نواحيه ، تطرف في السخرية والقدرية والحكمة والقدرة على تبصر الامور . ان شكل **هذا البطل المتطرف** تمليه ضرورة الفترة التي يعكسها ، فهو ينطقها ويخارجها من خلال ممارسته :

« ان السمة المتطرفة للاحوال النموذجية تنتج عن ضرورة استخراج الاعمق والابعد في الشخصيات الانسانية مع كل التناقضات المتضمنة فيها » (١٢)

ان التطرف هنا ليس هدفافي حد ذاته ولا رغبة رومانسية سحابية ، بل هو ضرورة. فجملة الشخصيات القائمة في الرواية لا تأخذ دلالاتها الا من **وضع سعيد** ، فهو المركز الذي تنسرب منه الدلالة ويتجسم فيه الحدث ،شخصية نموذجية اعطاها مسارا معقدا متحركا مليئا بالتبدلات والتناقضات المتطرفة .

الشكل الروائي ودلالته :

لا تقدم لنا « الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد ابي النحس المتشائل » صورة طبيعية ، ستاتيكية للواقع . ترصد ظاهر الاشياء في يوميتها المباشرة ، لكنها صورة تصل الى جوهر الاشياء وتقذفها الى السطح كظاهر ــ جوهر يعكس الشرط التاريخي بكل خصائصه . لذلك فمن اجل الولوج الى جوهر الاشياء وخلق مستوى الظاهر ــ الجوهر ، عمد المؤلف الى شكل معين لروايته يتطابق مع شكل الحدث الذي ترسمه ، بحيث يتواءم الشكل الروائي مع الشكل التاريخي للحدث ، فنحن اذن ازاء عمل ادبي ساخر او بشكل ادق ستير (Satire) ان اختيار هذا الشكل الادبي مشروط بشكل جوهري بالشرط التاريخي ، أي بطبيعة الارضية التاريخية التي ينمو ويحبو فوقها الحدث . فماذا يعني هذا ؟

يبرز الادب الساخر فوق اساس اجتماعي ـ تاريخي معين، فراق كامل بين الانسان وواقعه، بانقطاع وطلاق كامل بينهما، بحيث يضيع الانسان وينقطع عن عالمه بدلا من تحقيق ذاته في هذا العالم، اي انه هناك انفصال عن الواقع والمثل. لذلك فان الكاتب من خلال شكله الروائي ومضمونه لا يستسلم في تيار هذا الواقع ليلفه يعارضه ويناضل ضده، مستبعدا هذا الواقع فنيا بشكل ساخر، ان السخرية هنا لا تعني السلبية والقبول، لكنها تمثل تحديا ومواجهة. فالكاتب الذي لا يحقق ذاته في عالمه يعود ليحقق هذه الذات ساخرا من الواقع ورافضا له.

وهو بذلك يحقق عدة لحظات: لحظة الرفض، لحظة التحدي، اللتان تشكلان عتبة اللحظة الثالثة التغيير، فتقديم شرط اجتماعي بشكل ساخر انما يعني تقديم شرط يدعو الى السخرية ويثيرها، ويعمد الكاتب لتكثيف لحظة السخرية هذه الى استكمال عناصر الحياة اليومية ليطلع لنا العالم المحاور المشهور والكثيف «الساخر» Le Satirique الذي يعرف بالمغرب عن العالم الذي يعيش فيه، فالعالم جدير بان يحيط به مكان الى عالم يقيضه المصور المثال فيه ليصارع به ؟

يشكل الادب الساخر معارضة مطلقة بين الذات الواعية وعالمها المتدهور، فالعالم المشوه يصيغ الكاتب الانا الواعية، لكن هذا الاخير يعود بدوره ليضع العالم المتدهور بشكل ساخر، عندما يطابق بين الظاهرة وجوهرها يبدو العالم كما هو فعلا، اي انه يتلاشى امام الانا الواعية.

ان الكاتب هنا ليس محايدا ولا منجرفا في تيار العيش والبقاء بغية مصالحة عالمه، لكن عالمه يجعل هذه المصالحة مستحيلة، لذلك يعمل الكاتب جاهدا من اجل اعادة صياغة هذا العالم ليخلق الشروط الضرورية للمصالحة بين الانا الواعية والعالم.

نحن اذن امام معادلة ثلاثية العناصر: الانا الواعية (اللاجيء في ارضه/ العالم المقلوب (المغتصب سيدا) / المصالحة بين الانا والعالم (الفلسطيني والاسرائيلي).

ان استحالة المصالحة بين الانا والعالم تشكل الاساس الموضوعي للادب الساخر، اي تشكل المباينة المطلقة بين الشكل التاريخي الحدثي والشكل الادبي (السخرية).

— «ولما استشهد والدي على قارعة الطريق، وانقذني الخيار، وكبلته البحرية الى عكا، فلما وجدنا ان لا خطر علينا، وان الناس لاهون بجلودهم. نحونا بجلودنا الى لبنان حيث اقمنا واستراحت (١٣) ...

— «ومنذ ذلك الحين والى اليوم يراودني في التاريخ حين يذكر فلسطين الاقدمين وبقيت احلم على هذا المنوال حتى جندلوا والدي، رحمه الله، وقامت دولة اسرائيل» (١٤).

يطغو «الساخر» كثيفا على سطح عالم من الظلم والاضطهاد والاقتلاع على قارعة الطريق ـ الحمار منقذ ـ الجلد الانسان مصدر رزق ـ موت بلا كرامة ـ احلام متكسرة ـ. فليس الساخر اذن الا تشيؤ خارجي لنواة مأساوية بالحزن والمرارة والانكسار، وقناعا لشرط انساني كسير: انسان فقد عالمه المطابق لذاته، فقد وجهه، فهناك تضاد ما بين الانتماء وتجليات العالم المحيط بها، وما بين عالمه الداخلي وبين عالمه المتداعي ـ الوطن الغربة في الوطن ـ.

ان قيمة الادب الساخر لا تصدر من مضمونه، ولا من الصرخة الاخلاقية الكامنة

في بنيانه ، لكنها تنبع من شكله الادبي الذي يعكس الواقع بشكل متميز . كما لا تنبع اهمية هذا الادب من هدف معركته بل من تشكله الادبي ذاته (١٥) . فما يهمنا ليس المضمون الاجتماعي — السياسي للوحة المرسومة ، بل الشكل الذي خلق المضمون ادبيا . فالمضمون هو دائما مادة خام ملقاة على قارعة الطريق ، انها تحيا وتمشي فنيا من خلال الادوات الفنية التي اعادت خلقها ، اي من الشكل .

الادب الساخر تاريخيا ادب معركة — سوفت ، بريشت ، هاشك — يستهدف ما هو منحط ومتدهور لتحطيمه . فالموقف الاجتماعي للادب الساخر يتباطن بالضرورة مع تشكله الادبي . **فالشكل الادبي هنا موقف بحد ذاته** لانه ينطلق ويعود الى شروط تثير السخرية . فهناك تطابق كامل ووحدة جدلية بين الشكل وما يحتويه .

يعتمد الادب الساخر بلا شك على مادة الحياة الاجتماعية القائمة ، شأنه في ذلك شأن اي نوع ادبي يستند على ديالكتيك الظاهر والجوهر . لكن انتاج ديالكتيك الظاهر والجوهر في الحياة الاجتماعية سمة الادب عامة . فأين تكمن اذن خصوصية الادب الساخر والعنصر النوعي فيه ؟

اذا كانت الرواية العادية تعتمد على نظام ديناميكي من التوسطات الاتي عن تفاعل متبادل بين السبب والنتيجة بشكل منطقي ، فان الادب الساخر (الستير) لا يحتاج الى نسق التوسطات هذا بل يعمد الى جملة حوامل فنية ترسم الاجتماعي بشكل ساخر ، فالحدث لا يظهر خلال سرد متسق منطقي بل بواسطة ادوات فنية ، **حوامل فنية** ، تعتمد على خيال الكاتب وابداعيته ، وتتلون وتتعدد هذه **الحوامل** بحيث تغطي كل الفضاء الاجتماعي بكل مركباته .

فاذا عدنا الى رواية « الوقائع الغريبة » وجدنا ان اميل حبيبي يعمد الى الحوامل الاتية :

١ — **الموازاة المتعارضة :** تتضمن هذه الموازاة **المحاكاة** اللامباشرة ، فهناك نموذج (انسان) يتعامل مع نموذج اخر (انسان اخر) في شروط غير عادية ، لا معقولة ، تنتج بالضرورة معاملة غير عادية بعيدة عن النموذج السليم . فالساخر يصدر هنا من الارضية المقلوبة و اللامعقولة التي يندرج فوقها الحدث :

— « لما نزلت عن الحمار رايتني اطول قامة من الحاكم العسكري ، فاطمأنت نفسي حين وجدتني اطول قامة منه بدون قوائم الحمار . فارتحت على مقعد من مقاعد المدرسة التي حولوها الى مقر الحاكم وحولوا الواحها الى طاولة بنغ بونغ » (١٦)

— « وصرخ انا الحاكم العسكري وانزل عن الحمار . قلت : انا فلان بن فلان . . . فشتمني ، فصحت انا طنيب على الخواجا سفارشك ، فشتم الخواجا سفارشك . فنزلت عن الحمار . » (١٧)

— . . واقبلت عليه ، واخذت يده في يدي مسلما قبل ان يمدها الي حتى لا احرجه في عماه . فزجرني يعقوب وصاح : تأدب ! فوقفت متأدبا . » (١٨)

ينتج الوضع الساخر هنا من شكل العلاقة القائمة بين نموذجين متضادين ينتميان الى عالمين مختلفين . فالتواصل السليم اذن مستحيل . وبما ان طبيعة الوضع المسيطر لا تسمح بعلاقة سليمة ، بما في ذلك الصدام والمناهضة ، لذلك فان احد النموذجين ، وهو هنا « سعيد » يطرد الجاد من حقله ويحل محله الهزلي ، وهو

بذلك ينقذ جلده . فالسخرية النابعة من القهر تحل محل المواجهة كشكل من اشكال المواجهة ، يلجأ المضطهد كثيرا الى قناع ، الى السخرية ، الى العته ، كي ينقذ راسه ويطرد عنه غضب الحاكم — صورة نموذجية في الادب الافريقي — .

٢ — **اللجوء الى الخارق** : ان اللجوء الى الخارق « كحامل فني » او كما يقول لوكاتش « كموضوع ساخر » Objet Satirique انما يهدف الى اظهار التعارض والتضاد بين العادي واللاعادي ، بحيث يولد الساخر من اللاعادي ، والذي يشكل في جوهره استنكارا وادانة لما هو عادي . فعندما يصبح الواقع المعاش قاتلا يلجأ الانسان الى عالم مواز يخلقه بخياله ، والمبالغة الساخرة هنا انما هي اشارة الى ما هو قائم . فعندما يغترب دون كيشوت عن زمانه ويصبح فارسا في غير زمانه يهاجم الطواحين الهوائية . أما « سعيد ابي النحس » فينتهي الى « الخازوق » . والخازوق كموضوع ساخر ليس الا تعبيرا عن « خازوق » الحياة اليومية ونتيجة لوضع الفلسطيني في شروط الاحتلال ، وعجزه عن ازالتها . كما يتضمن هذا الرمز الساخر تجسيدا للوعي الاجتماعي الفرد وتعميما للواقع اليومي المعاش . فالوعي يعمم الواقع اليومي بواسطة حامل ساخر هو الخازوق .

يأخذ الخارق اشكالا اخرى في رواية اميل . « فسعيد » يدخل في عالم الديناميس ويتجه نحو « الضوء المتغضن » معتقدا انها دعوة سماوية ، كما تصل اليه اشارات فضائية ، كما ان له « اصدقاء فضائيون » . يمثل اللجوء الى الخارق هروبا من العالم المشوه واستسلاما له . انه انسحاب من العالم المتدهور والبحث عن حل لم تطوله اليد بعد . فالواقع التعيس يدفع الانسان الى «الحلم والخيال» ، حلم مستحيل التحقيق ينتهي اخيرا الى كوميديا . و « يعاد » ما زالت بعيدة على الرغم من حضورها باستمرار في الذاكرة . لذلك فالانسان يهزأ من نفسه ومن غيره ومن عالمه .

ان كثافة المأساة وعمقها تأخذ بعدها الحقيقي في الساخر اكثر مما تأخذه في حزمة مفاهيم باردة تحاول تحليل الواقع . فالساخر يعيد صياغة شكل الواقع مظهرا كل بشاعته من خلال تكامل المضحك والمبكي اي بواسطة **التضاد الساخر** Contraste Satirique .

ينقلنا هذا الى نقطة ثالثة هي :

٣ — **قلب الدلالات** : عندما يصبح اللامعقول مسيطرا تتغير دلالة الاشياء ، فيصبح « المعكوس » قانونا من حيث هو وجود سليم ، فصاحب الوطن غريب ، والمحتل مواطن ، يتسلل « الفلسطيني الى فلسطين . » يظهر الساخر هنا الاشياء المعكوسة في اوج كثافتها :

— « كشفت له عن رغبتي في التسلل الى اسرائيل »

— « مدينتي حيفا ، ايضا مقدسة ؟
كل مكان في بلادنا قد تقدس بدماء المذبوحين ويظل يتقدس يا بني » .

— « وهل يدخلون جامع الجزار كما دخل الصليبيون مسجد عمر ؟

— حاشا وكلا يا بني ، بل يقرعون الباب فنخرج نحن اليهم . انهم لا يدنسون حرمة دور العبادة ، بل ان لهم في خارجها ، متسعا لهذا الامر » (١٩) .

[illegible] انه استطاع تجاوز الحاجز الانقطاعي وانه يجتاز العرب الوقبل ان يختبر الطابع المركزي افتوصيفا حتى تبدأ روايته بالكلام الذي تنتهي اليوت عن استيلون الذي يقول كيبوتسات » (٢٠) .

يرسم اميل حبيبي من خلال الشكل الذي اصطنعه الروائية الواقع بدقة وبلاغة عالجها من خلال جملة لوحات ذات وحدة متماسكة ، «وليفل التشكل او التناقض في الشكل الانعكاس للتناقضات الديالكتيكية في المضمون ، لذلك فان الحفاظ على شعريته ، فرديته وجماليته ، واقعيته ولا معقوليته ، تقيل عن الحقيقة في

تأخذ رواية « الوقائع الغريبة » قيمتها اساسا من جمالها الرحب وجرارتها الايحائية ، اضف الى ذلك ان عنصر الابتكار والخلق فيها لا يهيم ضائعا في معادلات فكرية بل يستند الى ارض الواقع الصلبة ، الى معاناة الباحثين عن « شظايا اهلة » فقوة الايحاء ترتبط بقوة مع مفهوم الكاتب للعالم ووعيه لقضيته ، ويحيل غياب هذا المفهوم بلا شك الرواية الى ملهاة باردة بدون طعم ولا دلالة

ان رواية اميل حبيبي ليست مجرد مرآة ، ولا صورة عن واقع متعب وحزين فقط ، فهي ايضا رواية مقاتلة ، فاذا نظرنا اليها عثرنا فيها على عنصرين متوقيف من الذات وموقف من الاخر ، اما الموقف من الذات فيظهر كنقد ذاتي ، نقد للاوهام والقدرية والاتكالية التي كانت سائدة عندما ضاع الوطن ، وصورة « المتشائل » هي التعبير الكامل عن ذلك ، تعبر عن فهم وتبرير قدري لكل ما يحدث . اما الموقف من الاخر « العدو الصهيوني » فيتوفر في كل ارجاء الرواية ، انه الحقد الاسود تجاه المغتصب بعالمه المنحط . حقد يتضمن الاستنكار والاحتقار والكره . لذلك فان الرواية تتجه وتدفع الى المستقبل بمعايير وتوازي القوى الصاعدة في التاريخ لا تصرخ ولا تعظ ، لكنها تظهر مرارة المنفى وبشاعة الاحتلال ، وتذكر بوطن مفقود اضاع الاخر معالمه ، تذكرنا باسواقنا القديمة بالبحر والبرايد ، وبالوقت الاول علينا انها تبدأ بالسخرية لتشير الى الحركة وضرورة الاعادة توازن هذا العالم المقلوب

من الكمون الى اليقظة :

عندما ضاع الوطن وقامت دولة اسرائيل ، وقف الفلسطيني الاول وهلة مضطربا مصفوعا ، لا متوازنا . الا ان هذا الموقف لم يكن يعبر عن استسلام مستمر امام الواقع الجديد ، فهناك مرحلة العودة الى التوازن من جديد ، ووعي العالم من جديد ، اي بدون اوهام ، واقتضى هذا ان ينظر الفلسطيني الى نفسه ، والى الاخرين من الملوك والرؤساء ، والنظر ايضا من جديد الى الاخر : العدو الصهيوني كان من الضروري منطقيا المرور بهذا المسار كي ينتقل الفلسطيني من حالة الكمون الى حالة التوثب .

يرسم اميل هذا المسار في روايته « الوقائع الغريبة » حيث نرى حجم النكبة وهبوط الاحتلال والفلسطيني الضائع المنتظر عودة ارضه ، كما نرى المسار التاريخي الذي دفع بالفلسطيني الى وضع جديد : المقاومة . فـ « سعيد » الذي « عمل معهم » هو نفسه الذي يولد من جديد عندما يلقى في السجن « بالطابق الرابع للمقاومين الكبار » .

تشكل رواية « الوقائع الغريبة » من خيط الظلمون وقصة الرواية « كل ليلة الايام الستة » ، حيث نملك لوحة مثلما يولد النكبة حتى المهزلة في الجزائر الية .

يعود اميل فيرسم لنا صورة جديدة عن شظايا الاهل وشكل لقائهم؟ شظايا انتجها الاحتلال ، ولقاء ايضا انتجه الاحتلال ، فهو لقاء مبهج على الرغم من انه لقاء كسيف : (٢٢) .

« وهذه الخيانة في المنيرية تحرس السهل الاخضر . وهي عشرة تعدوها بلهاء وهذا الهواء التقي . هذا الارج اعرفه . اعرفه . استنشق رائحة رافقتني طول العمر المكان مكاني » .

« فهتفت لم اعد لوحدي

فهتفت : بل مع اصحابها . انهم يعودون . يعودون » . (٢١)

على الرغم من الاحتلال الذي يعيد سببه في الغرائز والقاء الاحزان اللامعقولية هنا لا تنتج وضعا ساخرا ، فهناك شكل جديد للتصدي للمقاومة المسلحة . وبذلك نكون قد قطعنا شوطا طويلا بدءا من المقاومة في اكثر اشكالها سلبية : المقاومة بالسخرة حتى الوصول الى اعلى اشكال المقاومة وأكثرها رقيا :

الجندية

— ٢٢ : ٢٥ — ٢٦ — ٢٧ — ٢٨ — ٢٩ — ٣٠ — ٣١ — ٣٢ — ٣٣ — ٣٤ — ٣٥ — ٣٦ — ٣٧ — ٣٨ — ٣٩ — ٤٠ — ٤١ — ٤٢ — ٤٣ — ٤٤ — ٤٥ — ٤٦ — ٤٧ — ٤٨ — ٤٩ — ٥٠ — ٥١ — ٥٢ — ٥٣ — ٥٤ — ٥٥ — ٥٦ — ٥٧ — ٥٨ — ٥٩ — ٦٠ — ٦١ — ٦٢ — ٦٣ — ٦٤ — ٦٥ — ٦٦ — ٦٧ — ٦٨ — ٦٩ — ٧٠ — ٧١ — ٧٢ — ٧٣ — ٧٤ — ٧٥ — ٧٦ — ٧٧ — ٧٨ — ٧٩ — ٨٠ — ٨١ — ٨٢ — ٨٣ — ٨٤ — ٨٥ — ٨٦ — ٨٧ — ٨٨ — ٨٩ — ٩٠ — ٩١ — ٩٢ — ٩٣ — ٩٤ — ٩٥ — ٩٦ — ٩٧ — ٩٨ — ٩٩ — ١٠٠ — ١٠١ — ١٠٢ — ١٠٣ — ١٠٤ — ١٠٥ — ١٠٦ — ١٠٧ — ١٠٨ — ١٠٩ — ١١٠ — ١١١ — ١١٢ — ١١٣ — ١١٤ — ١١٥ — ١١٦ — ١١٧ — ١١٨ — ١١٩ — ١٢٠ — ١٢١ — ١٢٢ — ١٢٣ — ١٢٤ — ١٢٥ — ١٢٦ — ١٢٧ — ١٢٨ — ١٢٩ — ١٣٠ — ١٣١ — ١٣٢ — ١٣٣ — ١٣٤ — ١٣٥ — ١٣٦ — ١٣٧ — ١٣٨ — ١٣٩ — ١٤٠ — ١٤١ — ١٤٢ — ١٤٣ — ١٤٤ — ١٤٥ — ١٤٦ — ١٤٧ — ١٤٨ — ١٤٩ — ١٥٠ — ١٥١ — ١٥٢ — ١٥٣ — ١٥٤ — ١٥٥ — ١٥٦ — ١٥٧ — ١٥٨ — ١٥٩ — ١٦٠ — ١٦١ — ١٦٢ — ١٦٣ — ١٦٤ — ١٦٥ — ١٦٦ — ١٦٧ — ١٦٨ — ١٦٩ — ١٧٠ — ١٧١ — ١٧٢ — ١٧٣ — ١٧٤ — ١٧٥ — ١٧٦ — ١٧٧ — ١٧٨ — ١٧٩ — ١٨٠ — ١٨١ — ١٨٢ — ١٨٣ — ١٨٤ — ١٨٥ — ١٨٦ — ١٨٧ — ١٨٨ — ١٨٩ — ١٩٠ — ١٩١ — ١٩٢ — ١٩٣ — ١٩٤ — ١٩٥ — ١٩٦ — ١٩٧ — ١٩٨ — ١٩٩ — ٢٠٠ — ٢٠١ — ٢٠٢ — ٢٠٣ — ٢٠٤ — ٢٠٥ — ٢٠٦ — ٢٠٧ — ٢٠٨ — ٢٠٩ — ٢١٠ — ٢١١ — ٢١٢ — ٢١٣ — ٢١٤ — ٢١٥ — ٢١٦ — ٢١٧ — ٢١٨ — ٢١٩ — ٢٢٠ — ٢٢١ — ٢٢٢ — ٢٢٣ — ٢٢٤ — ٢٢٥ — ٢٢٦ — ٢٢٧ — ٢٢٨ — ٢٢٩ — ٢٣٠ — ٢٣١ — ٢٣٢ — ٢٣٣ — ٢٣٤ — ٢٣٥ — ٢٣٦ — ٢٣٧ — ٢٣٨ — ٢٣٩ — ٢٤٠ — ٢٤١ — ٢٤٢ — ٢٤٣ — ٢٤٤ — ٢٤٥ — ٢٤٦ — ٢٤٧ — ٢٤٨ — ٢٤٩ — ٢٥٠ — ٢٥١ — ٢٥٢ — ٢٥٣ — ٢٥٤ — ٢٥٥ — ٢٥٦ — ٢٥٧ — ٢٥٨ — ٢٥٩ — ٢٦٠ — ٢٦١ — ٢٦٢ — ٢٦٣ — ٢٦٤ — ٢٦٥ — ٢٦٦ — ٢٦٧ — ٢٦٨ — ٢٦٩ — ٢٧٠ — ٢٧١ — ٢٧٢ — ٢٧٣ — ٢٧٤ — ٢٧٥ — ٢٧٦ — ٢٧٧ — ٢٧٨ — ٢٧٩ — ٢٨٠ — ٢٨١ — ٢٨٢ — ٢٨٣ — ٢٨٤ — ٢٨٥ — ٢٨٦ — ٢٨٧ — ٢٨٨ — ٢٨٩ — ٢٩٠ — ٢٩١ — ٢٩٢ — ٢٩٣ — ٢٩٤ — ٢٩٥ — ٢٩٦ — ٢٩٧ — ٢٩٨ — ٢٩٩ — ٣٠٠ — ٣٠١ — ٣٠٢ — ٣٠٣ — ٣٠٤ — ٣٠٥ — ٣٠٦ — ٣٠٧ — ٣٠٨ — ٣٠٩ — ٣١٠ — ٣١١ — ٣١٢ — ٣١٣ — ٣١٤ — ٣١٥ — ٣١٦ — ٣١٧ — ٣١٨ — ٣١٩ — ٣٢٠ — ٣٢١ — ٣٢٢ — ٣٢٣ — ٣٢٤ — ٣٢٥ — ٣٢٦ — ٣٢٧ — ٣٢٨ — ٣٢٩ — ٣٣٠ — ٣٣١ — ٣٣٢ — ٣٣٣ — ٣٣٤ — ٣٣٥ — ٣٣٦ — ٣٣٧ — ٣٣٨ — ٣٣٩ — ٣٤٠ — ٣٤١ — ٣٤٢ — ٣٤٣ — ٣٤٤ — ٣٤٥ — ٣٤٦ — ٣٤٧ — ٣٤٨ — ٣٤٩ — ٣٥٠ — ٣٥١ — ٣٥٢ — ٣٥٣ — ٣٥٤ — ٣٥٥ — ٣٥٦ — ٣٥٧ — ٣٥٨ — ٣٥٩ — ٣٦٠ — ٣٦١ — ٣٦٢ — ٣٦٣ — ٣٦٤ — ٣٦٥ — ٣٦٦ — ٣٦٧ — ٣٦٨ — ٣٦٩ — ٣٧٠ — ٣٧١ — ٣٧٢ — ٣٧٣ — ٣٧٤ — ٣٧٥ — ٣٧٦ — ٣٧٧ — ٣٧٨ — ٣٧٩ — ٣٨٠ — ٣٨١ — ٣٨٢ — ٣٨٣ — ٣٨٤ — ٣٨٥ — ٣٨٦ — ٣٨٧ — ٣٨٨ — ٣٨٩ — ٣٩٠ — ٣٩١ — ٣٩٢ — ٣٩٣ — ٣٩٤ — ٣٩٥ — ٣٩٦ — ٣٩٧ — ٣٩٨ — ٣٩٩ — ٤٠٠ — ٤٠١ — ٤٠٢ — ٤٠٣ — ٤٠٤ — ٤٠٥ — ٤٠٦ — ٤٠٧ — ٤٠٨ — ٤٠٩ — ٤١٠ — ٤١١ — ٤١٢ — ٤١٣ — ٤١٤ — ٤١٥ — ٤١٦ — ٤١٧ — ٤١٨ — ٤١٩ — ٤٢٠ — ٤٢١ — ٤٢٢ — ٤٢٣ — ٤٢٤ — ٤٢٥ — ٤٢٦ — ٤٢٧ — ٤٢٨ — ٤٢٩ — ٤٣٠ — ٤٣١ — ٤٣٢ — ٤٣٣ — ٤٣٤ — ٤٣٥ — ٤٣٦ — ٤٣٧ — ٤٣٨ — ٤٣٩ — ٤٤٠ — ٤٤١ — ٤٤٢ — ٤٤٣ — ٤٤٤ — ٤٤٥ — ٤٤٦ — ٤٤٧ — ٤٤٨ — ٤٤٩ — ٤٥٠ — ٤٥١ — ٤٥٢ — ٤٥٣ — ٤٥٤ — ٤٥٥ — ٤٥٦ — ٤٥٧ — ٤٥٨ — ٤٥٩ — ٤٦٠ — ٤٦١ — ٤٦٢ — ٤٦٣ — ٤٦٤ — ٤٦٥ — ٤٦٦ — ٤٦٧ — ٤٦٨ — ٤٦٩ — ٤٧٠ — ٤٧١ — ٤٧٢ — ٤٧٣ — ٤٧٤ — ٤٧٥ — ٤٧٦ — ٤٧٧ — ٤٧٨ — ٤٧٩ — ٤٨٠ — ٤٨١ — ٤٨٢ — ٤٨٣ — ٤٨٤ — ٤٨٥ — ٤٨٦ — ٤٨٧ — ٤٨٨ — ٤٨٩ — ٤٩٠ — ٤٩١ — ٤٩٢ — ٤٩٣ — ٤٩٤ — ٤٩٥ — ٤٩٦ — ٤٩٧ — ٤٩٨ — ٤٩٩ — ٥٠٠ — ٥٠١ — ٥٠٢ — ٥٠٣ — ٥٠٤ — ٥٠٥ — ٥٠٦ — ٥٠٧ — ٥٠٨ — ٥٠٩ — ٥١٠ — ٥١١ — ٥١٢ — ٥١٣ — ٥١٤ — ٥١٥ — ٥١٦ — ٥١٧ — ٥١٨ — ٥١٩ — ٥٢٠ — ٥٢١ — ٥٢٢ — ٥٢٣ — ٥٢٤ — ٥٢٥ — ٥٢٦ — ٥٢٧ — ٥٢٨ — ٥٢٩ — ٥٣٠ — ٥٣١ — ٥٣٢ — ٥٣٣ — ٥٣٤ — ٥٣٥ — ٥٣٦ — ٥٣٧ — ٥٣٨ — ٥٣٩ — ٥٤٠ — ٥٤١ — ٥٤٢ — ٥٤٣ — ٥٤٤ — ٥٤٥ — ٥٤٦ — ٥٤٧ — ٥٤٨ — ٥٤٩ — ٥٥٠ — ٥٥١ — ٥٥٢ — ٥٥٣ — ٥٥٤ — ٥٥٥ — ٥٥٦ — ٥٥٧ — ٥٥٨ — ٥٥٩ — ٥٦٠ — ٥٦١ — ٥٦٢ — ٥٦٣ — ٥٦٤ — ٥٦٥ — ٥٦٦ — ٥٦٧ — ٥٦٨ — ٥٦٩ — ٥٧٠ — ٥٧١ — ٥٧٢ — ٥٧٣ — ٥٧٤ — ٥٧٥ — ٥٧٦ — ٥٧٧ — ٥٧٨ — ٥٧٩ — ٥٨٠ — ٥٨١ — ٥٨٢ — ٥٨٣ — ٥٨٤ — ٥٨٥ — ٥٨٦ — ٥٨٧ — ٥٨٨ — ٥٨٩ — ٥٩٠ — ٥٩١ — ٥٩٢ — ٥٩٣ — ٥٩٤ — ٥٩٥ — ٥٩٦ — ٥٩٧ — ٥٩٨ — ٥٩٩ — ٦٠٠ — ٦٠١ — ٦٠٢ — ٦٠٣ — ٦٠٤ — ٦٠٥ — ٦٠٦ — ٦٠٧ — ٦٠٨ — ٦٠٩ — ٦١٠ — ٦١١ — ٦١٢ — ٦١٣ — ٦١٤ — ٦١٥ — ٦١٦ — ٦١٧ — ٦١٨ — ٦١٩ — ٦٢٠ — ٦٢١ — ٦٢٢ — ٦٢٣ — ٦٢٤ — ٦٢٥ — ٦٢٦ — ٦٢٧ — ٦٢٨ — ٦٢٩ — ٦٣٠ — ٦٣١ — ٦٣٢ — ٦٣٣ — ٦٣٤ — ٦٣٥ — ٦٣٦ — ٦٣٧ — ٦٣٨ — ٦٣٩ — ٦٤٠ — ٦٤١ — ٦٤٢ — ٦٤٣ — ٦٤٤ — ٦٤٥ — ٦٤٦ — ٦٤٧ — ٦٤٨ — ٦٤٩ — ٦٥٠ — ٦٥١ — ٦٥٢ — ٦٥٣ — ٦٥٤ — ٦٥٥ — ٦٥٦ — ٦٥٧ — ٦٥٨ — ٦٥٩ — ٦٦٠ — ٦٦١ — ٦٦٢ — ٦٦٣ — ٦٦٤ — ٦٦٥ — ٦٦٦ — ٦٦٧ — ٦٦٨ — ٦٦٩ — ٦٧٠ — ٦٧١ — ٦٧٢ — ٦٧٣ — ٦٧٤ — ٦٧٥ — ٦٧٦ — ٦٧٧ — ٦٧٨ — ٦٧٩ — ٦٨٠ — ٦٨١ — ٦٨٢ — ٦٨٣ — ٦٨٤ — ٦٨٥ — ٦٨٦ — ٦٨٧ — ٦٨٨ — ٦٨٩ — ٦٩٠ — ٦٩١ — ٦٩٢ — ٦٩٣ — ٦٩٤ — ٦٩٥ — ٦٩٦ — ٦٩٧ — ٦٩٨ — ٦٩٩ — ٧٠٠ — ٧٠١ — ٧٠٢ — ٧٠٣ — ٧٠٤ — ٧٠٥ — ٧٠٦ — ٧٠٧ — ٧٠٨ — ٧٠٩ — ٧١٠ — ٧١١ — ٧١٢ — ٧١٣ — ٧١٤ — ٧١٥ — ٧١٦ — ٧١٧ — ٧١٨ — ٧١٩ — ٧٢٠ — ٧٢١ — ٧٢٢ — ٧٢٣ — ٧٢٤ — ٧٢٥ — ٧٢٦ — ٧٢٧ — ٧٢٨ — ٧٢٩ — ٧٣٠ — ٧٣١ — ٧٣٢ — ٧٣٣ — ٧٣٤ — ٧٣٥ — ٧٣٦ — ٧٣٧ — ٧٣٨ — ٧٣٩ — ٧٤٠ — ٧٤١ — ٧٤٢ — ٧٤٣ — ٧٤٤ — ٧٤٥ — ٧٤٦ — ٧٤٧ — ٧٤٨ — ٧٤٩ — ٧٥٠ — ٧٥١ — ٧٥٢ — ٧٥٣ — ٧٥٤ — ٧٥٥ — ٧٥٦ — ٧٥٧ — ٧٥٨ — ٧٥٩ — ٧٦٠ — ٧٦١ — ٧٦٢ — ٧٦٣ — ٧٦٤ — ٧٦٥ — ٧٦٦ — ٧٦٧ — ٧٦٨ — ٧٦٩ — ٧٧٠ — ٧٧١ — ٧٧٢ — ٧٧٣ — ٧٧٤ — ٧٧٥ — ٧٧٦ — ٧٧٧ — ٧٧٨ — ٧٧٩ — ٧٨٠ — ٧٨١ — ٧٨٢ — ٧٨٣ — ٧٨٤ — ٧٨٥ — ٧٨٦ — ٧٨٧ — ٧٨٨ — ٧٨٩ — ٧٩٠ — ٧٩١ — ٧٩٢ — ٧٩٣ — ٧٩٤ — ٧٩٥ — ٧٩٦ — ٧٩٧ — ٧٩٨ — ٧٩٩ — ٨٠٠ — ٨٠١ — ٨٠٢ — ٨٠٣ — ٨٠٤ — ٨٠٥ — ٨٠٦ — ٨٠٧ — ٨٠٨ — ٨٠٩ — ٨١٠ — ٨١١ — ٨١٢ — ٨١٣ — ٨١٤ — ٨١٥ — ٨١٦ — ٨١٧ — ٨١٨ — ٨١٩ — ٨٢٠ — ٨٢١ — ٨٢٢ — ٨٢٣ — ٨٢٤ — ٨٢٥ — ٨٢٦ — ٨٢٧ — ٨٢٨ — ٨٢٩ — ٨٣٠ — ٨٣١ — ٨٣٢ — ٨٣٣ — ٨٣٤ — ٨٣٥ — ٨٣٦ — ٨٣٧ — ٨٣٨ — ٨٣٩ — ٨٤٠ — ٨٤١ — ٨٤٢ — ٨٤٣ — ٨٤٤ — ٨٤٥ — ٨٤٦ — ٨٤٧ — ٨٤٨ — ٨٤٩ — ٨٥٠ — ٨٥١ — ٨٥٢ — ٨٥٣ — ٨٥٤ — ٨٥٥ — ٨٥٦ — ٨٥٧ — ٨٥٨ — ٨٥٩ — ٨٦٠ — ٨٦١ — ٨٦٢ — ٨٦٣ — ٨٦٤ — ٨٦٥ — ٨٦٦ — ٨٦٧ — ٨٦٨ — ٨٦٩ — ٨٧٠ — ٨٧١ — ٨٧٢ — ٨٧٣ — ٨٧٤ — ٨٧٥ — ٨٧٦ — ٨٧٧ — ٨٧٨ — ٨٧٩ — ٨٨٠ — ٨٨١ — ٨٨٢ — ٨٨٣ — ٨٨٤ — ٨٨٥ — ٨٨٦ — ٨٨٧ — ٨٨٨ — ٨٨٩ — ٨٩٠ — ٨٩١ — ٨٩٢ — ٨٩٣ — ٨٩٤ — ٨٩٥ — ٨٩٦ — ٨٩٧ — ٨٩٨ — ٨٩٩ — ٩٠٠ — ٩٠١ — ٩٠٢ — ٩٠٣ — ٩٠٤ — ٩٠٥ — ٩٠٦ — ٩٠٧ — ٩٠٨ — ٩٠٩ — ٩١٠ — ٩١١ — ٩١٢ — ٩١٣ — ٩١٤ — ٩١٥ — ٩١٦ — ٩١٧ — ٩١٨ — ٩١٩ — ٩٢٠ — ٩٢١ — ٩٢٢ — ٩٢٣ — ٩٢٤ — ٩٢٥ — ٩٢٦ — ٩٢٧ — ٩٢٨ — ٩٢٩ — ٩٣٠ — ٩٣١ — ٩٣٢ — ٩٣٣ — ٩٣٤ — ٩٣٥ — ٩٣٦ — ٩٣٧ — ٩٣٨ — ٩٣٩ — ٩٤٠ — ٩٤١ — ٩٤٢ — ٩٤٣ — ٩٤٤ — ٩٤٥ — ٩٤٦ — ٩٤٧ — ٩٤٨ — ٩٤٩ — ٩٥٠ — ٩٥١ — ٩٥٢ — ٩٥٣ — ٩٥٤ — ٩٥٥ — ٩٥٦ — ٩٥٧ — ٩٥٨ — ٩٥٩ — ٩٦٠ — ٩٦١ — ٩٦٢ — ٩٦٣ — ٩٦٤ — ٩٦٥ — ٩٦٦ — ٩٦٧ — ٩٦٨ — ٩٦٩ — ٩٧٠ — ٩٧١ — ٩٧٢ — ٩٧٣ — ٩٧٤ — ٩٧٥ — ٩٧٦ — ٩٧٧ — ٩٧٨ — ٩٧٩ — ٩٨٠ — ٩٨١ — ٩٨٢ — ٩٨٣ — ٩٨٤ — ٩٨٥ — ٩٨٦ — ٩٨٧ — ٩٨٨ — ٩٨٩ — ٩٩٠ — ٩٩١ — ٩٩٢ — ٩٩٣ — ٩٩٤ — ٩٩٥ — ٩٩٦ — ٩٩٧ — ٩٩٨ — ٩٩٩ — ١٠٠٠

— « وحدثها عن بؤس الحجارة وعن اعتقالات . وعن نفي . وعن اهازيج شعبية » (٢٣)

— « في بلدكم شاب

وذكر اسمه

— اعرف

— وطلب يد فتاة من القدس

— سمعت بالخبر

— فهل تعرف انها ابنتي

— لا

— وهي في الثانوية

— لينتظر حتى تنتهي دراستها

— لقد طردوها لانها اشتركت في مسيرة الاربعاء .

— فتستطيع ان تتزوجه

— ولكنه معتقل هنا

ـــ كيف ؟

ـــ حمل معها اكليل زهر في مسيرة الاربعاء فاعتقلوه » . (٢٣)

يصل الحس العام هنا الى مرحلة متقدمة من النضج ويبدأ في بناء نفسه بنفسه معتمدا على ممارسات مستجدة ومتنوعة . اي ان تلك البذرة بقيت قائمة ، لم تحرقها حزارة الايام ، فما ان جاءها الغيث حتى طلعت من جديد .

اذا كان « سعيد ابي النحس » يلخص بشخصيته مزايا شعب ومساره ، فكذلك حال البطل في « سداسية الايام الستة » فنحن لا نجد بطلا متفردا بل نجد شعبا بأسره ، باشواقه ونضالاته ومعاناته . فشكل الرواية يتوافق مع مضمونها . جملة لوحات يتحرك عليها شعب كامل . فالبطل دائما هو الشعب .

واخيرا فان اميل حبيبي لا يقدم لنا وثائقا تاريخية بل عملا ادبيا اصيلا وخلاقا ، عمل جدير بنضالات شعبنا ومسار الخصب من الكمون الى اليقظة .

---

١ ـ « الوقائع الغريبة .. » دار ابن خلدون ص : ١٧
٢ ـ نفس المصدر ص ١٥٨
٣ ـ نفس المصدر ص ١٧٢
٤ ـ نفس المصدر ص ١٨٢
٥ ـ نفس المصدر ص ١٠١
٦ ـ نفس المصدر ص ١٧٩
٧ ـ نفس المصدر ص ٢٠١
٨ ـ دراسات في الواقعية : جورج لوكاتش ـ دمشق ـ ص : ٤٧
٩ ـ نفس المرجع : نفس الصفحة .
١٠ ـ نفس المرجع : ص ٢٨ ـ ٣٢
١١ ـ نفس المرجع .
١٢ ـ نفس المرجع . ص ٣٣
١٣ ـ « الوقائع الغريبة .. » ص : ١٩
١٤ ـ نفس المصدر .
١٥ ـ G. Lukacs : problemes du réalisme. ARCHE — PARIS. p. 19-25
١٦ ـ « الوقائع الغريبة » ص ٢٢
١٧ ـ نفس المصدر ص ٢١
١٨ ـ ص : ٢٦
١٩ ـ ص : ٣٧
٢٠ ـ ص : ٥٦
٢١ ـ سداسية الايام الستة ـ دار العودة ـ بيروت ص : ٣٠
٢٢ ـ ص : ٦٤
٢٣ ـ ص : ٦٣

السبراري

سليم بركات

الى طلال رحمه

جَفَلتْ عُجول السهل حين أحاطَ بي
نبعٌ وهرولتِ الزنابق والسهولُ
فغسلتها ونزعت عن نبعي غلالة مائهِ
ليضمنا ثوب يهيّئهُ العويلُ

وانتظرتُ الأرضَ تسترخي ككاهنةٍ أمـــام فراشي الحجـريِّ ، وانتظرتْ زرافاتُ الغبار إناثَها ، وتدافعتْ بين الحمائم من حمير الوحش أسرابٌ تموج خطوطها كمصائرٍ ، وجذبتُ أقفالَ الينابيع الخفيفةِ كي أرى جبلاً يجمهر يأسهُ ويغيرُ مخفوراً بأجرامٍ وحدادينَ : اني حاقلٌ بسلالة مشغولةٍ ، ومعي القنادس والسهولُ

والآبنوس يشدني شدّاً ، وينثرني الصهيلُ
لؤلؤاً ، فترى القبائلَ عادياتٍ بين لؤلؤةٍ ولؤلؤة ، تحضنُ سماؤها
قِرَباً من الأحشاء ينهض بينها الفتح البديلُ .

جُرَّني يا مـاء ، جُرَّ منابعي وسط انتخاب القتل ، وسط النخبة : الآن أعتكافي مثل أسياد يحسُّون العوالمَ جَسَّ فحلٍ حاذق لإناثهِ . الآن اعتكافي حيث أفلتت الوشيعةُ بين أجرام تقود عُجولها العربات بين نيازك الموتى ، وأهتـف : اننا الأرضُ — المكيدةُ ، والمكانُ

سهمٌ يغُذ الى دمشق . . أهكذا
يُعلى لنا عدمٌ ويبتدىء القِرانُ ؟

لا يـدٌ غمرت بطونَ العاشقات كما غمرتُ بطونهنَّ بجوهرِ قلتي ، وأفرغتُ الجواهرَ حاضناً شمس البويهيينَ ، أهجس : أنها شمسٌ ؛ وأهجس : أنها نافورةٌ :

فليُعْـــلَ قصديرٌ على رمـح الكهولة ، وليكنْ لشباكنـا قَبْضٌ كقبض الوقتِ ،
ولتأتِ الفروقُ

مهمومةً ، والنفس تحلجُ بعضها حَلْجاً كقطنٍ ، والندى
يرمي أد : انصوت الى الندى ، والهازلونْ
كلٌّ تنكّبَ موتَ ومضى الى موت السنينْ .

ولتأتِ كلُّ مكيدةٍ صعدت الى ميقاتها :

خُمْسٌ سلاجقةٌ
وخمسٌ وردةٌ
خمسٌ أقاليمٌ
وخمسانِ الأنوثةُ . .

يا سريراً لينا ،

في أيِّ هاوية نهيء موتنا المبتلّ ؟ سيّاتنا أرضٌ ولا كبدُ لأرض ، لا دم
يصفو ، تعالوا : نهيء موتنا ، فيفيضنا والفا تنبّأ بالدم
من يدّعي أني جرفت الارخبيلَ الى بلاط أنوثةٍ مختومة بالبحر ؟ من يعدو
بقلبي جاهراً بمجيء جلاّجينَ او بمجيء غلمان يؤاسونَ الممالكَ بين هاوية وهاوية ؟
دعوني عاقداً عدمي على أشيائه
فأنا انتخابٌ غامرٌ ، وانا الاصولُ
والمدى درعٌ وأني لمحكم كالدرع ، لا موجٌ يحاصرني ، ولا يغتالني الجري ،
ويفضحني المسيل .
عُدّني يا رب اني مفردٌ اصغيت للنسل الذي التحمت بي اكبدُ نوحي المفرد
يطوي تكاثره ليبدأ سيرة معلومةً :
« للمرء حقانِ : الغبارُ ومجده ، وللمرء حقٌّ واحدٌ ،
للمرء مبتدأ ومنتهى . . » أجاريني مفرد يا رب ؟ ثمة نسوة يفرشن بلور الرياح

لأمّةٍ تحبو كطفلٍ ، ثم يغلقن التجار مقاهيهم باشتغال مؤنس تحتو عليه فصائل
الدّفلى ونجم محاربٍ »

هـذا اختياري

فلتمتْ أرضٌ بأرضٍ ، ولتضِل يمامةٌ بيمامةٍ في الأفق من صخبِ المعادنِ ،
حيث أنتشل الفضاء كقرصٍ قصديرٍ من النبع الذي يحنو المحارب فوقه بدروعهِ

هـذا اختياري

فلتمتْ ارضٌ بأرضٍ ، ولْيلقمْ في سجاف الأخيلة ملق الكروم الجوالين اعمالي
فسحة منذورةٌ للكيمياء ، وفي يعدي كبيرٌ ادور بين كتواسٍ على الاعشاشِ .
مُرّي ايتها حامتُه ، ما لها العالمة تلعق في لفائف تسيفنا
، قال يا عصافيرا الفضاء ، قال ، ولها انه عُلّقه تيبا تيمة تحسا
ن اه ؟ ولها عوانق يا ، لمحت اذا ؟ قله تيبا يا لمحت اذا : لالسته ما
ت لب لبان اوزغا ، ما شقا نه ان ؟ قيسلجا يهذا ؟ ان قيقة منينه ان ؟ لمحنا
ما ولها بمعاليي ريحه . . . ؟ يقعالا ذله بابه في نا لنعا يتقلا ، قشحه
يا دجاج الماءِ ،
يا بازيٌ ،
يا حدآتِ ،
يا جُبلولُ ،
يا دَرّاجَ ،
يا بطريقُ ،
يا زرزورُ ،
يا خُطّاف ؛ مرّي ، فابتهالي ليس الا نزعةٌ من آدميٍّ يحتفي بانائه اذ هُنّ
يفتحن الغضار كوردة للنيزك الملكيّ ، او يخطفن محور يعلهن مشاكسات رعدهُ ؛
مريّ وئيداً يا قرنفلةً مسوّرةً بانفاس العناكب ؛ قد تطاوعني البراري مرّة في
ليأسها فأرُدّ كلّ فضيلة مجهولةٍ ردّ الصواري تحو موجه مائم واقرف الاكتاد بين
مكيدة ومكيدةٍ ، ولربما دحرجتُ اقدار البراري في غشاء يابسٍ وقذفت كل
مدينة في يأسها ، وانا أدير الوقت كالخزاف ، مستندا الى كرةٍ تفيء الى
جوانبها الفلول

ولربما سيّرتُ اقماراً على اهليلج الصرخات ، او
أحنيت جذعي فوق نجم محاربٍ ،
وكشفت كيف يجيء موجٌ هازلٌ مستطلعاً موجي فيهذي الارخبيلُ .
ولربما شيّعتُ سوسنةً الى جرحٍ ، وعابثتُ الموالي حاشداً في خوذة مشقوقةٍ شمساً يفاجئها الاصيلُ

بانقسامٍ مذهلٍ ، بالشعب يحشدهُ دمٌ او زنجبيلُ
ولربما غيرتُ مسرى طعنتي نحو اعتدال الروح ، اهتف : ساعديني يا لبونات العراء ، ويا صفيحاً قادماً في أسرهِ الجسدُ الصقيلُ .

ساعديني يا حُبارى القتل ، اني حازمٌ امري على شَرَكٍ سادفع نحوه الايامَ والريحَ النفيسةَ خائضاً في بركة من تُرّهات العالم المحلول مثل كتابةٍ ، ولربما امسكتُ قرميدَ البيوت مقبّلاً هذا الزجاج ، وذاك ، او هذا السياج ، وذاك ، او متسائلاً : ماذا ستحمل لي بيوت حلوةٌ ؟ ماذا ستحمل لي حجارتها ؟ واين النحل ؟ اين طنينه فوق الازاهير الجسورةِ ؟ اين مَنْ القتْ الى لغتي زجاجاتٍ مكسَّرةً ، وأطلقتِ العنادلَ في خرابٍ حائمٍ كالصقرِ ؟ . . مُرّي يا لبونات العراء بأمّي ، وأحطّ بنعشيَ يا عراءُ

ها هي العرباتُ تاخذ شعبها متحاذياتٍ تحت خنشار السفوحِ ،
وها هي البلدان تركضُ ، والهواءُ
يستطير كقلب عاشقةٍ ؛ احيطي يا لبونات العراء بأمّي ،
فدمي عَجُوْلُ

والمدى مثلي شريكٌ قابضٌ بيدٍ على ميزانهِ ،
والارضُ تعقد عروةً في وسطها رئةٌ وميزانٌ ثقيلُ :
« كلُّ نَفْسٍ احضرتْ يحُمورها ،
والموت احضر جزّةً وقرون كبشٍ . . » يا عراءُ ،
يا لبونات العراءِ ، ويا حضاراتٍ يخبئها السنونو في جناحٍ مُتْعَبٍ ، واقودها في طيلُسان الرمل يشملني ويشملُها الرداءُ . .
ها هي العربات تاخذ ارضها ،
والجمهراتُ تموج بين فراغ اشكالٍ واشكالٍ مهيّأةٍ لها بدءٌ طويلُ .

« كلُّ نفسٍ احضرت يحمورها ،
والموت احضر جُزَّة وقرون كبشٍ . . » ، والعويلُ

حائمٌ كالصقرِ ؛ اني حاملَ غصنَ المشيِّعِ ، لابسٌ ما يلبس المحزون ، لكني احاذر ان تراني نسوةٌ اشعلن خرنوبَ البراري في صفيح اجوفٍ ، وجمعن اعشاشاً على اثدائهن كانمـــا دفعت بهـنَّ ذكورةٌ للمسرح : أحتمل ، أحتملْ يـا قلبُ ؛ يا زرياب غِرِّينْ وسفسطةٍ فاني حامل غصن المشيِّعِ ، لابس ما يلبس المحزون ؛ لكني امدُّ يديَّ تلتقيان خيطَ طفولةٍ منهوبةٍ وادير وجهي عارفاً اني سأُقْتَلُ تحت سقف امومـةٍ اخرى ، وتحت جنـاح امراة تلامس زينتي بانامـلٍ منهوبةٍ . . هاالجمهرات تمـوجُ :

اني راحلٌ ،
والافق يهمزهُ الرحيلُ

وانهدامٌ سيِّدٌ يلوي باعناق السهول الى دروع اسدلتْ
فوق النهار فلا ترى منه سوى شرخٍ يلامسه عواءٌ او هديلُ .
وانهدامٌ سيدٌ يرتجُّ مثل الثدي مختصراً انينَ فريسةٍ ، ودمٍ يجانسهُ الافولُ .

كلُّ نَفْسٍ احضرت يحُمورهـا ، واتتْ بناتُ الوعر يملأن السلال بايجديات مرقَّطةٍ ، ويخلعنَ البُصيلات البقيـةَ من فضاء هارب في سربه ؛ واتى المشيِّعُ : « ايُّ قاماتٍ ستختار السلالةُ ؟ » احضري يا نفس ما احضرت من حبق حديديٍّ فان الجيل يطلق صقره في غابةٍ ويهيم مغسولاً ببلور الانوثةِ ، مالئاً ابواقهُ بلهاث ماموُتٍ وتَيْسٍ اشقرٍ خـارت قوائمـهُ . أركضي يا نفسُ ؛ ثمـة جمهراتٌ ، ثمـةَ أرتفعتْ قرون مثل لبلابٍ نحيل اخضرٍ ، وتزاحمتْ في منبعي الهالاتُ والهلعون : لستُ مدينةً ، لست انتظاماً ممنعاً في حَصْر مخلوقاتهِ . هيـا اركضي يا نفسُ ، فوضى صندلٍ جذعي ، اركضي في جُلَّنارٍ ، في عقيق باردٍ ، وسَلي وبوحي
واجعلي من عارضٍ ارضاً ، ومدى عارضاً
للجمهرات تجيء في خزفِ المسوحِ .

فَرْسخٌ مُلْكي ، وكم باعدت بين حدوده يا نفس ، كم سوَّرتُ ينبوعي بجلد لبونةٍ ، ونهضت بـين سناجب الأبنوس متبوعاً بجيلين استوائيين ؛ او بقصائل ثدييَّةٍ . كم ضِعتُ ، كم ضيَّعْتُ في أثري شعوباً صِرفـة ، ومسحت ظهر أفاعي

بخلائقٍ كالليف . كم كنت الوحيد الفرد يطلق كوكبك لصقوره
معادن مذعورةٍ . كم يجاملي النسرين يدفع شمسه كفريسةٍ ، وهم النيام غافلوا
أيامهم ومشوا بأجراس السمندل في جروحي

لك الشدائد فوق ملكي هوأزعم
بلة وأزعم اعتراضه بانت الصفيح مسلة
خلافك آمن في كل جوفٍ
كأولئك افجيعة صعدت الي
ومشت الكلمي اليكم

في ذهول محكمٍ يا نفسُ ؛ لي ميثاقُ كلِّ فجيعة ، لكنني
ميثاق شعب جئت أضرمه ، وأذهب في الضحايم الي المديح
عالياً ، لكأنما غيَّرتُ موضعَ نجمةٍ وشددتُ أبعدَ في غلالات العذوبة ساحباً
ذيلَ الرداء عن السفوح

أيُّ نفسٍ أقلقت أيلَ المدائح
أيُّ عشبٍ مسكرٍ يعلو ويرفع لي مديحي

لا يجدي إلا مسكرٍ من أرجوان النعمة؟ انطلقي إذن يا نفسُ أبعدَ ، أبعدَ ،
عالياً يا نفسُ كي أرمي فتوحي

مثل سمكاتي وفرخ ثعالبٍ وسفينة نفسي جئت؟ من يسأل المتعادين فالمقدر يأمر
السلالة في الحلو بالغ ، والحدث الحيوات أحيانا تحاشيك مفرطة في تراهاتها ولا :

لو أن عمال المدينة حطموا ماسورة ، واستأنفوا غسل الغيوم بحيض كبريت
وعاودوا آخر الليل انطوائين ، كل يسترد وشعة من حلمه ويصم أسلاكا كطفل ؛
لو بكى الطلاب والحرس الحكوميون تحت جدار مدرسة ؛ لو ان ستارة سقطت
بشرقي المدينة واستعاد المسرح الجسد الذي سحلوه من حي الحي ، لو تراكضت
البيوت بلا لجام أو قلادات تضيء شكيمة المقتول ؛ لو إن الجسور تباعدت
لرأيتموني عالياً أرمي فتوحي » .

أيُّ نفسٍ أقلقت أيلَ المدائح
أيُّ عشبٍ مسكرٍ يعلو ويرفع لي مديحي

وسأقيد عقيبتُ فيا لحفلٍ من تُرّهاتٍ حلوةٍ ونصّتْ في كوريا أنا الحدادُ
أطلقُ أسرَ المعدنِ ، الذي جذبتْ مغناطيسُ الزنادِ ، وتقذفُ بها
في بيغفواة الليفبولع تواقظ ورائدةً من تنيكلٍ وفصيلون قصيدتين ، تلخّصُ تقلّبَ
الذكورةَ . انني الحدادُ : من يعدو بحمري ، بالرقائقِ من حديدٍ الجمرِ

عشب مُسكرٌ يعلو ويرفعُ لي مديحي

والقرامطةُ الذين تبادلوا في دورقٍ اعلامهم ،
يَشكُونَ ضيقَ الأرض ؛ والملكاتُ يستوقدنَ في المدّ الفسيح
طمثهنّ تدافعي يا نفس ،

عشب مُسكرٌ يعلو ويرفعُ لي مديحي

ويمسّني درعُ السمندلِ حين أُحني قامتي لسمندلٍ ، ويمسّني بابٌ فأرفعُ درعهُ
مستوفزاً حيث الجماجمُ هياكلٌ ورفيفُ أجنحةٍ تراحمُ بعضها في قبّةٍ مكنوزةٍ .
يا نفس عودي : لن تكون حرائبُنا ريحانَ انفاسٍ ، ولن تتوائب الأجرامُ في
حجراتنا كالرائبِ ؛ سنعود نحو بلادنا ، نحو الحظوظِ ونحو ريحانٍ ساجتو تحت
قامته اباعدُ بين اوراقٍ لها قزحيّةٌ من محملٍ ، وستجهش الأبعاد في عيني صارخةً :
خذينا يا طفولة . . لا أراكضي يا نفس ، اني مالئٌ درعي بغسلين وفجرٍ
ارقطٍ كالتمرِ ، اني تائقٌ قلبي وجيبي في قرنفلةٍ وانيّ قائمٌ كالنخلِ من الاحشاءِ
والرئتين ، خالٍ من كِلىً ، خالٍ تقوم الكبد : ترتفعي درعي ، ارفعيه لنخلة او
وردة ، فلقد نهضت امام نسلي طالعاً في نبعين ، مثلي كمركبةٍ لها مئتان او
زيدتْ من الأفراس ، مثلي مثل مفجوع يدقّ على صفيحٍ لامعٍ بهباته وشموسه ،
ويعود اكثرَ وحشةً فيمازجُ الأرحامَ بالاعشاشِ مثلي مثل هذا الشعب . .
فلترفع دروعي نخلةٌ او وردةٌ ولينشقّ هذا الجديدُ
بين نافوراتنا ، ولينشق عدمٌ مديدُ
كي نقيسَ رياحنا في ظلّهِ
ونطوف جمعاً حاشداً اقذاره في قبّة مكسورةٍ
او جُرْنَ عرّاف وأردية يقمولها السهدُ وبعثتا ردنا

ليتها رفعتْ دروعيَ ، ليتني غمّستُ جسمي في الذي تحطفرتْ وأيتُ
كوكبهُ يدور به الصعودُ

ليتني لامستُ لَمْسَ الظنّ ما يخفيه قوسُ امومةٍ طرفاهُ في نبعٍ ، وفي النبع الهوادجُ والمحاريثُ ، التوازنُ ، واشتغالُ فصيلةٍ بفصيلةٍ . ليتَ الحناجرُ احْكَمَتْ إقفالها وتنفّستْ بحناجر القصدير ، ليتَ تكسّرتْ واستلّ من بلّورها هذا الصعيدُ حربهُ وزرودهُ ،

واستنهضَ الحذقينَ حيث سنونهم بَوْصٌ وقُنّبٌ خيمةٍ مزحومةٍ بمالح الإنسانِ ؛ ليت الآلهاتُ نزلنَ من بلورةٍ في مقتل الانسان يستودعنهُ خلخالهنّ وجلدَ جاموسٍ ؛ وليت تبادلتْ نخبي الحشودُ ،

حين قلبتُ الغبارَ لدرهمٍ ،
ورايت آبائي ووقتي مائلاً كالصاريهْ
وهتفتُ : يقتلني البعيدُ
ثم تمحو الهاويهْ
خُوَذَ السنابل اذ تقوم الى صلاة الدّفن في اعضائي المترامية .

من يدّعيني الآن ؟ اي كواعبٍ امسكنَ حيزوم المدينة ، ثم اطلقن الفحولةَ من قوارير الغبارِ ؟ وايٌّ مقتولٍ توازن موتَهُ شمسانِ :

(١)	(٢)
شمسٌ كسّرتْ اقداحها	شمسٌ رمتْ اقداحها
وتكسّرتْ	ورمتْ
بين	باكباد
الندامى	الندامى
فانحنوا	فانحنوا

(هذا اتجاه الصاريه)

اَوَ يدّعيني بارقٌ يمحو كما تمحو حدودي الهاويهْ ؟
اَوَ تدعيني خوذةٌ ؟ اني جمعت هياكلا بهياكلٍ ،
وضحكت للشعب الذي اجتمعت به الاهوالُ في مرآتهِ ،
ونحرتُ ساقيةٌ لنار الساقيه
ولثمت ماء الساقيه

ورأيت في حصبائه أمـي ، رأيت شعوبي اختلطتْ ، وقلتُ : تباركي يا نفس ، ان الترجمان مآتمٌ ؛ وتباركي يا نفس ، هذا صاحبي قد عاد من أيامٍ ، هذا طلال : أتذكرين شملته بالرَّنْدِ والنعناعِ واستنفرتُه فاستنفرَ الياقوتَ ثم طوى جوانحه على بلدٍ ، وأطلقَ جرحهُ ؟ أوتذكرين صرخت : يا لجمالِ مـا أهرقتـهُ من حزن هـذا اللوتس العربيِّ ؟ ثم صرختُ : هذا صاحبي يا نفس ، هذا لوتَسٌ مُلْقى على ماء تكاد شفاهنا ان تستحمَّ به ، وهذا صاحبي يا نفس ، هذي زوجُهُ ودروعُهُ ، وأنا تكافؤ صرختين تناهتا من خندق ، وانا الذهولُ

قاطعاً كالوقت يهزجُ بينه وقتٌ بتولُ
يا نفس هذا صاحبي ،
يا نفس هذي نجمة موصولةٌ بخيانةٍ متعاليه
وخيانتان دمي : بلادٌ أهرقتْ ، والهاويه .

وخيانة هذي المدينة حيث تغمرُ ريحُها ريحاً فلسطينية بحثالةٍ من أيجديات النخيلِ ورملها ، يا نفس هذا صاحبي قد عـاد من موت دمشقيٍّ الى موت أرى فقراءهُ مستوحشين يكسِّرونَ جرارهم في حجرة من أيجديات النخيـل ، ويرجعون الى الينابيع الخفيفة عاصبين جباههم بمكيدةٍ وانين سوسنةٍ ، وأهتف : مُـرَّ ، مُـرَّ طلال ، ان العاصمه

رفعت اليك كتابها وقضاتها ،
وتثاءبت مدنٌ كأن المحكمه
وهج لمدفأةٍ تراخى نائمٌ من حولها ، أو نائمه .

والشاهدان دمي وزنبقةٌ ؛ أتذكرُ كم كتبنا عن جنون كتابةٍ ، كم قلتَ ان الطاوله

ستكون آخر قاتليكَ ، وأن شمس السنبله

ستنامُ في « الشياحِ » ، ان دفاتر الصحفي سوف تمر بين « المسلخ » الباكي وبين العظم ، أن القنبله

فرحٌ ، وأنك ذاهبٌ نحو التواريخ المعادة كالصدى والمهمله ؟

ستنام أعرف ان غصنك ذاهبٌ لينامَ ، أن ثمار هذا الغصن والأراقَ ذاهبةٌ ، وجذعك ذاهبٌ لينـامَ ، أني ذاهبٌ والريح ذاهبـةٌ ، وأرضك مثلنا ستنامُ :

فاملأ راحتيك بخردل وقطيفة ، وانثر زبيبك في ظلام أخضر تجتازه الاجساد
مثل القوافل
ستنام . . اعرف يا طلال ، واعرف المطر الذي سيحوم حول يديك اذ
تتقاسمان ظلام قبر ضيق ، وهو مكان كشبه بين الظلام لطفلة مشاغبة
ستنام . . اعرف ان هذي العاصمه
نزلت اليك بقبعات حلوة ،
وبسترة من مخمل الماء الفلسطيني ، والريحان ، والقت عليك كرنبقاتها
فقطفتها وارتحت ، ثم تركتها للسابله
وذهبت ، اعرف ان جسمك ذاهب نحو التواريخ المعادة كالصدى والمهمله .
وعرفت اني ذاهب ، والارض ذاهبة ، وتاريخ بأكمله
بعض قضبان ، وأخلاط من البازلت والأحجار تذهب بالنهار الى النهار
من يدعيني الآن ؟ أي صديقة عادت بقلبي من خطام اخضر ؟ وبكيت لأني
لم أجد موتاً يهدد فازه وعصوره ، ولأن عاصمة بكت وبكيت : مرّي يا نباتات
الغضار ، ويا صديقة خيزران مائل في ضفة الخابور ! مُرّ ظلال ، مُرّ كثيبة
مجروفة من سفح سنجار الخجول فانني لامست موتك لمسَ مَنْ مرّت يداه على
قرون الظبي : تلك صديقتي ، تلك الغصون وقد تلمّسها في ليلتين المتعب تلك
جنادبٌ مسروجة ، ودمي يجيء مع الصنوج
خائضاً ميراثه ، والبحر يلجأ من « مهاباد » الرياح الى الخليج
تلك الكائنات سمعت الملوك الى انكسار ، وانكسار البحر نبضٌ خالقٌ ينحلّ في زبدٍ وموج
جانحٌ قلبي : ترى من يدعيني الآن ؟ لست مكبدة ! لكنني
شركٌ ، ودرعي كالثلوج
أبيضٌ غضٌّ تدور به المروج على المروج .
تمكلُّ شيء هادئ ، وطلال أهدأ من عواصف تستدير مع الظهيرة ، والسماء
جنازة ، والناس واجمة الزهر ، معتدلاً كقبس ، تحاكمان بين الدروع المحيطها بظلوعه

معدنها ، واقطعْ ما يؤصّلني كشمسٍ في فراغ الايحديات التي لم تأت ـ: « يا للحلوةِ انتظرتْ ، ويا لجمال عينيها اذا ما رفّ بين جفونها دمعٌ ، ويا لجبينها المتغضّنِ الباكي ويا لشفاهها » ، وانا اواسي الأيحديات التي لم تأتِ ، معتدلاً كميعادٍ ستُقْبِلُ فيه وحشيّاتُ هذا الروح ـ : « يا للحلوِ ، يا للحلوةِ اقتربا . . » إلهي .

يا الهَ الايحدياتِ التي لم تأتِ ، ماذا استنفر القلقاصَ ؟ ماذا استنفر الجيلَ الذي ألقوه بين معادنٍ مذهولةٍ ؟ ماذا يُصيّرّني اعتدالاً جارحاً فأصيحُ : هاتوا حربكم وطيوركم ، هاتوا الطبيعة مثل كلبٍ اعرجٍ ؟ يا ربّ يا متعالياً في رهبة الانسان اني عارمٌ كهدوء هذا الجيلِ ، اني واقفٌ حيث اللواتي اجْتزنَ مدرجهنّ يستنبتنَ رعبَ الموجِ واللغةِ ـ : « آلحبيَبُ يضمُّها ، والحلوةُ اتكأتْ . . » الهي

كل شيء هادئٌ ، وطلالُ أهدأُ من وعولٍ تستريح مع الظهيرة ، والدروعُ جنازةٌ ، والافقُ لي : « هذي رموزي
حُلوةٌ ، واناثيَ الهلماتُ يستغفلنني
ويضنَّ مسرحهنّ بين دمٍ ولوزِ
واحتفالي قاتلٌ ، ومعاولي
كونيّةٌ ، والماء مصباحي الى بهو الكنوزِ
حيث استقري الطبيعةَ في قناعٍ مهرّجٍ ،
واضيّعُ الأرحامَ بين خسارةٍ تأتي ، وفوزِ .

والإشاراتُ التي اودعتها في الوردِ تخرجُ كالمناقير الصغيرة كي تدلّ عليّ : اني تاركٌ قلبي على غصنٍ وبوصلةٍ ، فماذا يدفع المدن الجميلةَ ان تجيء اليّ ؟ ماذا يجعل الساعاتِ اسلحةً ، ونفسي مثل بوتقةٍ لها عنقٌ طويلٌ من زجاج اخضرٍ ، والبوتقه
عربيّةٌ ، والكيمياء ـ الشعب ترشح من جوانبها فتعلو
همهماتُ الشعب بين دخان نارٍ فاسقه ؟

يا ربّ هذي ارضُك اقتلعتْ جذورَ نحاسها وحديدها .
يا ربّ هذي ريحك اغتسلتْ من الريح التي رفعت اليك نذورها .
يا ربّ هذا قلبك اقتسمته بلوّرَاتُنا ،
هذي رموزي سيدي ،

وفسيفسائي الانظمه
وجداولي تمضي على مَهلٍ وقد لبست فراء الملحمه . .
وكسّيدٍ بدّلتُ جيلَ الملحمه
بعشائرٍ حضّريةٍ مستسلمه

ونفضتُ عمري من نظامك خالعاً قبري وانسانيتي من فجوة الانسان : هذا مقتلي يا ربّ ، والهجراتُ آتيةٌ ، وحرٌّ عنصرُ الماء الذي اكسوهُ شكلَ القلب ثم اعيدهُ ماءً ، واكسرُ في مرايا نبعه شكلي معيداً كل زاويةٍ الى قانونها في المهزله
وافجّرُ الاجسامَ حيث تفجّرتْ اشكالُها ،
واقول هذا مطلعٌ حَسَنٌ ، وهذا
منفذٌ بين التواريخ المعادة كالصدى ، والمهمله » .

لا بأس ، هادئةٌ هي الأجناسُ ، والحرب التي علّقتها كقلادةٍ ستظل مثل قلادةٍ ، سأظلُّ أمتحن السناجب في السهول وأحتمي بفراشة من معدن حرٍّ ، واستقصي العوالمَ صائحاً بين اللقالق والوعول كما يصيح الفاتحُ : أشتعلي اشتعالَ طريدةٍ يتبها اللقالق والوعولُ ، ويا ظباءُ استنفري ، وخذي نهاريَ يا زواحفَ لا دروع لها ، ومرّي مسرعه

هي تسعُ ساعاتٍ وأخلقُ ظبية من ثورةٍ متنازعه :
(في الساعة الاولى أباشرُ جمع كل عظامها في زئبق ، فاذا تلاصقت العظامُ كسوتها باللحم ، ثم تركتها للوقت يكسوها بجلدٍ ليّنٍ ، وغسلتها في التاسعه بدمٍ ، وقلت لها اركضي في خندق الله المقاتل مسرعه) .

هي تسعُ ساعاتٍ ولكني سأختزلُ العناصرَ والعواصمَ حاضناً أشلائيَ الأخرى ، مغيراً نحو باديةٍ تركت شموسَها ترمي على جسدي عباءتَها كأني آخرُ اللغة التي سقطتْ ، كأني جرحُ كل محاربٍ ، أو درعَ من لا درعَ يحضنُ موتَهُ ؛ هي تسعُ ساعاتٍ وأمنح مقتلي سبباً ، وأرجع من حروب لم أكن في موجها غيرُ انحدارِ الموج نحو عويل مخلوقاتِهِ : هذا اشتعالي في غد ليس انهداماً ، بل غد متجانسٌ ، وترى لحاديه صرخةَ مترَفٍ اذ ينحنون على معادنهم ، ويحتفلون بين شرارةٍ وشرارةٍ بنظام خَلْقٍ مُتْرفٍ . . هذا اشتعالي

حين أجعل جذر كل مقاتلٍ كبداً يجرُّ على الرمالِ
أمَّةَ ، وأهيِّءُ الأشياء في أحزانها ،
وأصيح مرتجفاً : تعالي

انني أمحو الهواء وأنتقي هذا الفراغَ الفحلَ كي أصطاد جمهرةً من الأشكالِ ، أو أصطاد شعباً ذاهلاً عن شكلهِ ، وأقوده نحو الفراغِ الفحلِ منتحلاً صفات محاربٍ او دولةٍ ، وأصيح مرتجفاً : تعالي

يا بغالَ الوقتِ ، ولتقف السنابلُ في قميص السهل ، تحت فراغها ،
وليمضِ شرقٌ مثقلٌ بدم العناكب والسحالي .

انني أمحو الهواء ، وأستطيل مباركاً هذا الفراغَ الفحلَ حين أرى القتيل يحسُّ كوكبَهُ كفحلٍ حاذقٍ ، وينام بين عذوبة الافق الغريب وموته ، وأصيح مرتجفاً : تعالي

يا غزالة كلِّ مادبةٍ ، فان وليمتي شَرَكٌ لاجناس ستسقط في عذوبتها ، وتنهض حيث لا جرحٌ سوايَ كانني جمَّعتُ مِسْكَ الشعب في قارورة وسكبته في مركزٍ حيٍّ فكانت ايجدياتٌ ، وكان اللهُ ؛ او لوحتِ للأنثى بمنديلٍ من القصدير والاعشابِ ، وانزلقتْ يدي فتهاوتِ البلدانُ . . انَّ وليمتي شَرَكٌ ، واعلن : « لا مجالسَ ، والحكوماتُ انفصامٌ ضمن منظوماتها ، ونقابة العمالِ غيرُ نقابةِ العمال ، والاحزابُ تستوفي شروط حضورها في جدول الطبقاتِ ، والمتوسطون لدى المدينة يحملون نساءهم كدريئةٍ ، والبرلمانُ دعابةٌ ، والحُكمُ آخرُ لعبة في التَّرهاتِ الخاسره

ولتأتِ تلك الشارةُ المتناثره
من طغمةٍ مهزومةٍ ومثقفين يجنِّدون على الحبالِ
مجدهم كمهرّجٍ . . » واصيحُ مرتجفاً : تعالي

يا سمندلَة الحياةِ ، ويا نساء حقيقةٍ محسومةٍ ، وتناثري يا ارضُ تحت دروعنا اذ نحتمي بدم وصلصالٍ ، ونكسرُ شكلنا فنعود محض زنابقٍ . . وأصيحُ : عودي يا عُجول الى مدى سهلٍ هناك ، ويا فراشاتُ اركضي محمومةً ، فانا انبثاق الحرب بين عواصمٍ ، وانا اختيارُ البرق في فوضى دمٍ متهالكٍ ، وانا الفلسطينيُّ

يحمل شمس « عامودا » الى « نابلس » في رِفْقٍ كأن بلادَهُ احتضنتْ بلاداً مثلها وتوزَّعتْ في القلب ، او جفلتْ وعولٌ عادها شوقُ الوعولِ الى الوعولِ .

ساظلُّ امتحنُ الحياة وأحتمي
بفراشةٍ تمحو الكتابة بين هاويتي وميعادِ السهولِ
واظلُّ ادفعُ بالسهولِ
نحو ميعادِ الجنونِ ، ووردةِ الفتح البديلِ .

* * *

كانون الاول ١٩٧٥ — آذار ١٩٧٦

ثقافة

الياس خوري

ايقاع الحرب الاهلية

لم تغسل هذه الحرب الاهلية الارض بالدماء ، الا لترسم ايدي الجماهير وهي تقتحم سماء الثورة العربية ، عرس البدايات الذي يبدأ مع اقواس الرغبة التي امتدت من الشاطيء الى صنين ، يرسم وهج تاريخنا وهو يتقدم محمولا على الدماء ،

هذه الحرب الاهلية هي مطر الاعماق ، مطر ورياح ، حبال من المطر الـــذي لا تسقطه غيمة عابرة ، بل هو الغيوم الخارجة من ايدينا ، يعيد رسمنا وتشكيلنا ، ويصنعنا كما الارض ، نصنعها بالارادة الشعبية التي خرجت تكسر القيـــود ، تحطم الاصنام ، فيما تكتشف ذاتهـــا في صراع لا يرحم ،

جميع نتائج هذه الحرب هي نتائج مؤقتة ، حتى الموت مؤقت ، وحدهما ، المطـر والريح كانا ثابتين ، لانهما يخرجان من ارادة شعبية حقيقية ، من عرس جماهيري دموي ، من بنادق حربنا التي لن تسقط ابدا ،

جميع النتائج مؤقتة ، ما عدا سماء الثورة العربية التي صنعنا ، اما المطـــر والريح فمن دم ، واما الكلمات فرجع لدمائنا ، ولن تكون غير ذلك ، لان دمـــاء الفقراء ، كتبت مرة اخرى تاريخ الفقراء ، الذي لن نسمح لايد اخرى بمحاولة كتابته مزورا وخشبيا ،

كان مطر ، وكانت رياح من الدم والشوق الحلم ، هكذا نولد من جديد ، ونكتشف في لهب الدم ، اننا من يصنع المستقبل ، واننا شرف العرب ومجدهم وكرامتهم ،

نقد السلاح ، الذي مارسته الكتلة الشعبية الوطنية العربيـــة ، كـان وجها لسلاح النقد الذي لا يصنع الا في الشارع ، في الممارسة الجماهيرية الفعلية وكتلخيص لها ، هكذا تشحذ الطبقة العاملة العربية سلاح نقدها ، فيما هي تمارس نقد الســـلاح وسط الكتلة الشعبية الوطنية ، وحين نكتشف معادلة وحدة السلاحين والنقديـن ، سوف نقبض على النتائج المؤقتة ، وندخل لهب زمن البدايات ،

مطر ودماء وحلم ، واكتشفنا في لهب الحرب الاهلية العظيمة ، أن الثقافة المسيطرة هي خارج التاريخ الذي نصنع ، واكتشفنا ان ايدي من ادعوا الليبرالية تلطخـــت بدماء الفقراء ، وأن كلماتهم كانت فاشية صغيرة سواء تكلموا او سكتوا او بروا

لن تكلم منهم ، واكتشفنا كيف صنعت دماء اصدقائنا لهب حروف نكتبها وارض نصنعها ، وثقافة جديدة نمارسها وتكتبنا لحظة اقتحام السماء ، امـــا الذيـــن تركونا ، فلا نحقد عليهم ، بل نحزن من اجلهم ، لانهم تركوا لنا وحدنا ، تركـوا للفقراء الذين ترتسم وفق هاماتهم دوائر الدور ، هذا المجد كله ، هذا الحلم كلـه ، هذا الموت كله .

مطر وريح ودم فوق آسيا العربية ، هذه الحرب الاهلية ، كانت مجدنا ، وسنبقى في لهبها ، نبحث داخل نقد السلاح عن سلاح النقد ، نرسم وجهنا على تاريخ خـراب صنعناه على انقاض مدينة كسرنا زيفها ، وعلى انقاض ثقافة حطمنا اصنامها .

رسائل السياب

بدر شاكر السياب ، هو احد اكثر المحطات اهمية في الشعر العربي المعاصر ،فلقد استطاع ان يقدم شكلا متقدما لقصيدة عربية جديدة ، تتجاوز الماضي محافظة على نبرة كلاسيكية ، تتوهج اللغة في داخلها ، وتأتي الصورة والرمز وعاء لمعانقة فعلية .

ان تجربة السياب تستحق اكثر من دراسة ، ويجب ان توضع في سياق اتجاهات الحركة الشعرية العربية المعاصرة ، كي تـــدرس بوصفها تلخيصا ، للمرحلة الرومانسية عبـر كسرها في محاولة بناء جديدة للقصيـــدة ، تستطيع ان تجيب على اكثر من سؤال واحد في اكثر من صوت .

يتميز صوت السياب الشعري ، وبالتالي اضافاته الى الحركة الشعرية العربية المعاصرة في ثلاثة ابعاد ، تضمها وحدة المرحلة التـــي انتجت هذا الشعر ، فهو اساسا شعر الريف أي شعر الحنين الى الاعماق والماضي الذي ينكسر في الزمن الجديد الذي يعيشه ، هذه النبرة الريفية في شعر السياب ، وفي حنينـه اللاهب الى الطفولة وذكرياتها ورموزها ، لا تعني انه كان رومانسيا ـ الا في مراحل شعره الاولى ـ بل ان هذه الرومانسية تكسر فـــي لحظتين متداخلتين : اللحظة الاولى هـــي المدينة العربية ، بغداد او البصرة او بيروت،، المدينة العربية بكل ما تحمله من الريف داخل علاقاتها وقيمها الجديدة ـ القديمة ، هكذا تكسر المدينة الريف او الحنين الريفي دون ان تحطمه ، تشققه دون ان تقضي عليه ، فالام المثقف ـ المواطن ، المقتلع ، تأخذ في المدينـة شكل غربة مزدوجة ، فهنا الريف ما يزال حاضرا ، لكن اشكال القمع والقهر والاستغـلال اصبحت اكثر عصرية ، واخذت شكلا جديدا ، هكذا ينكسر الريف ، وتنكسر النبـــرة الرومانسية ، في لحظة تشبه الضياع ، ولا ينقذها منه سوى ممارسة سياسية ـ ثقافية .

اللحظة الثانية هي الثقافة الغربية الحديثة ان الانفتاح الكامل الذي بدأ في اوائل القرن على الثقافة الغربية الحديثة ، يأخذ الان ، شكلا جديدا ويصب في اشكالية جديدة ، فعوض استعارة المضامين كما جرى مـــع الشعر الرومانسي (ابو شبكة) ، يكســر الشعر العربي ، أو يحاول كسر عمود الشعر ، يتمرد على الاشكال القديمة محاولا اكتشـاف شكله الجديد ، هكذا تدخل الثقافة الليبرالية مجتمعا غير ليبرالي ، تتقدم الثقافة الغربية في بنية ثقافية متكسرة ، تعاني الانقطاع وازدواجية الشخصية ، هنا تنكسر مرة اخرى النبرة الريفية ، وتصبح مجرد لحظة فـــي استجماع الذات ، والتقاط اللحظة التاريخية .

ان هذه اللحظات المتداخلة ، هي السمة الغالبة لمرحلة شعرية وثقافية كاملة ، فاهمية السياب التاريخية ، انه استطاع في شعـره ان يلخص المرحلة ، عبر جمعه هذه الابعاد في قصيدة واحدة ، فاتى شعره وكانه يستعيـن بلحظتين ، ليمنع لحظة واحدة من التقـاط تجربته الشعرية ، من هنا نفهم هذا التكسر الهائل في قصائده ، وهذه النبرة المأساويـة

★ رسائل السياب ، جمع وتقديم ماجد السامرائي ، دار الطليعة ، بيروت ، الطبعة الاولى آب ١٩٧٥ .

التي تدلك على مبلغ مرارة مرحلة الانتقال وصعوبتها ، وتداخل عواملها المركبة ٠

ان هذا التحليل الاولي لتجربة السياب الشعرية ، لا يغني عن التحليل ٠ ولا يقدم سوى اشارات او عناوين لدراسة مستقلة ومعمقة ، تحاكم هذه الافتراضات نقديا ٠ أي عبر دراسة تفصيلية للقصيدة السيابية ٠ غير ان هذا لا يمنعنا من ابداء ثلاث ملاحظات : ـ

١ ـ ان تلخيص هذه اللاحظات الثلاث في بنية القصيدة ٠ ينعكس مباشرة على الشكل الشعري ، عبر محاولة التجريب الفنية التي ترتطم دائما بأصولية كلاسيكية لا يتخلى عنها السياب ٠ من هنا تأتي قصيدة السياب وكأنها مزدوجة ٠ أو يظهر فيها شيء من الانفصام بين الشكل والمضمون ،هذا الانفصام، هو تلخيص لمرحلة شعرية كاملة ٠ تتعامل مع ظروف موضوعية انتقالية ، وتحاول الانتقال بالقصيدة العربية الى مرحلة جديدة ٠

٢ ـ استعمال الرمز والاسطورة بشكل دائم وكأنهما يستطيعان تعبئة فراغات هذا الانفصام ٠ لذلك أتى الرمز الاسطوري في بعض الاحيان مسطحا ، وغير قادر على الدلالة المعقدة ٠ فالبقاء عند لحظة الرمز الاسطوري، تستطيع ان تقلل من قدرة القصيدة نفسها على الايحاء الداخلي وعلى الاشارة الى التناقضات الداخلية ٠

٣ ـ ان قصيدة السياب ، عبر دمجها للحظات مختلفة داخل التجربة الشعرية ٠ استطاعت في بعدها الواحد ، وتفككها في بعض الاحيان ، ورصانتها الاصولية الكلاسيكية ، أن تضرب عميقا في ارض الواقع ، وأن تعبر عن اكثر لحظاته تراجيدية ٠ فمرحلة الانتقال والصراعات الوطنية ـ الطبقية ، هي قاعدة استطاعت قصيدة السياب ، عبر انتقاليتها ان تتعامل معها ، وان ترسم بها ، مرحلة بالغة الاهمية في شعرنا العربي ٠

الشعر والخلفية الايديولوجية والذاتية ٠

انالدراسة الفعليةللشعر،لا تكون الا بدراسة الشعر نفسه اساسا ٠ أي بدراسة القصيدة بوصفها شكلا ادبيا ٠ ثم ربطها بالادب بوصفه شكلا ايديولوجيا ٠ ودراسة علاقة هذا الشكل بالممارسة الاجتماعية أي بالصراع الطبقي ٠ من هنا تصبح دراسة حياة الاديب او الشاعر ضرورية ، لانها تشكل احدى خلفيات الدراسة العامة ٠ دون ان تصبح هذه الدراسة اساسية أو بالغة الاهمية ٠ غير انها تكشف على الاقل، خاصة بوجود رسائل أو نصوص كتبها الشاعر ، جانبا ، من لحظات خلفية الابداع الفني ٠ بوصفها لحظات معاناة ٠ ولحظات صراع ايديولوجية ٠

هنا تقع اهمية الكتاب الذي جمعه وقدم له ماجد السامرائي لرسائل السياب ٠ فرسائل السياب تكشف جانبا هاما من الصراعات الايديولوجية والسياسية ، التي رافقت مرحلة ادبية كاملة ، وطبعتها بطابعها ٠ كما نتعرف على جانب من شخصية السياب ٠ بهمومها ورومانسيتها واوجاعها وامراضها ٠

لا بد امام هذه الرسائل من ابداء بعض الملاحظات :

١ ـ هناك فجوة في الكتاب الرسائل ، بين مرحلة المراهقة ، ومرحلة الخروج على الحزب الشيوعي ٠ هذه الفجوة يجب استكمالها ٠ وهي ، كما يشير السامرائي ،بالغة الصعوبة ، نتيجة كون مجهود تجميع الرسائل ، لا يرتبط فقط بارادة من يجمعها ، بل يرتبط اساسا بارادة من يقتنيها ، لكن كان من الافضل لو أشير الى هذه الفجوة الهامة في مقدمة الكتاب ٠ وقدم تحليل أولي لها ٠

٢ ـ تعطي هذه الرسائل خطا بيانيا لتطور السياب في اربع مراحل : مرحلة المراهقة ٠ مرحلة التعامل مع الناصرية عبر التعامل مع مجلة الاداب ٠ ثم مرحلة التعامل مع مجلة شعر والعداء السافر للشيوعية ٠ ثم مرحلة المرض والالام الرهيبة ٠ تلخص هذه المراحل ، قلق الثقافة العربية ، والتيارات التي تتجاذبها ٠ وكيف تصبح المسألة الوطنية ، ومسألة الادب ٠ وجهين في مرحلة واحدة ٠

٣ ـ تشير هذه الرسائل الى خلخلة الفكر الليبرالي ، ووقوعه في شرك معاداة الشيوعية

بشكل اعمى . فعلى الرغم من الحس القومي المرهف ، ومن المعاناة الريفية التي يحملها السياب في شعره ، فانه لم يستطع تجاوز تأثيرات الغربنة الثقافية ، فوقع اسيرا لها . ففي رسالة له ليوسف الخال ٤ اذار ١٩٥٨ يشدد على ضرورة « تخليص الشعر من الحزبية من السياسة . اذ أن على الشاعر ألا يبعثر جهوده في قضايا تبعده عن قضية الشعر » . لكن هذا الهرب من السياسة ، هو هروب الى السياسة نفسها . اذ أن هذا لم يمنع السياب من محاولة نشر مقالاته « كلت شيوعيا » في كتاب مستقل وفي الخارج ! .

٤ ـ تشير هذه الرسائل ، الى مبلغ التكسر العام في النظرية الشعرية . ومحاولة الخروج بتنظير متماسك يتعرض للتساقط دائما . ان رسائل السياب ، هي مجرد شهادة غير متكاملة . لكنها شهادة لمرحلة مليئة بالمنعطفات والتحولات . لذلك تأتي شهادة السياب وكأنها شهادة لتيار في عصر ادبي يتميز بكونه عصر انتقال . من هنا ، فهي لا تضيف كثيرا ، غير انها تضيء بعض اللحظات . وتساعد في رسم لوحة متكاملة للثقافة العربية المعاصرة .

محاورة الواقع اليومي

بين السرد القصصي ، والتوتر الغنائي ، تقع محاولة مريد البرغوتي الجديدة ، في محاولتها صياغة الزمن الثوري الفلسطيني . المعادلة التي تحاول مجموعة « الايام الصعبة» صياغتها ، هي معادلة بالغة الصعوبة . لانها تريد ان تلتقط لحظتين في صيرورة شعرية واحدة، دون ان تستطيع بلورة اتجاهات وتحولات داخل القصيدة نفسها تكفي للوصول الى صيرورة شعرية متكاملة .

حين تتعامل اللغة الشعرية ، مع الواقع اليومي ، فانها لا تتعامل مع فراغ . انها تنطلق اساسا من جدل داخلي ، هو جدل اللغة نفسها مع الواقع ، عبر اقنيتها . هكذا يتطور الشعر تطورا ايقاعيا . فهو حين يكتشف ايقاعه الخاص داخل اللغة ، يقوم بعمليين مزدوجين : استنباط ايقاع اللغة واستخدامه ، ثم كسره في سبيل الوصول الى ايقاع جديد يجاوب على متطلبات لحظة تجاوز ، تفرضها علاقة الشعر المعقدة بالممارسة الاجتماعية . هكذا لا تفقد اللغة الشعرية خصائصها ، بل يجري تجاوز الخصائص القديمة ، كسرها ، اقامة قطيعة معها ، وصولا الى مجموعة من الخصائص التي تسم مرحلة او فترة من التطور الفني .

الشعر الواقعي ، لا يخرج عن هذا التحديد ، بل يؤكده . ما هو الشعر الواقعي ؟ انه بالقطع ليس شعر وصف للظواهر . بل هو شعر تغلغل في اعماقها . اكتشاف جدلها عبر جدل اللغة . هكذا فكل شعر عظيم هو شعر واقعي . فالشعر العظيم هو شعر الاكتشافات . شعر اذابة الذات في اللحظة التاريخية ، هنا تخرج اللغة مغسولة بالممارسة الاجتماعية . تلتقط اكثر روافدها عمقا . أي تلتقط جدل حركتها الذي يتقدم داخل الصراع الطبقي ، لتعيد انتاج اللغة . وتعيد بالتالي انتاج دلالات جديدة ، تكسر الماضي لتتجاوزه .

بهذا المعنى ، يفهم الشعر الثوري فالشعر الثوري ، هو مدخل الى لحظات التحول في حركتها . اي انه لا يكتفي من الاشياء بالظاهرة . ولا يتوقف عند الوصف ، الا ليدخل منه الحركة . لا يتوقف عند لحظة ، الا بوصفها استخلاصا لحركة من التناقضات . وهو بهذا المعنى ، محاولة دخول الى واقع التحولات التي تصنعها الممارسة الاجتماعية . هذا الدخول يأخذ في الشعر ، سمة الشعر ، أي يأخذ الايقاع والشكل بوصفهما اعادة بناء للدلالات . لا يمكن فهم الشعر ، خارج منطق الايقاع وتطور الاشكال . فمحاولة كتابة الشعر خارج الاشكال هي محاولة شكلية في جوهرها . أي انها تتوقف في صناعتها عند محطات ايقاعية تعيد صياغة الشكل الشعري في جسد

★ مريد البرغوثي : الايام الصعبة . منشورات فلسطين الثورة . شباط ١٩٧٦ .

هو القصيدة . ان محاولات كتابة قصيدة النثر العربية تقع هنا . من ضمن البحث عن جسد جديد للقصيدة . وهي بمقدار قدرتها على اكتشاف الحركة الداخلية للواقع في حركة اللغة والايقاع ، تصل الى لحظتها الغنية في القصيدة .

البساطة بهذا المعنى ، تصبح محاولة بناء من داخل الاشياء المحسوسة . فعوض الصور المجردة ، تقدم البساطة الشعرية ، محاولة كتابة لغة شفافة ، تحجب نفسها فيما هي تحاول اكتشاف جدل الممارسة . فناظم حكمت وايلوارو ونيرودا ، حين يرسمون جسد تحولات الواقع ، يذهبون في لعبة اللغة الى تخومها ، الى محاولة نفي اللغة الشعرية بالشكل الشعري . لذلك يكون جسد القصيدة وحدة تحولات . وتأخذ علاقاتها ، ايقاع الواقع ، الذي ينتظم ، داخل اللغة الشعرية ، في اكتشاف لحظات شفافيتها ، داخل التغيير والحلم .

تأخذ محاولة اكتشاف ايقاع الممارسة في اللغة الشعرية اكثر من اتجاه ، حتى في اكثرها رفضا للاشكال ، تحافظ على خصوصية الشكل الشعري في شكل اللغة . من هنا ، تبدو قراءة الشعر مترجما ، وكأنها تنزع عن اللغة الشعرية شكلها وترميها في فراغ . فقراءة الشعر الثوري الصيني على سبيل المثال ، لا يمكن أن تتم خارج الخصوصية الشكلية التي للغة الصينية والتي تقترب من الرسم . وقراءة شعر ايلورا ، لا يمكن ان تتم خارج اشكالية تطور الحركة السريالية وتناقضاتها وتياراتها ،ضمن محاولة صياغة الحلم داخل الواقع .

السرد والتطور الداخلي

في محاولة البرغوثي ، كتابة نثرية تحاذي الشعر ، فمجموعة كبيرة من مقاطع الكتاب ، تحاول ، عبر محاكاتها للغة ناظم حكمت الشعرية ، ان تقيم نصا بسيطا ، ينقل الواقع ، عبر محاولة كتابة لغة شفافة . لكن هذه اللغة تصطدم بمسألة اساسية : وقوفها عند لحظة واحدة في السرد . فاذا اخذنا النص كوحدة ، نكتشف انه يلتقط لحظة واحدة ، ينوع عليها ويقيم حولها مجموعة من التداعيات لكنه في المقابل ، وهو يبحث عن البساطة ، لا يجد سوى بساطة وحيدة الجانب . اي تبقى عند حدود لحظة ، دون أن تنقل الصراع الذي يقع خلفها .

ففي « اني اتذكر » أو « الحداد الفلسطيني يقوم اعوجاج المعادن » ، تبدو لغة السرد القصصي لغة خادعة . اذ لا وجود لهذا السرد، الا كشكل يعطي انطباعا بتطور ما . غير أن الجدل الداخلي الذي في النص ، يتعطل ليمنع التطور او يجبر النص على كشف رمزه . « والحداد الفلسطيني / هو نحن جميعا ... هو الشعب الفلسطيني » .فاللغة لا تترك مجالا لاي سوء تفاهم . ولا تسمح بخصوصية خارج خصوصية النثر اي خارج السرد الذي يستخدم بعض التشابيه ، دون ان تصبح الصورة مدار توتر خاص . أو دون أن تبحث عن ايقاع حركة ، يعطي للغة بعدا داخليا خاصا .

ان هذه الخاصة ، العامة التي للنص النثري ، لا تمنع لحظات الشعر الجميلة من البروز في احايين كثيرة . هكذا تأتي الصورة التشبيهية البسيطة الجميلة لتبرز ، وكأنها نسيج لحظة خاصة ، تسقط على النص لانقاذ لغة الشعر من السرد . ففي « هكذا تكلم عوني منصور » ، يخرج النص في بساطته الملتهبة ، جميلا ومنسابا وبالغ الشفافية والدلالة .

« صامت
كالزيتونة المثمرة في الحقل
والدالية في الكرم ـ ومياه الينابيع ـ وبيادر القمح
ونوافذ البيت ـ وارصفة الشوارع
وحجارة الطرقات الريفية
وانحدار السفوح في البراري
كلها ، صامتة تماما مثل عوني منصور . »
الايقاع والصوت الغنائي الحاد

هذا الكتاب ، هو في المقابل شهادة على ازدواجية اللغة الشعرية في بحثها . فحين يحاول النص النثري السردي اقامة حركة التفاف واقعية على القصيدة ، تقول الاشياء

من خلال محاولة نسيج علاقات او اكتشافها ٠ تأتي القصائد الموزونة لتشير الى صـــوت احتجاجي ، مباشر ، هدفه ايقاع خارجي حتى ولو استخدم قافية لا تطيعه ، فيسحبها الى حيث تناغم نهايات الحروف ٠ وصولا الـــى صخب ايقاعي ٠

« انا نسمي الورد فرق موائد التوقيـــع شوكا في الحناجر

انا نسمي من يبدد كبرياء الارض والشهداء خاسر

ان الشجاعة والدماء وتربة الاوطان مبدأ ٠ »

يخدم شد القافية الى نهايتها ، هدفـــا ايقاعيا خارجيا ٠ فهذه القصائد ، تبحث عـن الاحتجاج ٠ تعيش وسط الالم الفلسطينـــي المقاتل ، صوت الاحتجاج هذا هو صـــوت غنائي ٠ صوت لحظة واحدة ، تحاول التقـاط الاساسي في الواقع الفلسطيني ورسمه علـــى الخريطة العربية ٠ لذلك يأتي الايقاع ، دمويا، صاخبا ، يلامس اللغة خارجيا ، يريد فقط استخدام امكانياتها ، دون الدخول في لعبتهـا الداخلية ٠ فهذه اللغة الشعرية ، هي تنويـــع على لحظة واحدة ، ومحاولة استصراخهـــا المواقف ٠ هنا يأتي هذا الوله الفلسطيني ، وكأنه يريد ان يكون ضمير العرب فيخـترق اللحظة الانية ، الى الاتي في الثورة ٠ أي الى لحظات مفتتة ٠ هنا يصبح الاحتجاج الصدى المباشر للواقع ، لا يستطيع اختراقه ٠ يبقـى على جداره ، تعبيرا عن قلق واندماج كامـــل في حركة الجماهير وهي تبحث في الممارســـة عن اختراق الواقع ٠ ان الصوت الغنائي ، يرتفع ليصل الى حدود محاولة كتابة الاغنيـة بالشعر ٠ وهذا ما تعبر عنه قصيدة « يـــا حادي العيس » بشكل مباشر ٠

الاقتراب من لحظة التداخل ،

ربما كانت المقاطع النثرية ، اكثر قـــدرة على الايحاء في هذا الكتاب ٠ وهي حين تدمـج باللحظة الشعرية المتكاملة تعطي قصيـــدة متكاملة ٠ تخترق الواقع ، تقدم تطـــــورا موضوعيا جدليا ٠ كما في قصيدة « الى غسان كنفاني » التي هي اهم ما في هذا الكتاب ٠ ففي السرد ، تقع خلفية القصيدة فيمـــا يشبه الحكاية الاسطورية ، وفي المخاطبة ، تأتي لغة الوزن والايقاع ، لتعطي هذه الخلفيـــة ابعادها ٠ هكذا تتوحد اللغة في الشعـــر ٠ وتصبح القصيدة محاولة خروج عن لحظة واحدة، من اجل وضعها في سياقها الفعلي ٠

« ولماذا حين مات الثائر الفارس لم تبـك الفرس
والجنازات استحالت في بلادي
والمراثي اصبحت عرسا طويلا
نسي الريفي ان يبكي وحفار القبور
يغلق القبر
ومن ابعد حي في المدينة
سمع الاطفال اصداء الرصاص الاحتفالـــي المدوي »

ان اقتراب الشعر من القصيدة ، يعطـــي البعد الفلسطيني مذاقه الخاص ، بوصفـــه انتقالا الى التحولات العربية ٠

لغة الشعر هي احتمالات اللغة داخـــل الممارسة ٠ هكذا ، لا تخرج اللغة الى احتمالها خارج القصيدة ، وخارج الشكل الشعـــري ٠ ويأتي صدى الواقع ، وكأنه اعادة انتـــاج للواقع ٠ فلا صدى في الشعر ٠ وحين نسقط خارج القصيدة او على محاذاتها ، ترتفـــع الاصداء ، ولا تبقى سوى لحظات من الصور والتداعيات والايقاع ٠

ان هذه المحاولة ، تحمل احتمالات كثيرة ٠ فالتجاوز هو الافق الوحيد الذي تطرحه ممارسة جماهيرية مسلحة ، بحجم هذا الدم العربـــي الذي ينبت عنوانا لفلسطين جديدة هي القارة العربية ٠

دراسة تاريخية

قراءة في سياسة الحزب الشيوعي الفلسطيني
(مجلة حيفا ١٩٢٤ - ١٩٢٦)

اعداد وتعقيب : هاني حوراني

هذه الدراسة معنية حصرا بالتعريف بمجلة « حيفا » التي عاودت الصدور منذ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٢٤ معرفة نفسها بـ « مجلة العمال » . ولهذه المجلة اهمية خاصة وعنايتنا بها تعود الى الاسباب التالية :

١ - ان المجلة هي مجلة الحزب الشيوعي في فلسطين غير الرسمية . فهي اول مجلة عمالية اشتراكية عربية معروفة في فلسطين . بصفتها هذه تفيد دراسة المجلة للوقوف على احد المصادر الاساسية لفترة مبكرة من تاريخ الحزب بعد اعتراف الكومنترن به ، من مثل اهتمامات المجلة ، خطها العام ، مواقفها الاساسية من قضايا النضال العمالي والوطني ومن قضايا الاشتراكية والتحرر الوطني في العالم . ان المجلة وقد صدرت في اواخر ١٩٢٤ تفيد في رؤية استجابتها العملية لموضوعة « التعريف » التي كانت الشرط الاساسي لانضمام الحزب للكومنترن في نفس العام .

٢ - ان مجلة « حيفا » ليست فقط جزءا من تاريخ الحزب الشيوعي ، انها جزء من تاريخ الصحافة التقدمية في فلسطين ايضا ، وهو التاريخ الذي ما زال غامضا . فدراسة المجلة هذه ينبغي ان يستتبع بدراسات اخرى لمجلات تقدمية اخرى ، سرية او علنية ، حزبية او غير حزبية مثل « الى الامام » ، « النور » « الاتحاد » ، « الفجر » ، و « الغد » ، و « صوت الحق » .. الخ . وذلك للوقوف على مصادر الفكر التقدمي في فلسطين والثقافات ذات الاتجاهات الماركسية والتحررية والديمقراطية .

واول الاشكالات المتصلة بتعريف المجلة هو ان غالبية مقالاتها غير موقعة ، او هي موقعة باسماء اولى ، او بالقاب رمزية ، او باحرف اولى ، مثل تواقيع : خليل ، محفوظ ، عامل ناصح ، عامل في سكة الحديد ، فلاح من قباطية ، ... الخ ، التواقيع الكاملة كانت غالبا لكتاب او قراء من خارج فلسطين : رسالة موقعة من يوسف يزبك في لبنان ، اخرى من مصر وثالثة من موسكو ، بالاضافة الى تواقيع اصحاب المقالات المعربة عن لغات اخرى .

لا نعرف على وجه اليقين الى متى استمرت او متى توقفت ، مصدر واحد بين ايدينا يشير الى ان « حيفا » سبق ان تأسست في تشرين الاول سنة ١٩٢١ ، لصاحبها ايليا زكا ، وكانت تصدر اسبوعية وتطبع على مطابع « النفير » التي كان يديرها ايليا زكا نفسه . ولا نعرف شيئا عن اعدادها قبل تشرين الاول عام ١٩٢٤ ، فقد توقفت قبل ذلك الى ان عادت « بشكل جديد وتحرير جديد حيث نهجت نهجا اشتراكيا عماليا واستمرت في الصدور سنة واحدة ثم احتجبت من تلقاء نفسها » (١) .

نحن معنيون بالمجلة على كل حال في فترة صدورها التالية لتشرين الاول ١٩٢٤ ، اي منذ خرجت بصفتها « مجلة العمال » وبصلتها بالحزب الشيوعي في فلسطين . واذا كانت

استمرت في صدورها الثاني لمدة عام ، فسان الاعداد التي بين ايدينا تغطي تقريبا هذه الفترة مع بعض الفجوات : اي بين ايدينا ١٥ عددا من مجموع ٢٣ عددا صدرت حتى ٢٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٢٥ . خلال هذه الفترة توقفت المجلة مؤقتا مرتين ، المرة الاول لمدة ٢٥ يوما بسبب مرض صاحب المجلة وسفره الى خارج البلاد وبسبب « دواع حكومية » شرحتها المجلة ، والمرة الثانية حدث التوقف في الفترة الفاصلة بين العددين ٢١ و ٢٢ ولم توضح اسبابها واكتفى بوصفها بانها « ظروف قاهرة » .

ما يمكن نقله عن المجلة ان صاحبها ورئيس تحريرها هو ايليا زكا ، الذي كان يصدر في نفس الوقت جريدة « النفير » ، وهي صحيفة قديمة جدا اصدرها ابراهيم زكا في الاسكندرية عام ١٩٠٢ وكان اسمها انذاك « النفير العثماني » . ثم انتقلت الى القدس عام ١٩٠٨ وتحول امتيازها الى ايليا زكا الذي اصدرها من هناك الى عام ١٩١٣ ،حيث انتقلت مرة اخرى الى حيفا واستقرت فصدرت فيها حتى عام ١٩٤٥ (٢) .

ما يستدعي الوقوف عنده ، ان خط ومعالجة مجلة « حيفا » في فترة صدورها الثانية اي منذ تشرين الاول ١٩٢٤ ، التي نحن بصددها ، ليس له علاقة بايليا زكا الصحفي المحترف الذي لم تكن له قط ميول شيوعية او اشتراكية (٣) . اذ يبدو لنا ان المجلة في هذه الفترة قد صدرت باتفاق بين الحزب او بعض اشخاصه مع ايليا زكا ، بهدف توفير منبر صحفي علني للحزب بالعربية . وهي سياسة كانت متبعة في الاحزاب الشيوعية العربية في فترة تأسيسها وذلك لتأمين الحماية القانونية للتحريض السياسي عبر صحيفة مرخصة بدون ملاحقة ، وللاتصال الواسع مع الجماهير العربية .

فيما يتعلق بكتاب المجلة ، فان الغموض يحيط المساهمات العربية في المجلة ، ما نعرفه هو ان كوادر الحزب من العرب كانوا قلة ، في تلك الفترة ، والكوادر العربية المثقفة والمؤهلة للكتابة غير معروفة . اغلب الظن ان المساهمة الاساسية في اعداد المواد كانت باشراف كوادر الحزب الشيوعي من اليهود ، وربما كان المترجمون الى العربية من الصحفيين المحترفين او من غير كوادر الحزب ، اذ ان بعض التراجم غامضة وغير دقيقة في تعابيرها ، ان ما يبدو كمساهمات عربية صرفة في المجلة ، هي ذات نزوع انساني واشتراكي بدائي ، غير علمي .

ظلت المجلة تصدر مرتين في الشهر ، ثم تحولت الى مجلة اسبوعية فيما بعد ، ومنذ العدد السابع الصادر في ١٥ كانون الثاني ١٩٢٥ بات تعريف المجلة : « مجلة العمال والفلاحين » بعد ان ظلت تعرف نفسها كمجلة للعمال ، من العدد الاول وحتى السادس .

بماذا برزت « حيفا » صدورها ، وما هي المهمات التي حددتها لنفسها ؟ في العدد الاول من « حيفا » (٤) تحدثت مقدمتها عن غاية المجلة واهدافها فقالت :

« في فلسطين جرائد ومجلات كثيرة منتشرة زيادة عما تتحمله البلاد ، لا نود بهذه المجلة زيادة عددها ولا مزاحمتها على قرائها والاعلانات ، لان مجلتنا هذه في واد وجرائدهم في واد . جرائدهم تخدم غاية غير غايتنا وتسعى وراء مقصد غير مقصدنا (...) غايتهم الاهتمام بالوجهاء والاعيان والسراة التي لا ينطبق معها الاهتمام بطبقة العمال غير المكترث والمعتني بها والمهملة من صحافة هذه البلاد . مقصد هذه المجلة الفرد وغايتها الوحيدة الاهتمام ، فقط بالعمال وما يقاسونه».

وبعد ان تتعرض للتحولات الجارية في العالم ، من « الانقلابات الفجائية العظيمة المدهشة » وتقصد بها انتقال الطبقة العاملة في الاتحاد السوفييتي الى السلطة ، وتعزز مواقع البروليتاريا في عدد من البلدان ، وهي التي ايقظت الشعوب الفقيرة والمستعمرة ، ودفعت العمال الى تنظيم انفسهم . قالت : « ما زال تيار حركات الاضطراب يزداد في العواصم الكبيرة ، والمصادمات اليومية تقع بين العمال واصحاب المعامل حتى تمكنوا في بعض العواصم من قلب الهيئة الحاكمة والقبض على زمام الاحكام . اما في الاخرى فتمكنوا من تغيير نظام وشكل الحكومة وقلبوها ظهرا على عقب » .

وانتقلت الى وضع العمال في فلسطين فقالت : « اما العامل في فلسطين فقد اخذ يستيقظ من سباته العميق ويشعر بان حياته عبئا عليه ، لان مجموع العمال المأجورين اخذ بازدياد مضطرد من يوم الى اخر ، وزاده كثيرا الفلاحون الفلسطينيون الذين عجزوا عن دفع ديونهم للمرابين فاصبح السواد الاعظم يشتري كسرة خبزه ليسد رمقه بعرق عمله ، فبلغ عدد العمال في هذه البلاد ما يقارب سدس السكان وهو جمهور لا يستهان به ، واصبح من واجبنا عضده ومعونته والاخذ بناصره ومشاركته بكل ما يحس ويشعر ويتوجع ويتألم » .

وتعود « حيفا » في العدد السابع عشر (٥) في مقالة افتتاحية بعنوان « خطتنا » الى مساجلة الصحافيين والصحف السياسية الرجعية التي تتهم مجلة حيفا بان ليس لها خطة ثابتة تسير عليها . وترد مجلة حيفا على هؤلاء فتقول : « ... لسنا ندري اكان هذا القول ناجما عن جهل او بساطة ام عن شيء اعظم (...) ان خطتنا التي نسير عليها - ايها الاعزاء المتجاهلون - تختلف تماما عن تلك التي تسيرون عليها ، اذ بينما انتم تحولون انظاركم يمينا نحو كبار السياسيين وتحاولون معرفة ما يشعر به هؤلاء (السادات) نحوكم ، نحول نحن انظارنا يسارا نحو جماهير العمال الاممية عموما ونحو عمالنا وفلاحينا خصوصا ، وبينما انتم تحاولون الاتصال والتفاهم مع الاشراف والنبلاء من اصحاب السيطرة ، نحاول نحن تنظيم جماهير العمال العاملين وتقويتهم» ثم ان خطتنا واضحة جلية لا تحتاج الى ايضاح وتعبير وهي : اننا نطالب بحرية هذه البلاد واستقلالها ، كما واننا معارضون لكل عمل او مشروع يقوم على كاهل السواد الاعظم من الشعب دون ان يكون له من فائدة او منفعة ».

ترد حيفا على الصحف التي تخلط بينها وبين صحيفة صهيونية « عمالية » . فتقول : « لقد عجبنا جدا كيف اكتفيتم بالحكم علينا دون ان تفكروا قليلا بماهية حكمكم ، وعجبنا على الاخص لعدم تمييزكم بين « حيفا » مجلة العمال والفلاحين وبين الجريدة الصهيونية التي تصدر باسم « اتحاد العمال » ، لانه ليس يقتضي للحكم علما وفراسة وتعمقا في علم السياسة حتى يحكم بان جريدة « اتحاد العمال » انما انشئت قصد مقاومة مبدئنا ومكافحة خطتنا الصريحة المعروفة (....) نحن لا نلوم احدا قط لعدم مقدرته على التمييز بين الشيء والشيء لان هذا الامر اصبح من الخصائص ! انكم تعتبرون بلفور وامري شخصين مختلفين ، فتقاطعون الواحد وتزحفون على ركابكم امام الاخر ، كما وتسرون في الصهيونية والسيطرة عاملين سياسيين متنوعين ولهذا تخلطون بين احزاب العمال الناهضة وبين الطبقة المتمولة الصهيونية » .

نشأة الحزب الشيوعي في فلسطين وقضايا التعريب

أ) اصول الحزب الاثنية وموقف الكومنترن :

من المعروف ان الحزب الشيوعي في فلسطين قد نشأ منذ البداية في اوساط الاقلية اليهودية المتوطنة في فلسطين . ظلت هذه النشأة والاصول التنظيمية للفرق التنظيمية المندمجة في - والمكونة - للحزب ، كما ظلت الايديولوجية السائدة فيه ، من الاسباب الاساسية التي حالت دون تحول الحزب مبكرا الى حزب عربي - جماهيري ، ودون ان يكون حزبا يشمل البلد بأسره .

تكون الحزب - وكان اسمه انذاك الحزب العمالي الاشتراكي - بين عامي ١٩١٩ و ١٩٢٠ كنتيجة لاندماج ما عرف باقصى يسار « البوعيلي تسيون (الاتحاد العالمي لعمال صهيون) » في فلسطين مع عدد من الفرق الصغيرة المنفصلة من البوعيلي تسيون في اوروبا الشرقية (٦) . ان اصول هؤلاء كأعضاء سابقين في منظمة مقتصرة على اقليات اثنية - دينية في فلسطين ، وبوصفهم ما زالوا متعلقين بالترسبات القومية البرجوازية - الصهيونية الكامنة في المنظمة الام ، قد قادت الحزب الى تبني ايديولوجية « البروليتاريا الصهيونية » منذ مؤتمر ايلول (سبتمبر) ١٩٢٠ . وهكذا شارك الحزب في المؤتمر

التأسيسي للهستدروت ، حيث حصل للحزب على ٧ من ٨٧ مقعدا في المؤتمر (٧) ٠

لم تكن مشكلة الحزب العمالي الاشتراكي ، كحزب للاقليات اليهودية ـ في فلسطين، مشكلة محلية ، سواء فيما يتعلق بتنظيمه او ايديولوجيته ، بل كانت جزءا من مشكلة اعم جسدها على المستوى العالمي حزب البوعيلي تسيون الذي كان حزبا عماليا ـ اشتراكيا مشبعا بالروح الشوفينية ، والتطلعات القومية البرجوازية ٠ فقد اصر في المستوى القطري ، على استقلال العمال و « البروليتاريا اليهودية» سياسيا وتنظيميا عن الحزب العمالي للاغلبية السكانية في كل بلد تواجد فيه ، واصر في المستوى الدولي على الاحتفاظ باستقلاله التنظيمي عن الاممية الثالثة التي كان يصدد الانضمام اليها ، مع تمييز نفسه بوضع خاص واحتفاظه بايديولوجية متعاكسة مع شروط الانضمام الى الكومنترن (٨) ٠ وهكذا فقد تاثر الحزب العمالي الاشتراكي في فلسطين ، في الميدان الواقعي والعملي بمشكلات واجهها من قبل البوعيلي تسيون في المستوى العالمي ، وبخاصة مع الحركة الشيوعية ٠

كانت الاممية الشيوعية قد تأسست اصلا كرد ثوري على الانتهازية والشوفينية القومية التي جسدتها عمليا مواقف الحركة الاشتراكية ـ الديمقراطية في الاممية الثالثة ٠ التي سارعت لبيع نفسها لبرجوازيات بلادها ودعمها اثناء الحرب العالمية الاولى ، والتي اتخذت خطا شوفينيا ـ انتهازيا ضد شعوب المستعمرات وضد عمال وبروليتاريي البلدان الاخرى ٠

منذ المؤتمر الثاني للاممية الشيوعية « الثالثة » كان الهم الاول منصرفا لاستكمال القطيعة مع احزاب وسياسات الاممية الثانية ، ووضعت الشروط الواحد والعشرين للانضمام اليها ، وكانت هذه الشروط بمثابة القاعدة المبدئية ـ السياسية لاستكمال التشكيل النهائي للاممية الشيوعية ، التي مست في اكثر من جانب من بنودها اسس ايديولوجية البوعيلي تسيون وطابعه القومي تنظيميا ، كما تمس التعابير المحلية للتنظيمات العمالية اليهودية في فلسطين ٠ لقد تقدم لينين الى المؤتمر الثاني للاممية الثالثة (آب ـ ١٩٢٠) بادانة كاملة ومباشرة للصهيونية والنزعات القومية البرجوازية لدى « البوعيلي تسيون » ففي الفقرة السادسة من الموضوعة الحادية عشرة من « موضوعات حول المسالة الوطنية ومسالة المستعمرات ، قال التقرير المذكور : « ٠٠٠ وكمثال صارخ على عملية الخداع هذه ـ التي تمارسها على الطبقة العاملة في البلدان المضطهدة ، قوى الحلفاء الاستعمارية وبرجوازيات هذه البلدان ـ نذكر مشروع الصهاينة في فلسطين حيث تعمل الصهيونية ـ بحجة انشاء دولة يهودية في فلسطين التي يشكل اليهود نسبة لا تذكر من سكانها ـ على اخضاع السكان الاصليين من الكادحين العرب لنير الاستغلال الانجليزي ٠ ان اتحاد الجمهوريات السوفياتية هو السبيل الوحيد الى خلاص القوميات المستضعفة والمقهورة في الوضع العالمي الراهن » (٩) ٠

ان الامر نفسه ، قد تكرر في مؤتمر باكو لشعوب الشرق (ايلول ـ ١٩٢٠) الذي عقد بغية توطيد التحالف بـ الثورة البلشفية والحركة الشيوعية مع الشعوب المستعمرة في الشرق ٠ فقط تضمن « نداء الى شعوب الشرق » ادانة خاصة للصهيونية ، وتحديدا لطبيعتها كحركة استعمارية استيطانية في فلسطين ، وكحُركة موظفة في خدمة الاستعمار البريطاني في ان واحد (٨) ٠

لم يكن لهذا التناقض بين شروط الانضمام والانخراط الى التنظيم البروليتاري العالمي الثوري وبين الاتجاهات والافكار المزاوجة بين الماركسية والصهيونية في البوعيلي تسيون ان يبقى دون حسم ٠ تقدم الاخير بطلب الانضمام الى الاممية الثالثة ، التي طلبت منه بدورها تطبيق القرارات ـ الشروط الواحد والعشرين للمؤتمر الثاني ، وتغيير اسمه كشرط للبت بامر انضمامه اليها (٩) ٠

لكن البوعيلي تسيون ماطلت في تنفيذ شروط انضمامها للكومنترن ، عندما انعقد المؤتمر الثالث للاممية الشيوعية (حزيران ـ ٢١ تموز ١٩٢١) ٠ لذا فقد حضر مندوبها

المؤتمر بصفة استشارية ، الامر الذي لم يخل من نقد حاد وهجوم صريح على الايديولوجية التي يحملها البوعيلي تسيون في داخل المؤتمر وعندما تعذر الوصول الى قرار حاسم بصدد انضمام البوعيلي تسيون الى الاممية الشيوعية اثناء المؤتمر الثالث ، احيل الموضوع الى لجنة فرعية خاصة للجنة التنفيذية ، واثر اول اجتماع لها بعد المؤتمر طلبت اللجنة التنفيذية للكومنترن من البوعيلي تسيون عقد مؤتمر يقرر فيه حل نفسه وانضمام اعضائه خلال مدة لا تتعدى الشهرين الى فروع الكومنترن القطرية ، كما طلبت منه ان يقطع كل صلاته بالنظريات والاتجاهات الصهيونية ، وان يدين المشاريع الصهيونية الاستعمارية في فلسطين المسخرة لخدمة الاستعمار البريطاني (١٠) ٠

كما هو متوقع ، اقتصر التغيير في البوعيلي تسيون على اليافطة : لقد اصبح اسم التنظيم « الاتحاد الشيوعي » لكن الجسم التنظيمي ، المشبع بروح الشوفينية البرجوازية « رفض في غالبية فروعه ـ قرار الحل والانضمام الى الكومنترن ٠ وهكذا كان على فروع البوعيلي تسيون في روسيا وبولونيا الانشقاق والانضمام افراديا للاحزاب الشيوعية ، فيما احتفظت بقية الفروع ، وهي الاكثرية ، بايديولوجيتها وسياستها التنظيمية المستقلة وبطموحها الاستعماري الشوفيني (١١) ٠

لم يلبث الكومنترن ان حدد موقفه من البوعيلي تسيون ، وما يمثل في بيان صدرته اللجنة التنفيذيةفي ٢٥ تموز ١٩٢٢ : «٠٠ الوضع جلي الان ، منذ المؤتمر الثالث (للكومنترن) والعناصر البرجوازية الصغيرة والقومية والانتهازية في جناح الاكثرية في مؤتمر الاتحاد تقف في وجه محاولات العناصر البروليتارية والشيوعية التي تريد الانضمام الى الاممية الشيوعية ٠ وترى اللجنة التنفيذية للاممية الشيوعية الان انه بات من واجب الفروع القطرية ان تبادر الى اتخاذ الاجراءات الحاسمة ضد الانعزاليين البرجوازيين الصغار٠ ان المشروع الفلسطيني ـ اي محاولة صرف انظار الجماهير الكادحة اليهودية عن الصراع الطبقي بالترويج لفكرة الاستيطان اليهودي الواسع النطاق في فلسطين ـ ليس مشروعا قوميا برجوازيا صغيرا وحسب ، وانما هو ايضا مشروع معاد للثورة من حيث نتائجه في حال تحمس جماهير واسعة له وصرف انظارها عن النضال ضد مستغليها من اليهود وغير اليهود ٠ كما يجب على الفروع القطرية للاممية الشيوعية ان تؤيد جناح الاقلية في الاتحاد العالمي لعمال صهيون في نضاله ضد جناح الاكثرية ٠ ذلك ان جناح الاقلية هذا قد وافق على شروط الانضمام للفروع القطرية للكومنترن ٠٠٠٠ اما الموقف الوحيد الذي يمكن للشيوعيين اتخاذه من اتحاد عمال صهيون بعد رفضه شروط الانضمام ، فهو موقف العداء النهائي والسافر » (١٢) ٠

ب) مشكلات اتجاه الحزب نحو التعريب :

على الرغم من ان الحزب العمالي الاشتراكي في فلسطين ، كان قد تكون من عناصر وفرق يسارية منشقة على البوعيلي تسيون منذ فترة مبكرة ، الا ان صلة هذه العناصر والفرق بالترسبات القومية ـ الصهيونية بقيت قوية : لقد ظل حزبا للاقليات الاثنية اليهودية في فلسطين ، وترك نفسه داخل « الجيتو اليهودي » ٠ فيما وضعته ايديولوجية « البروليتاريا الصهيونية » في يسار الاحزاب الصهيونية ٠ ان كل ما مر جعل حدود تمايزه الحزبي عن فروع البوعيلي تسيون محدودة ٠

عانى الحزب من جملة اشكالات موضوعية ، فهو من جهة كان يتناقض مع المؤسسات الصهيونية ،ومن جهة ثانية كان عاجزا ، بحكم تكوينه وايديولوجيته عنان يكون حزبا وطنيا واسعا وجماهيريا ٠ وكان من جهة ثالثة ، لا يتمتع بالشروط التنظيمية والايديولوجية كي يكون حزبا شيوعا ، مقبولا من الاممية الشيوعية ٠ ان جملة هذه الاشكالات قد عكست نفسها في انقسام الحزب عدة مرات وفي تعرضه لضربات خارجية قاصمة ٠

واجه الحزب مع حوادث اول ايار ١٩٢١ ـوكان يعد انذاك ما يزيد عن ٣٠٠ عضو ـ اول ضربة

مؤلمة ، ففي احتفالات عيد العمال ، تصادمت جماعات الحزب مع فرق صهيونية ادت الى الحوادث المعروفة في يافا في ذلك اليوم ، والتي انتهت الى سقوط اعداد كبيرة من القتلى والجرحى من اليهود والعرب • لقد ابعدت سلطات الانتداب البريطاني قادة الحزب الاربعة عشر من فلسطين الى الاتحاد السوفياتي ، حيث اعتبرته كل من السلطات البريطانية والتنظيمات الصهيونية ، مسؤولا عن هذه الحوادث (١٣) • لقد اضطر الحزب الى التحول الى السرية وتعرض اعضاؤه للملاحقة • ثم لم يلبث الحزب ان انشق عام ١٩٤٢ متأثرا بجملة العوامل المارة •

بعد فشل حزب العمال الاشتراكي في الاحتفاظ بوجوده ، كانت مجموعة اخرى تحاول تأسيس حزب شيوعي في فلسطين • لكن هذه المجموعة ، بدلا من ان تبحث لنفسها عن مدخل يؤمن لها تكوين بنية تنظيمية وخط سياسي يفتح الباب امام تحولها الى حزب شيوعي للبلاد بأسرها ينسجم داخليا مع تطلعاته ومسؤولياته المعلنة كحزب بروليتاريا ،بدلا من ذلك ، رفضت هذه المجموعة محاولة البدء في تأسيس حزب مستقل • وراهنوا مجددا على العمل من داخل حزب الجناح الصهيوني اليساري ، بحجة تأمين واجهة شرعية لهم ، وبحجة تخريب الحزب « من الداخل » • وبعد ذلك ، قرروا اقامة حزب شيوعي غير شرعي (١٤) •

لقد عاد الحزب الجديد ، وبسبب من المدخل الذي اختاره للشروع بالعمل ، ليناقش ما اذا كان ينبغي عليه التعاون مع دعاة «البروليتاريا الصهيونية » ، بغية التأثير عليهم ام لا ؟ لقد ادت مثل هذه المقدمات الى دفع الحزب الثمن مبكرا ، انشقاقا وانقساما • كانت قيادة الحزب قد وافقت مدعومة من الاغلبية على التعاون مع دعاة نظرية البروليتاريا الصهيونية • وهكذا فان المؤتمر الرابع للحزب في سبتمبر ١٩٤٢ شهد انشقاق اقلية عنه ، اسست بدورها حزبا شيوعيا K.P.P. وكان شعارهم الرئيسي « اتركوا الجحيم الصهيوني » (١٥) •

كانت الاغلبية تعد حوالي ٣٠٠ عضو ، فيما الاقلية في الحزب الجديد ١٥٠ عضوا • وقد استمر الصراع بين الطرفين قرابة عشرة شهور حتى المؤتمر الخامس عام ١٩٤٣ ، حيث انتهت المجموعتان الى تأسيس واجهات شبه شرعية مثل « قسم العمال » و « قسم البروليتارية » (١٦) •

في عام ١٩٤٣ اعيد لأم الحزب • ان موافقة كتلة الاغلبية على موضوعات الاقلية ، غير المفسرة بعد جيدا ، قد فتحت الباب امام مهمة رئيسية هي « الصراع ضد الصهيونية بكافة اشكالها ، من اجل فضح الخديعة الصهيونية المفلسة» •لقد صادق المؤتمر، الذي شهد التئام الحزب ، على خط سياسي جديد معاد للصهيونية في فلسطين ، ابرز بنوده قطع علاقاته بيسار البوعيلي تسيون ، رفض ايديولوجية « الصهيونية البروليتارية » التي ظلت شعار حزب العمال الاشتراكي، وبات اسم الحزب : الحزب الشيوعي الفلسطيني (١٧)•

من الواضح ان هذا كله قد تم في جو القطيعة من الاممية الشيوعيةللبوعيلي تسيون وفي جو « العداء النهائي والسافر » للصهيونية كيفما تسربلت • كما من الواضح ان الحزب كانيحاول استكمالشروط الانضمام للكومنترن، التي تنص بوضوح على « التخلي عن مشروع فلسطين القومي والانتهازي ، وحل الاتحاد العالمي (للبوعيلي تسيون)،وانضمام العناصر البروليتارية الشيوعية اليهودية الى الفروع القطرية للاممية الشيوعية ـ الاحزاب الشيوعية •• » (١٨) •

هكذا ، بعد مؤتمره وبعد اقرار خطه الجديد تقدم الحزب الى الكومنترن بطلب انضمام رسمي • فعينت اللجنة التنفيذية للاممية الشيوعية لجنة فرعية خاصة لدراسة الطلب • ولم تلبث ان قررت قبول الحزب كفرع للكومنترن مؤكدة بدورها على الشرط الحيوي الذي يحكم مستقبل علاقة الكومنترن بفرعه الفلسطيني : اي ضرورة تعريب الحزب (١٩) •

مع قبول الحزب الشيوعي في فلسطين فرعا في الاممية الثالثة ، في مؤتمرها الرابع ، كانت

توصية اللجنة التنفيذية « لاحزب الشيوعي الفتى » : « ضرورة اقامة صلات وثيقة مع اوسع الجماهير العربية بغية تحويل الحزب من منظمة للعمال اليهود الى حزب اقليمي فعلي » . كما اعلنت انه يتوجب على الحزب الشيوعي ان يدعم حركة التحرر الوطنية للسكان العرب ضد الاحتلال البريطاني ـ الصهيوني » . كانت هذه اول التوصيات الاممية التي قدمت للحزب في تاريخ « التعريب » كي يصبح حزبا جماهيريا (٤١) .

تبنى الحزب في توجهه نحو الجماهير العربية الفلسطينية ، شعارا اساسيا « على الحزب ان يغادر الغيتو اليهودي» كما اتجه نحو اليهود الشرقيين ، الذين كانوا شأنهم شأن العرب مهملين في الحزب ؛ ولم يكن من شأن هذا التحول الدراماتيكي في نهج الحزب وتوجهه ، الا ان يعكس نفسه انفضاضا وانشقاقا من الاعضاء اليهود الخاضعين لايديولوجية صهيونية . فمنذ ان فتحت النار على الصهيونية داخل الحزب ، وعلنا ، وعلى نطاق واسع في الصحافة الشيوعية في فلسطين والعالم ، واثر قطيعة مترددة مع المنظمات الصهيونية ، عادت منذ وقت مبكر من عام ١٩٢٤ الانشقاقات وانخفضت عضوية الحزب الى ثلث ما كانت عليه قبل سنتين .

في مؤتمر تموز (يوليو) ١٩٢٤ ، كان لا بد لهذا التوجه الجديد ان يعكس نفسه على قيادة الحزب . فقبل انعقاد مؤتمر الحزب باسابيع كان راديك يتحدث الى قادة الحزب: « ان نجاح الحزب يعتمد على تحوله الى حزب جماهيري عربي » . وهكذا حلت قيادة جديدة نشطة محل القيادة القديمة للحزب . وكان تحويل شعار الحزب الى واقع والى ممارسة ، يعني خروج المزيد من اعضاء الحزب ، ومزيد من المعارضة والحصار من الحركة الصهيونية. لقد طرد الحزب من الهستدروت في نيسان (ابريل) ١٩٢٤ ، ومن مؤسسات اخرى ـ واتهم بالتخريب فيها . (٤٢) وكان على الحزب من جهة اخرى ان يتجه لاجتذاب العرب ، الذين كانوا قلة ضئيلة جدا فيه ، الى صفوفه .

مجلة حيفا والتوجه الشيوعي نحو التعريب (ملاحظات اولى)

هكذا فان المجلة ظهرت مع بدايات التأسيس الفعلي للحزب الشيوعي في فلسطين ، ودخوله الكومنترن ، وفي ضوء توجهات علنية : « لنغادر الغيتو اليهودي » ، واقامة اوثق الصلات مع الجماهير العربية ، كي يتحول الحزب من منظمة للعمال اليهود الى حزب اقليمي فعال « اي تعريب الحزب » وفي مناخ عداء نهائي وسافر للصهيونية . فماذا نجد في مجلة حيفا ؟ وكيف ترجمت توجه الحزب الشيوعي نحو الجماهير العربية ، وكيف عبرت عن اتجاه الحزب نحو التعريب في خطها ومعالجاتها ؟ ان نظرة عامة على المجلة ، تظهر بوضوح ان توزيع المواد والتغطيات يكاد يكون نموذجا لمجلة غير رسمية للحزب : تنوع وشمول في التغطية ، توزيع متناسب والالويات المفترضة في مجلة سياسية نصف شهرية ، ثم اسبوعية . طابع تحريضي تثقيفي ، مع لمسات تحليلية ، وتغطية اخبارية من منظور حزبي يساري ملموس ، وان يكن غير معلن الولاء . حرص على البساطة والسهولة في الوصول الى القارىء . وهو حرص متعمد ، الحت اليه المجلة في افتتاحية العدد الاول منها : « ان الباب الذي نلجه ، باب ايقاظ العامل البائس من سباته العميق وتنوير افكاره بعبارة بسيطة والفاظ سهلة يفهمها ليتمكن من معرفة داءه ودواءه .. » .

اذا اخذنا بالاولويات التي حكمت تغطيات المجلة عبر اعدادها المختلفة ، فان تعريف مجلة حيفا نفسها كمجلة للعمال ، ثم كمجلة للعمال والفلاحين ، لم يكن اسقاطا متعسفا . فمن الناحية الشكلية البحتة احتلت الموضوعات والمعالجات والاخبار المتصلة بالعمال واوضاعهم مساحة كبيرة من المجلة ، واعطتها توجها عماليا ـ نقابيا صارخا . في اعداد تالية من المجلة ، ظهرت عناية اكبر بشؤون الفلاحين . اما موضوعيا فقد احتفظ ادعاء المجلة العمالي والعمالي ـ الفلاحي بقسط كبير من مصداقيته ، وان كان ثمة ملاحظات وتحفظات وانتقادات يمكن ايرادها حول فهم المجلة لمهامها وحول غياب بعضها .

اذا ما اخذنا المجلة في اطارها التاريخي ، وفي اطار المجتمع الفلسطيني انذاك ، فان من الملاحظ على المجلة ، هو الحاح توجهها نحو العمال والفئات الكادحة العربية الفلسطينية من مدخل اقتصادي ـ طبقي غالب . وهذه السمة تميز مفهوم الحزب للتعريب وللتوجه نحو الجماهير العربية . فهذا التوجه المتلازم مع النبرة التحريضية التثقيفية طبقيا ، والحاح المهمات الحزبية عبر المجلة في اطار هذا التوجه ، جدير بان يثمن ايجابيا ، لو ان القضية الوطنية ـ وهي قضية العمال والفئات الكادحة العربية ـ عولجت بامانة مبدئية ودقة نظرية ، وبالاساس لو انخرط الحزب في النضال من اجلها كما يجب . عبر التوجه نحو العمال والفئات الكادحة ، عن طريق التشهير الاقتصادي باوضاع العمال والشغيلة والفئات الكادحة . وعن طريق التشهير باوضاع الجماهير المعيشية وبالغلاء ، والوضع الفلاحي والضرائب القديمة (الاعشار) ، وعن طريق التحريض على النضال من اجل بناء النقابات والجمعيات العمالية والفلاحية ، وعلى العمل من اجل الحفاظ على الطابع العمالي «اللاقومي» في النقابات القائمة منها ، او تلك التي في طور التأسيس .

كانت المجلة ايضا ، مسرحا لسجال ووجهات نظر حول النضال المشترك للعمال العرب واليهود في النقابة الواحدة ، وحول العمل في نقابة ذات قيادة وتوجه صهيوني وعلى ردة الفعل في الاوساط العمالية العربية التي تدعو لبناء نقابة عربية مستقلة .

الى جانب هذه وتلك من قضايا النضال الاقتصادي والطبقي الاولي ، كانت ثمة مقالات تطرقت الى الحريات الديمقراطية ، والى القوانين المقيدة للحريات كالقانون المسمى بـ « قانون منع الجرائم » الذي كان يعطي السلطات البريطانية حق الاعتقال والمداهمة للمواطنين في فلسطين .

بالاضافة الى التشهير الاقتصادي والطبقي الاولي والحث على بناء منظمات العمال والفلاحين المستقلة ، ظهر عدد من الافتتاحيات التي تحث على بناء حزب يضم العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين مثل افتتاحية « اسسوا حزبا قويا نافعا » ، والافتتاحيات الاخرى التي تتحدث عن الطبقات والاحزاب والموقف الطبقي مثل « كيف تنهض الامم ؟ » وهي تستنهض الفلاحين كطبقة ، ومثل « قوة النهضة » وفيها دعوة لتحالف العمال والفلاحين ، ونقد للاحزاب القائمة في فلسطين .

ان المقالات المارة وغيرها المتعلقة ببناء منظمة سياسية للطبقة العاملة والكادحين العرب ذات قيمة تحريضية وتاكتيكية هامة لاستثارة الحس الطبقي عند الجماهير العربية الفقيرة الواسعة ، التي لم تتعرف بعد على الحزب الشيوعي ، والذي ما يزال حزبا للعمال اليهود . وهي تريد تهيئة الجماهير العربية الكادحة للانخراط في الحزب الشيوعي. ان هذه المقالات المارة ، كانت تتعرض للقضية الوطنية ، وتمس بنقدها قيادات النضال الوطني البرجوازية والوجاهية ، مثلما كانت تسعى لبناء منظمة ذات تحالف طبقي شعبي واسع . لكن تعرضها للقضية الوطنية لم يقتصر على هذه المقالات ، وانما تكررت الافتتاحيات والمقالات التي تمس المأزق الوطني القائم انذاك مباشرة وأزمة القيادة السياسية للنضال الوطني العربي ، وكانت قد استحكمت انذاك اول ازمة ثقة بارزة بين الجماهير العربية وقيادتها التقليدية .

ان ما يلاحظ على المقالات المتعلقة باحداث فلسطين الوطنية ، هو سمتها النقدية اليسارية ، من منظور طبقي ، ان اساس الموقف المتشدد طبقيا ازاء قيادة الحركة الوطنية في المجلة ، يستند نظريا الى خط الكومنترون المتشدد ازاء البرجوازية والاقطاع ، ويستند محليا الى تكوين الحزب الاثني ، والى الفشل الموضوعي للقيادة التقليدية للحركة الوطنية في فلسطين ، التي ظلت مراهنة على تفهم بريطانيا واحترامها لحقوق الشعب الفلسطيني ومطالبه ، حتى عندما بدا موقفها السلبي واضحا ولا رجوع عنه .

ان تعرض المجلة للصهيونية وللقيادات الصهيونية حاضر في المجلة في ثنايا المقالات

سواء كانت هذه المعالجات منصبة على موضوع عمالي ونقابي ام على موضوع متصل بالنضال الوطني ، وفي بضعة مقالات عبارات حادة وقوية ضدها . الا انها تبدو لنا - الان - كما لو انها جاءت من باب تحصيل الحاصل ، فهي في ثنايا المعالجة وليس في صلبها ولم تكرس لها - في حدود الاعداد التي بين ايدينا - معالجة مستقلة تنم عن حماسة في النضال ضدها . هذا القصور ، قد برز فيما بعد ، حين انتقد خط الحزب وقيادته بمرارة الا انه من الواضح في المجلة ، ان كوادر الحزب من اليهود ، كانت تعاني انذاك من ازمة موضوعية ، ومن عداء صهيوني ، ومن مطاردة واعتقال السلطات البريطانية . كذلك من الواضح ان توجهات الحزب من اجل النضال المشترك (العربي - اليهودي) في النقابات وفي غيرها ، كانت تتعرض لهجمات رجعية ومن ضغوط من الجانبين الصهيوني ، والرجعي العربي ، كما سنلاحظ فيما بعد .

احتلت قضايا التحرر الوطني والنضال من اجل استقلال الشعوب الثورة الوطنية في المشرق والمغرب العربي مكانة هامة في تغطيات المجلة ، وكذلك هو الحال بالنسبة للمستعمرات وشعوب الشرق الاخرى . وهكذا حظيت الثورة السورية والوضع المصري وثورة الريف المغربي بتغطيات ومعالجات لائقة ، والحال هو نفسه مع الثورة الصينية وتضمنت مجلة حيفا تراجم لاخبار الحركات العمالية والاحزاب الاشتراكية في اوروبا وامريكا والمستعمرات . وبعض المقالات المترجمة عن الاوضاع في المستعمرات وعن النضال الوطني والطبقي فيها . كما يبدو فقد عول على هذه المقالات والتغطيات والاخبار ، من اجل تنوير العمال والفئات الكادحة ، واخذ العبر منها في النضال المحلي .

اسهمت مجلة حيفا ، اخبارا وتغطيات ، في لفت انظار الجماهير الى بدايات فك الحصار من حول الاتحاد السوفياتي والثورة البلشفية ، ولتتالي اعترافات الدول فيها . كما تضمنت تراجم ومقالات حول سياسة البلشفة الخارجية ومواقفه المؤيدة للنضال شعوب المستعمرات وشعوب الشرق وكذلك لبذا واخبارا حول الحركة الشيوعية في العالم ، اخبار الشيوعيين العرب وخاصة في مصر .

بالاضافة الى هذه ، كان ثمة مقالات قصيرة عن ماركس ، الاممية الاولى ، كومونة باريس ، واخرى عن الثورة البلشفية وعن لينين ، وتضمنت اعدادها نداء للشعوب المظلومة بصدد معاهدة فرساي ، وتصريحه بشأن حقوق الشعوب المختلفة في روسيا واذا تذكرنا ان المجلة كانت تصدر عام ١٩٢٥/٢٤ ، فان لهذه المقالات والترجمات قيمة هامة لكونها قد تكون النصوص المبكرة التي تعرف الجماهير العربية في فلسطين على اول ثورة بروليتارية ناجحة واول سلطة لها . كما تعرف بالفكر الثوري وبالتجارب الثورية للبروليتارية الاوروبية .

واخيرا ، كانت في المجلة ابواب وزوايا متفرقة اخرى ، رسائل من القراء ، بعض التراجم لقصص واقعية عن اضطهاد شعوب المستعمرات او قمع العمال ، قصة طويلة مسلسلة في حلقات ، وهذه كانت تأخذ حيزا ضيقا من المجلة وتخرج بصورة غير منتظمة .

هذا ما يمكن نقله عن مجلة « حيفا » توجها ومعالجة على وجه العموم . اما الرؤية الاهم فستغنينا فيها قراءة المجلة . وقد عمدنا وصولا الى ملاحظاتنا الختامية ، الى تصنيف وتجميع مقالات وتعليقات « حيفا » في زمر من الموضوعات . تتقدمها اشارات تفسيرية وتوضيحية تلزم لقراءة النصوص . يهمنا ان ننوه ، ان حجم الاقتباسات في الزمر التالية ، لم تتقرر برغبة ذاتية ، وانما عكست حجم الاهتمام المعطى في المجلة لكل موضوع .

اولا — حول التحريض لصيانة المصالح المباشرة للعمال والجماهير الفقيرة والتشهير باوضاعها

احتلت الموضوعات المتصلة باوضاع العمال والجماهير الفقيرة ، مكانة خاصة من توجه

المجلة ،وقد تضمنت اعدادها كمية ملفتة للنظر من المواد التحريضية والتشهيرية ، كالحديث عن القوانين المنظمة لشؤون العمال ، او عن ظروف العمل وحقوق التنظيم والضمانات الصحية والاجتماعية ، كما افردت مقالات خاصة تناولت الغلاء وارتفاع تكاليف المعيشة في فلسطين ، ومقالات تحريضية تحث على انشاء منظمات الطبقة العاملة الخاصة كالنقابات والجمعيات العمالية .

ما يعطي هذه المقالات اهميتها ، هو طرحها المبكر لمطالب اساسية في وقت لم تكن في البلاد اية تشريعات عمالية . ففي فلسطين كان قانونا الجمعيات والاحزاب العثمانيين لسنة ١٩٠٩ معمولا بهما ، ووفق قانون الجمعيات المذكور ، كانت النقابات والاحزاب يجري تسجيلهما . اما فيما يتعلق بالتنظيم القانوني لعقود العمل فقد كانت مجلة الاحكام العدلية لسنة ١٩٠٧ هي المنظمة مع ما ادخل عليها من تعديلات والغاءات فلسطينية وانجليزية . فاول تشريع حديث في فلسطين كان قانون تعويض العمال لسنة ١٩٤٧ ، تلاه قانون اخر متصل بالتنظيم النقابي هو قانون نقابات العمال لسنة ١٩٤٧ .

ان المقالات التالية ، لا تكتسب اهميتها فقط من زاوية قيمتها التاريخية كنصوص مبكرة ، وانما ايضا لما تتمتع به من قيمة نوعية متقدمة .

أ ـ بصدد قوانين العمل :

ففيما يتعلق بالتحريض على سن قوانين منظمة لشؤون العمل ، كتبت حيفا في عددها الثاني (٤٣) مقالا افتتاحيا تحت عنوان « العمال والقانون » ، نريد قانونا يحمي العمال » قالت فيه : « في الشهرين الاخيرين حدث في فلسطين نحو العشرين حادثة مشؤومة للعمال اثناء قيامهم باعمالهم اليومية مما نبه افكارنا لمطالبة الحكومة بسن قانون يخفف شيئا من الام العامل ويضمن اقله قوته الضروري اذا انتكب بفقد احد اعضائه الذي لا يمكن بدونه القيام بالعمل ، وتأمين قوت عياله بعد مماته ، اسوة ببقية البلاد التي لا تخلو من امثال هذا القانون غير المعروف في فلسطين بتاتا . لذلك نرى صاحب المشغل ذا حرية واسعة لا يقيدها قيد ولا شرط ،والاسباب عدم وجود هذا القانون » .

وبعد ان تشير الافتتاحية الى ظروف العمل الشاقة في فلسطين وقلة اجرة العامل تقول : « رغما عن كل ذلك فان العامل لا يسلم من التهديد المتواصل والمختلق في كل دقيقة من دقائق نهاره بالطرد والاهانة والتعطيل . وتضيف « لصاحب العمل في هذه البلاد الاستبداد المطلق والارادة التي لانهاية لحدودها والحريةالواسعة بتغيير شروط الاتفاق وتخفيض اجور العمال اي وقت اراد وزيادة ساعات العمل لاي خاطر يخطر على باله .. » .

وتستطرد الافتتاحية لتشير الى ان كل هذا دفعالعامل لحماية حقوقه بتأليف الجمعيات والنقابات والاحزاب ، « واصبح من اللازم الضروري ان تطالب هذه (...) بسن قانون خصوصي يحفظ حقوق العمال بشكل مشروع ومعمول في المحاكم ، ذلك ان هذا القانون (...) يدفع هجمات وتهديد اصحاب العمل ».. ويكون الحائل الاكبر دون مطامع وهضم حقوق العمال ويقلل من المشاجرات والمشاغبات التي تجري يوميا في فلسطين فيما بين اصحاب العمل والعمال ويترك للعامل مجالا لتقدمه ونجاحه ورقيه ادبيا واقتصاديا » .

وبعد ان تشير الافتتاحية الموقعة باسم « خليل » للمكاسب التي حققها العمال في : « الممالك الغنية » وتذهب الى المطالبة بتحديد ساعات العمل في ثماني ساعات ، والى « منع تشغيل الاولاد الحديثي السن والنساء الحوامل » وتحديد سن انخراط الاولاد في العمل ، تشير الى ان كثيرين من ابناء البلاد يعملون منذ سن الثانية عشر . وتطالب الافتتاحية بقوانين منظمة لضمان حياة العامل بعد ان تكررت « الحوادث المفجعة التي تنتهي بتعطيل العامل او موته وعجزه وشيخوخته ، فقالت ان على هذه القوانين ان « تؤمن نفقاته الضرورية لقوته وقوت عياله».. وان « تؤمن نفقات امكان المعالجة ابان المرض او فقد احد اعضائه الرئيسية ثم يخاطب

« خليل » العمال داعيا الى اتحادهم وتكاتفهم والمطالبة بسن قانون للعمال ٠

وعادت مجلة حيفا في عددها الخامس (٢٤) الى نفس الموضوع ، فنشرت مقالا بعنوان « قوانين للرفق بالعامل والاهتمام بظروف حياته الاشتراكية » تميز عن المقال السابق بدقته وشموله ٠ وهو كما يبدو مترجم عن احدى اللغات الاجنبية ، وموضوع في بنود ومطالب مفصلة ٠

عادت مجلة حيفا مرة ثالثة للحديث باستفاضة عن الحاجة الى قوانين لحماية العمال من الاصابة ولتعويضهم في حالة الضرر او التشوه او لتعويض على اسرة العامل في حالة الوفاة ٠ ففي العدد ١٥ قالت تحت عنوان « حول الرفق بالعامل (٢٥) ٠٠٠ ان المصائب والنكبات التي وقعت اخيرا في مصلحة سكة الحديد حيث نكب عاملان اثناء القيام بالعمل ، احدهما بواسطة الة المقدح والاخر بين عربات المياه تجبرنا على اعادة الكلام في هذه القضية ، في الاعادة افادة ٠٠ »

وتشرح المجلة اسباب اصابات العمل في فلسطين وفي غيرها باسلوب تثقيفي قائلة « ان هذه الاصابات تقع في كل ان ومكان ولا يمكن ازالتها الان بتاتا ، لكن السبب الوحيد لنشوئها هو نظام الرأسمال الفوضوي الذي يضع لحياة الانسان ثمنا رخيصا ويجعلها لدى الرأسمالي ابخس من ارباحه فيها ، وهذا لا يستطيع نقضه غير الاجتماعية الاشتراكية (٠٠٠) ولكن هذا لا يجبرنا او يحتم علينا ان نقف الان بازاء هذه الحوادث الموجعة وقفة المتفرج ٠٠٠٠ »

وختمت مقالها بعبارة تحريضية قوية قالت فيها : « ان الداعي الاكبر الى ايقاع العامل في هوايا الاحوال السيئة هو عدم انتظام العمال واتحادهم ، فاتحدوا ايها العمال والفوا النقابات الصناعية لان للعامل اعداء كثيرون ، ولكن تهاونه وخنوعه هو من الد اعدائه المقربين اليه فدعوا التهاون وانبذوه بحزم وعزم وهمه واسسوا النقابات الجديدة واحيوا الخاضرة منها وانعشوها ٠

ب ــ بصدد ارتفاع اكلاف المعيشة :

وفي معرض معالجتها قضية الغلاء وانخفاض الاجور والشروط المعيشية القاسية للعمال والفئات الكادحة ، كتبت حيفا في افتتاحية عددها الرابع (٢٦) تحت عنوان « الغلاء » : « لا تزال حالة العامل المسكين في هذه الديار تزداد بؤسا وشقاء من يوم لاخر سواء كان مرزوقا بعمل او عاطلا لا يكتسب ما يسد به رمقه ٠٠ » واشارت الى غياب قانون يحمي العمال في حالة المرض او الاصابة ثم انتقلت الى ضآلة الاجور فقالت ان « الاجرة الحالية بوجه الاجمال زهيدة للغاية اذا قابلناها بما كان يتقاضاه في السنوات الماضية » ٠

جـ ــ في التنظيم النقابي العمالي :

بدأت حيفا منذ عددها الثاني بنشر انباء عن تشكيل النقابات في فلسطين متخذة من هذه الانباء ومن غيرها مناسبة للتحريض على التنظيم النقابي ٠ فكانت تتوج في مقالاتها بالمطالبة بحرية الاجتماعات والجمعيات وبالتضامن العمالي ٠ وهكذا نشرت « حيفا » في عددها الثاني في باب « مراسلات » رسالة من احد عمال يافا عن انشاء جمعية عمال بلدية يافا ٠ وقد علقت المجلة على الرسالة مرحبة « بهذه الحركة المباركة » داعية العمال الى « العمل اكثر من القول » ٠

وعادت المجلة في عددها السادس (٢٧) تحت عنوان « عمال الناصرة » للتطرق الى اوضاع عمال المدينة بعد ان انحلت نقابتهم هناك ٠ فقالت « ٠٠ انحلت تلك النقابة التي سررنا بها ، وكأن الدهر ابى على العمال الناصريين الذين هم تسعة اعشار السكان ان يتحدوا ويتفقوا لينالوا حقوقهم المهضومة التي يتلاعب بها الاغنياء من المقاولين والرأسماليين والمؤلم الاقرار به عدم ثبات اولئك العمال وضعفهم ولا ندري اكان ذلك لعدم وجود من يسوي امورهم وينظم حقوقهم ام لافتقارهم الى حمية وغيرة » ٠ ثم خاطبت عمال الناصرة بقولها « ايها الرفاق (٠٠) انكم لو اتحدتم كنتم كتلة قوية لا يستهان بها » ٠

واضافت « لقد مرت عليكم احوال ضيقة كان يجب ان (...) تدفعكم الى تأليف الجمعيات والنقابات التي تأخذ على عاتقها حفظ حقوقكم فلا يهضمها اولئك المقاولين والرأسماليين اللصوص الذين سرقوا ولا زالوا يسرقون اتعابكم ... » .

وبمناسبة الاعتراف الرسمي بنقابة سكة الحديد والبوسطة والتلغراف ، كتبت مجلة حيفا في عددها السابع (٢٨) التعليق التالي : « اعترفت ادارة سكة الحديد اخيرا بجمعية عمال السكة الحديدية بعد ان القت عليها سؤالات تمثل في الوقت نفسه كما يظن شروط الاعتراف وهي : ١ ـ هل الجمعية شيوعية ؟ ٢ ـ هل الجمعية سياسية ؟ ٣ ـ هل من نظامها الاضراب عن العمل ؟ ولما اجيب على هذه السؤالات بالنفي اعترفت الادارة بالجمعية . فنحن نغتبط من صميم افئدتنا بهذا الاعتراف، لان النقابة المذكورة هي الوحيدة في هذه الديار والاولى التي اعترف بها رسميا . ان كافة الجمعيات في بلادنا عربية كانت ام اسرائيلية ما هي الا جمعيات انتفاعية ، اما نقابة سكة الحديد فهي جمعية صناعية فنية وللاعتراف بها اهمية سياسية عظمى . وبما ان ادارة سكة الحديد دائرة من دوائر الحكومة فتكون باعترافها قد نابت عن الحكومة نفسها واقرت رسميا وجود اتحاد للعمال في البلاد ، فنرجو ان يصير الانتظام في النقابة المذكورة بسرعة لان لا صعوبة او معارضة تقف من الان وصاعدا في سبيل ذلك » .

وعلقت على تخوف العمال العرب من الانضمام الى النقابة خوفا من الطرد ، ومن غضب السلطات عليهم ، فقالت ان الاعتراف الرسمي يفتح المجال امام دخولهم النقابة دون خوف . وطالبت نقابة سكة الحديد بتوسيع انتظام العمال فيها باعداد كبيرة ، وان تعمل على افتتاح دروس ليلية للعمال ، وتجهز غرفا للقراءة ، ونشر المطبوعات ، ونشر الوعي العمالي ، والنقابي لدى العمال صغار السن . ودعت العمال للانتظام في حضور اجتماعات النقابة وجلساتها وان تجري قراراتها بكل اخلاص واستقامة .

وانهت حيفا تعليقها بالدعوة الى « الحاق كافة العمال بنقابة واحدة » وفي اشارة الى الصهيونية قالت ان عليها ـ اي النقابة ـ « ان تسعى لازالة كل فكرة مستبدة من النقابة وايجاد الثقة بين اعضائها المختلفين ووضع اساس متين لاتحاد العمال الحقيقي الدولي المختلط .. » وتساءلت حيفا : « .. هل يصغي عمال سكة الحديد لهذا القول ويفهموه؟ وهل لرؤساء النقابة الحاليين المقدرة والكفاءة اللازمة للقيام باعمال كهذه ، او هل لهم الارادة الصالحة لذلك ايضا ؟

ـ ثانيا في النضال النقابي العربي ـ اليهودي المشترك

منذ العدد الرابع من « حيفا » اولت المجلة اهتماما خاصا بالتعليق والتنويه باهمية انخراط العمال العرب واليهود في العمل النقابي المشترك ، الذي فتح الباب امامه دخول عدد كبير من العمال العرب في حيفا في نقابة عمال سكة حديد فلسطين عام ١٩٢٤ . وكانت هذه النقابة مقتصرة من قبل على العمال اليهود دون العرب ، كما كانت تتحكم في تسييرها قيادة صهيونية . بعد دخول العمال العرب في هذه النقابة ، تعرضوا لضغوط متباينة ، منها وجود قيادة صهيونية صرفة تريد توجيه النقابة باتجاه مضاد لمصالحهم الوطنية والطبقية ، ومنها وجود ضغوط من الاوساط العربية الوجيهة والبرجوازية التي تستهول قيام تعاون ونضال عمالي عربي ـ يهودي مشترك . وقد اتجه العمال العرب بعد ذلك الى الخروج من نقابة عمال سكة حديد فلسطين وانشاء جمعية عمالية خاصة بهم .

هذا الحدث ،دخول العمال العرب ثم خروجهم من نقابة عمال سكة الحديد ، كان موضع متابعة مسهبة وموضع سجال من مجلة « حيفا » في خمسة اعداد من هذه التي بين ايدينا . وقبل تناول ما كتبته « حيفا » في هذا الصدد ، يهمنا التنويه الى بضعة ملاحظات تساعد القارىء على رؤية المقالات في اطارها التاريخي . اما تقييمنا لموقف المجلة فسنتركه الى اخر هذه الدراسة .

يفترض بداهة في اي حزب شيوعي في بلد ما ، ان يعنى بتنظيم الطبقة العاملة في منظمات اقتصادية وسياسية وان يعمل على قيادتها هي والفئات الكادحة الاخرى ، في برنامج ثوري يكفل تحقيق المهام الملحقة في الفترة المعينة ووفق الظروف المعينة . ويفترض بداهة ان يتوجه الحزب الشيوعي لتعبئة وتنظيم العمال والكادحين من كافة القوميات والاديان في البلد المعني .

كذلك ، فانه من الناحية المبدئية ، يفترض بالحزب الشيوعي - الجدير باسمه حقا - ان يكون موجودا اينما وجد العمال والفئات الكادحة ، وان لا يتركهم عرضة للتخريب الايديولوجي وتحت تأثير القيادات والايديولوجيات الانتهازية او الشوفينية او تحت نفوذ القوى الرجعية فعلى الحزب اذ ذاك ان يحارب الاتجاهات التحريفية والانتهازية في مؤسسات الطبقة العاملة ، وان يكسب العمال وان يعمل معهم من اجل طرد القيادات الانتهازية والرجعية ويطهر النقابة من نفوذها وتأثيرها المخرب على العمال .

اذا اخذنا موقع الحزب الشيوعي في فلسطين في المجتمع الفلسطيني في منتصف العشرينات ، نجد انه ما زال حزبا صغيرا متواجدا ضمن الاقلية اليهودية الوافدة الى فلسطين . وان نفوذه داخل الاغلبية العربية ضعيفا للغاية ان لم يكن معدوما . كما ان العلاقة بين العرب واليهود انذاك قد اصطبغت تحت تأثير الحركة الصهيونية والانتداب البريطاني ، بشكل من التناقض العدائي الذي يفسره وجود مشروع استيطاني اجلائي لدى الصهيونية .

ان صيغة العمل والانخراط العمالي اليهودي عند الشيوعيين قد انطرح في ظروف بداية تأجج المشاعر الوطنية والقومية ، وفي ظروف افتقاد الثقة والتخوف من الطابع العدواني الاجلائي للاستيطان اليهودي . لذلك فان الحزب الضعيف عربيا ، والمتواجد في مؤسسات وتجمعات عمالية يهودية ، اي داخل الجيتو اليهودي الذي لم يغادره ، كان يدعو العمال العرب للدخول معه الى « داخل الجيتو » لمساعدته على طرد النفوذ والقيادة الصهيونية في النقابات . فيما كان الامر سيكون مختلفا لو ان الحزب قد اولى التوجه نحو العمال والفئات الكادحة العربية الاهتمام الاول ، لكانت عملية مطاردة النفوذ الصهيوني والقيادة الصهيونية من داخل التجمعات والنقابات اليهودية او المختلطة اسلم من الناحية المبدئية ومن الناحية الاستراتيجية . وهذا لم يحدث . لذلك ظلت قدرة الحزب الشيوعي على التأثير في المحيط العمالي العربي ضعيفة ، ولم ينجح في سحبهم من دائرة النفوذ الوجاهي - البرجوازي ، مثلما لم ينجح في جذب العمال اليهود اليه وتحريرهم من النفوذ الصهيوني .

ان المقالات التي سنقتبس منها ، تلقي الضوء على منظور الحزب الشيوعي او على الاقل رؤية اوساطه لمسألة العمل العربي اليهودي المشترك في هذه الفترة .

١ - في العدد الرابع (٢٩) من « حيفا » كتب « عامل » ، تحت عنوان « القومية واللاقومية » تعليقا على دخول العرب في نقابة سكة الحديد، وعلى ردود الفعل لدى الاوساط العربية الوجيهة والبرجوازية . ولدى الاوساط الصهيونية . فقال : « دخل عدد كبير من العمال العرب بحيفا في نقابة عمال سكة حديد فلسطين فاقلق عملهم هذا افكار من يدعون انفسهم « محبي الشعب » وهم الوطنيون الناهضون . اصبح هؤلاء تجاه هذه الحقيقة في اضطراب شديد وهيجان ثائر عبرت عنه بعض الجرائد بما نقلته عن افكار الوطنيين واصحاب الوظائف المتسائلة بهذا الخصوص وعن « كيفية حصول تفاهم كهذا بين عمال العرب واليهود وتضامنهم وانتظامهم في جمعية ونقابة واحدة، فهم يرون بهذا العمل جريمة لا تغتفر » .

واما القوميون من الصهيونيين فانهم نظروا الى هذا الاتحاد والتفاهم بعين الحقد والغضب ونسبوا للعمال اليهود الخيانة لمصالحهم والازدراء بمقاصدهم القومية . و « يحث كل من الطرفين عماله للارتداع ونبذ التضامن والتفاهم والاتحاد الدولي مبينا لهم الخطر العظيم الذي ينشأ عن ذلك لانفسهم ولوطنهم

ولقوميتهم ايضا .. فما الذي يدفع هذين العدوين الى الاجتهاد في هذا السبيل ؟ يظهر ان شبح تضامن واتحاد طبقة العمال المرعب هو الدافع لذلك ، وهذا مما يستدعي العامل الى التمعن والتبصر ، ويدفعه الى الاعتقاد بان لهذه المعارضة من اصحاب المذاهب ـ عرب وصهيونيين ـ سببا يعظم عنده عمله ، واهمية عظيمة لا يرغبها اولئك المسيطرون فيتمسك ويدافع عنه بكل قواه اعنوية وادبية . فلذا ندعوكم يا اصحاب الاهتمام من صهيونيين وعرب وجهاء واعيان ان تهتموا باعمالكم الخاصة وتتركوا الاهتمام بشؤون الطبقة العاملة لها وحدها لانها لا حاجة لها الى من يهديها ويرشدها الى الطريق الناجح لها فهي اعلم بما يؤدي الى رقيها ونجاحها . ولكي لا تكثر الاقاويل والاشاعات الباطلة وتضليل الرأي العام والعمال في جرائدكم ، نسبق ونخبركم بان الوسيلة الوحيدة لنجاحنا هي : الاتحاد الدولي والتضامن المختلط بين كافة عمال البلاد » .

ويتابع « عامل » فيقول بنبرة طبقوية فجة داعيا عمال فلسطين لوضع مصالحهم ووحدتهم كطبقة فوق الاعتبارات « الوطنية والقومية »، وهو يقصد بها الاتجاهات الشوفينية : « ولا يسأل احدنا الاخر عن اعتقاده او دينه او قومه او جنسه بل عن طبقته فقط ، ومن ثم نسعى بل ونبذل الجهد التام لنزع وسحق الفكرة الوطنية والقومية المستبدة من رأس جميع العمال ، ومن بين الطبقة العاملة عموما . ولعمال سكة حديد فلسطين الخطوة الاولى في هذا السبيل لانهم بانضمامهم الى النقابة انتصروا على اول مبدأ صهيوني مستبد كان من سعيه ابعاد العامل الاسرائيلي من العمال الاخرين ، وهدموا ـ وهم البسطاء ـ اركان هذا المبدأ وسحقوه فاصبحت النقابة عديمة الاساس الصهيوني ورابطة قوية لطبقة العمال فقط » .

وفي معرض نقده الضمني لهيمنة السياسة الصهيونية على النقابة ، يدعو كاتب المقالة العمال الى عدم الالتفات للدعاوة السياسية لدى الرجعية الصهيونية والعربية على السواء والالتفات فحسب الى مصالح العمال الموحدة :

« ولقد الفنا هذه الجمعية لا لنتعاطى بالسياسة الحمقاء الخداعة بل لندافع عن مصالحنا القومية ، وليست الراية الصهيونية الزرقاء البيضاء او العربية الوجيهة والخضراء والحمراء تهدي العمال وترشدهم الى طريق الحرية ، بل علم العمال الدولي الاحمر فقط . فمن له اذنان للسمع فليسمع والسلام » .

٢ ـ في نفس العدد من المجلة (الرابع) (٣٠) كتب « محفوظ » مقالا مسهبا حول ذات الموضوع ، لكنه تميز بنقد حاد للصهيونية ، وللعمال اليهود المتشبعين بالنزعة الشوفينية . والمقالة عموما امتن واقل فجاجة من سابقتها . قال « محفوظ » : « اذيع في الجرائد خبر اتحاد وانضمام العمال الاهليين الى نقابة سكة الحديد والبريد والبرق فاذهب العقول واقلق الافكار وبلبل بال جماعة من الوطنيين واصبح موضوع بحثهم وانتقادهم وتمامنهم وعرضة لحملاتهم ناظرين اليه بعين (النهضة القومية العربية) فقط غير مكترثين بحالة العامل الاقتصادية الحالية ، التي دعته الى ان يخطو خطوته الاولى في هذا السبيل . كنا نبشر بالاتحاد ونحمده مبينين للعموم فوائده وضرورته فلم نذمه ونحط به في امر كهذا ! ليس للاتحاد منافع حسنة في النهضات القومية فقط بل ان له الاهمية العظمى في نهضة العمال الاقتصادية ايضا ويجله كل بشر مخلص وكل ذي عقل سليم ان كان بفكرة شريفة ومقصد حسن ومبدأ مستقيم ولا يطعن به ولا يذمه الا من له بدونه فوائد شخصية واماني ذاتية .

ويتحدث محفوظ عن ردة الفعل في المؤسسات الصهيونية : « كان لاتحاد وتفاهم عمال سكة الحديد في النوادي والجمعيات السياسية الصهيونية دويا عظيما كدوي الصاعقة وتأثيرا سيئا على قلوب زعمائها فارتعدت فرائصهم وخفقت قلوبهم وارتعشوا لهذا التضامن وايقنوا بدنو الخطر العظيم الناجم عنه لسياستهم وتمثل لهم شبح هذا الاتحاد المخيف قابضا على روح فكرتهم وواضعا قدمه على عنق خطتهم السياسية السابية المستبدة » .

ثم يتوجه محفوظ لمخاطبة العمال اليهود

ينقد حار : « واننا نأسف فقط لموافقة القسم الاكبر من طبقة العمال الاسرائيليين على ان يكون الله في يد هؤلاء المسيطرين وعبدا لمطامع سياستهم الخداعة ، على انه لم يظهر مثل ذلك من طبقة عمال اخرى في تاريخ نهضة العمال الدولية قط ، لان الدولية انشئت لتتخلص من عبودية المستبدين بين الرأسماليين ، وليس للاستخدام في معامل سياستهم حتى وان العمال الغير راقين في البلدان المختلفة لم ينتازلوا الى مثل ذلك ولم تكن تملقات مستعبديهم لتقودهم الى انحطاط كهذا ، ولا نعلم ما الذي استعملته الصهيونية من الوسائط والوسائل لتطمس على قلوب وبصائر العمال الاسرائيليين حتى انهم ينقادون اليها ويخضعون لسياستها التي ستكون يوما ما اكبر خطر عليهم مما هي على فلسطين واهلها » .

يصف الكتاب الطابع الرجعي الذي يسمه توجه العمال اليهود ، وتناقضه مع ارث الطبقة العاملة العالمية ، واحلال التناقض مع العمال العرب محل التناقض مع الرأسمالية ويقول : « واذا اطلعنا على حركة العمال الاسرائيليين في المدة الاخيرة في فلسطين نجدها مضادة لخصائص وقوانين ونظامات الدوليات الثلاث الاساسية لانها لم تكن موجهة ضد المسيطرين على طبقة العمال بل ضد الطبقة العاملة العربية من اهالي فلسطين . وان عدم اتحاد العمال الاسرائيليين مع رفاقهم العرب وما اهملوه في سبيل ذلك منذ انشاء النهضة يدل على مبدئهم الغير قويم وعلى اليد الصهيونية التي تسوقهم ، وبما ان الخطة الصهيونية تدفعهم الى مزاحمة العمال العرب فلا غرو انها ستقوى عليهم وتقيد مستقبلهم وتجعل منهم عبيدا خاضعين لاسيادهم وان لم ينتبهوا من غفلتهم ويرفعوا من اعناقهم نير العبودية ويتحدوا مع العمال الاخرين يفوتهم الوقت ولا يعود ينفعهم الندم بعد العدم ، اي انعدام الحرية المنشودة لطبقتهم . قال زعيم الصهيونية « ان عمالنا في فلسطين بركة عظيمة لقضيتنا » ، فماذا يقصد القائل بذلك ؟ اليس هذا ازدراء بالطبقة العاملة عموما ؟ او لم يدرك العمال الاسرائيليون الذين يدعون التنور والرقي الخطر الناجم لهم لاتباعهم هذا المبدأ وهذه الخطة المفكرة ؟ ام هم مستعدون لتضحية طبقتهم في سبيل توطيد الفكرة المؤسسة على نجاح المتمولين والمستبدين من ابناء قومهم ؟ واني ، بصفتي عامل شرقي اجهل ما هي النهضات الوطنية العديدة ونهضات العمال في اوروبا وغيرها ، غير انه يتضح لي من هذه القضية جليا ان الوطن القومي ليس للعامل الاسرائيلي والعربي بل للرأسمالي الاسرائيلي والوطني فقط وكلاهما في معارك دائمة لا مصلحة للعامل فيها ولا نفع . واذا كانت نقابة سكة الحديد التي لها علاقة مع الدولية الثانية في امستردام ما زالت تحت تأثير الصهيونية كما يظهر ، فلا صالح للعامل الاهلي فيها على هذا الحال ومن واجبات الاعضاء العرب الابتدائية تنوير اذهان المدعين بالتنور والرقي من اعضاء النقابة ومشتركيها من اليهود واندارهم بما سبق ذكره ، وان ابت عقول هؤلاء وقلوبها قبول هذا التحذير المخلص يكون سعي اعضاء العمال العرب سحق وازالة كل اثر فكرة قومية ووطنية من نقابتهم المختلطة وليس الانسلاخ والانفصال عن النقابة هو الذي يؤدي الى نيل المرام بل الاجتهاد والعمل والاتحاد المكلل بالفوز على المتمردين الاغنياء . وان جمعيات العمال الصهيونية اليوم ، تسعى التخلص من الخطر الذي جلبته عليهم نقابة سكة الحديد وذلك باتحادها مع العرب ، وهي تبذل جهدها الان لايجاد وسيلة تستطيع بها ازالة العقبات والموانع لتنفيذ فكرتها وستلجيء الى اساليب مختلفة لاكراه العمال العرب على الرجوع والانفصال عن النقابة ، وستقترح على المتحدين في بادىء الامر تأليف نقابتين متساويتين تحت رئاسة مختلطة ، فيكون للنقابة الاسرائيلية عندئذ الحرية التامة في اتباع فكرة القومية والعمل لاجلها لان النقابة المختلطة تمنعها ولا تسمح لاي عضو كان بالمداخلة في السياسة المضرة بمصالح العمال ، ولا العمل في ادغام سياسة المسيطرين والرأسماليين ولا يرضى اي عامل كان من العرب لنفسه ان يكون الة لتنفيذ الفكرة الصهيونية والنهضة الوطنية كما هو الامر عند القسم

الاكبر من العمال الاسرائيليين ، لا فائدة ترجى من اتحاد العمال الاسرائيلين وحدهم ولانجاح لمساعيهم ان لم يصافحوا العمال العرب بنية مخلصة وفكر صادق وليعلموا ان رياءهم لا يجنون منه الا الانخذال والفشل ، فليعتبروا وليبتعدوا عن المراوغة والاحتيال ولينضموا الى الجماعة المخلصة من اعضاء سكة الحديد الاسرائيليين ويشاركوهم في مبدئهم وعملهم المخلص المستقيم في سبيل نمو النقابة فيتم الاتحاد ويأتي بما هو كون لاجله ، واننا نريد ان نتساءل ما يكون يا ترى جواب اعضاء الهيئة المركزية الاسرائيلية في نقابة سكة الحديد المحلية على السؤالين الذين القيا عليها من احد اعضاء النقابة العرب لو كان السائل ممثل الدولية الثانية في امستردام ؟ وبماذا تجيبه الرابطة العمومية للعمال الاسرائيليين وبقية الاتحادات والنقابات الاسرائيلية للطبقة العاملة في فلسطين ؟ او هل لاتحاد العمال الدولي مادة في قانون الدولية الثانية تسمح للخاضعين لها والمنخرطين في سكانها والمستندين على اعانتها في جهادهم لمصالح العمال ان ينجروا بالدولية الثانية لتنفيذ فكرتهم الوطنية القومية ، الا فلندع هنا هذا التحايل والخداع الممقوت الذي يشوش افكار العمال ولنرم بما يؤخرنا عن التفاهم والاتحاد التام غرض الحائط ، ولنتكاتف ونتضامن ونجاهد باستقامة للمدافعة عن حقوق العامل المهضومة ، ويجب علينا ان لا ندع لاتحادنا ادنى صبغة قومية او وطنية وان لا يخالج قلوبنا ادنى تأثير يضر بمصالح الطبقة العاملة ولنضعن كلمات ماركس اساسا لمبدئنا وهي : يا عمال العالم اتحدوا ، فلا قوة الا بالاتحاد ولا اتحاد الا بالاخلاص ولا يكون الاخلاص الا بالاستقامة والتضحية » ،

٣ ـ عادت « حيفا » الى التطرق لموضوعة العمل في نقابة ذات قيادة صهيونية في عددها السادس (٣١) وكانت المناسبة انسحاب العمال العرب من النقابة المذكورة ، بعد ان كانوا قد انضموا اليها ، فقالت المقالة المعنونة بالتساؤل التالي : « هل يجب ان ينسحب العمال من نقابة سكة الحديد ؟ » « لقد انضم قبل مدة قصيرة قسم كبير من العمال العرب الى نقابة سكة الحديد والبوسطة والتلغراف ،ولم يلبثوا ان انسحبوا منها بداعي مقالة نشرها الرفيق حسنين افندي فهمي في جريدة « النفير » وبسبب فتنة بليدة نشرها بعض الاعضاء العاملين في النقابة المذكورة ، وقد حض الرفيق حسنين بقية الرفاق على الانسحاب من الجمعية اذ قد تبين له بانها صهيونية ، فهل هذا هو الصواب ؟ وهل تلك هي الطريق التي يجب على العامل ان يسلكها في سبيل الاتحاد ،

وبعد ان نفى كاتب المقالة ان النقابة صهيونية ، وصفها بانها جمعية عمال تسعى لتحسين ظروف العمل والاجور ، الامر الذي يتناقض مع الصهيونية التي تستبعد العامل وتخفض اجرته وتطيل مدة عمله ثم اضاف : « اما حقيقة الامر فهي ان اصحاب الادارة الحالية يبذلون ويزورون مقاصد الجمعية لان الاكثرين منهم اغبياء يميلون الى الاستخدام في مقاصد اصحاب الرأسمال من اليهود وهكذا فهم يهتمون بمصالح هؤلاء ويفضلونها على الاهتمام بمصالح العمال ، واننا نأسف لوجود عدد كبير من الاعضاء اليهود في النقابة والذين لا يميزون ولا يفهمون بان اصحاب ادارة النقابة مموهون فينقادون لهم رغما عن ذلك دون ان يسعوا لازالة هذه الحالة ونبذ الداعي اليها والمسبب لها من بينهم » ،

يتساءل كاتب المقالة وهو يوقع باسم « عامل في سكة الحديد » : « فهل يجوز لنا والحالة هذه ان ننسحب من النقابة تاركينها باید صهيونية تعمل لخداع العمال الى ما شاء الله وتوسع الهوة بين عمال العرب واليهود ؟ » ،

ثم يجيب بالنفي شارحا اهمية البقاء في النقابة ويقول : « كلا ، ومهما كلفنا الامر فلا يجب ان نتزعزع في موقفنا بالنقابة بل يجب ان نسعى لنستلم ادارة النقابة ونعمل منها جمعية تدافع عن مصالح كافة العمال من عرب ويهود ، وانه يوجد عدد كبير من الرفاق اليهود الذين لهم خبرة تامة في ادارة شؤون الجمعية وهم مستعدون لمساعدتنا على

ذلك باخلاص ونية سليمة ، فلنتكاتف مع هؤلاء في تنوير جميع العمال وتعليمهم حتى يمكنهم ان يعلموا ما هي واجبات اتحاد العمال فنقود النقابة سوية الى النجاح على طريقة العمال فقط ، اننا نعلم بان الحالة في النقابة الان ليست حسنة وقد يقف في سبيل الاتحاد والتنظيم مانعان يلزم ازالتهما فالمانع الاول هو تأخر العمال والثاني سوء الادارة والخيانة في مركز النقابة الحالي ،

فهل نزيل هذين المانعين بانسحابنا من النقابة او بتأليف نقابة اخرى مستقلة ؟ كلا لانه :

١ ـ لم يستطع عمال سكة الحديد العرب الذين كان عددهم في جانب الاكثرية ان يؤلفوا اغلبية متحدة في النقابة ، ويستلموا قيادتها وهكذا فلا يستطيعون تأليف نقابة مستقلة اخرى ،

٢ ـ بخروجنا وانسحابنا من النقابة نؤيد موقف الصهيونيين فيها وهؤلاء يودون انسحابنا حتى لا يكون لهم معارض باعمالهم السياسية فيها ، فالبقاء والثبات في النقابة والسهر على جميع المسائل المتعلقة بحياة العامل فقط يلزمنا بان نتقدم ونزيل الخلل الحاصل في ادارة الحالية وننزع ازمة القيادة من ايدي الخائنين ، وبوجودنا في النقابة نستطيع ان نقتبس الخبرة المادية والفنية التي بواسطتها فقط نتمكن من قيادة النقابة في الطريق المستقيم والمرغوب لدى اكثرية اعضائها ، لذلك ادعوكم ايها الرفاق لتنضموا الى النقابة ولا تجعلوا العواصف الشديدة تقلقل وتزعزع مركزكم فيها ، »

٤ ـ كما يبدو فان هناك من يخالف رأي مقالة « عامل في سكة الحديد » السالفة ، ان مجلة حيفا تنشر في العدد الخامس عشر (٣٢) مقالا موقعا باسم « عامل عربي في مصلحة سكة الحديد » يشرح فيها « الاسباب التي دعت العمال العرب لان يؤلفوا نقابة مستقلة في حيفا » ويقول العامل العربي : « اضطر العمال العرب في سكة الحديد قبل شهر لان يؤلفوا نقابة عربية محضة دعوها « جمعية الخير » وقد انضم الى هذه النقابة ما ينوف عن المئة والخمسين عاملا ، والذي ظهر لنا ان هذه النقابة ستتقدم تقدما حسنا بفضل ما يبذله اعضاؤها من الهمة والعزم في العمل لصالح نقابتهم » ،

ويعلن « العامل العربي » عن اغتباطه بهذه الخطوة ويأسف لاضطرار العمال العرب للاستقلال عن النقابة الموجودة منذ خمس سنوات ، ثم يورد اسباب هذا الاستقلال فيقول : « تأسست النقابة القديمة تحت علم الصهيونية وهي فرع من الرابطة الاسرائيلية العمومية في فلسطين ، وقد حاول العمال العرب مرارا الاتحاد والتفاهم مع هذه النقابة فدخلوها قبل مدة وانضم اليها العدد الكبير منهم ، ولكنهم لم يلبثوا طويلا حتى انسحبوا منها نظرا لما شاهدوه من مراوغة وخداع زعمائها السائرين في ادارة شؤون النقابة على خطة سياسة صهيونية لا يمكن للعمال الموافقة عليها » ،

ثم يتحدث « العامل العربي » في رسالته الى « حيفا » عن موقف العمال العرب : « لما رأى العمال هذه المراوغات وهذا الخداع شعروا حقا ان اساس هذه النقابة وقواعدها لا تستند على مصالح العامل ورفع مستواه ، بل على تنفيذ رغائب القضية الصهيونية بين العمال ،

ويظهر « العامل العربي » في رسالته تعاطفا واضحا مع استقلال العمال العرب في نقابة مستقلة رغما انه مقتنع بان الطريق الافضل كان هو النضال في النقابة السابقة مع العمال اليهود ضد الصهيونية لذا يقول : « كل هذه الاسباب المؤلمة دفعت العمال العرب الى الانسلاخ عن النقابة القديمة المشتركة والى تأليف نقابة جديدة مستقلة بدلا من ان يثبتوا في تلك ويقاوموها ويلاشوا كل فكرة صهيونية او قومية تتخللها بقوة اتحادهم ومثابرتهم على العمل فيها ، ورغما عن ان هذه الخطة ، خطة التفرقة بين العمال في الجهاد ضد اعداء مصالحهم ليست بالطرق التي يجب على العمال ان يتبعوها في سبيل

حريتهم ، فاني اتمنى لهذه النقابة التوفيق والنجاح » .

٥ ـ لم تلبث مجلة « حيفا » ان نشرت في العدد ١٧ (٣٣) مقالا ممهورا بتوقيع « م ٠ أ ٠ و ٠ ـ عامل بمصلحة سكة الحديد» جاء ردا على الرسالة السابقة بصدد الموقف من النقابة المذكورة ، وحول الانفصال عنها ، بسبب الهيمنة الصهيونية على قيادتها ، وتأسيس نقابة عربية مستقلة . ويظهر السجال هذا ، الحاح المسألة التي شغلت الشيوعيين في فلسطين انذاك حول العمل في نقابة صهيونية قالت الرسالة تحت عنوان « ايضا وايضا ، نقابة عمال سكة الحديد » : « .... قال بعض الرفاق : نحن لا نرغب في الاتفاق مع الصهيونيين ولا نريد ان تضمنا واياهم نقابة واحدة ! الحق بيدك ايها الرفيق ، ولكن اليس من الخير لك اذا كنت معاديا للصهيونيين ان تعمل على مكافحتهم وقهرهم ودحرهم وانت مع رفاقك تمثل الاكثرية بينهم بدلا من ان تنسحب عنهم وتدعهم يعملون بما يرغبون ؟ ثم ويقال ان « النقابة صهيونية » فكم هو مخطيء من يقول هذا القول » « النقابة نفسها ليست صهيونية وانما يوجد فيها بعض الزعماء المتحمسين للصهيونية والعمال الباقين هم ابعد ما يكون عن الصهيونية ، هوذا الجهاد اليوم مستمر والخصام عنيف بين العمال وعن حقوق العمال وبين السماسرة الصهيونيين المتزعمين . فهل من العدل ان يتركوا هؤلاء المخلصين وحدهم يجاهدون دون ان تساعدوهم في هذه الواجبات المقدسة ؟ » .

ويشير « م ٠ أ ٠ و » الى محاولات شق تضامن العمال العرب مع العمال الشيوعيين من اليهود عن طريق اثارة مشاعر العداء تجاه البلشفية ، فيقول : « لقد نجح هؤلاء السماسرة الصهيونيين في ارعابكم بالقول (...) الذي صوروه لكم باقبح المناظر هو البلشفية ! لقد اعتاد هؤلاء الصهيونيون المضللون ان يسموا كل عامل يقاوم المبدأ الصهيوني بسمة البلشفية ، وهم يهمسون في اذانكم ان البلشفيك يستحقون الاعتقال والسجن . لقد استسلمتم لهؤلاء المخادعين ولاقاويلهم وفسادهم كما يستسلم الصغار ، وصادق البعض منكم على رفض بعض رفاقكم المجاهدين باخلاص من النقابة لانهم عملوا على حفظ الوحدة والاتحاد التام لنقابة سكة الحديد » .

ثم ينتقد موقف الزعامات العربية الوجيهة بشدة : « اين كان زعماؤكم ايها العمال العرب عندما كان الجهاد قائما بعنف وشدة ضد السماسرة الصهيونيين الموجودين في النقابة ؟ لقد اخذ زعماؤكم الان يقلدون الصهيونيين بمواعظهم واقوالهم ان تؤسس « نقابات مستقلة » وحل عليهم اليوم الروح الصهيوني الفاسد القائل بتأسيس (طوائف قومية) ، فاي مصالح يخدم هؤلاء الزعماء الذين لا يقومون بعمل جديد سوى اعادة مضغ الاقاويل وبث الدعاية الصهيونية على النسق العربي ؟ افيخدمون مصالح العمال ؟ كلا ، فان ادارة سكة الحديد ، والصهيونيين المتمولين ، والوطنيين الرجعيين ، كل هؤلاء لا يريدون ان يكون للعمال في هذه البلاد نقابات صحيحة ، ويرغبون في تفكيك عرى النقابات كيما تخور قواها ويثبط عزمها ، ولا تعود صالحة للدفاع عن حقوق الطبقة العاملة ، اذا فكل ما يتحدث به الزعماء ليس سوى اقاويل فارغة وثرثرة لا طعم لها . حذار ايها الاخوان ! فليس من طريق الانفصال والتفرقة يأتينا الخلاص .

يختم « العامل بمصلحة سكة الحديد » رسالته بمخاطبة العمال العرب للعودة للنقابة والتعاون مع العمال اليهود المعادين للصهيونية . ويقول : « اذا فلنسر سوية ! هلموا وانضموا حول النقابة ، ولنعمل بجد ونشاط في سبيل تأليف جبهة متحدة قوية ضد الصهيونية . لا تسألوا العامل عن معتقده وعن الحزب الذي ينتمي اليه ، وانما اسألوه فيما اذا كان مستعدا ان يجاهد ويدافع عن الطبقة العاملة وعن حقوق العمال في مصلحة سكة الحديد ، وان يعمل على انماء النقابة ونجاحها » .

ثالثا ـ في الوضع الفلاحي وفي التنظيم الفلاحي

تضمنت مجلة حيفا منذ عددها الخامس بضع مقالات مستقلة عن المشكلة الزراعية ، ويمكن تقسيم المقالات من حيث تناولها الى ثلاث زمر ، الاولى هي تلك التي تتناول وضع الفلاحين والعمال الزراعيين ، والضرائب العثمانية القديمة (الاعشار) واثرها في افقار المزارعين واعاقة التطور الزراعي ، وهذا الجانب كان موضع غالبية مقالات « حيفا » الزراعية ، والثانية هي التي تناولت الصدام بين الفلاحين والمستوطنين اليهود بمناسبة حادث قرية العفولة ، والثالثة هي المتعلقة بالدعوة لانشاء تنظيم فلاحي ، وبرنامج هذا التنظيم ، وعموما لم تخل الافتتاحيات المتصلة بالوضع السياسي العام في فلسطين من اشارات وتنويهات ببؤس الفلاحين الاقتصادي ، او بالدعوة لتنظيم انفسهم باستقلال عن القيادات الاقطاعية والوجاهية كما سيمر معنا .

تكمن قيمة هذه المقالات في طرحها جملة من المسائل المتصلة بالوضع الفلاحي ، فهذه النصوص المبكرة تتضمن اطروحات في وثائق لاحقة مثل وثائق المؤتمر السابع للحزب عام ١٩٣١ . ومن ابرز هذه القضايا :

١ ـ معالجة الضرائب القديمة (الاعشار) بوصفها معطلة للتطور الزراعي ومضرة بالفلاحين ودعوة لالغائها وليس تخفيضها ، والتنويه بقيمتها الحقيقية بحيث تصل الى ٢٥٪ من محصول الفلاح وليس ١٠٪ منها .

٢ ـ دعوة الفلاحين لتحرك وعدم انتظار رحمة الحكومة ، وانشاء « لجان الغاء ضريبة الاعشار » ،ودعوة جماهير المدن للتضامن مع مطالب الفلاحين .

٣ ـ معالجة مسألة الربا والفوائد الباهظة المتحققة للمرابين في عمليات التسليف .

٤ ـ ديون الفلاحين القديمة ، والدعوة لالغائها .

٥ ـ معالجة مشاكل الاستيطان من خلال قضية ملموسة (احداث العفولة) وتعريض بالاقطاع والملاكين الكبار والصهيونية بوصفهم اعداء الفلاح ، ودعوة لوحدة الكادحين . ويعني بذلك وحدة العمال والمزارعين العرب واليهود .

في مجال التنظيم الفلاحي ، قدمت المجلة تحليلات مبكرة لضرورة تضامن العمال والفلاحين ،اما هدف اتحاد المزارعين المأجورين، فهو ليس الحصول على المطالب الاقتصادية الخاصة بهم فقط وانما مساعدة الفلاحين الصغار والدفاع عن حقوقهم .

ان اقتراحات « حيفا » كمبادىء لاتحاد المزارعين ، تنم عن مطالب متطورة تستهدف تصفية العلاقات الاقتصادية القديمة ، فهي تقترح احلال المقابل النقدي بدلا من المقابل العيني ، تحديد ساعات العمل ، وضع تشريعات لتحسين وضع العمال الزراعيين ، مثل ظروف العمل ، المطالب الصحية ، رفع الاعشار ، اعطائهم اراضي ، تسليفهم بفوائد زهيدة ، منع العمل الاجباري ، توفير فرص التعليم وتحسين المواصلات بين القرى والمدن .

أ) حول الضرائب العثمانية

كانت ضريبة « الاعشار » الزراعية ، في رأس الموضوعات الفلاحية التي تكررت في مجلة « حيفا » ففي العدد الثامن (٣٤) قال المقال الرئيسي فيها ، تحت عنوان « الى متى ؟ سؤال حقوقي مهم ، ما يلي : « ... ان بحثنا عن الاسباب التي تجعل الفلسطيني في حال مؤلم من التأخر والجهل والفقر وجدنا بان القوانين التركية التي كان ولايزال يعمل بموجبها حتى عصرنا الحاضر هي الداعي لذلك . » لسنا ندرك نحن (البسطاء الجهلة) الاسباب التي تدفع اقدم دولة ديمقراطية في اوروبا وهي انكلترا الى التمسك والعمل عندنا بتلك القوانين المستبدة القديمة العهد الخالية من الروح العصرية الديمقراطية العادلة . (...) لقد علمنا بان الحكومة التركية الغت منذ زمن قريب من قوانينها تلك المادة المختصة بالاعشار ، غير ان ذلك لم يكن

له تاثير في بلادنا ولا على قوانيننا التركية قط ، فعلام نسير نحن يا ترى ؟ (...) ام من المحتم علينا ان ننجز ما يأمرنا بـــه قانون ، قد الغاه منشئه وتبرأ منه قطعيا »،

ثم تشير المقالة الى الابحاث التي كتبهـا المختصون الاقتصاديون والتي برهنت علـــى « الضرر الاقتصادي الذي ينجم عن اسلـوب جباية العشر الاسيوي » ، والتي تنبهت الى ان هذا الاسلوب من الجباية كان وراء هجـرة الفلاحين العرب من المنطقة الى الولايـــات المتحدة منذ وقت مبكر ... »

عادت « حيفا » الى موضوع ضريبة الاعشار في العدد ١٧ ، مرة اخرى (٣٥)، وكان ذلـك بمناسبة اجراء حكومة الانتداب تخفيض فـي نسبة العشر ، وتطالب المقالة بالغاء الاعشار واحلال ضريبة حديثة يتحمل اعباءها كبـار الملاك وتقول : « ان حال الزراعة السيء ، وسوء حالة الفلاح الفقير على الاخص ذاك الذي يمثل التسعين في المئة من كافـــة الفلاحين في هذه البلاد يجعلنا ان نبحث مرة اخرى عن مسألة الغاء هذه الضريبة القائلة اقتصاديا ومعنويا ، فنقول : ان التخفيض الذي انعمت به الحكومة على الفلاحين لا يحسن حالتهم ، ولا يخفف شيئا من كواهلهم ، ويوجد الان منهم كثيرون في السجون لعدم تمكنهـم من ايفاء هذه الضريبة الجائرة ، فلمـاذا لا تسن لنا يا ترى قوانين اوروبية ترسم الضريبة ايضا على كبار ذوي الاراضي كما هي علـى الفلاح الفقير ؟ »

« ان السياسة التي تتبعها الحكومة من هذا القبيل تلقى اثقال ضريبة الاعشار علـــى كاهل التسعين في المئة من الفقراء من الفلاحين العاملين ، اما العشرة الباقون وهم يمثلـون الاغنياء والملاكين فلا يثقل كاهلهم شيء من هذه الضريبة مع ان مدخولهم يعادل مدخول التسعين الاولين ، فمن ذا الذي يجب عليـه القيام بالعمل في سبيل ذلك ؟ »

وتحث مجلة حيفا الفلاحين على عدم انتظار اجراء حكومي ، وان ينتقلوا الى العمل فورا : « ان الاتكال وتوقع « نعمة الحكومة ورحمتها» لا يجديان نفعا ولا يرجى منها ان تقوم بذلك، فانها هي لا تجد فرصة للتفكير بحالـــة الفلاح الاقتصادية وعائلته ، بل يشغلهـــا فكر تضخيم خزينتها وامر موظفيها في الدوائر المختلفة كالبوليس والقضـــاء وهلم جـرا ، فليس يستطيع العمل على الغاء ضريبـة الاعشار سوى الفلاح نفسه ، وذلك بان يشكل لجانا في القرى تحت اسم « لجنة الغاء ضريبة الاعشار » وعلى الفلاحين كافة ان يرفعوا اصواتهم بالاحتجاج على هذه الضريبـــة العاتية » ،

ب ـ الاعشار ، الربا ، التسليف ، الديون القديمة ،

في العدد الثامن عشر من « حيفا » (٣٦) تطرقت مرة اخرى الى طريقة جباية الاعشار في سجال مع تصريحات المسؤولين الحكوميين في فلسطين ، ثم انتقلت بعد ذلك الـى مشاكل الفلاحين الاخرى ، مثل الربى وديون الفلاحين القديمة فقالت : « .. يتبع مسألـة الاعشار التي لا تتغير حالة الفلاح او تتحسن اقتصادياته الا بالغائها تماما ـ مسألة الربا ، فانه لا يوجد في العالم اجمع مرابون كمـا في فلسطين يشتغلون بالتسليف على طريقة ١٠ ـ ١٥ اي انهم يعطون بمعدل ١٠ ويطالبـــون بخمسة عشر ، وهذه المستمرة مع الاعشـــار تمتص دم الفلاح مصا (...) وهناك ايضا ديون الفلاح العثمانية القديمة التي لم تـــر الحكومة جواز تمديد اجل وفائها الى سنيـــن اكثر ، فالفلاح في اثناء الحرب العظمى وصـــل الى درجة قصوى من الفقر والبؤس بعـــد ان سلبته الجيوش المتحاربة كل ما يملك وابادت اقتصادياته حتى اصبح عاجزا عن ايفـــاء الديون التي استافها قبل عشر سنوات والقته المطالبة بهذه الديون بين ايدي المرابين كيـلا يبيع اراضيه وحيواناته ، فما الذي قالتـــه الحكومة بشأن ذلك : « ان تأجيل دفع القروض ليس في صالح الفلاح (!) وما وفاؤ ها الا لعهد معنوي يرتبط به المدين بموجب شهود » ! .. فهل اغرب من هذا ؟ وهل اعجب من القول ان تمديد اجل الوفاء ليس في صالح الفلاح ! ؟ فيقوم صالحه يا ترى بان يعجز عن الدفـــع

وتباع اراضيه او حيواناته الزراعية والبيتية مع علفها ، كما قالت الحكومة بعدئذ ؟ يا لهذا الصالح ما اغربه ، والاغرب منه التمسك بشريعة « العهد العثماني الذي يرتبط به المدين بموجب شهود » ، الفلاح يحتاج الى (قروض بفوائد قليلة) ولا يمكن الحصول على ذلك فيما اذا سمحت الحكومة لشركات اختصاصية ان تقوم بهذا العمل لان تلك الشركات المرابية لا تصنع بالفلاح خيرا مما يصنعه المرابي الفرد ، فهي تستوفي الفوائد الفاحشة التي تؤدي الى ازدياد سوء حالة الفلاح وتكرهه على بيع اراضيه وممتلكاته ..»

في عددها الثاني والعشرين (٣٧) كتبت « حيفا » تحت عنوان « يجب الغاء الاعشار » تنتقد الصحافة في فلسطين انعدام الجدية عندها ، لانها تتوقف عن متابعة مطالب الجماهير ، لعدم اصغاء الحكومة لها ، ثم اضافت في حديثها عن الاعشار الى ما كانت قد كتبته بضعة افكار جديدة ، منها ان الاعشار ضريبة غير ضرورية ، ولا تعود بالنفع على البلاد وانما تستعمل في تمويل ابواب غير ضرورية في موازنة الحكومة مثل دفع مرتبات الموظفين الانجليز الكبار ، او لتمويل مشاريع لا حاجة للبلاد اليها ، لكن الفكرة الاهم هي ضرر هذه الضريبة على التراكم في الزراعة وعلى التطور الاقتصادي وفي القطاعات الاخرى ، تقول « حيفا » في هذا الصدد : «ان هذه الضريبة ليست ماسة بالاف من الفلاحين فقط وبتقدم البلاد الزراعي ايضا ، بل ولها تاثير كبير في تقدم فلسطين بوجه عام (...) فان اساس كل تقدم كان ولا يزال ، ولا شك الى الاجيال الاتية ، المحاصيل الزراعية ، فثروة فلسطين تتوقف على يسر الفلاح فيها ، اما الاعشار التي جعلت سدا منيعا في سبيل حصول الفلاح على ثروة كهذه ، فهي لا مشاحة خراب ووبال على البلاد » .

ثم يؤكد الكاتب ان من الوهم تصور امكانية الغاء الاعشار عن طريق المناشدة والمطالبة مع الحكومة ، فهي « تسعى جهدها للمحافظة على المصالح البريطانية في فلسطين » ، ويضيف « ان هذا المطلب الحيوي لا يمكن الحصول عليه الا بالمطالبة الشديدة وبالحملات العنيفة يشترك فيها اهل المدن وسكان القرى سوية » ، ويختم الكاتب مقاله مخاطبا جماهير المدن والريف بقوله : « فباسم الاف الفلاحين وتقدم الزراعة في فلسطين ، وباسم تقدم البلاد عامة وباسم ثروتها ومستقبلها نادوا : « لتسقط تلك الضريبة البالية » .

ج ـ الاستيطان الصهيوني

كان حادث العفولة ، مناسبة تعرض فيها مجلة حيفا وجهة نظرها في بيوع الاقطاعيين العرب للارض وشراء المستوطنين الصهاينة لها ، من منظور طبقي ، ففي ٢٨ تشرين الثاني ١٩٢٤ وقع صدام بين عدد من المزارعين العرب الذين كانوا يتعيشون من زراعة ارض تابعة لال سرسق بيعت للمستوطنين الصهاينة ، وبين فريق من الزراعيين اليهود كانوا قد شرعوا في حراثة الارض ، وقد اصيب في النزاع مزارع عربي برصاص مسدس القته صريعا ، وجرح من المعارك بالحجارة نحو ثمانية من اليهود واثنان من العرب جراحا خفيفة .

وقد علقت « حيفا » على الحادث بقولها (٣٨) : « هكذا ايها العمال ، يبيع سرسق المتمول العظيم في بلادنا اراضيه لاحد المتمولين الاميركيين (الصهيونيين) ... والفلاحين والعملة من عرب ويهود تهدر دماؤهم الزكية بجريرة التملك والسيادة واستثمار منافع تلك القوة المقيدة المستبعدة بهرق الدماء ! .. ان هذا لا يهم سرسق ، ولن يؤثر على عواطفه المتصلبة القاسية (...) فيا فلاحو العرب ويا عمال اليهود ، الم تفهموا بعد كل هذه التجارب والامثال الجارحة القاسية التي مرت عليكم وذقتم مرارة طعمها ، ان اخوة البؤس والشقاء تجمعكم (...) الا اوقفو الخصام وكفوا عن القتال واخلدوا الى السكينة وتعلقوا واعتبروا ان لا نجاة لكم ولا حياة ولا حقوق تحفظ الا بتفاهمكم وانضمامكم وتاليفكم النقابات ضد عموم اعدائكم (...) الا فليفهم عمال الشرق بانه لن يقوم المتمولون الصهيونيون ضد الفلاحين ، ولا الفلاحون العرب ضد العمال

اليهود اذا عرف العمال والفلاحون بدون فرق بين القومية كيف يؤلفون نقابات الصداقة والاخوة يتمكنوا من الحصول على حقوقهم المهضومة في الارض التي هي محط امالهم » ٠

في نهاية المقال اعلاه ، نشرت « حيفا » خبرا عن توزيع الشيوعيين في يافا نداء باللغتين العربية والعبرية حملوا به على ما وقع في حادثة العفولة ٠ وقالت حيفا « ٠٠٠ ولم يكد ينتشر ذلك النداء حتى جرت مناوشات بين العمال والصهيونية فاوقف البوليس ١٢ شخصا حكم اربعة منهم بشهرين وبينهم ابنة لم تبلغ بعد سن الرشد حكمت بالسجن ستة اسابيع وذلك لاتفاقهم مع الحزب الشيوعي ، واما البقية فحكموا بسبعة ايام لاخلالهم بالامن العام » (٣٩) ٠

د ـ في التنظيم الفلاحي :

اما مسألة اتحاد العاملين الزراعيين ، فقد حظيت بمقالة خاصة ، اختتمت بعدد من الاهداف والمطالب ، يناضل من اجلها العمال الزراعيين وينظمون اتحادهم على اساسها فتحت عنوان « ضرورة اتحاد عمال الزراعة » قالت حيفا في عددها الخامس (٤٠) « لما كانت الظروف والاحوال الاقتصادية هي السبب في اتحاد عمال المدن وتضامنهم ، فهي لعمال القرى الداعي الوحيد ايضا ٠ وعدا عن ان اتحاد عمال الزراعة يؤمن بطبيعته ويثبت موقف عمال المدن المتحدين والمتعاضدين في جهادهم الاقتصادي فانه يزيل عن هؤلاء خطر المزاحمة في الاشغال ومعاكسة مساعيهم من قبل عمال الزراعة الغير متحدين ، وذلك لان عدد العمال في القرى يفوق عدد عمال المدن والفرق عظيم بين الاجرة التي يرتضى بها عامل الزراعة (الفلاح)والتي يحصلها العامل المدني ومن هذا يخشى ان تنشأ عن ذلك تلك المزاحمة والمعاكسة المذكورة (٠٠٠) فما تقدم، يحثنا على الاسراع في خوض غمرات هذا اليم للوصول الى النتائج المفيدة والعمل على اتحاد وتضامن عمال الزراعة وتأليف النقابات والرابطات لهم ، ولا تكون المهمة الوحيدة لعمال الاجرة القرويين ، هي ان يحصلوا على مطاليب اقتصادية فقط بل يكون من اكبر واهم واجباتهم معاونة الفلاحين عموما ، وعضدهم والمدافعة عن مصالحهم وحضهم على مشاركتهم في نهضتهم هذه ايضا ، لان اعظم عمال الزراعة في بلادنا فلاحين يشتغلون تسعة اشهر من السنة بالاجرة ويفلحون الارض مدة الثلاث اشهر الباقية على حسابهم الخاص » ٠

« اما عمل الاتحاد فيجب ان يتأسس على المباديء والقوانين الاتية : ١ ـ ان تكون مكافأة عمال الزراعة على عملهم بالنقود وليس بالمحصولات الطبيعية ٠ ٢ ـ ان تعين لهم مدة العمل اليومي والعمل بوجه الاجمال ٠ ٣ ـ ان يكون لارفق بعمال الزراعة ، والاهتمام بظروف حياتهم الاشتراكية قانونيا ، وان تقدم لهم المساعدة الطبيعية ٠ ٤ ـ ان ترفع الاعشار والضرائب عنهم ٠ ٥ ـ ان تعطى لهم الاراضي ٠ ٦ ـ ان يسلفوا نقودا بفوائد صغيرة ٠ ٧ ـ ان يسعفوا بتحسين تربة اراضيهم وذلك بامدادهم بالوسائط اللازمة لذلك ٠ ٨ ـ ان يسعى لتهذيبهم مجانا ٠ ٩ ـ ان ترفع الاشغال الاجبارية عنهم ٠ ١٠ ـ ان تنشأ طرق مواصلات بين المدن والقرى وغيرها ٠ وهكذا يتم لعمال الزراعة ما هم الان في اشد الحاجة اليه » ٠

رابعا ـ في النضال من اجل الديمقراطية وبصدد القوانين المعطلة للحريات

كان الشيوعيون اليهود في فلسطين منذ بداية العشرينات موضع ملاحقة واحتجاز وطرد من فلسطين ٠ وقد طردت سلطات الانتداب بعد احداث اول ايار ١٩٢١ قادة الحزب الى خارج البلاد واستمرت ملاحقة كل من يشتبه بانه شيوعي ، بواسطة قوانين مثل قانون منع الجرائم ٠ وكان هذا شأن الشيوعيين شأن العرب الذين يتصدون لسلطات الاحتلال او الصهيونية ، حيث كان قانون منع الجرائم سلاحا مشهرا فوق رؤوس الجماهير ، تكفي مجرد الشبه او الظن بان مواطن ما قادر على ازعاج السلطة او تهديد الامن ، لكي يساق الى السجن وفق القانون المذكور ٠ وقد استخدمت سلطات الانتداب قانون منع

الجرائم ضد الشيوعيين واليهود المعادين للصهيونية في العشرينات بكثرة مثلما استخدمته ضد العرب في اوقات مختلفة ٠

ان مناسبة هذه المقالات هو اعتقال الشيوعيين واصدقائهم من اليهود الذين قاموا بنشاط معاد للسلطات البريطانية والصهيونية ٠ وذلك قبيل واثناء زيارة اللورد بلفور لفلسطين وابان احتفالات اول ايار ١٩٢٥ ٠

علقت مجلة حيفا على قانون منع الجرائم لعام ١٩٢١ الذي سنته سلطات الانتداب البريطاني في فلسطين اكثر من مرة ، وشرحت ابعاده واهدافه ومخاطره على الحركة الشعبية ، كما تناولت في اكثر من مكان مسألة الحريات الديمقراطية والسياسية للعمال والجماهير ، وعلقت في بعض المناسبات على حقوق ومطالب السجناء السياسيين ٠

(ـ في العدد الخامس عشر (٤١) من مجلة حيفا كتبت تحت عنوان « قانون منع الجرائم» ما يلي : « وضعت الحكومة لبلادنا سنة ١٩٢١ قانونا غريبا لم تحصل بلاد اخرى على شرف التعرف به ، ويعرف هذا القانون بـ « قانون منع الجرائم » فالبوليس بموجب هذا القانون مفوض بالقبض على اي شخص كان من الاهالي متى خيل له ان سلوك الشخص سيء وانه من المحتمل ان يقترف جرما او ان يخل بالقانون ٠ وهكذا فلمنع اقتراف الجرم او الاخلال بالقانون الوهميين يزج البوليس المقبوض عليه في السجن لمدة معينة ان لم يستطع هذا دفع مئة جنيه كفالة ٠ والداعي الاساسي لوضع هذا القانون (بموجب الاوامر المعطاة نوضعه) هو الرغبة في منع هرق الدماء بين البدو حيث كان هؤلاء ولا يزالون ساخطين على الحكومة باغضيها ، وهذا ما دعى الحكومة الى اصدار قانون ضد البدو الثائرين ٠ ولكن الحكومة اخذت في مدد مختلفة تعمل بفقرات هذا القانون ضد من يسخط عليها في بعض المدن الفلسطينية ـ كيافا ونابلس وحيفا والقدس الشريف ـ وفي القرى التابعة لها ايضا ، فقبض بموجب هذا القانون الجديد على عشرات من الاشخاص الابرياء لانهم (حسبما تخيل البوليس) على عزم اقتراف جرم مجهول! (٤٢) ووقت الاحتفالات الصهيونية الاخيرة قبض على عشرين عامل اسرائيلي ليس لجرم اقترفوه بل لان البوليس ظنهم ساخطين على الحفلات البلفورية وفي امكانهم اظهار سخطهم بالقول والكتابة ٠ نحن لا نرى مانعا هنا من التصريح بحقيقة القاء القبض على الستة عشر عامل اسرائيلي في محلة تل ابيب الصهيونية ، بل نروي الحادثة كما وقعت ليطلع عليها الجمهور : وصدر امر رئيس محكمة الصلح نوفاخ (الصهيوني) في تل ابيب لتفتيش بعض مساكن العمال والقبض على من فيها فنفذ الامر ليلة ٢٤ ـ ٢٥ اذار ، اي الليلة السابقة لوصول بلفور الى فلسطين ، وفي الصباح التالي القى القبض ايضا على عدد من العمال اثناء قيامهم بالعمل ، فاصبح عدد المقبوض عليهم ١٦ عاملا ، انهكوا ضربا وقيدوا بالسلاسل الحديدية ومثلوا اخيرا امام القضاء حيث تلي على مسامعهم نص التهمة التالية : قانون منع الجرائم لسنة ١٩٢١، انكم متهمون حسب قول البوليس وبموجب المادة ٣١٢ من القانون المذكور ومظنون عليكم انكم اناس : (ـ فيكم الكفاءة للاخلال بالامن العام وتهديد السلم ٠ ٢ ـ وزعتم او ستوزعون او ستحاولون توزيع (!) مناشير مهيجة تختص بالامور الحاضرة ومن شانها احداث الاضطراب العظيم والحث على الاعتداء بين الاهالي او بين طوائف مختلفة الاديان من السكان ٠ ثم اثار الضابط (هالفون) الى انه اجرى القاء القبض بامر المحكمة ، وانه لم يجد اثناء التفتيش عند احد من المقبوض عليهم سلاحا جارحا او ناريا او ما شاكل ذلك سوى بعض المناشير الغير الرسمية ٠ ولكنه مستعد ان يقدم بعد ثماني ايام من يشهد على ان العمال المقبوض عليهم بامكانهم احداث ما ظنه ٠٠٠ وعلى ذلك بقي العمال في السجن ٠ وقد سأل العمال القاضي قائلين : لماذا يجب ابقائنا في السجن ونحن لم نقم بعمل يخالف القانون ولا يوجد من يشهد على اننا نستطيع احداث ما ظن بنا وليس سوى الضابط الذي قال انه (يستعد) على احضار

الشهود بعد ثمانية ايام ؟ فاجابهم القاضي لا دخل لكم في هذا الامر والمحامي وحده يستطيع القاء هذا السؤال على المحكمة ! ...»

وتضيف مجلة « حيفا » : « سطرنا هذه الواقعة التي حدثت في تل ابيب كمثال لجور القانون المذكور اذ من يعلم اذا كان البوليس في الغد يعتبر كل نشرة او فكرة حرة مضرة ومخلة بالامن فيلقي القبض على كل شخص يراه ملائما لتثبيت نظريته على قاعدة (التشبه والظن) ؟ ... » . وتنتهي مجلة حيفا الى المطالبة بالغاء هذا القانون .

٢ ـ كررت « حيفا » تناولها لقانون منع الجرائم في العدد الثامن عشر (٤٣) فقالت : « جاء في الجريدة الرسمية عدد ١٣٨ انه سيعمل بـ «قانون منع الجرائم» عدة سنوات اخرى . لسنا ندري وايم الحق سبب احتفاظ الحكومة بالعمل بموجب قانون فوق العادة كهذا ، ما زال التقرير الرسمي الذي قدمته الى عصبة الامم يعلن لها ان الامن قد استتب في البلاد ، افلم يتضح لها بعد ان تأجيل الغاء هذا القانون يعرض رجال القانون لان يقترفوا جرائما عديدة لسوء استعمال ذلك القانون ؟ ... » .

٣ ـ وعلقت حيفا في نفس العدد (٤٤) على سجن « المجرمين السياسيين » فقالت : « .. لقد اجابت (الحكومة) انه منذ سنوات عديدة لم يدخل سجونها مجرمون سياسيون مع ان الكل يعلم ان الحكومة سجنت كثيرين من العمال والافراد الوطنيين المجاهدون خلال السنوات الاخيرة ـ عدا الفلاحين الكثيرين الذين سجنوا لعجزهم عن وفاء ضرائب الاعشار ـ فهل لم يكن هؤلاء يا ترى مجرمون سياسيون ؟ او لا يلوف عددهم عن المئات ؟ فكيف يقضي هؤلاء مدة سجنهم يا ترى وكيف يعاملون ، او لم يوضعوا بين الاشقياء من المجرمين ؟ او لم تشغل هذه المسألة يومئذ البرلمان الانكليزي ... » .

٤ ـ وفي نفس العدد المذكور انفا ، نشرت حيفا تقريرا (٤٥) قالت انه وردها بالبريد من جمعية « اعانة العمال الدولية في فلسطين » .

وقد ذكر التقرير انه منذ ٧ ايار ١٩٢٥ قد اضرب اربعة عمال في سجن القدس عن الطعام احتجاجا على الزامهم بالانحناء لأموري ادارة السجن ، والباسهم عنوة لباس السجن . وقال التقرير ان العمال المسجونين قد ضربوا وقيدوا بالحديد في غرفة السجن وكانت ايديهم مصلوبة على حائط الغرفة لمدة ساعتين . وقد اضرب العمال مطالبين : بالتمييز بين السجناء السياسيين والعاديين ، وبعدم الباس السجناء السياسيين البسة السجن ، منع عادة انحناء السجناء للموظفين ، والسماح لهم بمقابلة الاقارب والاصدقاء ، وبالكتابة والتدخين والنوم على الاسرة بدلا من الارض » .

وقال التقرير « انه قد مضى على الاضراب عن الطعام ثمانية ايام ، وان بين الاربعة سجناء عاملين حديثي السن ، احدهما مصاب بالسل ، وان حالتهم سيئة للغاية وخاصة حال المسلول فهي اسوأ بكثير . ونقل التقرير على لسان طبيب السجن قوله لهم : لا بأس ، دعهم يموتون . كما رفض قومندان السجن مطاليبهم وقال انهم مجرمون غير سياسيين .

ثم اضاف التقرير ان الحقيقة هي انه قد حكم على كل منهم بالسجن خمسين يوما لانتماء احدهم الى حزب سياسي غير نظامي ، بمناسبة مجيء بلفور ولبيع الثاني وهو الحديث السن المسلول نشرات نظامية تنشرها جمعية العمال المسماة بالجركونية «اربيتر فراكتسي» . كما حكم على الاثنين الاخرين لانهما وزعا نشرات لبيان انتخابات « نقابة العمال والعاملين » .

وتحدث التقرير المنشور في حيفا عن قيام جمعيات العمال واحزاب ونقابات صناعية وطائفة العمال الاشتراكية وغيرها بالدعوة للاشتراك في الاحتجاج على نظام السجون الحالية وللمساهمة لانقاذ حياة العمال المضربين عن الطعام .

كما تحدث التقرير عن مباشرة الحزب الشيوعي الفلسطيني وجمعية اربيتر فراكتسي « في اعانة المضربين ، كما وعدت

نقابة الخبازين ، وطائفة العمال الاشتراكية بالمساندة • وانتهى التقرير بالحديث عن عدم معرفة الجمعية بما فعلته الجمعيات الصهيونية العمالية لهؤلاء المضربين » •

خامسا : حول تحالف العمال والفلاحين ، والحزب

تميزت الفترة التي كتبت فيها هذه المقالات بانقسام عام في الحركة الوطنية ، بعد فشل محاولات اللجنة التنفيذية للمؤتمر الوطني الفلسطيني في اقناع بريطانيا بالعودة عن وعد بلفور وسياسة انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين • وقد انعكس فشل القيادات الوجاهية في حدوث جزر عام في الحركة الوطنية • وفي فقدان الجماهير ثقتها بالقيادة، وبروز اتجاهات لانشاء احزاب بديلة ومنظمات راديكالية •

يظهر المقال الاول اهتمام الحزب الشيوعي بموقف سكان الريف ، ويحاول ان يوجه الفلاحين لبلورة موقف مستقل عن تأثيرات القيادات التقليدية من الاحداث • فهي من جهة تبدي دهشتها من صمت الفلاحين ويدعوهم للتحرك والتحالف مع العمال في المدن ، كما يدعو هذا التحالف بدوره لقيادة الحركة الوطنية • اما اساس هذا التحالف فهو : « لنسر متفرقين (اي كل في حزب مستقل) ولنضرب سوية » •

ان المقال الثاني يحلل اهمية تحالف العمال والفلاحين ، ويقول ان القيادة هي للعمال • ويشير الى ان الفلاحين هم السواد الاعظم من الشعب لكنه مبعثر وغير منظم ، فيما العمال وهم القلة ، منظمين ومتماسكين •

يصف المقال الثالث ، التمزق الحزبي في البلاد وضعف الحركة الوطنية وينتهي الى الدعوة لانشاء حزب لتحالف العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين « الطبقة الراقية » • ويقترح المقال اسس لهذا التحالف مثل : النضال من اجل استقلال فلسطين ، تحسين اوضاع الفلاحين والعمال المأجورين ،الديمقراطية واقامة مؤسسات تشريعية منتخبة من العمال والفلاحين والشغيلة ، اعادة النظر في الضرائب والغاء الاعشار ، اعادة النظر في السياسة الجمركية ، منح الفلاحين قروض تساعدهم على التخلص من الديون القديمة والفوائد الباهظة ، تنظيم الري ، مد الزراعة بالالات ، حماية حقوق العمل ، العمل ثماني ساعات ، حرية الاجتماعات وحرية تنظيم النقابات والجمعيات ، تعميم التعليم المجاني•

على الرغم من الجوانب الايجابية والمتقدمة في هذه المقالات فانها تشكو من عيوب ،معروفة في الحزب ابان نشأته ، مثل النزعة الطبقوية الصرف في تحليله ورؤيته ، تعسف وفجاجة رسمه للوحة الطبقية • ما يفوق هذه العيوب ، وما يمكن وصفه بانحراف ، هو المكانة المتواضعة للمسألة الوطنية ، اي النضال ضد الامبريالية البريطانية وضد الصهيونية والاستيطان والهجرة • وهذه سنعود اليها في نهاية الدراسة •

١ ـ حول الموقف السياسي للفلاحين :

في مقال افتتاحي بعنوان « كيف تنهض الامم ؟ » تحدثت « حيفا » في العدد السابع، (٤٦) عن الانقسام الحزبي والسياسي في البلاد وعن حاجة الفلاحين لتنظيم حقوقهم والتعبير عن مصالحهم باستقلال عن « الملاكين والاغنياء والتجار » ودعت الى تحالف العمال والفلاحين في فلسطين قائلة « ... وانه ليدهشنا من الفلاحين السكوت عن ذلك ، كأن لا منافع لهم تدعوهم الى النهوض بانفسهم ، أفليس للفلاح مهمة اخرى غير التسليم ؟ اليس للفلاح مصلحة يخصص لها كل قواه كي يمنع الاخرين من امتصاص دمه وسلب ماله بواسطة الاعشار والضرائب المفروضة عليه •

« ... يجب ان يكون سعي كل مخلص لانقاذ الشعب وتحريره من ربقة الاستعباد بانشاء مجموع متحد كجيش وطني مرصوص، وعلى هذا النمط تحصل على فوائد كبيرة ويكون نجاحنا عظيم جدا • ولايجاد هذا الجيش القوي يجب قبل كل شيء تأليف قوة عامة لان نهضة الملاكين والاغنياء والتجار الوطنية غير صالحة ولا كافية لقيادة الشعب في الطريق

الحقيقي للغاية المشتهاة لان هذه النهضة تنقصها الجسارة والجرأة والمبادىء الصحيحة وثقة الشعب ، وهكذا فان القسم الاكبر من الشعب والاكثر شقاء وبؤسا واستعبادا ، وهو العمال والفلاحون، وهم الصالحون للقيام وتصدر النهضة الوطنية » .

ب ـ الاساس الموضوعي لتحالف العمال والفلاحين

في العدد ١٣ عادت حيفا في افتتاحيتها « قوة النهضة » (٤٧) لتعالج مسألة الضعف العام الذي يسمم الحركة الوطنية في فلسطين، والازمة التي تعانيها بسبب من قياداتها وزعمائها واحزابها . وقالت « حيفا » ان « افتقارنا واحتياجنا الى حزب نافع عامل هو الالة الجوهرية لكل نهضة (اشتراكية) صرفة » ، وبعد ان تشير الى كثرة الاحزاب في فلسطين على قلة جدارتها باسم الاحزاب تقول : « اما الحزب الحقيقي فهو من يتناسب وبرنامجه مع السواد الاعظم من الشعب ، وحددتهم بـ « الفلاحين والعمال »: وقالت عنهم: « يمثل فلاحو بلادنا الثمانين في المئة من الشعب الفلسطيني وهم عائشون في ادنى من الذل والهوان ... اما احزابنا الوطنية فلا تبالي بتلك المصائب والنكبات ... » .

« يفتقر الفلاح هنا الى الاتحاد والتضامن مع ابناء طبقته ليسير نحو مراعي الحياة الطيبة فتراه يعيش لنفسه بنفسه منفردا مبعثر القوى ، تبعده طبيعة الحال ـ كسكناه « في القرى والتزامه مجلات اقتصاده الصغير الضيقة ـ عن المجتمع فيحيا منفصلا (...) وبقطع النظر عما للفلاح من الصفات الحسنة، فهو غير كفؤ للقيام بتوحيد طبقته وتنظيم صفوفه ، وهذا ما يفرض على العامل ان يأخذ على عاتقه الاهتمام بامر ذاك المسكين الخاسر، ويبلغ عدد العمال المنتظمين في ذلك الاتحاد الخمسة عشر الف عامل ، ولما كان هذا العدد قليل جدا لا يستطيع وحده القيام بالفروض والواجبات ، التي يرتكز عليها اتحاده فهو يرغب ويسعى الى ادماج الفلاحين معه في انتظامه واتحاده ليصبح الفريقان معا قوة واحدة عظيمة يعضدها الفلاح بعدده والعامل بهيئته العاملة المنظمة ... »

ج ـ حول الحزب :

عادت « حيفا » في عددها الثامن عشر (٤٨)، لتدعو مباشرة العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين ، « الطبقة الراقية » حسب تعبير المجلة الى الانتظام في حزب واحد . فتحت عنوان « اسسوا حزبا صحيحا نافعا » قالت افتتاحية العدد المذكور : « لا تمر علينا ليلة واختها ولا تفاجؤنا الاخبار بولادة حزب جديد وقماطة برنامج عمل جديد ، ولفافاته خطة جديدة ، ومصالح شخصية حديثة . حتى بتنا نخشى ان يؤلف كل ثلاثة اشخاص او اربعة منا حزبا ، لان العائلات اخذت تنقسم الان الى عدة احزاب فالاب مثلا الى حزب والام الى حزب والولد الى حزب وهلم جرا .... فكم يكون الفرق عظيما بين حالتنا الحاضرة وحالتنا المرجوة لو كان سواد الشعب الاعظم اي العمال والفلاحين والطبقة الراقية بحالة منظمة موحدة تمثل قوة عظيمة قادرة على صوغ المشيئة من الشعب واقتياد تأثيراته في الجهاد شاعرة معه في ضيقه والامه واحتياجه . لقد وصل الامر بنا الى حالة لا نستطيع احتمالها فعلينا ان نضع حدا لهذه الفوضى السياسية وان ننظم امورنا فنؤسس لنا حزبا حقيقيا نافعا يمثل الشعب باسره ... فيجب ان يتألف هذا الحزب من العمال والفلاحين ، وان يعمل بموجب برنامج يوافق هذه الطبقة العاملة ،وبما ان الحزب المؤلف هو الذي يضع خطة فلا يسعنا الا ان نشير هنا الى بعض القواعد الاساسية التي يجب ان يقوم عليها هذا البرنامج . وتلك القواعد هي الاهتمام بحاجيات الفلاح الفقير ورفع مستوى العامل المأجور ، ويكون من اول واجبات هذا الحزب الجهاد في سبيل استقلال فلسطين والحصول على المطالب السامية الديمقراطية وتنظيم هيئات تشريعية ينتخبها العمال والفلاحون والمأجورون للعمل دائما ، الذين يمثلون السواد الاعظم من الشعب . ومن اهم الامور المطلوبة منه ان ينال التصريح الرسمي بحرية الاجتماعات وحرية تأليف النقابات والجمعيات الخ . وان ينظم العمال

على اساس التهذيب الشعبي ، ويطالب بفتح المدارس المجانية لتعليم الشعب وتهذيبه بالعلوم والفنون » ٠

سادسا : في المسألة الوطنية والتحرر الوطني والاستقلال

على الرغم من صعوبة استخلاص ملاحظات اساسية وافية من هذه المقالات حول فهم الحزب للمسألة الوطنية وقضايا التحرر الوطني والاستقلال ، اذ هنا تبرز الحاجة للبحث عن الاعداد المفقودة من « حيفا » ، فانه من الممكن القول انها تنقل بضعة اتجاهات رئيسية :

ـ فالمقالات تنتقد القيادة الوطنية الفلسطينية (اللجنة التنفيذية وموسى كاظم الحسيني) من عدة زوايا ٠ ففي المقالة الاولى نقد لاستمرار نهج الاعتماد على الاتصالات مع الملوك العرب (هنا الشريف ـ الملك حسين) والاتصالات الدبلوماسية وحث على الاعتماد على الجماهير ٠ اما المقال الثاني ، ففيه شرح للسياسة البريطانية في المنطقة بمناسبة زيارة بلفور الى فلسطين ، ونقد القيادة هنا هو في استمرار اساليب العمل التقليدية المراهنة على تغيير موقف بريطانيا عن طريق المناشدة ٠ (نقد نشر المقالات الانكليزية في الصحف العربية في فلسطين ٠ كذلك ثمة نقد لما يلمس كتحريض طائفي ، او حسب تعبير المجلة : « تهييج قسم من السكان على الاخر » ٠

ـ على ان هناك دعوة لنبذ الفرقة وحث للعمال والفلاحين على الاشتراك في الاحتجاج الذي دعت اليه اللجنة التنفيذية ، واستحسان لاعلانها عن الاحتجاج ٠ اي ان موقف المجلة يعبر عن خط نقد ـ تضامن ٠ وان كان النقد يفوق ما يلمس من تضامن ٠

ـ هناك شكوك في جدارة القيادة ، وهناك قناعات بعجزها ٠ ودعوة لها لزيادة التصاقها بالجماهير العمالية الفلاحية ٠ وفي مقابل ذلك ، تشدد المقالات على بضعة مسائل اساسية مثل ضرورة قيام « عصبة » ، « رابطة واسعة » من العمال والفلاحين ، اي الحزب ٠ وكذلك دعوة « لتأليف نهضة وطنية موحدة » تصفها بوحدة « دون ميزة بين منتصر ومدحور » و « حزب الشعب الصحيح والقويمة السير » ٠ وتعني بهذه « العصبة » و « النهضة » ، « الحزب » ٠: العرب واليهود على السواء ٠ وقد جاء هذا في نهاية تقييمها للموقف المحلي من زيارة بلفور (المقال الثالث) ٠ وملخصه هو فشل صهيوني مصحوب بضجيج اعلامي ، ونصر عربي غير مكتمل ، وعدم اكتماله ناشيء عن الافتقاد للقيادة الوطنية الكفؤة ٠ في المقالات ادانة للصهيونية ونقد للاتجاهات الشوفينية في صفوف القيادة العربية ٠ واخيرا هناك موقف ضد الهجرة الصهيونية الى فلسطين ٠

١ ـ نقد القيادة الوطنية :

تحت عنوان « كفى التوكؤ على عصا مكسورة » (٤٩) تعليقا على زيارة موسى كاظم الحسيني وبعض اعضاء اللجنة التنفيذية للمؤتمر الوطني الفلسطيني للملك (الشريف) حسين للتفاوض معه فقالت : « كنا نأمل ان نرى ممثلي امتنا وقد تتبعوا حوادث الاشهر الاخيرة ان يكونوا اقتبسوا منها ما يعود على سياستهم وعلى القضية العظيمة بالفائدة ، غير ان امالنا بذلك خابت ولم يتحقق ما كان يخالج نفوسنا المضطربة في التخيلات والاوهام الذهبية ، اذ ظهر لنا اخيرا بان رؤساء نهضتنا لم يعتبروا بالحوادث الحديثة العهد ، ولا يزالوا متمسكين بخطتهم السياسية العوجاء » ٠

ثم تتساءل عن العمل الذي قام به الملك حسين وانجزه طيلة مدة قيادته للامة العربية التي اعتبرته منقذا لها من نير العبودية والسيطرة الاجنبية ٠ كما تتساءل عن المبرر للمقابلات والمفاوضات الجديدة معه ٠ وقالت « ان الحسين لم يكن لامته مرة ركنا وسندا متينا قط ولا في مدة عظمته وسطوته ، فكم بالحري وهو كالعصا المكسورة لا امل به ولا رجاء » وتضيف « ان للفلاحين والعمال الحق ان يطلبوا من موسى كاظم ورفاقه جوابا

صريحا على السؤال التالي هو : ما الـــذي فعلتموه عند الحسين الملك السابق » ؟

وتقول « حيفا » : « كفى الاعتماد على رجال عظام والامل بامراء وملوك ٠٠ يا زعمـــاء نهضتنا لان للرجال العظام كالحسين وفيصل وعبد الله شهية قوية (للبلع) ولا اهميـة عندهم للناس الضعفاء البسطاء وطريقكم هذا لا يؤدي الى الحرية ، ولا يجب علينا ان نبحث عمن يساعدنا في نهضتنا بتلك الديار اذ (لا يحك جسمك مثل ظفرك) ٠ فـــلا من يساعدنا غير اتحادنا وانضمامنا وبـذل جهدنا في سبيل العمل الحر ! واننا نقول لاولئك الذين يتجولون في البلدان ويطرقون الابـواب العالمية في طلب المساعدة (٠٠٠) لا تتحملوا عناء السفر في الطريق البعيد المؤدي الـى الحسين وغيره ، بل اقتربوا من الشعـب وتنازلوا لاستشارته واطلبوا المساعدة مـن جماهير العمال والفلاحين ، بعد ان تخففـوا الامهم وتتمموا مشيئتهم فتهتدوا الى السبيل الذي بحثتم عنه طويلا (هذا اذا كنتـــم مخلصين) ٠ ان حرية الشعب تخص الشعب فقط ، وسيكون اتحاد العمال والفلاحيـن اقوى زعيم وانبع قائد في الجهاد نحو سبيـل الحرية والاستقلال ! » ٠

ب ـ تحليل للسياسة البريطانية ودعـوة للاحتجاج ضدها

وبمناسبة قدوم بلفور الى فلسطين كتبت « حيفا » في عددها الرابع عشر تقول (٥٠) : «فكرت انكلترا في ايجاد خطة تمكنها مـن التنفذ في الشرق والتسيطر التام عليـه فاتبعت خطة تتطلب القيام بامرين في هـذا السبيل ، فالامر الواحد هو ابعاد مزاحمتيهـا (اميركا ، وفرنسا) عنه ، والثاني تأميـن سياستها ونفوذها بين اهله ، وقد حاولـت انكلترا حل هذه القضية اثناء الحرب وبعدهـا على طريقة مزدوجة ناهجة منج (اشبـاع الذئب دون ان تمس النعجة بضرر) فنصبـت لذلك عروش ممالك عربية جديدة في العراق وشرق الاردن والحجاز ورفعت عليها ملوكا ثم احاطت تلك الممالك بسدود ثابتة منيعـة خوفا من شره اصحاب الحكم فيها في المستقبل فسدت السبل في وجه هذه السلطات العربيـة التي لا يتمكن منها ضم المقاطعات الاخرى الى ملكها واضعة فرنسا في سورية محصنـة فلسطين بوعد بلفور ٠

« ٠٠٠ يقدم بلفور الى بلادنا ليتظاهر ويعلن ان تصريحه الورقي اقوى من ارادة الشـرق العربي باسره ، وما مجيئه سوى مظاهـرة انكليزية ضد النهضة الوطنية العربيـة ٠ فليعلم كل مخلص يريد حرية الشعب ان مـن واجباته المقدسة نحو الامة وان كان رأيه يختلف عن رأي اللجنة التنفيذية ان ينبذ الان كـل ما فيه ضرر للشعب ولسنا نخال السـواد الاعظم من الشعب العربي الا مدرك اهمية موقفه امام ذلك » ٠ وفي الوقت الذي ندعـو فيه العمال والفلاحين الى الاشتراك بالاحتجاج في هذا نرى من اهم واجباتنا الفات نظر اللجنة التنفيذية الى ضعف بصيرتها ، فهي لم تزداد للان رشدا وادراكا ومعرفة بالامور ولا تزال ترى في الواقع امرا سياسيا ليس الا بانيـة امالها على شعور اللورد القادم واحساساته »

« ما هو المرمى الذي تبتغي اصابته بقرارها ان تصدر الجرائد العربية يوم قدومه بمقالات انكليزية ، ولمن يريد ابناء قومنا الوطنييـن تقديم عرائضهم هـذه ؟ ألـى لـوردات الانكليز ؟ الا فليعلموا اكيدا ان هؤلاء يحفظون في مكاتبهم السياسية بيانات صافية عـن الحالة في بلادنا هي اكثر دقة من تصريحاتكم واحتجاجاتكم بالمقالات الانكليزية التي ترغبون نشرها او نأمل بكتابة شكاياتنا في اللغـة الانكليزية للقراء الانكليز (كي) يقرأهـا اللوردات وارباب المناصب منهم فيشفقون على الشعب والامة العربية ؟ ما اتفه هذه الفكرة ! ان ارباب السياسة الحاليين في الدول الاوروبية قد شاهدوا اكثر من دموع عربية في مقـالات انكليزية ، فيوجد في باريس ولندن وغيرهـا من المدن والعواصم مئات الالوف من الارامل والمليين من مشوهي الحرب وعشرات الملايين من اليتامى الذين يملؤون منفسحات الشوارع ولم يكن احد هؤلاء الرجال العظام ليرتعش جفنه عندما كان يصدر الاوامر للحـروب الجديدة التي تتطلب ضحايا جديدة ٠ افتريدون

انتم الان ان تؤثروا على عواطفهم بمواهبكم ومهارتكم في الكتابة (باللغة الانكليزية) ، ابساطة هذه منكم ام هناك شيء اخر ،

« تكلموا مع الشعب ، مع الفلاح والعامل وليس باللغة الانكليزية الفصحى بل باللغة العربية العامية ، لغة ابائكم واجدادكم ولا تهتموا بتنميق عبارات السياسة البليغة بل سطروا له كلمات بسيطة عادية منقولة فيقرأ ويسمع ، ويفهم ويعمل ، ثم فما هو القصد من الكتاب الذي بعثت به ايتها اللجنة التنفيذية الى الحكومة والى ماذا ترمي تلك العبارات الغامضة التي تضمنها ؟ افيدينا ! ! ، هل تتوهمين ايتها اللجنة ان من تهييج قسم من السكان على الاخر تجنين فائدة ؟ او تحاولين بذلك اخفاء ما انت عليه من الضعف فترغبين السير بكفاحك في طريق غير الذي يجب أن يسار عليها ، »

وخلصت الى القول : « لا يستطيع الافراد وحدهم ان يحصلوا على شيء ضئيل مهما كانوا على جانب كبير من الفطنة والذكاء ، ومهما كانت الجماعات الفردية باسلة وشجاعة فهي لن تحصل على بغيتها ما لم تصوب نظرها نحو الجهد والوقت في سبيل تنظيم نهضة عظيمة قديرة من الشعب ، برمته ولذلك نحن ندعوكم الى تنوير الشعب وتنظيم شؤون الفلاح والعامل وتأليف عصبة من كافة العمال والفلاحين ، اما الاحتجاج عند مجيء بلفور فيجب ان يكون بالعمل الافتتاحي المنظم لانشاء رابطة واسعة من عمال وفلاحي بلادنا على خطة منظمة مرتبة » ،

ج ـ تقييم الموقف المحلي من زيارة بلفور

جددت مجلة حيفا حديثها عن زيارة بلفور لفلسطين في عددها الخامس عشر ، فكتبت تحت عنوان « ماذا علمنا الاحتفاء ببلفور في فلسطين (٥١) :

« كانت الايام الواقعة بين ٢٥ اذار و ٥ نيسان ولا شك « ايام بلفور » في فلسطين ، والغريب انها امتازت بتأثيرها المزدوج على عواطف سكان هذه البلاد امتيازا لم يكن له شبيه في تاريخ الانسانية منذ تكوينها ، لانها كانت للاقلية الضئيلة من السكان ايام فرح وغبطة واحتفال بمعبودها بلفور ، وللسواد الاعظم منها ايام حداد وحزن هاجت فيها عواطفهم وتفاقم غضبهم المقدس،كانت ايام احتجاجات رفعت على بلفور ضد مجيئه الذي كان سببا لاشتعال نيران البغض والحنق في صدور من قضى عليهم بحكمه الجائر المجرد من الانصاف والحق والعدل والانسانية، فهل اعتبرنا بما علمتنا اياه الايام ، وما هي الدروس التي القتها علينا ،

ان من يريد استقصاء الحوادث والاعمال التي جرت بمناسبة وجود الزائر (المحبوب من القلائل) والمكروه من الاكثرين عليه ان يتحرى اعمال الطرفين اللذين رأى كل منهما ان من صالحه وواجبه القيام بها اثناء تلك الزيارة ،

والسؤال الاتي ولا ريب يتردد في اذهان الجميع من الطرفين ان هل تمكن الصهيونيون من التظاهر السياسي كما رغبوا ام لا ؟ والجواب على ذلك من جهة اولى : كلا ومن جهة اخرى : نعم واليك الايضاح : شاء الصهيونيون للزيارات التي سيقوم بها معبودهم المخلص بلفور في فلسطين صورة تجعل الزائر يعتقد ان الزيارات ليست سوى تخليد ذكرى النصر العظيم الذي حازوه واحتفاء بشخصيته المقدسة ، فيقتنع بلفور ان فلسطين بلاد صهيونية والعرب فيها لا شيء في نظرهم ، وليس من حال يحوجهم الى ان يحسبوا لهؤلاء حسابا ، ولكن سرعان ما خاب امل الصهيونيين من هذه الوجهة لان الرياح لم تجري كما تشتهي سفنهم ، فتل ابيب رغما عن انها محلة صهيونية محضة لم تستطع المجاهرة بمقاصدها واجراء ما عزمت عليه بالبراهين الا بعد صعوبات عديدة ومصادرة منازل مختلفة وتسليم بعض سكانها الى ايدي الشرطة ، فتأمل ؟

« ان اجهل طبقة في الشعب متهيئة لان تدرك مصالحها وهي تفهم واجباتها في مثل تلك الاحوال وتحترمها حق الاحترام ، وقد برهنت لنا على ما تقوله عجوزا عربية يفوق سنها عن السبعين سنة لم تجهل امر امتها اذ سمعناها تقول : ان « فلفور » (وهي

تعني بلفور) عدو الشعب العربي باسره ٠ أ
« ٠٠٠ ان خلاصة ما تقدم هي : لقد برهنت لنا حادثة مجيء بلفور انه في الامكان دخول قضيتنا في طور النجاح لو شئنا حقيقة ان نعمل ٠ ودلتنا المجريات على امكان تأليف نهضة وطنية موحدة ٠ وضرورتها لنسمو بها الى الحرية ٠ وقد دعانا هذا صراحة الى واجب تأليف وحدة دون ميزة بين منتصر ومدحور ٠ فالشعب وحده يجب ان يكون المنتصر ٠ ولهذا نوجه ندائنا الى محبي الامة والمخلصين للنهضة الوطنية ان اقدموا على تأليف حزب الشعب الصحيح والقويم النسير » ٠

د ـ من اجل اتحاد العمال والفلاحين ضد السياسة البريطانية

وبمناسبة تعيين اللورد بلومر مندوبا ساميا على فلسطين كتبت مجلة « حيفا » في عددها الثاني والعشرين تقول (٥٢) : « لقد وصل مندوب سام جديد لفلسطين وكم من جريدة تغنت بحسن مقاصده نحو سكان هذه البلاد ٠ على انه لا يخفي ان جناب اللورد بلومر وان يكن سبق له الخدمة في مستعمرات اخرى ، ولكنه لم يحل فلسطين قبل هذه المرة ٠ فهو على ذلك لا المام له بموقف هذه البلاد ولا علم عنده بمطالب اهاليها ٠ فما اتى الا ليحكم عن الحكومة الانكليزية ، ولكي يحول فلسطين الى قاعدة حربية خدمة لمصالح بلاده في الشرق الادنى ٠

قد يوجد من يؤمل ان اللورد بلومر سيهتم بمطاليب الاهالي الوطنيين على ان كل من له اقل علم بالسياسة البريطانية في المستعمرات وفيما يسمونه البلاد التي تحت الانتداب يفقد كل امل كهذا ، فما اللورد الا موظف بريطاني يعمل للسياسة البريطانية ، وعليه ستبقى مطالبة الامة العربية لاستقلالها كما كانت غير ملتفت اليها ٠ وبالتالي ليس في وسع اللورد بلومر ان يلغي « وعد بلفور »٠ قد يمكنه ان يسند بعض المراكز العالية الى بعض اكابر العرب غير ان مزايا الصهيونية ستبقى نافذة المفعول ومعمول بها كانها جزء من السياسة البريطانية ٠ »

وخلصت الى القول : « يجب ان يدرك المندوب السامي الجديد على الفور ان اهالي فلسطين يطالبون بكامل حقهم السياسي وانهم يطلبون حكومة خاصة تكون من الشعب فتحمي طبقة العمال من الاجحاف بحقوقهم كأن لا تزيد ساعات العمل عن ثمان في اليوم ، وان يسن قانون يقيهم شر الحوادث ويقرر اجورهم تبعا للظروف والاحوال وبان تلغى ضريبة الاعشار عن طبقة الفلاحين وفوق ذلك يقدم لهم كل مساعدة تعينهم في الزراعة وتمنح لهم المساعدات المالية ٠ على انه هيهات ان تحقق هذه الاماني اللهم الا بجهاد عظيم واتحاد في الصفوف فعلي بين جميع العمال والفلاحين في فلسطين ٠ فان اللورد بلومر ما جاء فلسطين الا للمحافظة على المصالح البريطانية (٠٠٠) وهذه هي يا عمال فلسطين الطريقة الوحيدة التي بها تحصلون على نتيجة مرضية ويفتح امامكم مستقبلا زاهرا غير هذا الحاضر الكرب » ٠

هـ ـ حول موقف القيادة الوجاهية من المسألة الوطنية :

في نقد للجنة التنفيذية للمؤتمر الوطني الفلسطيني ، كتبت « حيفا » في عددها الثالث والعشرين (٥٣) مقالا تحت عنوان : « احقيقة انهم يعبرون عن ارادة الشعب ؟ » قالت فيه : « عندما سأل اللورد بلومر هيئة اللجنة التنفيذية عمن ينوبون وباسم من يتكلمون اجابه موسى كاظم معجبا : « بالنيابة عن الامة العربية » ٠ لا شك ان لجنة تنفيذية ينتخبها مؤتمر عربي لا بد وان تمثل هذا المؤتمر عامة وبالتالي الامة ايضا ٠ غير اننا لو طالعنا الخطب التي نشرها مندوبو اللجنة التنفيذية مخاطبين اللورد بلومر ورددتها جريدة « فلسطين » بتاريخ ١٦ اكتوبر « (تشرين الثاني)لا يسعنا الا الاقرار بان هؤلاء المندوبين قد اساؤا استعمال قوة انتدابهم والمسؤولية التي تسلموها من سكان فلسطين العرب ، فمتى يا ترى اعترف الوطنيون بالانتداب البريطاني على البلاد ؟ ومتى قبلوا تجزئة فلسطين وسوريا ؟ وفي اي زمن رفضوا طلب الاستقلال التام ؟ اننا لا يمكننا ان نذكر منهذا

شيئا مطلقا فانه لا توجد رغبة ما تتأجج في قلب كل عامل وفلاح فلسطيني ، ولا أمل يتوقد بين الاضلع اكثر من امل الحصول على الاستقلال التام والوحدة مع سوريا وتكوين حكومة خاصة وطنية بدون اي تدخل او مراقبة اجنبية ، على ان مندوبي اللجنة التنفيذية ما ذكروا مطلقا ولا صرحوا ابدا بهذه المطاليب الاولية والجوهرية ، فانهم يتحدثون متصاغرين وبكل جبن امام المندوب السامي كأنهم مثلوا امامه لا ليطالبوا بحقوق امة مهضومة بل ليسألوا هبة وعطية او يطلبوا رحمة ، ان عمال وفلاحي فلسطين لا يرجون ولا يشحذون ما هو حقهم وملكا لهم وهم لذلك ينكرون على المندوبين ذلتهم وتصاغرهم ،

« اي وطني كان مهما كانت شدة كراهيته للصهيونية ، ومهما بالغ في معاداتها ومعاكستها لا يمكن ان يقر تلك الكلمة المشهورة التي فاه بها احد المندوبين وهو راغب الامام الا وهي : « نحن لا نتذمر لو جاء البريطانيون انفسهم وسلبونا ما ارادوه ، فقط الا يحكمون فينا قوما اجانب » ، انكم يا راغب الامام ويا ايها المندوبين لفي غلط مبين فان العامل والفلاح الفلسطيني لا يرضى بان يسلب او يغتصب من اي كائن كان ، ان بريطانيا او صهيونيا ، كان الواجب على المندوبين ان لا يسمحوا بان يفاه بكلمات مثل هذه بالنيابة عن اللجنة التنفيذية ... »

و ـ ضد الهجرة اليهودية الى فلسطين

نشرت « حيفا » الخبر التالي ، تحت عنوان « حكومة السوفيت تقاطع المهاجرة الى فلسطين » (٥٤) « تذكر الاخبار .. ان الحكومة الروسية حكومة العمال والفلاحين اعطت مبلغ ٤٠٠ الف روبل ذهب لاجل مشروع توطن الاسرائيليين في القريم وهذا القسط الاول من المليون الذي وعدت بدفعه في سبيل هذا المشروع» ،

ثم علقت المجلة في اسفل الخبر على النحو التالي وباسمها : « حيفا » : ان الحكومة الروسية هي الوحيدة التي اعترفت منذ الابتداء بخطر الفكرة الصهيونية لفلسطين ولعمالها وفلاحيها خصوصا وهي بذلك ولا تزال تبذل كل ما لديها من الوسائط المادية والمعنوية في احباط المساعي الصهيونية ولا عجب في ان الصهيونيين في هذه البلاد يقشعرون لذكر روسيا وحكومتها وينقمون على من ينتمي اليها ويسعى في تنفيذ خطتها هذه » ،

ان هذاالتعليق يكاد يكون الوحيد في اعداد المجلة التي في ايدينا ، يتناول الهجرة اليهودية بوصفها خطرا على « فلسطين وعلى عمالها وفلاحيها » ،

سابعا : تقييم عام لمجلة حيفا

(سياسة الحزب الشيوعي كما عبرت عنها مجلة حيفا ١٩٢٥/٢٤) ،

قبل ان نشرع في تقييم مجلة حيفا ، خطا ونهجا ، لا بد من الاشارة الى اننا ما زلنا بحاجة الى معرفة موثوقة عن كيفية اصدار المجلة ، فنحن لا نعرف عن كتابها ومحرريها شيئا ، اذ لا توجد توقيعات صريحة ، يهمنا ايضا ان نعرف حجم المساهمة العربية في المجلة ، فالغموض الذي ما زال يكتنف الاعضاء العرب في الحزب في فترة التأسيس لم ينجل الا قليلا ، وهو يزيد في تعقيد وصولنا الى معرفة دور الكوادر العربية في تحرير المجلة ، ان احد وثائق الكومنترن (٥٥) بصدد تقييم انتفاضة ١٩٢٩ وموقف الحزب الشيوعي الفلسطيني ، تشير في معرض نقدها اسلوب التعريب فيه ، الى ان الحزب قد فسر عملية التعريب كعملية « ضم الية لعدد من الرفاق العرب الى اللجنة المركزية » ، متى كانت عملية الضم هذه ومن هم هؤلاء ؟ كما ان تقارير الشرطة لعام ١٩٢٤ تشير الى وجود عضو عربي واحد في الحزب والى ٨ اعضاء عرب عام ١٩٢٥ (٥٦) ،

من الاسئلة التي تطرح نفسها ، هو هل كان صدور المجلة بتوجيه من الكومنترن ؟ هل هو بقرار من الحزب ؟ باتفاق منه مع صاحبها؟ اننا لا نملك معطيات دقيقة تجيب على هذه الاسئلة ، لكن كل هذه الثغرات التي تنتظر الملىء لا تلقي ظلالا او تشكك في ان المجلة هي مجلة الحزب ، وان نهجها وخطها يعكس رأي

الحزب الشيوعي الفلسطيني . ان النقص في المعلومات تضعف فقط الافتراض الذي نحن بصدده وهو وجود مساهمات عربية في المجلة تتجاوز حدود الترجمة . ونستقي هذا الافتراض من بعض الاختلافات في المواقف . ومن السمات البدائية للتحليل السياسي التي تتسم بها عدد من مواد المجلة : اشتراكيتها البدائية ، سماتها الانسانوية الرومانسية ، ضعف علميتها . اما طبقوية المعالجة والرؤية، نزوعها اليساري الفج والحاد فنراه سمة عامة في الحزب وخطه ورؤيته .

نجد تطابق المجلة مع خط الحزب الشيوعي الفلسطيني انذاك في النقاط التالية :

اولا : التوجه العمالي ـ النقابي الصارخ في المجلة . والنزعة الاقتصادية التي تطبع المجلة ، وتعبيرها الاساسي : تغليب التحريض والتشهير من خلال حديثها عن العمال والعمال الزراعيين والفلاحين ، والتوجه والدعوة لبناء منظمات طبقية اقتصادية ، وهذا ما ميز خط الحزب في مرحلته الاولى .

سمة التحليل السياسي ، هي التوجه الطبقي والتحريضي الطبقي الصارخ . رسم صورة نظيفة وصافية للطبقات تتفق مع ما في الحزب من نزوع ذاتي لرؤية ما لا يرى ، اي لرؤية ما يتمنى ويسقط على المجتمع من تحديدات صارمة .

هذه السمات ، كما سنبين ذات جوهر يميني ، رغم لبوسها « اليساري » ، « الطبقي » . ونجد هذا الجوهر اليميني في التوجهات الاقتصادية ـ التريديونيوبية « النقابية » ، التي تتساهل في التحريض على العمل المشترك ، المختلط بين العمال العرب واليهود ، وتتصلب ازاء الطبقات الاخرى ، مثل الدعوة لعدم الاهتمام « بالسياسة » و « العقائد » في النضال الاقتصادي للعمال .

ثانيا : توافق عناية المجلة بالحريات الديمقراطية ، والتصدي للقوانين المعطلة لها ، مع ما فيه من ضرورة مبدأية ، مع تعرض الحزب الشيوعي الفلسطيني انذاك للاضطهاد السياسي والمادي من السلطات البريطانية والصهيونية على حد سواء . فمادة المجلة ازاء هذه المسألة مرتبطة مباشرة بهذا الاضطهاد . وكانت الموضوعات ذات قيمة تحريضية للجماهير من اجل لفت نظرها لما يتعرض له الحزب في موقفه من السلطات ومن الصهيونية .

ثالثا : النزعة « اليسارية » في الدعوة للتحالف الطبقي : « العمالي الفلاحي » والموسع اخيرا ليشمل « المثقفين الثوريين » او « الطبقة الراقية » . يتفق في المجلة مع خط الحزب من قبل ومن بعد (من بعد : « شعار حكومة العمال والفلاحين ») .

رابعا : التشدد ازاء البرجوازية والملاك والوجهاء والموظفين الكبار ، هو في خط الحزب، كما في خط المجلة ، وهو سيستمر الى ما بعد . ويتغذى من تأثيرات الخط العام للكومنترن مع تحويرات محلية ذات انحرافات خطيرة . هذا التشدد لا يعبر عن نفسه فقط في الاطار الوطني ، وانما ليبرز في مواقف المجلة وتحليلها للوضع في مصر وسورية والبلاد العربية الاخرى وفي العالم . ويتفق مع خط الاحزاب الشيوعية العربية الاخرى (خاصة في مصر) .

خامسا : في معالجات المجلة للمسألة الوطنية ، وفي تناولها « الطبقوي » اليساري، تعميمات غير مستساغة وغير مقبولة عن المسألة الوطنية ، كرؤية الصراع في فلسطين كصراع بين الرأسمالية العربية والرأسمالية اليهودية . والذي ليس للعمال والكادحين من العرب واليهود مصلحة به . هذه الرؤية في المجلة تعكس انحرافا خطيرا . فهي تطرح وتعمم مقولة عامة « كلاسيكية » عن موقف الطبقات العليا ، بدون ان تعكس القيمة النوعية الخطيرة للصهيونية كغزوة امبريالية، وبدون ان تؤكد على تلازم وتحالف الصهيونية مع الامبريالية البريطانية . وهو تلازم نبهت اليه وثائق الكومنترن مبكرا ، ثم اكدته في وثائق ١٩٢٩ وما بعد .

ان « حيفا » كما هو الحزب الشيوعي

الفلسطيني انذاك ، قد عالجت التناقض مع الامبريالية البريطانية كتناقض رئيسي ،وهذا صحيح ، لكن الطرح كان « صافيا » ، فلم يجر الربط بين الامبريالية البريطانية والصهيونية بقوة واحكام ، اي ان الميزة العيانية المحددة ، لوضع فلسطين ، لم يوضع في الاعتبار في التحليل انذاك ،

مما مر نلاحظ ان المجلة تمثل خط الحزب الشيوعي الفلسطيني ، فاذا تجاوزنا ما في مقالاتها من فجاجة وبدائية ، وسمات عدد من مقالاتها الانسانوية ، الرومانسية ، او الطبقوية الحادة جدا ، نجد في ثنايا المجلة خط الحزب ومواقفه انذاك ، فالمجلة اذ اجاز التعبير ، تعريب او صياغة غير نظيفة لخط الحزب ، تصل احيانا الى حد التعبير الكاريكاتوري والساذج عن جذر الموقف الحزبي، بالاضافة الى ان تبويبها ، واهتماماتها وتغطياتها تعطيها هذه الصفة ، كل ما يمكن التحفظ فيه هو في مدى دقة تعريبها ، والمتانة النهاجية في التعبير عن الموقف الحزبي ، اما الشطط البدائي ، والانسانوي الرومانسي ، والطبقوية الصارخة ، فهي مما نقبل الافتراض بوجوده في الاحزاب الشيوعية في المنطقة في تلك الايام التأسيسية، اي في العشرينات من هذا القرن ،

في تقييمنا لمجلة حيفا ، بعد نصف قرن ، سنستند بالاساس الى الحصيلة الممكنة من المعرفة المتاحة في فترة صدور المجلة وبعدها بقليل ، اي الفترة التي بدأت مع تأسيس الحزب الشيوعي الفلسطيني وقبوله في الكومنترن المرهون بتعريبه وتحويله الى حزب اقليمي ، الى حزب الكادحين في فلسطين ، معرفة ذلك العصر ، تكفي رؤية هذه المجلة خطا ونهجا ومعالجة الى حد كبير ، ولكن ليس كليا ، سنبدأ بما كان ممكنا ان يرى في فلسطين ، كما عكست ذلك وثائق الكومنترن (١٩٢٩) والوثائق والكتابات التي تناولت تجربة الحزب الشيوعي الفلسطيني ، ومنها وثائقه اللاحقة (١٩٣١) ،

سمات المجلة

ابرز سمات المجلة العامة ، والاكثر انطباقا على مواد المجلة السمتان التاليتان :

اولا : ضعف العناية بتوجيه النار الى الصهيونية كعدو للجماهير العربية ، وضالة المساحة المخصصة للتنديد بها وفضحها وتسليط الانتباه اليها ، وعدم احتلال الصهيونية مكانتها وعدم اعطاءها ثقلها المحدد ، في نطاق المسألة الوطنية وفي اطار التناقضات الرئيسية ، التي ينبغي على الجماهير حلها لصالحها ،

ثانيا ـ النزوع الطبقي ـ الاقتصادي الذي يجمع تحليل ورسم الموقف من كافة مسائل التحرر الوطني وقضايا التحرر الاجتماعي والديمقراطي الداخلي ، هذا النزوع رغم مظهره الخارجي المتشدد طبقيا ، والذي يبدو بلبوس « يساري » يغطي على السمة الاولى ، ويحاول اخفاء وجه الانحراف فيها ، ان السمتين وجهان لعملة واحدة ، وهذا ما سوف نبينه ،

١) الموقف من الصهيونية

بصدد السمة الاولى ، نلاحظ مثلا ان النار قد سلطت على الصهيونية في سياق معركة داخل صفوف العمال وداخل النقابات ، اي داخل « الجيتو اليهودي » ، بينما نلاحظ ان الصهيونية غائبة في اطار الصراعات الوطنية وعند رسم برنامج لتحالف العمال والفلاحين او حين الحديث عن الحزب ، وحيثما وجدت مبررات قوية للتصدي للصهيونية (اثناء زيارة بلفور) ، فالصهيونية ، هي حركة رجعية برجوازية ، لكنها ليست ملموسة الخطر بقوة ، ولا يسلط عليها الانتباه بالقدر الذي تستحق ، فيما يبرز التناقض الرئيسي مع الامبريالية البريطانية ،

كيف نفسر ما يبدو تناقضا ؟ كيف نفهم هجوم المجلة على الصهيونية في اماكن بقوة وشدة ، وعدم اعطاءها وزنها العيني في اماكن اخرى ،

ان هذا كامن في اصول الحزب الشيوعي التنظيمية وطبيعة تكوينه كحزب للاقلية

المهاجرة من اليهود الى فلسطين • قد حملت الى الحزب الكثير من الاوهام والايديولوجيات التي تجمع بين الماركسية والصهيونية • وقد ثبت فيما بعد ، من فشل الحزب في تعريب نفسه عدة مرات ، ان هذه الاصول التنظيمية والايديولوجية التي كانت في « مناخ »التجمعات اليهودية تفسح وتوطن امكانات الانحراف • ما يلاحظ في توجه الحزب الشيوعي في فترته التأسيسية ، هو انه اخفق رغم شعاره الرئيسي « لنغادر الغيتو ـ الجحيم الصهيوني » في تعيين الاتجاه • فاصبح ما يشبه بنداء نحو تحرير الغيتو اليهودي من الصهيونية • او بتعبير اخر ، بات الصراع مع الصهيونية داخل الغيتو اليهودي نفسه • وهو ما يفسر ان معاركه الاساسية مع الصهيونية ، كان في مواقع العمال اليهود وداخل المؤسسات والمجالس والنقابات اليهودية ، ان السر في توجيهه النار في هذه الميادين ، وليس في ميادين اخرى ، هو ذلك الرهان المضمر لدى قيادات الحزب على وجود « قدرة ثورية لدى المهاجرين اليهود»(٥٧) وبالعكس ، تقليل قيادات الحزب من الامكانات الثورية لدى الجماهير العربية • ووصولهم الى قناعات متشائمة حول امكانية فصل الجماهير عن تأثير القيادات التقليدية ونفوذها •

هذا التصور لوجود قدرةثورية لدى المهاجرين اليهود ، وتصور ضعف التماسك و « الانضباط الطبقي والسياسي » (٥٨) لدى الجماهير العربية ـ الفلاحية اساسا • خلق لدى قيادات الحزب اوهاما وانحرافات مميتة • عبر عن نفسه في التعويل على العمال اليهود للعب دور « بلشفي » على غرار الثورة الروسية • وكان على مثل هذا الوهم ، ان يتصور ذاتيا « طبيعة بروليتارية لثورة في الاوضاع الراهنة لفلسطين » (٥٩) •

لذلك فان المادة المطولة المتعلقة بقضايا النضال العمالي (الدعوة لتشريعات عمالية ، الدعوة لانشاء النقابات ، صياغة مطالب متطورة للعمال) ثم المواد المطولة المتعلقة بالنضال العربي ـ اليهودي في النقابات المختلطة ، والاهمية المفرطة التي اعطيت لهذه المسألة، يفسرها فهم الحزب الشيوعي لطبيعة الثورة « البروليتارية » من جهة ، والرهان على قدرة ثورية للمهاجرين اليهود • ان مجلة حيفا في هذا المجال تعوض نقصا كبيرا في الوثائق المتعلقة بمرحلة التأسيس اي ١٩٢٥/٢٤ ، فهي تظهر كيف ابدى الحزب عناية فائقة بالنضالات الطبقية ـ الاقتصادية، وبالنضال داخل النقابات ، وغالبها كانت تحت السيطرة الصهيونية • وكيف فهم الحزب مسألة التعريب • هذه المادة تظهر لنا ان الحزب اراد ذاتيا انضاج ظروف مناسبة لتحويل اسقاطاته الى واقع ، فالمواد التشهيرية والتحريضية بوضع العمال والشغيلة ، وحديثه عن غياب القوانين الحديثة ، ومطالبه الموجه لتثقيف العمال بها ، تعكس سعيه الذاتي لتأهيل العمال لدور متصور ـ مسقط • (رغم انها من ناحية اخرى تعتبر كمادة تحريضية ذات نوعية متقدمة وهو ما سنثمنه فيما بعد) •

كما ان الحاحه على ضرورة بقاء العمال العرب في النقابة ذات القيادة والسيطرة الصهيونية ، ضرب من ضروب الذاتية • فمن الواضح ان العمال العرب لم يكونوا يروا ما يراه كتاب المجلة من امكانية وقدرة ثورية لدى العمال اليهود ، ولذلك انصرفوا لتأسيس نقابات مستقلة •

ان هذا التوجه وهذه الرؤية لدى الحزب كانت تعبيرا عن الانحراف الكامن في صفوف الحزب الشيوعي الفلسطيني • الماركسية ـ اللينينية كانت تقول غير ما كان الحزب يقول • فالكومنترن كان يرى في مقولة « الطبيعة البروليتارية للثورة في فلسطين » امرا يتنافى كليا والواقع التاريخي • كما وجد ان هذه المقولة ، تعني بالدرجة الاولى في ظروف فلسطين المخصوصة ، قيام دكتاتورية تمارسها حفنة من العمال اليهود على اوسع الجماهير العربية (٦٠) •

اتجه وعي الكومنترن عند قبوله عضوية الحزب الشيوعي ، بان مهمته الاساسية هي ان «يدعم حركة التحرر الوطنية للسكان العرب

ضد الاحتلال البريطاني ـ الصهيوني » (٦١)، وان دور الرفاق اليهود المخصوص في الحزب تجاه الجماهير العربية هو كونهم « قوى مساعدة للحركة العربية وليس بوصفهم قيادة لها » ٠

اكثر من ذلك ، كان التقدير الماركسي ـ اللينيني للتجمع اليهودي المهاجر الى فلسطين، معاكس لما هو في الحزب ٠ لم يكن لدى الكومنترن اوهام حول الطبيعة الرجعية للمهاجرين اليهود ، هكذا رددت اطروحات اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفلسطيني بتأثير ، وتحت نار النقد القاسية التي مارسها الكومنترن لقيادة الحزب السابقة ان « الهجرة اليهودية هي بالدرجة الاولى هجرة كوادر ، دربت تدريبا خاصا بوسائل تقدمها البرجوازية اليهودية (٠٠٠) واعدت خصيصا للاستيلاء على البلاد وانشاء « دولة يهودية » ٠ ويشتق تقرير الحزب من معلومات الهستادروت فيقول « ان اكثر من تسعين بالمئة من المهاجرين الذين انضموا اليها في الخارج هم اعضاء في احزاب صهيونية شتى (٠٠٠) ولا تزيد نسبة العمال بين المهاجرين اليهود على خمسة بالمئة٠ والغالبية تتألف من عناصر برجوازيةوبرجوازية صغيرة ، بينها عناصر معادية للثورة نفيت من الاتحاد السوفياتي ٠٠ « كما لاحظ الحزب ان قسما صغيرا جدا من هذه الهجرة (تم) بصورة عفوية تلقائية » ٠ (٦٢)

كتابات اخرى بصدد فلسطين في تلك الحقبة ٠ لاحظت ان « المهاجرين اليهود ، الذين تشجعهم الامبريالية الانكليزية ، يحملون في الاساس طابعا رجعيا « وان الامبريالية والبرجوازية الصهيونية يقومون بعناية باختيار سياسي واجتماعي بين المهاجرين » وان هؤلاء الاخيرين « يربون بروح شوفينية ـ فاشية » (٦٣) ٠

ان هذا التقييم ، وهذا التقدير لدى الاممية الشيوعية ، ولدى الحزب نفسه فيما بعد ، ولدى كتابات اخرى ، تكشف ان رهان الحزب على القدرة الثورية للعمال اليهود بصورة رئيسية ، لا ينطبق على الواقع العياني ومع طبيعة التجمع اليهودي في فلسطين ٠

من نافل الذكر ، ان هذا التقييم لم يعن ولا ينبغي ان يعني اهمال العمل في صفوف العمال والمهاجرين اليهود ، ولم يعن اهمال او التقليل من اهمية العمل المشترك في النقابات المختلفة ٠ فهذه مهمات ثابتة كان على الحزب ان يقوم بها ، في اطار تصور دقيق لمهماته ، الاساسية والثانوية ، القائم على التحليل العيني الموضوعي وهو ما لم يقم الحزب به ٠

الميدان الاوسع للانحراف الذي وقعت فيه قيادة الحزب ، هو عند تناولها للمسألة الوطنية وعند حديثها عن المسألة الزراعية وتحالف العمال والفلاحين ٠ في هذه الميادين كانت الصهيونية غائبة او انها ليست في واجهة التناقضات في دعاية الحزب في مجلة « حيفا »٠

عند تحليل الوضع العام الداخلي ، كانت « حيفا » تطرح التناقض مع بريطانيا بصورة نظيفة ، بدون مشروع صهيوني ، او تطرح الصهيونية كطرف رجعي في نفس المكانة مع القيادات التقليدية ٠ وكان التصدي لها في تحليلات المجلة في سياق اجمالي عام وفي سياق نقد السياسة الاستعمارية والقيادات التقليدية بالجملة ٠

اما في مجال تناول المسألة الزراعية ، فالطابع الاقتصادي يغلب على المعالجة ٠ والانحراف واضح ، لا فقط في ميدان نقد الادارة والضرائب، القائمة ، وطرح المشكلة الزراعية كمشكلة تقنية ، ومشكلة اساليب ونمط زراعي واعطائها اولوية في التأثير على مصير الفلاحين ٠ وانما ايضا في غياب طرح مسألة نزع ملكية الاراضي من الفلاحين على ايدي الصهيونية ٠ المشكلة الزراعية في فلسطين ، كما تعبر عنها « حيفا » ، هي المشكلة الزراعية ذاتها في سورية او لبنان مثلا ٠ فلا خطر صهيوني ، ولا استيطان ، ولا نزع ملكية، ولا طرد للفلاحين ٠ اذا استثنينا التعليق المتعلق بالعفولة ، فانه لا اشارة الى الصهيونية ومشاريعها وخطرها على الفلاح العربي ان التعليق على احداث العفولة ، وهو استثناء في مادة المجلة (٦٤) ، وهو تعليق بالمناسبة ، تعليق اقتضاه الحدث ٠ وهو مع ذلك يعالج

النزاع من زاوية ترى في الفلاحين العرب والعمال اليهود ضحية صفقات الملاكين الكبار والرأسمالية اليهودية وان لا مصلحة للفلاحين العرب والعمال الزراعيين اليهود بالنزاع ، وان مصلحتهم هي بالاتفاق معا ضد اعدائهم الطبقيين .

ما يهمنا الاشارة اليه هنا ، هو ان المجلة ، كانت حذرة جدا في ايراد مطالب ومهمات تتعلق بالنضال ضد الصهيونية في متن المقالات المتعلقة بالوضع الوطني او بالدعوة لتحالف العمال والفلاحين وفي صياغتها لمقترحات البرنامج الحزبي لهذا التحالف . وتقريبا لم يرد في المقالات هذه اية اشارة للنضال ضد الصهيونية .

ان تفسير هذا الغياب معقد جدا . فهو قد يفسر بان الحزب المتشبع بالاوهام حول القدرة الثورية للمهاجرين اليهود ، قد رأى مهمة نقد « الايديولوجية البرجوازية اليهودية» والمؤسسات الصهيونية ، مهمة داخلية بحتة للتجمع السكاني اليهودي . وقد وجدت في ذات الفترة داخل الحزب افكار من نوع النضال ضد الصهيونية « عن طريق العمل التربوي في صفوف الشغيلة اليهود » . وحيث اعتقد ان على الحزب (الشيوعي) ان ينظم مكافحة الصهيونية حيثما وجدت جماهير يهودية متراصة » (٦٥) .

ان اعتقادات واوهام داخل الحزب مثل هذه المار ذكرها ، واساليب العمل المتعلقة بالوضع داخل « الجيتو اليهودي » ، تدفع الى السطح اقتراحات وافكار تجد في النضال ضد الصهيونية مهمة « داخلية » للتجمع اليهودي. وواقع الامر انه ليس في الامر اي خديعة ، فمثل هذا النضال ضد الصهيونية قد مورس بقوة ، ثم ووجه الحزب الشيوعي بالطرد والملاحقة في نيسان (ابريل) ١٩٢٤ من الهستيدروت ومن غيره . فالامر يتعلق بانحراف ايديولوجي ، له اصوله الابعد .

لهذه الاوهام داخل الحزب وجهها الاخر : انه ما يرونه لدى الجماهير العربية من نقيصة في الامكانات الثورية ، وما يرونه من خضوع لتاثير ونفوذ البرجوازية والملاك ورجال الدين ، بالاضافة الى عيوب بنيوية اخرى تجد اشارات اليها في مقالات حيفا (الفلاحين وسمات وضعهم) قاد هذا الفهم للجماهير العربية الى التخوف من اية دعاية مضادة ضد الصهيونية ، يمكن ان تفسر بانها دعاية وتحريض ضد اليهود . ولم يكن هذا التخوف غير مشروع تماما ، فالقيادات السياسية والاحزاب العربية انذاك وجهت تناقضها مباشرة مع الصهيونية . ولم يكن صعبا ان يؤول هذا التناقض الى تناقض مع اليهود . كما ان ذات القيادات ، كانت ما زالت تحاول مد جسور التفاهم مع السلطات البريطانية ، وتأمل في تسوية واتفاق معها .

لكن الحزب الشيوعي ذهب بعيدا في استصغار الامكانات الثورية لدى الجماهير الفلسطينية وفي التهويل في خضوعها للقيادات البرجوازية والملاك ورجال الدين . وكان هذا غير صحيح ، وفي هذه الفترة بالذات وفي فترات اخرى لاحقة .

وجد داخل الحزب الشيوعي انذاك من يرى في الجماهير العربية « جمهور فاشي قوامه فلاحون محمديون ، وبدو بقيادة رجال دين جهلة ، وزعماء اقطاعيين وعناصر برجوازية » (٦٦) ولم يستنتج الحزب مما رآه في الحركة الوطنية اية نتائج سليمة . اذ قال ان الحركة الوطنية العربية تعكس « مسعى البرجوازيات الصغيرة في هذه البلاد ، تدعمها جموع الفلاحين ، كي تضمن لنفسها الظروف الملائمة التي تمكنها من التطور بحرية » . من شأن هذا الرأي ان يقود الى رؤية سمات المرحلة بوصفها مرحلة الثورة البرجوازية الديمقراطية في بلد خاضع للاستعمار ، وان يعمل على تطوير النضال نحو مضمون اكثر تحررا وتقدما. لكن الحزب استنتج انه ليس بين هذه « الحركات السياسية والاجتماعية الجارية في الشرق الادنى وبين الشيوعية شيء مشترك » ولذلك فان على الشيوعية ان تأخذ جانب الحذر في مواقفها ، فتدعم هذه الحركات طالما هي معادية للامبريالية ، ثم : « ولكن عليها ان لا تنسى طبيعتها البرجوازية وميولها الرأسمالية » (٦٧) .

في واقع الامر ان الحذر ، اخذ مداه • لذلك امتنعت « حيفا » عن تحذير الفلاحين من الصهيونية ، خوفا من تأويل ذلك الى عداء لليهود •واعتبرت الصراع داخل التجمع اليهودي مهمة داخلية • وكان همها اكثر من ذلك ، توجيه انتباه الفلاحين الى تناقضهم مع الزعامات التقليدية والوجيهة والبرجوازية في دعايته العربية • وفهم الحزب عملية كسب ثقة الجماهير العربية من زاويتها الحياتية المباشرة ، كمطالب اقتصادية ـ اجتماعية ، وكمطالب سياسية عامةضد الاحتلال البريطاني والانتداب ، والمطالبة بالاستقلال •

من شأن هذا التحليل وهذا الفهم داخل الحزب ان يقود الى تشخيصات من نوع اعتبار انتفاضة ١٩٢٩ ، « كمذبحة ضد اليهود » ، وان ينعزل عن الاحداث • بل وان يأخذ ـ وهو ما زال حزبا يهوديا ـ جانب الدفاع عن التجمعات اليهودية • وكانت الانتفاضة مناسبة لاختبار جدارة الحزب باسمه ، وجديته في تعريب نفسه • واقع الامر ان الامتحان كان عسيرا ، وتعرض الحزب لعملية تطهير من العناصر اليمينية الانتهازية المسؤولة عن عن انحراف الحزب • واتجهت سياسة التعريب وجهة اكثر جدية فيما بعد •

٢) الطبقوية والنزعة الاقتصادية

سمة التشدد الطبقي ـ والنزعة الاقتصادية، هي السمة الرئيسية الثانية لمجلة حيفا • وهي دون شك سمة الحزب في نشأته ، وحتى بعد تطهيره من العناصر اليمينية الانتهازية (بل ان الحزب اتجه نحو التشدد اليساري اكثر بعد عام ١٩٢٨ وحتى ١٩٣٤) •

هذه السمة ، التشدد الطبقي ، والنزعة الاقتصادية في التحليل ، هي وجه العملة الاخر، ولا يمكن فصلها عن الانحراف اليميني الذي خضع الحزب له •

ان اصول هذه السمة ، مستمدة من بنية الحزب ـ ذات التركيب الاثني المنفرد • وعبرت عن نفسها في نزعة ارادية ذاتية ، غير موضوعية فيالتحليل للواقع الفلسطيني ومهمات النضال فيه • اذا رجعنا الى اصول الحزب ، نجد ان بقايا ايديولوجية « الصهيونية البروليتارية » ما زالت كامنة في الحزب الشيوعي • ان الايديولوجية المذكورة هي وجه صارخ لخليط انتقائي يحمل الكثير من النزعة الذاتية • واذا كانت هذه قد اخفقت واصطدمت بالواقع بسرعة ، ونددبها من الكومنترن بقوة، فان بقاياها ظلت في الحزب متسربلة بلباس جديد : « الطبيعة البروليتارية للثورة في فلسطين » •

في مجلة حيفا نماذج وتعابير عن النزعة الذاتية ، نفاذ صبر ونشاط محموم داخل التجمع اليهودي وفي النقابات المختلطة ضد الصهيونية ، وعمل مشترك (عربي ـ يهودي) من اجل قلب موازين القوى داخل المؤسسات النقابية رهانا على قدرة ثورية ضد المهاجرين اليهود •

وفي المقابل : دعوة لاستقلال الفلاحين عن القيادات والطبقات العليا • ولتحالف عمالي ـ فلاحي يقود النضال الوطني • مهمات واقتراحات وبرامج وتثقيف يهدف الى انضاج عملية التبلور الطبقي ذاتيا وبالتحريض والتشهير • اكثر من ذلك التعامل ـ في تحليل المجلة ـ مع الواقع بصيغ ترى في المجتمع طبقات مبلورة ، ومن ثم بناء نتائج سياسية على هذه الصيغ تجريديا ، وبشكل يتفق مع الرغبة الذاتية والتخطيط الايديولوجي للثورة ، بمضمونها البروليتاري ـ الفلاحي •

هكذا نجد في « حيفا » مقالات تطالب بقوانين منظمة لحقوق العمل ولظروف الحياة الاجتماعية للعمال • وبحق العمال في انشاء النقابات والاحزاب • وتطالب بحريات الاجتماع والتنظيم السياسي • كما نجد موادا تدعو الى تنظيم المزارعين في اتحاد زراعي ، وتضع له اهدافا ومبادىء • ان السمة العامة للتوجه هي سمة اقتصادية ـ معيشية ، وسمة تهدف الى انضاج التبلور الطبقي من خلال النضال من اجل اصلاحات وقوانين تقدمية • ان السياسة ، من حيث هي القضية الوطنية ، وقضايا الصراع ضد الاستعمار البريطاني والصهيونية غائبة ، او هي عامة جدا • فيما السياسة ، من حيث

حي صراع اجتماعي ، حاضرة بقوة في مواد المجلة . فحتى المقالات السياسية التي تتناول الوضع السياسي العام ، غالبا ما كانت مكتظة بالمطالب الاقتصادية المباشرة للعمال والفلاحين فيما الجوانب السياسية المباشرة ، المتعلقة بالاستعمار البريطاني والصهيونية ، لا تعدو ان تكون عناوين وفقرات قليلة عامة .

فالتشديد على الطبقات ، والتشدد ازاء البرجوازية والملاك الكبار والطبقات العليا ، في مجلة حيفا ، ليس انعكاسا لواقع الصراع الاجتماعي والسياسي في البلاد ، لا ينسجم مع مستوى الوعي السائد ، بل هو تعبير عن النزعة الارادية ـ الذاتية لدى الحزب . هذه النزعة تظهر بمظهر واضح عندما تعكس تطابق وتوافق مصالح العمال العرب واليهود في النقابات المختلطة ، فهي تشدد على الوضع الاقتصادي الذي يجمعهم ، وتهمل «السياسة» و « العقائد » ، وترى بعض المقالات في الميول الصهيونية لدى التجمع الصهيوني « سذاجة » او « حمق » ، او كنتيجة ، كخديعة . ان تشددها اي مجلة حيفا ـ ازاء الطبقات الاخرى يقابله « تساهل ايديولوجي وسياسي » عندما يتعلق الامر بالعمال من عرب ويهود . النزعة الذاتية في خدمة الوحدة الطبقية . لذلك ، تدعو « حيفا » لنبذ القومية وتحرض على وحدة المصالح المفترضة ، طبقيا . بالاضافة الى عدد من ضروب خداع النفس والحقيقة .

٣) ملاحظات ختامية

الى جانب هذه ، من سمات المجلة ايضا الرومانسية والاشتراكية البدائية ، وقد اغفلنا عددا من المقالات التي لا تتسم سوى بهذه السمة . ويمكن ان نشبه هذه المقالات بتلك التي كانت تصدر في مجلة « الانسانية » في نفس الفترة في لبنان . فهي مزيج من تقديس العامل وحبه ووصف مناقبه ودوره في انهاض المجتمعات واعمارها ، وقدح وذم في حق مصاصي دماء العامل ، البرجوازية المستغلة . ومثل هذه الكتابات حفلت بها المجلات اليسارية انذاك ، وقد نقلت تأثيرات الاشتراكيات المختلفة ، الى المنطقة . وكانت بدايات تبلور الوعي الاشتراكي في مصر وفلسطين وسورية ولبنان تتشابه من حيث سماتها الخليط من : الانسانوية ، التطورية ، الطوباوية ، والاشتراكية العلمية .

من الصعب الان ، تقييم الدور الذي لعبته حيفا ، قبل خمسين عاما في فلسطين فقد عكست الى حد كبير سياسة الحزب ، وان في تعريب وصياغة فجة . فدورها لا يمكن عزله عن دور الحزب الشيوعي . وقد خضعت لذات الاخطاء ، كما ان قيمتها ، جزء من قيمة الحزب التأسيسية . من الممكن ان يساق في هذا الصدد ، ان المجلة كان لها فضل تعريف عمال وفلاحي فلسطين على الماركسية والاشتراكية وعلى انتصارات الثورة الاشتراكية في العالم ، وعلى الدور الذي لعبه العمال والنضالات التي شنوها في العالم الذاك ، في شقيه المستعمر والمستعمر . وقد نقلت حيفا الى عمال فلسطين ملامح اولية من دروس النضال الطبقي ، وتركت لهم اشارات الى مهامهم وكيفية صياغة مطالبهم . وكذلك الحال بالنسبة للفلاحين والعمال الزراعيين . ان قيمة هذه المساهمات وقيمة الدور الذي لعبته « حيفا » ، لا يقارن بما كان يمكن ان تلعبه المجلة ، لو ان الحزب لم يعان من الاخطاء والاوهام والانحرافات التي عاناها .

الهوامش

(١) احمد خليل العقاد : تاريخ الصحافة العربية في فلسطين ، الطبعة الثانية ، عمان ، ١٩٦٧ ، ص ١٧٧

(٢) المصدر نفسه

(٣) من رسالة خاصة من السيد موسى البديري ، الذي يعد اطروحة الدكتوراه حول الحزب الشيوعي في فلسطين ، وقد اطلع على تقارير للبوليس البريطاني تفيد بان ايليا زكا قد عرض على المخابرات البريطانية تعاونه معهم فيما بعد .

(٤) حيفا ، العدد الاول ، الصـــادر في ٢١ تشرين الاول ١٩٢٤ ٠

(٥) العدد ١٧ ، الصادر في ١٤ ايار ١٩٢٥

(٦) عمار الطالبي : شؤون فلسطينيـــة ، العدد ١٥ (تشرين الثانـــي ١٩٧٢) « الطبقة العاملة الفلسطينية واليهودية وتنظيماتها » (١٩١٨ ـ ١٩٣٩) ص ١٧٤

(٧) المصدر نفسه ، ص ١٩٧٤

(٨) فواز طرابلسي : « الاممية الشيوعيـة وقضيـة فلسطين » ، في المقاومـــة الفلسطينية : الواقع والتوقعات ، كتـاب خاص صادر عن مجلة دراسات عربية ، دار الطليعة ، بيروت ، تموز (يوليو) ١٩٧١ ، ص ٦٨ و ٦٩

(٩) المصدر السابق ، ص ٦٧

(١٠) المصدر نفسه ، ص ٦٨

(١١) المصدر نفسه ، ص ٦٩

(١٢) المصدر نفسه ، ص ٧٠

(١٣) عمار الطالبي ، المصدر السابق ، ص ١٧٥

(١٤) LAQUEUR W. Z. Communism and Nationalism in the Middle East. LONDON, 1961, p. 76.

(١٥) Ibid p. 77

(١٦) Ibid p. 77

(١٧) Ibid p. 77

(١٨) فواز طرابلسي ، المصدر السابق ، ص ٧٠

(١٩) المصدر نفسه ، ص ٧١

(٢٠) المصدر نفسه ، ص ٧١

(٢١) عمار الطالبي ، المصدر السابق ، ص ١٧٥

(٢٢) LAQUEUR, Ibid p. 77-78

(٢٣) حيفا العدد الثاني ، ٨ تشرين الثاني ، ١٩٢٤ ، ص ٥

(٢٤) حيفا العدد الخامس ، ١٥ كانـون الاول ١٩٢٤ ، ص ٣٦

(٢٥) حيفا العدد الخامس عشر ، ٣٠ نيسـان ١٩٢٥ ، ص ١١٦

(٢٦) حيفا العدد الرابع ، ١ كانون الاول ١٩٢٤، ص ٢٥ ـ ٢٦

(٢٧) حيفا العدد السادس ، ١ كانـون الثانـي ١٩٢٥ ، ص ٤٤

(٢٨) حيفا العدد السابع ، ١٥ كانون الثاني ، ص ٥١

(٢٩) حيفا العدد الرابع ، ١ كانون الاول ١٩٢٤، ص ٢٦ ـ ٢٧

(٣٠) حيفا العدد الرابع ، ص ٢٨ ـ ٢٩

(٣١) حيفا العدد السادس ، ص ٤٣ ـ ٤٤

(٣٢) حيفا العدد الخامس عشر ، ص ١١٧ـ ١١٨

(٣٣) حيفا العدد السابع عشر ، ١٤ ايار ١٩٢٥ ، ص ١٣٥ ـ ١٣٧

(٣٤) حيفا العدد الثامن ، ١ شباط ١٩٢٥ ، ص ٥٧ ، ٥٨

(٣٥) حيفا العدد السابع عشر ، ص ١٣٧ ـ ١٣٨

(٣٦) حيفا العدد الثامن عشر ، ٢١ ايار ١٩٢٥، ص ١٤٢ ـ ١٤٣

(٣٧) حيفا العدد الثاني والعشرين ، ٧ تشرين ثاني ١٩٢٥ ، ص ١٧٦ ـ ١٧٨

(٣٨) حيفا العدد الخامس ، ص ٣٤ ـ ٣٥

(٣٩) وقف الحزب الشيوعي بامانة الى جانـب الفلاحين العرب في حادثة العفولة ٠ وقد مارس اعضاء الحـزب دورا في تحريض الفلاحين ضد الاستعمار الصهيوني علـى « انقاض القرية الفلاحية » الفلسطينية، وقد اتهمت السلطات البريطانيـــة الشيوعيين بالتسبب في الصدام والتحريض عليه ٠ راجع LAQUEUR, Ibid. p. 78

(٤٠) حيفا ، العدد الخامس ، ص ٣٤

(٤١) حيفا ، العدد الخامس عشر ، ص ١١٦ ، ١١٧

(٤٢) كان قانون منع الجرائم موضع سخـــط الجماهير العربية في فلسطين وكان موضع بيانات تنديد اصدرتها القيادات الوطنية انذاك ٠ انظر د٠ كامل محمود خلـــة ، « فلسطين والانتداب البريطاني ١٩٢٢ ـ ١٩٣٩ » مركز الابحاث (بيروت ، ١٩٧٤) الملحق رقم ٣٩ بيان اللجنة التنفيذية في ١٩٣٠/١/١٧ حول قانون منع الجرائـــم وسياسة الحكومة في فلسطين ، ص ٥٤٨

(٤٣) حيفا ، العدد الثامن عشر ، ص ١٤٢
(٤٤) نفس المصدر ونفس العدد ، ص ١٤٣
(٤٥) نفس المصدر ونفس العدد ، ص ١٤٣ ـ ١٤٤
(٤٦) حيفا ، العدد السابع ، ص ٤٩ ، ٥٠
(٤٧) حيفا ، العدد الثالث عشر ، ١٣ اذار ١٩٢٥ ، ص ٩٧ ـ ٩٨
(٤٨) حيفا ، العدد الثامن عشر ، ص ١٤١ ـ ١٤٢
(٤٩) حيفا ، العدد الثامن ، ص ٥٨ ـ ٥٩
(٥٠) حيفا ، العدد الرابع عشر ، ٢٠ اذار ١٩٢٥ ، ص ١٠٥ ـ ١٠٦
(٥١) حيفا ، العدد الخامس عشر ، ص ١١٣ ـ ١١٥
(٥٢) حيفا ، العدد الثاني والعشرين ، ص ١٧٣ ـ ١٧٤
(٥٣) حيفا ، العدد الثالث والعشرين ، ٢٦ تشرين الثاني ١٩٢٥ ، ص ١٨٢ ـ ١٨٣
(٥٤) حيفا ، العدد الثامن عشر ، ص ١٤٧
(٥٥) فواز طرابلسي ، مصدر سابق ، ص ٧٤
(٥٦) موسى خليل، الحزب الشيوعي الفلسطيني ١٩١٩ ـ ١٩٤٨ شؤون فلسطينية العدد ٣٩ ، تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٤ ، ص ١١٥
(٥٧) لوتسكي ف: « الامبريالية الانكليزية وثورة تشرين الاول في فلسطين ، في المقاومة الفلسطينية الواقع والتوقعات ، مصدر سابق ، ص ١٥
(٥٨) فواز طرابلسي : المصدر السابق ، ص ٧٧
(٥٩) المصدر نفسه ، ص ٧٣
(٦٠) المصدر نفسه ، ص ٧٣
(٦١) المصدر نفسه ، ص ٧١
(٦٢) الاممية الشيوعية والثورة العربية (الكفاح ضد الامبريالية) الوحدة ، فلسطين ، وثائق (١٩٣١) دار الحقيقة، بيروت ١٩٧٠ ، ص ١٥٩ ـ ١٦٠ .
(٦٣) لوتسكي ف: المصدر نفسه ، ص ١٥ ـ ١٦
(٦٤) لا بد ان نلاحظ ان العمل الرئيسي للشيوعيين في حادث العفولة ، كان بين العمال اليهود ، حيث دعوهم الى عدم المساهمة في طرد العرب من الارض راجع موسى خليل ، المصدر السابق ، ص ١١٦
(٦٥) المصدر السابق ، ص ١١٤
(٦٦) المصدر السابق ، ص ١١٧
(٦٧) المصدر نفسه ، ص ١١٦

دليـــل الباحثين

اعداد المقدم الهيثم الايوبي

اعد المقدم الهيثم الايوبي ، دليلا للباحثين حول افكار منظمات الثورة الفلسطينية • ونشرت « شؤون فلسطينية » الحلقة الاولى من «دليل الباحثين» حول افكار حركة فتح السياسية والعسكرية ، في ١٩٧٤/١/١ عدد رقم ٣٩ ، ثم نشرت « دليل الباحثين » حول الافكار السياسية والعسكرية للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، والجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين في ١٩٧٥/٤/١ عدد رقم ٤٤ • وهي تقدم في هذا العدد الافكار السياسية والعسكرية للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين (القيادة العامة) •

أفكار الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين – القيادة العامة (من تشرين الاول ١٩٦٧ حتى كانون الاول ١٩٧٢)

في مطلع الستينات تشكلت جبهة التحرير الفلسطينية في سورية • وكانت تضم مناضلين غير حزبيين ، هدفهم القيام بعمليات عسكرية ضد العدو الاسرائيلي لازعاجه واستنزافه ماديا ومعنويا • وبدأت هذه المنظمة عملياتها في الاراضي المحتلة • وكانت غالبية هذه العمليات تدخل ضمن اطار الاستطلاع وحرب الالغام والمتفجرات • وعندما ظهرت حركة « فتح » كقوة على الساحة الفلسطينية جرت محاولة لتوحيد المنظمتين ، ولكن هذه المحاولات لم تحقق الغرض المنشود منها •

وفي اواخر العام ١٩٦٧ وعلى اثر هزيمة حزيران تشكلت « الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين » التي اصدرت بيانها التأسيسي في كانون الاول (ديسمبر) • وكانت هذه الجبهة تضم « جبهة التحرير الفلسطينية » ، و « منظمة ابطال العودة » ، و « منظمة شباب الثأر » ، ومجموعات من المناضلين المستقلين •

ولقد عملت هذه المنظمات مجتمعة تحت قيادة واحدة حتى تشرين الاول ١٩٦٨ ، حيث وقع خلاف داخل الجبهة انفصلت « جبهة التحرير الفلسطينية » والمناضلون المستقلون على اثره عن منظمة « شباب الثأر» و «منظمة ابطال العودة » • وادعى كل طرف من الطرفين احقيته باسم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين• ولذا حافظت منظمتا « شباب الثأر » و «ابطال العودة » على اسم « الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين » ، على حين ان « جبهة التحرير الفلسطينية » بقيادة احمد جبريل ، ومجموعة المناضلين المستقلين بقيادة احمد زعرور ، اخذتا اسم « الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين (القيادة العامة) » • ولم تعتبر ج•ش•ت•ف• (القيادة العامة) ان عملها انشقاق ، بل اعتبرت انها فصلت « ابطال العودة » و « شباب الثأر » من الجبهة • وانها هي الجبهة • وقد بينت سبب هذا الامر في بيان سياسي اصدرته في تشرين الاول ١٩٦٨ •

وتذكر ج•ش•ت•ف• (القيادة العامة) في بيانها المذكور انها اتفقت مع الاطراف الاخرى على عدة اسس اهمها : ١ ـ استقلالية الجبهة وشخصيتها الذاتية ، ٢ ـ تصعيد العمل

الفدائي ، ٣ ـ اعتبار الجبهة الشعبية قاعدة للقاء التنظيمات الاخرى ، ٤ ـ الحقيقة كل الحقيقة للجماهير ٠

ويقول البيان ان « حركة القوميين العرب » حاولت فرض سيطرتها على الجبهة من خلال « شباب الثأر » ، وانها استقطبت عداء بعض الدول العربية ، واستغلت العمل الفلسطيني المسلح لاغراض حزبية ، ولهذا تم طرد «شباب الثأر » من الجبهة ـ كما يقول البيان ـ الذي هاجم في خاتمته الاحزاب المنغلقة ، واكد تأييد (القيادة العامة) للتحالف الوطني ٠

ولقد تعرضت ج٠ش٠ت٠ف٠ (القيادة العامة) بعد ذلك الى انشقاق في اوائل شهر آب (اغسطس) ١٩٦٩ ، اذ انفصلت عنها مجموعة المناضلين المستقلين وشكلت « منظمة فلسطين العربية » ٠

★ ★ ★

لقد تم اعداد الدليل الحالي استنادا الى الادبيات التالية :

١ ـ مجلة الجبهة من العدد (١) كانون الثاني يناير ١٩٦٩ ، حتى العدد (١٠) السنة الثانية ١٩٧٠ ٠اي قبل حصول الانشقاق٠
٢ ـ مجلة الى الامام: مجلدات ١٩٧٠ ، ١٩٧١ ، ١٩٧٢ ٠
٣ ـ الميثاق (كانون الثاني ١٩٦٩)
٤ ـ كراس الميثاق وابعاده (١٩٦٩) ٠
٥ ـ بيان سياسي حول المجلس الوطني الفلسطيني (شباط ١٩٦٩) ٠
٦ ـ مذكرة الجبهة الى المجلس الوطني السادس (ايلول ١٩٦٩) ٠
٧ ـ بيان سياسي حول مساهمة الجبهة في قيادة الكفاح المسلح (تشرين الاول ١٩٦٩) ٠
٨ ـ كراس استراتيجية الكفاح المسلح (بدون تاريخ) ٠
٩ ـ دراسة في : ١ ـ غياب الرفض العلمي ٢ ـ ملاحظات حول الوحدة الوطنية (بدون تاريخ ، يعتقد ١٩٧٠) ٠
١٠ ـ مذكرة الى المجلس الوطني الفلسطيني في دورته السابعة (١٩٧٠/٥/٣٠) ، منشورة في مجلة الى الامام ، عدد (٣٠٢) تاريخ ٥ حزيران ١٩٧٠ ٠ ولقد اخذت المعلومات من هناك ٠
١١ ـ مذكرة الى المجلس الوطني الفلسطيني في دورته الاستثنائية ، عمان (آب ١٩٧٠) ، منشورة في مجلة الى الامام ، عدد (٣١٥) تاريخ ٤ ايلول ١٩٧٠ ٠ ولقد اخذت المعلومات من هناك ٠
١٢ ـ كراس سياسي حول الاوضاع الراهنة (شباط ١٩٧١) ، منشور في مجلة الى الامام عدد (٣٣٥) تاريخ ٥ شباط ١٩٧١ ٠ ولقد اخذت المعلومات من هناك ٠
١٣ ـ كراس المجلس الوطني الفلسطيني التاسع (تموز ١٩٧١) ، منشور في مجلة الى الامام عدد (٣٥٧) تاريخ ٩ تموز ١٩٧١ ٠٠ ولقد اخذت المعلومات من هناك ٠
١٤ ـ مذكرة مقدمة للمؤتمر العام لطلبة الاردن المنعقد في لبنان (تشرين الاول ١٩٧١) ، منشورة في مجلة الى الامام ، عدد (٣٧٠) تاريخ ٧ تشرين الاول ١٩٧١ ، ولقد اخذت المعلومات من هناك ٠
١٥ ـ مذكرة الى المجلس الوطني في دورته الاستثنائية (نيسان ١٩٧٢) ٠
١٦ ـ مذكرة للمجلس الوطني الفلسطيني في دورته الاستثنائية (١٩٧٢/٤/٦) ٠
١٧ ـ كتاب العرقوب بين اغارتين (١٩٧٢) ٠
١٨ ـ كراس ازمة حركة المقاومة (١٩٧٢) ٠

ا ـــ الافكار السياسية

١ ـ تحديد العدو

ص ٤ الميثاق (١٩٦٩)
ص ١١ الميثاق (١٩٦٩)
ص ٢٨ ـ ٢٩ كراس الميثاق وابعاده (١٩٦٩)

٢ ـ الامبريالية

ص ١ ـ د الميثاق (١٩٦٩)
ص ٦ كراس استراتيجية الكفاح المسلح (بدون تاريخ)

ص ٨ ـ ٩ كراس استراتيجية الكفاح المسلح (بدون تاريخ)

٣ ـ الصهيونية

ص ١٣ كراس استراتيجية الكفاح المسلح (بدون تاريخ)
ص ١٠ مجلة الى الامام ، العدد ٣٦٣ ، ٨/٢٠/ ١٩٧١ ٠

٤ ـ الثورة مادتها وقواها

ص ٣٦ ـ ٣٧ مجلة الجبهة ، العدد ٢ شباط ١٩٦٩
ص ١٦ ـ ١٧ مجلة الجبهة ، العدد ٦ ، حزيران ١٩٦٩
ص ١٢ ـ ١٥ مجلة الجبهة ، العدد ٩ ، ١٩٧٠
ص ٨ كراس الميثاق وابعاده (١٩٦٩)
ص ١٤ ـ ١٥ كراس الميثاق وابعاده (١٩٦٩)
ص ١٨ ـ ١٩ كراس الميثاق وابعاده (١٩٦٩)
ص ٦ ـ ٨ الميثاق (١٩٦٩)
ص ٨ كراس ازمة حركة المقاومة (١٩٧٢)
ص ٣٨ ـ ٤١ كراس ازمة حركة المقاومة (١٩٧٢)
ص ٨ ـ ٩ مجلة الى الامام ، العدد ٣٠٦ ، ١٩٧٠/٧/٣
ص ١٢ ـ ١٣ مجلة الى الامام ، العدد ٣٢٢ ، ١٩٧٠/١٠/٢٣
ص ١٩ مجلة الى الامام ، العدد ٣٨٨ ، ٢٢/ ١٩٧٢/١٢

٥ ـ اهداف الثورة واخلاقياتها

ص ٥ الميثاق (١٩٦٩)
ص ١١ كراس الميثاق وابعاده (١٩٦٩)
ص ٢٥ كراس الميثاق وابعاده (١٩٦٩) ٠

٦ ـ الاعلام الثوري

ص ٤ ـ ٥ مجلة الجبهة ، العدد ٩ ، ١٩٧٠
ص ٧ مجلة الجبهة ، العدد ٩ ، ١٩٧٠
ص ٤ ـ ٦ مجلة الجبهة ، العدد ١٠ ، ١٩٧٠
ص ٤ مجلة الى الامام ، العدد ٣٠٢ ، ٦/٥/ ١٩٧٠
ص ٩ مجلة الى الامام ، العدد ٣٥٩ ، ٧/٢٣/ ١٩٧١

٧ ـ الثورة والجماهير

ص ٢ الميثاق (١٩٦٩)
ص ٥ ـ ٦ كراس الميثاق وابعاده (١٩٦٩)
ص ١٤ كراس ازمة حركة المقاومة (١٩٧٢)
ص ٢١ كراس ازمة حركة المقاومة (١٩٧٢)
ص ٣٥ ـ ٣٦ كراس ازمةحركة المقاومة (١٩٧٢)
ص ٧ مجلة الى الامام ، العدد ٢٩٦ ، ٤/٢٤/ ١٩٧٠
ص ٨ مجلة الى الامام ، العدد ٣١١ ، ٨/٧/ ١٩٧٠
ص ٢ مجلة الى الامام ، العدد ٣١٥ ، ٩/٤/ ١٩٧٠
ص ٨ مجلة الى الامام ، العدد ٣٤٨ ، ٥/٧/ ١٩٧١
ص ٣ مجلة الى الامام ، العدد ٣٥٩ ، ٧/٢٣/ ١٩٧١
ص ١٩ مجلة الى الامام ، العدد ٣٨٨ ، ٢٢/ ٧٢/١٢

٨ ـ الايديولوجية الثورية والدافع الثوري

ص ١٩ مجلة الجبهة ، العدد ١ ، كانون الثاني ١٩٦٩
ص ٢٤ ـ ٢٥ مجلة الجبهة ، العدد ٤ ، نيسان ١٩٦٩ ٠

٩ ـ الادب الثوري

ص ١٤ مجلة الى الامام ، العدد ٢٩٥ ، ٤/١٧/ ١٩٧٠
ص ١٤ مجلة الى الامام ، العدد ٢٩٦ ، ٢٤/ ١٩٧٠/٤

١٠ ـ الانضباط الثوري

ص ٢٤ كراس الميثاق وابعاده (١٩٦٩)
ص ٤٢ ـ ٤٣ كراس ازمةحركة المقاومة (١٩٧٢)

١١ ـ الثورة في الثورة

ص ٤٦ ـ ٤٧ كراس ازمةحركة المقاومة (١٩٧٢)
ص ٩ مجلة الى الامام ، العدد ٣٠٥ ، ٦/٢٦/ ١٩٧٠
ص ٥ مجلة الى الامام ، العدد ٣٧٠ ، ١٠/٧/ ١٩٧١

١٢ ـ الثورة الفلسطينية والانظمة العربية

ص ١ ـ ٣ مجلة الجبهة ، عدد ٩ ، ١٩٧٠
ص ٢ كراس الميثاق وابعاده (١٩٦٩)
ص ٧ ـ ٨ كراس الميثاق وابعاده (١٩٦٩)
ص ٢٦ ـ ٢٧ كراس الميثاق وابعاده (١٩٦٩)
ص ٣ الميثاق (١٩٦٩)
ص ١٠ ـ ١١ الميثاق (١٩٦٩) ٠
ص ٢٨ ـ ٢٩ كراس استراتيجية الكفاح المسلح (بدون تاريخ)
ص ٣١ كراس استراتيجية الكفاح المسلح (بدون تاريخ)
ص ١٥ ـ ١٧ كراس ازمة حركة المقاومة (١٩٧٢)
ص ٢٠ كراس ازمة حركة المقاومة (١٩٧٢)
ص ٣٤ ـ ٣٥ كراس ازمة حركة المقاومة (١٩٧٢)
ص ٧ مجلة الى الامام ، العدد ٣٠١ ، ٥/٢٩/ ١٩٧٠
ص ٤ مجلة الى الامام ، العدد ٣٠٤ ، ٦/١٩/ ١٩٧٠
ص ٨ مجلة الى الامام ، العدد ٣١١ ، ٨/٧/ ١٩٧٠
ص ١٦ مجلة الى الامام ، العدد ٣١٤ ، ٨/٢٨/ ١٩٧٠
ص ٢ مجلة الى الامام ، العدد ٣١٥ ، ٩/٤/ ١٩٧٠
ص ٦ مجلة الى الامام ، العدد ٣١٦ ، ٩/١١/ ١٩٧٠
ص ١١ مجلة الى الامام ، العدد ٣٢٠ ، ٩/٩/ ١٩٧٠
ص ٨ مجلة الى الامام ، العدد ٣٣٦ ، ٢/١٢/ ١٩٧١
ص ٣ مجلة الى الامام ، العدد ٣٣٨ ، ٢/٢٦/ ١٩٧١
ص ٣ مجلة الى الامام ، العدد ٣٥٢ ، ٦/٤/ ١٩٧١
ص ٩ مجلة الى الامام ، العدد ٣٥٧ ، ٧/٩/ ١٩٧١
ص ٢٠ مجلة الى الامام ، العدد ٣٨٨ ، ٢٢/ ١٩٧٢/١٢

ـ القسم الاول من كراس دراسة في غياب الرفض العلمي وملاحظات حول الوحدة الوطنية (١٩٧٠) ٠

١٣ ـ الثورة الفلسطينية والثورة العربية

ص ٢ الميثاق (١٩٦٩)
ص ٣ ـ ٤ كراس الميثاق وابعاده (١٩٦٩) ٠
ص ٣٧ ـ ٣٨ كراس ازمة حركة المقاومة (١٩٧٢) ٠

١٤ ـ الثورة الفلسطينية والثورة العالمية

ص ١١ الميثاق (١٩٦٩)
ص ٢٨ ـ ٢٩ كراس الميثاق وابعاده (١٩٦٩)

١٥ ـ حول الانظمة العربية الوطنية

ص ٢٠ ـ ٢١ كراس استراتيجية الكفاح المسلح (بدون تاريخ) ٠

١٦ ـ حول الانظمة العربية التقليدية

ص ٩ ـ ١٠ كراس استراتيجية الكفاح المسلح (بدون تاريخ)
ص ٧ مجلة الى الامام ، العدد ٣١١ ، ٨/٧/ ١٩٧٠
ص ٨ ـ ٩ مجلة الى الامام ، العدد ٣١٣ ، ٢١/ ١٩٧٠/٨
ص ٥ مجلة الى الامام ، العدد ٣٢٧ ، ١١/٢٨/ ١٩٧٠

١٧ ـ البعد العربي للمعركة

ص ٢٧ مجلة الجبهة ، العدد ٧ ، تموز ١٩٦٩ ٠
ص ط ـ ي الميثاق (١٩٦٩) ٠
ص ٧ ـ ٨ الميثاق (١٩٦٩)
ص ١٨ ـ ١٩ كراس الميثاق وابعاده (١٩٦٩)
ص ٨ ـ ٩ مجلة الى الامام ، العدد ٣١٠ ، ٣١/ ١٩٧٠/٧
ص ٤ ـ ٥ مجلة الى الامام ، العدد ٣١٢ ، ١٤/ ١٩٧٠/٨
ص ٥ مجلة الى الامام ، العدد ٣٤٥ ، ٤/١٦/ ١٩٧١
ص ٣ مذكرة الجبهة الى المجلس الوطني الفلسطيني السادس (ايلول ١٩٦٩)

١٨ ـ تحرير الارض والانسان

ص ١٨ مجلة الجبهة ، العدد ١ ، كانون الثاني ١٩٦٩
ص ٢١ مجلة الجبهة ، العدد ١٠ ، ١٩٧٠
ص ٥ ـ ٦ الميثاق (١٩٦٩)
ص ١١ ـ ١٣ كراس الميثاق وابعاده (١٩٦٩)
ص ٢٨ كراس الميثاق وابعاده (١٩٦٩)
ص ٨ مجلة الى الامام ، العدد ٣٤٦ ، ٤/٢٣/ ١٩٧١
ص ٣٠ كراس ازمة حركة المقاومة (١٩٧٢)

١٩ ـ الحزب والوضوح السياسي

ص ٨ ـ ٩ مجلة الجبهة ، العدد ٣ ، آذار ١٩٦٩
ص ٥ كراس الميثاق وابعاده (١٩٦٩)
ص ١٤ ـ ١٥ كراس الميثاق وابعاده (١٩٦٩)
ص ٦ ـ ٧ الميثاق (١٩٦٩) ٠
ص ١٩ ـ ٢٠ كراس استراتيجية الكفاح المسلح (بدون تاريخ)
ص ٢٥ كراس استراتيجية الكفاح المسلح (بدون تاريخ)
ص ٣٠ كراس استراتيجية الكفاح المسلح (بدون تاريخ) ٠
ص ٦ مجلة الى الامام ، العدد ٣٧٠ ، ١٠/٧/ ١٩٧١

٢٠ ـ الدولة الفلسطينية

ص ٣ مجلة الى الامام ، العدد ٢٩٧ ، ٥/٢/ ١٩٧٠
ص ٣ مجلة الى الامام ، العدد ٣١٣ ، ٨/٢١/ ١٩٧٠
ص ٥ مجلة الى الامام ، العدد ٣٢٢ ، ١٠/٢٣/ ١٩٧٠
ص ٣ مجلة الى الامام ، العدد ٣٢٣ ، ١٠/٣٠/ ١٩٧٠
ص ٦ ـ ٧ المرجع نفسه
ص ٤ ـ ٥ مجلة الى الامام ، العدد ٣٢٩ ، ١٩٧٠/١٢/١٨
ـ القسم الاول من كراس دراسة في غياب الرفض العلمي وملاحظات حول الوحدة الوطنية ٠

٢١ ـ الدولة الديمقراطية

ص ١٢ ـ ١٣ مجلة الى الامام ، العدد ٣١٨ ، ١٩٧٠/٩/٢٥

٢٢ ـ الحل السلمي

ص ٧ ـ ٨ مجلة الجبهة ، العدد ١ ، كانون الثاني ١٩٦٩
ص ٢ ـ ٣ مجلة الجبهة ، العدد ٤ ، نيسان ١٩٦٩
ص ٩ مجلة الجبهة ، العدد ٩ ، ١٩٧٠
ص ٤٣ مجلة الجبهة ، العدد ٩ ، ١٩٧٠
ص ٣ مجلة الى الامام ، العدد ٢٩٥ ، ٤/١٧/ ١٩٧٠
ص ٣ مجلة الى الامام ، العدد ٢٩٨ ، ٥/٩/ ١٩٧٠
ص ١٦ مجلة الى الامام ، العدد ٣٠٢ ، ٦/٥/ ١٩٧٠
ص ٨ مجلة الى الامام ، العدد ٣٠٥ ، ٦/٢٦/ ١٩٧٠
ص ٣ مجلة الى الامام ، العدد ٣١٠ ، ٧/٣١/ ١٩٧٠
ص ٨ ـ ٩ مجلة الى الامام ، العدد ٣١٠ ، ٣١/ ١٩٧٠/٧
ص ١٦ مجلة الى الامام ، العدد ٣١٠ ، ٣١/ ١٩٧٠/٧
ص ٦ ـ ٧ مجلة الى الامام ، العدد ٣١١ ، ١٩٧٠/٨/٧
ص ١٢ ـ ١٣ مجلة الى الامام ، العدد ٣١١ ، ١٩٧٠/٨/٧
ص ٤ مجلة الى الامام ، العدد ٣١٢ ، ٨/١٤/ ١٩٧٠
ص ٦ ـ ٧ مجلة الى الامام ، العدد ٣١٢ ، ١٩٧٠/٨/١٤
ص ٢ ـ ٣ مجلة الى الامام ، العدد ٣١٥ ، ١٩٧٠/٩/٤
ص ١٢ ـ ١٣ مجلة الى الامام ، العدد ٣٢١ ، ١٩٧٠/٩/١٤
ص ١٢ ـ ١٣ مجلة الى الامام ، العدد ٣٢٢ ، ١٩٧٠/١٠/٢٣
ص ٦ مجلة الى الامام ، العدد ٣٣٠ ، ١/١/ ١٩٧١

ص ٦ مجلة الى الامام ، العدد ٣٣١ ، ١/٨/ ١٩٧١

ص ٨ ـ ٩ مجلة الى الامام ، العدد ٣٣٥ ، ٥/ ١٩٧١/٢

ص ١٦ مجلة الى الامام ، العدد ٣٣٥ ، ٢/٥/ ١٩٧١

ص ٥ مجلة الى الامام ، العدد ٣٣٦ ، ٢/١٢/ ١٩٧١

ص ٣ مجلة الى الامام ، العدد ٣٣٧ ، ٢/١٩/ ١٩٧١

ص ٨ ـ ٩ مجلة الى الامام ، العدد ٣٣٧ ، ١٩/ ١٩٧١/٢

ص ١١ مجلة الى الامام ، العدد ٣٣٨ ، ٢/٢٦/ ١٩٧١

ص ٦ مجلة الى الامام ، العدد ٣٣٩ ، ٣/٥/ ١٩٧١

ص ٣ مجلة الى الامام ، العدد ٣٤٠ ، ٣/١٢/ ١٩٧١

ص ٣ مجلة الى الامام ، العدد ٣٤١ ، ٣/١٩/ ١٩٧١

ص ٦ مجلة الى الامام ، العدد ٣٤٢ ، ٣/٢٦/ ١٩٧١

ص ٣ ـ ٥ مجلة الى الامام ، العدد ٣٤٤ ، ٩/ ١٩٧١/٤

ص ٦ مجلة الى الامام ، العدد ٣٤٦ ، ٢٣/ ١٩٧١/٤

ص ٣ مجلة الى الامام ، العدد ٣٤٩ ، ٥/١٤/ ١٩٧١

ص ٦ مجلة الى الامام ، العدد ٣٥٥ ، ٦/٢٥/ ١٩٧١

ص ١٠ مجلة الى الامام ، العدد ٣٥٧ ، ٧/٩/ ١٩٧١

ص ٧ مجلة الى الامام ، العدد ٣٧٠ ، ١٠/٧/ ١٩٧١

ص ١٤ ـ ١٥ مجلة الى الامام ، العدد ٣٧٥ ، ١٩٧٢/٩/١٥

٢٣ ـ الوحدة الوطنية

ص ١٥ مجلة الجبهة ، العدد ١ ، كانون الثاني ١٩٦٩

ص ٣ ـ ٤ مجلة الجبهة ، العدد ٢ ، شباط ١٩٦٩

ص ٢٨ مجلة الجبهة ، العدد ٧ ، تموز ١٩٦٩

ص ٧ الميثاق (١٩٦٩)

ص ١٦ ـ ١٧ كراس الميثاق وابعاده (١٩٦٩)

ص ٢٨ ـ ٢٩ كراس ازمة حركة المقاومة (١٩٧٢)

ص ٣٣ ـ ٣٤ كراس ازمة حركة المقاومة (١٩٧٢)

ص ٧ و ١٦ مجلة الى الامام ، العدد ٢٩٥ ، ١٩٧٠/٤/١٧

ص ٧ مجلة الى الامام ، العدد ٢٩٦ ، ٤/٢٤/ ١٩٧٠

ص ٨ ـ ٩ مجلة الى الامام ، العدد ٢٩٨ ، ١٩٧٠/٥/٩

ص ٣ مجلة الى الامام ، العدد ٣٠٠ ، ٥/٢٢/ ١٩٧٠

ص ٣ و ١٥ مجلة الى الامام ، العدد ٣٠٢ ، ١٩٧٠/٦/٥

ص ٥ مجلة الى الامام ، العدد ٣٠٣ ، ٦/١٢/ ١٩٧٠

ص ٩ مجلة الى الامام ، العدد ٣٠٥ ، ٦/٢٦/ ١٩٧٠

ص ٧ مجلة الى الامام ، العدد ٣٠٧ ، ٧/١٠/ ١٩٧٠

ص ١٦ مجلة الى الامام ، العدد ٣١٠ ، ٣١/ ١٩٧٠/٧

ص ٦ مجلة الى الامام ، العدد ٣١٣ ، ٨/٢١/ ١٩٧٠

ص ١٦ مجلة الى الامام ، العدد ٣١٤ ، ٨/٢٨/ ١٩٧٠

ص ٣ مجلة الى الامام ، العدد ٣١٥ ، ٩/٤/ ١٩٧٠

ص ٨ مجلة الى الامام ، العدد ٣١٦ ، ١١/ ١٩٧٠/٩

ص ١١ مجلة الى الامام ، العدد ٣٢٠ ، ٩/٩/ ١٩٧٠

ص ٣ مجلة الى الامام ، العدد ٣٢١ ، ٩/١٤/ ١٩٧٠

ص ١٢ ـ ١٣ مجلة الى الامام ، العدد ٣٢٢ ، ١٩٧٠/١٠/٢٣

ص ١٦ المرجع نفسه

ص ٥ مجلة الى الامام ، العدد ٣٢٣ ، ١٠/٣٠/ ١٩٧٠

ص ٣ مجلة الى الامام ، العدد ٣٢٦ ، ٢٠/ ١٩٧٠/١١

ص ٣ مجلة الى الامام ، العدد ٣٢٧ ، ٢٨/ ١٩٧٠/١١

ص ١١ ، مجلة الى الامام ، العدد ٣٣٧ ، ١٩/ ١٩٧١/٢

ص ٣ مجلة الى الامام ، العدد ٣٣٩ ، ٣/٥/ ١٩٧١

ص ٨ ـ ٩ مجلة الى الامام ، العدد ٣٤١ ، ١٩٧١/٣/١٩

ص ٥ مجلة الى الامام ، العدد ٣٤٥ ، ١٦/٤/ ١٩٧١

ص ٩ مجلة الى الامام ، العدد ٣٤٦ ، ٢٣/٤/ ١٩٧١

ص ٣ ، مجلة الى الامام ، العدد ٣٤٧ ، ٣٠/ ١٩٧١/٤

ص ٤ مجلة الى الامام ، العدد ٣٥٧ ، ٩/٧/ ١٩٧١

ص ٨ ـ ٩ مجلة الى الامام ، العدد ٣٥٧ ، ٩/ ١٩٧١/٧

ص ١١ مجلة الى الامام ، العدد ٣٦٣ ، ٢٠/ ١٩٧١/٨

ص ٨ مجلة الى الامام ، العدد ٣٦٩ ، ١٠/١/ ١٩٧١

ص ٨ ـ ١٠ مجلة الى الامام ، العدد ٣٧٥ ، ١٩٧٢/٩/١٥

ص ٤ ـ ٥ مجلة الى الامام ، العدد ٣٨٦ ، ٨/ ١٩٧٢/١٢

ص ١٦ مجلة الى الامام ، العدد ٣٨٨ ، ٢٢/ ٧٢/١٢

مجمل بيان سياسي حول مساهمة الجبهة في قيادة الكفاح المسلح (١٩٦٩)

ص ٢ ـ ٥ مذكرة للمجلس الوطني (٦ نيسان ١٩٧٢)

ص ١ ـ ٢ مذكرة الجبهة الى المجلس الوطني السادس (ايلول) ٠

القسم الثاني من دراسة في غياب الرفض العلمي وملاحظات حول الوحدة الوطنيـة (١٩٧٠) ٠

٢٤ ـ المجلس الوطني الفلسطيني

ص ١٣ ـ ١٤ مجلة الجبهة ، العدد ١ ، كانون الثاني ١٩٦٩

ص ٢ ـ ٣ مجلة الجبهة ، العدد ٧ ، تمـوز ١٩٦٩

ص ٣ ـ ٤ مجلة الى الامام ، العدد ٣٠٣ ، ١٢ حزيران ١٩٧٠

ص ٢ مجلة الى الامام ، العدد ٣٥٤ ، ١٨/٦/ ١٩٧١

ص ٤ و٨ مجلة الى الامام ، العدد ٣٥٧ ، ٩/ ١٩٧١/٧

ص ٤ مجلة الى الامام ، العدد ٣٥٩ ، ٢٣/٧/ ١٩٧١

مجمل بيان سياسي حول المجلس الوطني (١٩٦٩)

٢٥ ـ حول موقف النظام الاردني من الثورة

ص ٣ مجلة الى الامام ، العدد ٣٣٢ ، ١٥/١/ ١٩٧١

ص ٦ ـ ٧ مجلة الى الامام ، العدد ٣٣٢ ، ١٥/ ١٩٧١/١

ص ١٦ مجلة الى الامام ، العدد ٣٣٢ ، ١٥/ ١٩٧١/١

ص ٤ ـ ٥ مجلة الى الامام ، العدد ٣٣٧ ، ١٩/ ١٩٧١/٢

ص ١٠ ـ ١١ مجلة الى الامام ، العدد ٣٣٧ ، ١٩٧١/٢/١٩

ص ٥ مجلة الى الامام ، العدد ٣٣٨ ، ٢/٢٦/ ١٩٧١

ص ٧ مجلة الى الامام ، العدد ٣٤١ ، ٢/٢٦/ ١٩٧١

ص ١٦ مجلة الى الامام ، العدد ٣٤١ ، ٢٦/ ١٩٧١/٢

ص ٣ ـ ٥ مجلة الى الامام ، العدد ٣٤٣ ، ٢/ ١٩٧١/٤

ص ٦ ـ ٧ مجلة الى الامام ، العدد ٣٤٤ ، ١٩٧١/٤/٩

ص ٥ ـ ٩ مجلة الى الامام ، العدد ٣٤٥ ، ١٦/ ١٩٧١/٤

ص ٣ ـ ٤ مجلة الى الامام ، العدد ٣٢١ ، ١٩٧٠/٩/١٤

ص ٧ ـ ٩ المرجع نفسه ٠

ص ١٢ ـ ١٣ المرجع نفسه ٠

ص ٣ ـ ٤ مجلة الى الامام ، العدد ٣٢٢ ، ١٩٧٠/١٠/٢٣

ص ٤ مجلة الى الامام ، العدد ٣٢٣ ، ٣٠/ ١٩٧٠/١٠

ص ٤ مجلة الى الامام ، العدد ٣٢٦ ، ١١/٢٠/ ١٩٧٠

ص ١٦ مجلة الى الامام ، العدد ٣٢٧ ، ٢٨/ ١٩٧٠/١١

ص ٣ مجلة الى الامام ، العدد ٣٢٨ ، ١٤/١١/ ١٩٧٠

ص ٤ ـ ٥ مجلة الى الامام ، العدد ٣٢٩ ، ١٨/ ١٩٧٠/١٢

ص ٧ مجلة الى الامام ، العدد ٣٣٠ ، ١/١/ ١٩٧١

ص ٣١ كراس ازمة حركة المقاومة (١٩٧٢)

ص ١٦ مجلة الى الامام ، العدد ٣٠٣ ، ١٢/ ١٩٧٠/٦

ص ٣ و٥ مجلة الى الامام ، العدد ٣٠٤ ، ١٩/ ١٩٧٠/٦

ص ٨ ـ ٩ مجلة الى الامام ، العدد ٣٠٥ ، ٢٦/ ١٩٧٠/٦

ص ٣ مجلة الى الامام ، العدد ٣٠٧ ، ١٠/ ١٩٧٠/٧

ص ١٦ مجلة الى الامام ، العدد ٣١٧ ، ١٨/ ١٩٧٠/٩

ص ١٦ مجلة الى الامام ، العدد ٣١٨ ، ٢٥/ ١٩٧٠/٩

ص ٤ ـ ٥ مجلة الى الامام ، العدد ٣١٩ ، ٤/ ١٩٧٠/١٠

ص ١٢ ـ ١٣ المرجع نفسه

ص ٤ ـ ٧ مجلة الى الامام ، العدد ٣٤٠ ، ٩/ ١٩٧٠/٩

ص ١٣ المرجع نفسه

ص ٩ مجلة الى الامام ، العدد ٣٤٦ ، ٢٣/ ١٩٧١/٤

ص ٨ ـ ٩ مجلة الى الامام ، العدد ٣٤٨ ، ٧/ ١٩٧١/٥

ص ١٥ مجلة الى الامام ، العدد ٣٤٩ ، ٥/١٤/ ١٩٧١

ص ٧ مجلة الى الامام ، العدد ٣٥١ ، ٥/٢٨/ ١٩٧١

ص ٧ مجلة الى الامام ، العدد ٣٥٢ ، ٦/٤/ ١٩٧١

ص ٣ ـ ٤ مجلة الى الامام ، العدد ٣٥٣ ، ١١/ ١٩٧١/٦

ص ٣ ـ ٥ مجلة الى الامام ، العدد ٣٥٥ ، ٢٥/ ١٩٧١/٦

ص ٣ مجلة الى الامام ، العدد ٣٥٦ ، ٧/٢/ ١٩٧١

ص ٣ و ٥ مجلة الى الامام ، العدد ٣٥٧ ، ٩/ ١٩٧١/٧

ص ٨ ـ ٩ مجلة الى الامام ، العدد ٣٥٧ ، ٩/ ١٩٧١/٧

ص ٣ مجلة الى الامام ، العدد ٣٥٨ ، ١٦/ ١٩٧١/٧

ص ١٦ مجلة الى الامام ، العدد ٣٥٩ ، ٢٣/ ١٩٧١/٧

ص ٢ و ٧ مجلة الى الامام العدد ٣٦١ ، ٨/٦/ ١٩٧١

ص ٧ مجلة الى الامام ، العدد ٣٦٤ ، ٢٧/ ١٩٧١/٨

ص ٣ و٥ مجلة الى الامام ، العدد ٣٦٦ ، ١٠/ ١٩٧١/٩

ص ٤ ـ ٥ مجلة الى الامام ، العدد ٣٦٧ ، ١٩٧١/٩/١٧

ص ١٤ مجلة الى الامام ، العدد ٣٦٨ ، ٢٤/ ١٩٧١/٩

ص ٦ مجلة الى الامام ، العدد ٣٧٠ ، ١٠/٧/ ١٩٧١

ص ١٦ مجلة الى الامام ، العدد ٣٧٢ ، ٢٢/ ١٩٧١/١٠

ص ١٣ مجلة الى الامام ، العدد ٣٧٥ ، ١٥/ ١٩٧٢/٩

ص ٨ ـ ٩ مجلة الى الامام ، العدد ٣٧٨ ، ٦/ ١٩٧٢/١٠

ص ١٢ مجلة الى الامام ، العدد ٣٨١ ، ٢٧/ ١٩٧٢/١٠

ص ٦ مجلة الى الامام ، العدد ٣٨٢ ، ١١/٣/ ١٩٧٢

ص ١٤ ـ ١٥ مجلة الى الامام ، العدد ٣٨٤ ، ١٩٧٢/١١/٢٤

ص ١٠ ـ ١٢ مجلة الى الامام ، العدد ٣٨٥ ، ١٩٧٢/١٢/١

ص ٨ مجلة الى الامام ، العدد ٣٨٨ ، ٢٢/ ١٩٧٢/١٢

ص ١٩ مجلة الى الامام ، العدد ٣٨٨ ، ٢٢/ ١٩٧٢/١٢

ـ القسم الاول من كراس دراسة في غياب الرفض العلمي وملاحظات حول الوحدة الوطنية ٠

٢٦ ـ الجبهة الوطنية الاردنية

ص ٧ مجلة الى الامام ، العدد ٣٧٠ ، ١٠/٧/ ١٩٧١

ص ٩ مجلة الى الامام ، العدد ٣٧١ ، ١٠/١٥/ ١٩٧١

٢٧ ـ حول موقف النظام اللبناني من الثورة

ص ١٠ ـ ١٦ كتاب العرقوب بين اغارتين (١٩٧٢)

ص ١٨ ـ ٢٢ كراس ازمة حركة المقاومة (١٩٧٢)

ص ١٠ مجلة الى الامام ، العدد ٢٩٥ ، ١٧/ ١٩٧٠/٤

ص ٨ مجلة الى الامام ، العدد ٣٠٥ ، ٦/٢٦/ ١٩٧٠

ص ٥ مجلة الى الامام ، العدد ٣٥٨ ، ٧/١٦/ ١٩٧١

ص ٦ مجلة الى الامام ، العدد ٣٦٢ ، ٨/١٣/ ١٩٧١

ص ٧ مجلة الى الامام ، العدد ٣٧٢ ، ١٠/٢٢/ ١٩٧١

ص ١٤ مجلة الى الامام ، العدد ٣٧٥ ، ١٥/ ١٩٧٢/٩

ص ٨ ـ ٩ مجلة الى الامام ، العدد ٣٧٧ ، ٢٩/ ١٩٧٢/٩

ص ٦ ـ ٧ مجلة الى الامام ، العدد ٣٧٩ ، ١٣/ ١٩٧٢/١٠

ص ٤ ـ ٥ مجلة الى الامام ، العدد ٣٨٠ ، ٢٠/ ١٩٧٢/١٠ ٠

ص ٢٨ المرجع نفسه ٠

ص ٦ ، مجلة الى الامام ، العدد ٣٨٣ ، ١٧/ ١٩٧٢/١١ ٠

ص ٢٦ مجلة الى الامام ، العدد ٣٨٦ ، ١٢/٨/ ١٩٧٢

ص ٤ ـ ٧ مجلة الى الامام ، العدد ٣٨٧ ، ١٥/ ١٩٧٢/١٢

ص ٢٠ ـ ٢١ مجلة الى الامام ، العدد ٣٨٨ ، ١٩٧٢/١٢/٢٢

٢٨ ـ منظمة التحرير

ص ٣ ، مجلة الى الامام ، العدد ٣٠٢ ، ٦/٥/ ١٩٧٠

٢٩ ـ الموقف من حكومة المنفى

ص ٢٣ كراس ازمة حركة المقاومة (١٩٧٢)

ص ٣ مجلة الى الامام ، العدد ٣٥٠ ، ٥/٢١/ ١٩٧١

ص ٤ مجلة الى الامام ، العدد ٣٥٢ ، ٦/٤/ ١٩٧١

ص ٩ مجلة الى الامام ، العدد ٣٥٧ ، ٧/٩/ ١٩٧١

ص ٤ـ٧ مجلة الى الامام ، العدد ٣٧٨ ، ١٠/٦/ ١٩٧٢

ص ٤ ـ ٥ مجلة الى الامام ، العدد ٣٧٩ ، ١٣/ ١٩٧٢/١٠

٣٠ ـ تعدد المنظمات

ص ١٦ كراس الميثاق وابعاده (١٩٦٩)

ص ٢٢ ـ ٢٣ كراس الميثاق وابعاده (١٩٦٩)

ص ٧ مجلة الى الامام ، العدد ٢٩٦ ، ٤/٢٤/ ١٩٧٠

٣١ ـ نقد قيادات المقاومة

ص ٢٦ ـ ٢٨ كراس ازمة حركة المقاومة (١٩٧٢)

ص ٤٣ ـ ٤٥ كراس ازمة حركة المقاومة (١٩٧٢)

ص ٥ مجلة الى الامام ، العدد ٣٠٢ ، ٦/٥/ ١٩٧٠

ص ٦ مجلة الى الامام ، العدد ٣٤١ ، ٣/١٩/ ١٩٧١

ص ١٥ مجلة الى الامام ، العدد ٣٤٩ ، ٥/١٤/ ١٩٧١

ص ٩ مجلة الى الامام ، العدد ٣٥٧ ، ٧/٩/ ١٩٧١

ص ٣ مجلة الى الامام ، العدد ٣٥٩ ، ٧/٢٣/ ١٩٧١

ص ٨ ـ ٩ مجلة الى الامام ، العدد ٣٦٩ ، ١/ ١٠/١٩٧١
ص ٢٤ مجلة الى الامام ، العدد ٣٧٩ ، ١٣/ ١٠/١٩٧٢
ص ٢٠ مجلة الى الامام ، العدد ٣٨٨ ، ٢٢/ ١٢/٧٢

٣٣ ـ الديمقراطية والنقد الذاتي

ص ٨ ـ ٩ مجلة الى الامام ، العدد ٣٠٣ ، ١٢/ ٦/١٩٧٠
ص ٢٠ ـ ٢١ كراس الميثاق وابعاده (١٩٦٩)

٣٣ ـ الموقف من الدين

ص ١١ ـ ١٢ الميثاق (١٩٦٩)
ص ٣٠ ـ ٣١ كراس الميثاق وابعاده (١٩٦٩)

٣٤ ـ فلسطينية الثورة

ص ٣ كراس الميثاق وابعاده (١٩٦٩)
ص ٢٩ ـ ٣٠ كراس استراتيجية الكفاح المسلح (بدون تاريخ)
ص ٤ مجلة الى الامام ، العدد ٣١٢ ، ٨/١٤/ ١٩٧٠
ص ١٠ ـ ١١ مجلة الى الامام ، العدد ٣١٣ ، ١٩٧٠/٨/٢١

٣٥ ـ جماعية القيادة

ص ٦ ـ ٧ مجلة الجبهة ، العدد ٢ شباط ١٩٦٩
ص ٨ الميثاق (١٩٦٩)
ص ٢٠ ـ ٢١ كراس الميثاق وابعاده (١٩٦٩)

ب ـــ الافكار العسكرية

١ ـ حرب التحرير الشعبية

ص ٢٠ ـ ٢٢ مجلة الجبهة ، العدد ٥ ، ايـار ١٩٦٩
ص ٦ ـ ٧ مجلة الجبهة ، العدد ٦ ، حزيران ١٩٦٩
ص ٢٣ ـ ٢٤ كراس استراتيجية الكفاح المسلح (بدون تاريخ)
ص ٨ ـ ٩ مجلة الى الامام ، العدد ٣٠٢ ، ٥/ ٦/١٩٧٠
ص ٧ مجلة الى الامام ، العدد ٣٠٨ ، ٧/١٧/ ١٩٧٠
ص ١٢ ـ ١٣ مجلة الى الامام ، العدد ٣٢٢ ، ١٩٧٠/١٠/٢٣

٢ ـ الكفاح المسلح

ص ١ الميثاق (١٩٦٩)
ص ١ كراس الميثاق وابعاده (١٩٦٩)
ص ٣ ـ ٥ كراس استراتيجية الكفاح المسلح (بدون تاريخ)
ص ٢٤ ـ ٢٥ كراس استراتيجية الكفاح المسلح (بدون تاريخ)
ص ٣٦ ـ ٣٧ كراس استراتيجية الكفاح المسلح (بدون تاريخ)

ص ٩ ، مجلة الى الامام ، العدد ٣٠٥ ، ٣٦/ ٦/١٩٧٠
ص ١٢ ـ ١٣ مجلة الى الامام ، العدد ٣١١ ، ٨/٧/١٩٧٠
ص ١٢ ـ ١٣ ، مجلة الى الامام ، العدد ٣١٢ ، ٨/١٤/١٩٧٠
ص ٧ مجلة الى الامام ، العدد ٣٣٤ ، ١/٢٩/ ١٩٧١

٣ ـ حرب العصابات

ص ٤ ـ ٧ مجلة الجبهة ، العدد ٧ ، تمـوز ١٩٦٩
ص ٥ مجلة الجبهة ، العدد ٨ ، آب ١٩٦٩
ص ٢٠ ـ ٢١ كتاب العرقوب بين اغارتين ١٩٧٢
ص ٤ ـ ٥ مجلة الى الامام ، العدد ٣٠٥ ، ٣٦/ ٦/١٩٧٠
ص ٨ ـ ٩ مجلة الى الامام ، العدد ٣٣٢ ، ١٩٧١/١/١٥
ص ٩ مجلة الى الامام ، العدد ٣٣٣ ، ٢٢/ ١/١٩٧١

٤ ـ خصوصيات الكفاح المسلح الفلسطيني

ص ٣٦ ـ ٣٧ كراس استراتيجية الكفاح المسلح (بدون تاريخ)

٥ ـ هانوي العربية

ص ٤ مجلة الى الامام ، العدد ٣٠٤ ، ٦/١٩/ ١٩٧٠

٦ ـ العنف الثوري

ص ١٨ مجلة الجبهة ، العدد ١ ، كانون الثاني ١٩٦٩

ص ٢٦ كراس استراتيجيـــة الكفاح المسلـح (بدون تاريخ)

ص ١٦ مجلة الى الامام ، العدد ٣٠٢ ، ٦/٥/ ١٩٧٠

٧ ـ صفات المقاتل الثوري

ص ٩ الميثاق (١٩٦٩)

ص ٢٤ ـ ٢٥ كراس الميثاق وابعاده (١٩٦٩)

٨ ـ عمليات الداخل

ص ٨ ـ ٩ الميثاق (١٩٦٩)

ص ٢٢ ـ ٢٣ كراس الميثاق وابعاده (١٩٦٩)

ص ٤ مجلة الى الامام ، العدد ٣٣١ ، ١/٨/ ١٩٧١

ص ٤ مجلة الى الامام ، العدد ٣٥٨ ، ٧/١٦/ ١٩٧١

٩ ـ عمليات القشرة

ص ٢٢ ـ ٢٣ كراس الميثاق وابعاده (١٩٦٩)

١٠ ـ العمليات الخارجية

ص ٤ الميثاق (١٩٦٩)

ص ٩ ـ ١٠ كراس الميثاق وابعاده (١٩٦٩) .

ص ٣ مجلة الى الامام ، العدد ٣١٦ ، ٩/١١/ ١٩٧٠

ص ٢ مجلة الى الامام ، العدد ٣١٧ ، ٩/١٨/ ١٩٧٠

ص ١٦ مجلة الى الامام ، العدد ٣٣١ ، ١/٨/ ١٩٧١

ص ٨ مجلة الى الامام ، العدد ٣٥٧ ، ٧/٩/ ١٩٧١

ص ١٤ مجلة الى الامام ، العدد ٣٦٨ ، ٩/٢٤/ ١٩٧١

١١ ـ ضرب المصالح الامبريالية

ص ١٢ ـ ١٣ ، مجلة الى الامام ، العدد ٣١٢ ، ١٩٧٠/٨/١٤

ص ٥ مجلة الى الامام ، العدد ٣٣٥ ، ٢/٥/ ١٩٧١

ص ٧ مجلة الى الامام ، العدد ٣٧٠ ، ١٠/٧/ ١٩٧١

١٢ ـ قيادة الكفاح المسلح

ص ٢٨ ـ ٢٩ مجلة الجبهة ، العدد ٧ ، تمـوز ١٩٦٩

ص ٢ مجلة الى الامام ، العدد ٣٠٢ ، ٦/٥/ ١٩٧٠

ص ٥ مجلة الى الامام ، العدد ٣٠٩ ، ٧/٢٤/ ١٩٧٠

مجمل بيان سياسي حول مساهمة الجبهة فـي قيادة الكفاح المسلح (١٩٦٩)

ص ٣ ، مذكرة الجبهة الى المجلس الوطنـي السادس (ايلول ١٩٦٩)

١٣ ـ القيادة الموحدة

ص ٣ مجلة الى الامام ، العدد ٢٩٦ ، ٤/٢٤/ ١٩٧٠

ص ٣ مجلة الى الامام ، العدد ٣٠٢ ، ٦/٥/ ١٩٧٠

١٤ ـ اخطاء العمل الفدائي

ص ٢٢ كراس الميثاق وابعاده (١٩٦٩)

ص ١ ـ ٣ كراس استراتيجية الكفاح المسلح (بدون تاريخ)

ص ٢٧ ـ ٢٨ كراس استراتيجية الكفاح المسلح (بدون تاريخ)

ص ٤٠ ـ ٤٢ كتـاب العرقـوب بين اغارتين (١٩٧٢)

ص ٧ كراس ازمة حركة المقاومة (١٩٧٢)

ص ٨ ـ ١٧ كراس ازمة حركة المقاومة (١٩٧٢)

ص ٢٥ ـ ٣٠ كراس ازمة حركة المقاومـة (١٩٧٢)

ص ٤٣ كراس ازمة حركة المقاومة (١٩٧٢)

ص ٨ ـ ٩ مجلة الى الامام ، العدد ٣٠٣ ، ١٢/ ١٩٧٠/٦

ص ٥ مجلة الى الامام ، العدد ٣٤٥ ، ٤/١٦/ ١٩٧١

ص ٨ ـ ٩ مجلة الى الامام ، العدد ٣٥٩ ، ٢٣/ ١٩٧١/٧

ص ١٩ مجلة الى الامام ، العدد ٣٨٨ ، ٢٢/ ١٩٧١/١٢

تقارير

من تجارب العمل الشعبي خلال الاحداث

وجدت اللجان الشعبية في منطقة الشياح ـ الغبيري ـ كرد فعل طبيعي ، على الاهمال الذي تعاني منه المنطقة من جهة ، وللشعور العفوي الذي بدأ يتبلور بعد فقدان دور السلطة الكامل ، خلال الاحداث التي بدأت في نيسان ١٩٧٥ .

لقد تجلى الاهمال الكامل قبل الاحداث ، بعدم الاهتمام بقضايا الجماهير المعيشية ، وعدم ايجاد عمل للقسم الاكبر من الاهالي ، او من القوى القادرة على العمل ويعود ذلك اساسا الى عدم قدرة قطاع الخدمات على استيعاب قوى جديدة ، وبسبب تشبع القطاع العام في الدولة . وقد ترافق ذلك مع قوة الهيمنة الاجنبية الاقتصادية على الاقتصاد اللبناني ، هذه القوة التي تمنع ، مع القوى المرتبطة بها ، والمرتبطة اساسا بامتيازات طائفية تاريخية ، تمنع وتقف حجر عثرة في وجه التطور في القطاعات المنتجة ـ الزراعة ـ والصناعة . لان تطور القطاعات المنتجة يقود الى مواصفات جديدة لا تتوافق مع مواصفات سيطرة النسب الطائفية على جهاز موظفي الدولة .

ومن جهة اخرى فان انفتاح بعض الدول العربية على الاسواق الغربية مباشرة أثر على الوضع اللبناني ، بنسب ملموسة ، وبالذات على قطاع الخدمات والتجارة ، القائم، اصلا على الوساطة ، اضافة الى ان تصاعد الاعتداءات الصهيونية على الاراضي اللبنانية ، قد اوضح بشكل شبه كامل الدور الحقيقي للسلطة العسكرية ، فعدم التصدي لهذه الاعتداءات على مدار السنوات الماضية ، افرز تحولات مهمة عى الصعيد الشعبي ، هذه التحولات التي تطالب بالرد ، وحين لم يستجب لطلبها ، بدأت تنحى منحى الدفاع عن الارض، وبدأ بينها وبين فصائل الثورة ، تحالف يزداد رسوخا مع الوقت .

ان تطور ضعف سلطة الدولة ، ينبع اساسا من ضعف قدرتها على تأمين عمل للقوى الجديدة ،وعن تلبية مطالب الجماهير المعيشية من جهة ، وتلبية مهمة الدفاع عن الارض المستباحة وعن الشعب الموجهة ضده الالة العسكرية الصهيونية ، بدون اي رادع . من جهة اخرى ينعكس هذا الوضع العام ، على منطقة الشياح ـ الغبيري . كما سنرى تفصيليا .

الوضع السكاني والاقتصادي لمنطقة الشياح ـ الغبيري

يوضح التركيب السكاني للمنطقة الامور التالية :

١ ـ يبلغ عدد سكان المنطقة الاصليين حوالي الثلاثين الف نسمة .

٢ ـ يتراوح عدد السكان النازحين من

الجنوب ما بين الاربعين الف نسمة والخمسين الف ٠

٣ ـ كما يتراوح عدد السكان النازحين من منطقة بعلبك ـ الهرمل ما بين خمسة عشر الف وعشرين الف نسمة ٠

٤ ـ كما يبلغ عدد القادمين من مناطق لبنانية اخرى ، حوالي العشرين الف نسمة ٠

التركيبة الطبقية لسكان المنطقة

تشكل الفئة الميسورة من هذا التصنيف المذكور ، وبالتحديد من السكان الاصليين ، والذين يملكون العقارات والارض ، والمصالح المتوسطة والصغيرة ، ومن اصحاب الوظائف العالية ـ والمتوسطة ـ والصغيرة ايضا ٠

وهناك فئة قليلة من المناطق الثانية تنتمي لهذا التصنيف ، وتتركز فيه مجمل هذه التركيبة الطبقية ، وان كان قسم لا بأس به ينتمي الى فئة اصحاب العقارات ٠

اما بقية السكان فهم اجمالا من الفئات المسحوقة ، والتي تعمل في قطاع الخدمات العامة ،وفي المصانع والمعامل المحيطة بالمنطقة، في الحرف او كمعلمي مدارس ، او اصحاب حوانيت ، وعمال بلدية ، وبالتالي فان قسما لا بأس به يعمل في السلك العسكري ، جيش ـ درك ـ شرطة ٠

ان التركيبة السكانية من جهة ، وهذه اللوحة الاولية للتركيبة الاجتماعية من جهة ثانية ، تعطينا صورة حول الاصول الطبقية لهذه الفئات ، والتي بمجملها من الطبقة الفلاحية ، النازحة من الريف وان تفتت العلاقات في الريف ، اضافة الى اهمال القطاع الزراعي ، ادى بهذه الفئات للنزوح لتشكل ما سمي بحزام الفقر ٠

ان هذا الوضع من الاهمال الكامل في المناطق التي نزحوا عنها ، حيث لا خطط انمائية ، مع اهمال للاوضاع الصحية ، وعدم اعطاء الجيش دوره في الدفاع عن الارض ، وتحكم قطاع الخدمات ، بمصير القطاعات المنتجة ، اضافة لامتداد هذا الوضع الى المناطق التي نزحوا اليها ٠ وخاصة منطقة الشياح ـ الغبيري والنبعة ـ قد ادى بهم الى تحسس الخطر المحدق بهم من القوى المرتبطة بالهيمنة الاجنبية ـ وبامتيازات تاريخية ـ على حساب بقاء البؤس ـ والفاقة والمرض ٠

ان هذا الوضع قد جعلهم في الخندق الامامي، دفاعا عن مصيرهم اساسا ، ومن اجل المساهمة في تغيير هذا الواقع الذي يعانون منه ٠ ودفاعا عن ارض الوطن ، الذي يريده البعض مركزا للتآمر على الوطن العربي ٠ ويريدون ارضه مشاعا للعدو الصهيوني ، كما ان بدء المؤامرة من عين الرمانة ، جعل من منطقة الشياح ـ الغبيري ، المنطقة الاكثر تحسسا ، والاكثر شعورا بالمسؤولية ٠

اللجان الشعبية وهدفها

فور بدء المؤامرة ، التي كانت ردا على تطور الشعور الوطني والقومي المتنامي ، المرتبط بالمطالب المعيشية للجماهير ، حمل المئات من ابناء الشياح ـ الغبيري السلاح للدفاع عن المصير اولا ولاحباط المؤامرة ثانيا ، وكانت الجماهير تدرك بعفويتها أن احباط المؤامرة بداية لبلورة وضع جديد لمستقبل جديد ، سواء من حيث الالتزام بقضايا الوطن العربي المصيرية ، ام من حيث ، تحقيق اصلاحات سياسية واقتصادية ، تستجيب لحاجات وتطلعات الجماهير ٠

والشيء الاساسي المكمل لهذا التوجه هو الاهتمام بقضايا الجماهير المعيشية ، اذ أن اهمال هذا الجانب معناه ان نفسح المجال لخلل يمكن ان تنفذ منه القوى المشبوهة ، لدق اسفين ما بين سكان المنطقة ، وما بين الحركة الوطنية ـ وفصائل الثورة ٠

لذلك فقد كان الجانب الاساسي في عمل اللجان ، هو محاولة تشكيل قوى متقدمة للعمل الجماهيري ، وصورة متقدمة للعمل الجبهوي مع كل الاطراف الموجودة على الساحة ، بهدف الارتفاع بمستوى العلاقات بين الاطراف السياسية الفاعلة لمواجهة كافة الاحتمالات ٠

ولقد برز اتجاه ضمن هذه اللجان ، يريد ان يكرن بديلا للاطراف السياسية ويريد ان ينغلق على نفسه ، وكان يتعامل مع

الجماهير ، ومع المنظمات من هذا المنطلق ، لقد اوصل هذا الاتجاه العمل ، بعد فترة من الزمن الى طريق وعرة ، والى منعطف حاسم . وقد ساعد ذلك كثيرا على المزيد من التشرذم على ساحة العمل في المنطقة ، فالجماهير تريد توحيد المواقف وترفض الشرذمة والعصبوية داخل اللجان وخارجها وخاصة عند الاطراف الناشئة ، التي وقفت موقف المتفرج من اللجان، ومن ثم بدأت تعمل لتشكيل اللجان الخاصة بها ، وهذا ما زاد الموقف تبلبلا وتشرذما .

التجربة والنتائج

ان الشيء المكمل لمسألة الدفاع عن المنطقة ، هو ان نهتم بقضايا الجماهير وبمشاكلها ، السياسية ـ والاجتماعية ـ والاقتصادية . لهذا فقد طرح منذ البدء ايصال الموقف السياسي ـ والعسكري للجماهير عبر اذاعات نقالة ، وطرحت المسألة الامنية بحدة مسألة المحافظة على الاملاك الخاصة مكافحة وجهات النظر التي تريد اقامة شرخ بين السكان وبين القوى الوطنية وفصائل المقاومة ، ووضع ما يحصل ضمن اطر العمل الوطني ، لا ضمن ما يخطط له المتآمرون الذين يريدونها ان تتحول الى عمل طائفي .

كذلك اهتمت اللجان بالمسائل الصحية ، وقد قامت اللجنة النسائية بدور هام ، كان من نتيجته ان ساهمت في بناء مركز مستوصف شعبي ، قام بدور صحي وقائي وساهم في حل جزء من مشاكل المواطنين الصحية ، وقد قامت اللجان بجمع جزء من الادوية من بعض الاطباء، وبجمع جزء من تبرعات شعبية كما قدم الهلال الاحمر الفلسطيني كميات من الادوية غطت القسم الاكبر من الاحتياجات . علما ان تجربة هذا المستوصف كانت التجربة الاولى في المنطقة للعمل الصحي الشعبي خلال الازمة ، وفي مناطق الاشتباكات المتقدمة ، وهذا وباعتبار ان مستوصف نادي الضاحية كان له الدور الرئيسي في هذا المجال ، فقد تم التنسيق بين المركزين .

اما على صعيد التموين ، فقد حاولت اللجان حل مشاكل المنطقة ، لهذا حاولت احصاء المخازن التي تمون المنطقة ، من اجل ايجاد احتياطي دائم ، وبالاسعار المتعارف عليها ، كما حاولت مكافحة التلاعب بالاسعار ، ومكافحة عمليات الاحتكار التي يتلاعب بها البعض من التجار ، مع التأكيد على توثيق العلاقة مع اصحاب الحوانيت ، من اجل مشاركتهم في الوصول لحل اية اشكالات يمكن حصولها .

هذا وقد حصلت اللجان على كميات من السكر والرز ، بيعت بالاسعار المتعارف عليها ، كما تعاونت مع اصحاب الافران ، وحلت مشكلة تأمين الطحين وخاصة في الفترات الصعبة ، وذلك عبر تأمينه من مطحنة الشهباء في برج البراجنة ، بعد تعذر الوصول الى مطحنة الشياح .

كما حصلت على كميات من التموين من حركة التحرير الوطني الفلسطيني « فتح » وزعت على الفئات المسحوقة في المنطقة على ثلاث دفعات متتالية وفي اوقات مختلفة ، كما امنت الحركة الدقيق في بعض الفترات ،ولبعض الافران ، وقد وزع للاهالي عبر اللجان الشعبية بدون مقابل .

اما بالنسبة للنظافة ، فقد اقامت اللجنة اسبوعا للنظافة في المنطقة ، وتعاونت في ذلك مع البلدية ، اذ امنت البلدية وسائل النظافة، وقامت اللجان بالحملة كما قامت في مناطق مختلفة من المنطقة حملات مختلفة للنظافة .

وقد حصل اكثر من لقاء مع مسؤولي البلدية ، لمعالجة القضايا الطارئة ومحاولات الابتزاز التي كان يقوم بها البعض ، اي القيام بحملات للنظافة لقاء عمولة محددة من الاهالي .

ومن جهة ثانية قمنا بمسح اجتماعي لبعض مناطق المنطقة ، ولبعض المؤسسات الموجودة فيها ، وقد تبين لنا التالي :

١ ـ في المنطقة ـ ١٣ ـ فرنا ٢ ـ عشر محطات بنزين . ٣ ـ خمس صيدليات . ٤ ـ اربع مدارس رسمية ، مع ما يزيد عن الخمسين مدرسة خاصة . ٥ ـ ثماني ابار ارتوازية . ٦ ـ ثلاثة نواد . ٧ ـ اربع

مستوصفات ـ العمل الشعبي ـ الضاحية ـ مستوصف الاسعد ـ النجدة الشعبية ٠ ٨ ـ مطحنة ٠٠٠

كما ان اللجنة ، قامت بمجموعة ندوات شعبية في فترات مختلفة ، تم خلالها توضيح الاوضاع السياسية كما تم خلالها طرح مهمات جماهيرية كانت ملحة خلال ذلك الوقت ٠ وقد كانت هذه اللقاءات مدخلا للتعرف على مجموعات من الكفاءات ، كي تشارك في بعض المهمات على صعيد المنطقة ٠

هذا وقد تم ايضا اصدار خمسة بيانات في فترات مختلفة توضح تطورات الاوضاع السياسية ، كما تم اصدار نشرة باسم صوت الشياح ، تم من خلالها تقديم صورة اولية حول وضع المنطقة ٠

كما تم عرض بعض الافلام السينمائية في اماكن مختلفة من منطقة الشياح ، وجرى اصدار ملصقين ، يوضحان المهمات والمطالب المطروحة ٠

ان ما سبق وذكر من انجازات تم تحقيقها ، لا يعني انه لم يكن هناك من مهمات لم تنفذ ، ولا يعني انه لم يقع كثير من الاخطاء، وكثير من التقديرات الخاطئة لمجموعة من المسائل ٠٠

خلاصة ٠

لقد قدمنا صورة حول وضع المنطقة من جهة ، هذه المنطقة التي تتواجد فيها كل التنظيمات السياسية بدون استثناء ، وان كان هذا التواجد بنسب متفاوتة من حيث العدد ، ومن حيث التأثير في مجرى الامور ، فضلا عن ان بؤرا سياسية ، وقوى عديدة قد ظهرت على الساحة خلال الازمة ، ومبرر هذا الظهور كما يقول هؤلاء هو العجز عن مواجهة الوضع العسكري بالشكل المطلوب او حل مشاكل الجماهير والاهتمام بقضاياها السياسية والاجتماعية ٠

ان هذا التشرذم الحاصل قد ادى الى تعقيد الكثير من القضايا ، وادى الى ان ينعكس على الجماهير وبأغلب الاحيان وبشكل سلبي ، او قلما تجد ان تنظيما ما له وجهة نظر حول قضية محددة مع تنظيم اخر ، فضلا عن التجارب الناجحة للعمل الجبهوي لم تبرز حتى الان ، وكل ما قيل ويقال لم يشكل الا طموحات نحاول ويحاول الاخرون الوصول اليها ٠

المفهوم الاسرائيلي لصفقة طائرات النقل الاميركية (هيركليس)لمصر

اعتادت اسرائيل في الماضي ان تعترض في كل مرة كان يتسرب الى علمها ان مصر بصدد عقد صفقة سلاح ٠ ان كان ذلك مع الاتحاد السوفييتي او بريطانيا او فرنسا ٠ وكانت مبرراتها باستمرار وراء ذلك هو انها كانت لا تريد ان ترى عدوتها الكبرى تحصل على مزيد من الاسلحة الهجومية او الدفاعية مهما كان تأثير ذلك على الصراع في المنطقة صغيرا ام كبيرا حتى لا يؤثر ذلك على موازين القوى العسكرية في المنطقة بالمقام الاول ٠ يضاف الى ذلك انها غالبا ما كانت تستغل اعتراضها على مثل هذه الصفقات التي كانت تعقدها مصر او اية دولة عربية في السابق بقصد التشهير في الاوساط الدولية لتمهيد الطريق لاصدقائها في الكونغرس الاميركي في الولايات المتحدة حتى يقوموا من جهتهم بمسؤولياتهم التقليدية تجاهها بطلب مزيد من السلاح والمساعدات العسكرية الاميركية لها ٠وطبعا كانت ذريعتهم في كل مرة معزوفة قلقهم على امن اسرائيل وحرصهم على ان لا يختل ميزان القوى العسكرية في المنطقة الذي ظل يميل باستمرار

طيلة سنوات الصراع السابقة - ولا زال - لصالح اسرائيل ٠

هكذا ظل سلوك اسرائيل طيلة سنوات الصراع الماضية ، وغالبا ما كانت تحقق ما كانت ترمي اليه من وراء اثارتها الاوساط الدولية والاميركية بوجه خاص ضد صفقات السلاح التي كانت تعقدها مصر او اية دولة عربية ٠ وهو اسلوب رأت نفسها تحقق الكثير من وراءه وتحصل بواسطته على ما تريد من اسلحة هجومية ودفاعية من ترسانات الدول الغربية التي ظلت تبتز منها السلاح ابتزازا في اكثر الاحيان ٠

غير ان اعتراض اسرائيل لصفقة طائرات النقل العسكرية الاميركية لمصر التي بلغ لعلمها ان مصر بصدد تسلمها من الولايات المتحدة قريبا يختلف هذه المرة في مضمونه ومراميه عن الاحتجاجات التي كانت تتقدم بها في السابق ٠ فالسلاح الذي تعترض عليه اسرائيل هذه المرة لا يدخل في عداد الاسلحة الهجومية او حتى الدفاعية الذي من شأنه التأثير على الاوضاع العسكرية السائدة او الاخلال بموازين الصراع العسكرية السائدة في الجبهة الجنوبية بين الجيشان المصري والاسرائيلي ٠ فهذا السلاح ومهما كان نوعه وقيمته العسكرية يأتي هذه المرة من دولة تقيم معهااسرائيل علاقات سياسية واقتصادية وتجارية ومالية وعسكرية قوية مميزة من نوع خاص جدا تفوق في نوعيتها العلاقات التقليدية التي تقوم عادة بين الدول التي ترتبط فيما بينها بمواثيق او معاهدات وحتى احلاف عسكرية ثنائية ٠

ان اعتراض اسرائيل هذه المرة يأتي بعد التوقيع على اتفاقية سيناء الثانية بمدة طويلة وبعد البدء بتنفيذ بنودها والتي تم تنفيذ الشطر الاكبر من بنودها وهي الاتفاقية التي اعتبرت بمثابة المنعطف الذي نقل المنطقة من اجواء الحرب الى اجواء السلم على حد تعبير القادة الاسرائيليين انفسهم ٠ يضاف الى ذلك تصريحات القادة الاسرائيلين وعلى رأسهم رئيس الحكومة الجنرال « رابين » ، واعترافه بصورة علنية لمندوب الاذاعة الاسرائيلية بأن ميزان القوى لا زال يميل لصالح اسرائيل وان اوضاع مصر العسكرية لم تعد بالقوة والمستوى العسكري اللذان كانت عليهما وقت اندلاع القتال في تشرين اول ١٩٧٣ ٠ (النهار ١٩٧٦/٢/٢٢) هذا من الناحيتين السياسة والعسكرية الموضوعية ، اما من النواحي الفنية والعسكرية التقنية والتكتيكية ، فالطائرات الست التي تثير اسرائيل حولها الجدل وتحاول بكل طاقاتها منع الولايات المتحدة تسليمها لمصر هي طائرات نقل عسكرية قديمة من طراز (هيركوليز سي - ١٣٠) من انتاج شركة « لوكهيد » الاميركية ولا تشكل بالمعنى العسكري الصحيح اية قيمة عسكرية تذكر في المجال التكتيكي الهجومي او الدفاعي لا نوعا ولا كما ٠ ان طائرة (سي - ١٣٠) انتجت لاول مرة في عام ١٩٥٤ وقد عملت في خدمة السلاح الجوي الاميركي وعدد من الاسلحة الجوية الاخرى بنجاح كبير ٠ فهي تتسع لـ(٩٢) جنديا بكامل تجهيزاتهم القتالية وبامكانها الاقلاع والهبوط من اراض غير معبدة ، كذلك حمل معدات وتجهيزات حربية ثقيلة ٠ ان سي- ١٣٠ مجهزة باربعة محركات من نوع (اليسون- تي ٥٦ - م - ٧ م) قوة كل محرك منها (٤٠٥٠) حصانا ٠ ان حمولتها القصوى تبلغ (١٧٥٠٠٠) رطل انكليزي (٧٩٣٨٠) كلغ واقصى مدى لها يبلغ حوالي (٤٧٧٠) ميلا ٠ اما سرعتها الاعتيادية الاكثر اقتصادا للوقود في الرحلات الجوية فتبلغ (٣٨٤) ميل / الساعة ٠ ان طائرة (سي - ١٣٠) هي متعددة الاستخدام ايضا ،فيمكن استخدامها الى جانب النقل الجوي العسكري كطائرة صهريج جوي وطائرة استطلاع وتصوير جوي وطائرة هجومية بامكانها تقديم الدعم الجوي للقطعات البرية في حالات معينة ، وطائرة للتفتيش والانقاذ ٠ والجدير بالذكر انها تشابه طائرة (انتونوف ١٢) السوفياتية التي تملك مصر اعدادا كبيرة منها كما تستخدم في اكثر من سلاح جو عربي ٠ غير ان طائرة (سي - ١٣٠) تمتاز على الطائرة السوفياتية من حيث القدرة على المناورة على الارض وفي الجو والاداء ونوعية المهام العسكرية التي بامكانها القيام

بها وان كانت تتشابه معها من حيث السرعة والحمولة والشكل تقريبا ٠

هذه هي مواصفات الطائرة التي تحاول اسرائيل ان تثير الضجة حولها وتتخوف من تسليمها لمصر وتعتبر تجهيز السلاح الجوي المصري بها سابقة خطيرة جدا (النهار ٥/٣/ ١٩٧٦) ٠ ان القاء نظرة على مواصفات الطائرة لا يوحي للقارىء ان هذه الطائرة لا من حيث نوعيتها ولا من حيث كميتها (وحتى لو حصلت مصر على اعداد كبيرة منها) ستشكل اي تهديد لامن اسرائيل او ستخل عند تسليمها لمصر بميزان القوى العسكري السائد في جبهة سيناء بين الدولتين المعنيتين ٠

اذن لماذا كل هذه الضجة المفتعلة ؟ ان الاجابة الصحيحة على هذا السؤال تكمن في خلفيات هذه الصفقة ونظرة القادة الاسرائيليين اليها ومفهومهم لها ٠ ويجيء تصريح رابين في الكنيست يوم ١٠/٣/ ١٩٧٦ ليعطي مزيدا من التوضيح على الموقف الاسرائيلي من الصفقة ، فهو يقول « ان اسرائيل تعارض تزويد مصر بمعدات عسكرية والمشكلة ليست قيمة هذه الاسلحة وقيمة طائرات النقل العسكرية الست بل ان في الامر سابقة لصفقات اخرى من الاسلحة بين الولايات المتحدة ومصر وعلى هذا الاساس وكمنطلق مبدئي تعارض اسرائيل الصفقة » ٠ (ر ١١ ـ ١٠١٣ تاريخ ١٠/٣/١٩٧٦) ٠ وهكذا تظهر اسرائيل تخوفها من الصفقة لاعتبارات مبدئية وذلك كما يقول قادتها ان هذه الصفقة ستكون بداية لسلسلة صفقات اسلحة تعقبها بين واشنطن والقاهرة ، وخوف القادة الاسرائيليين هنا يتركز على نوعية الاسلحة التي ستتلقاها مصر بعد اتمام هذه الصفقة الاولية ، وقد تتضمن اسلحة هجومية ودفاعية من تلك التي تعطي الجيش المصري في المستقبل قدرة اكبر على الردع والحسم العسكري وامتلاك انواع من الاسلحة الهجومية تفتقر اليها الترسانة الحربية المصرية ٠ (« المحرر » ١٠/٣/١٩٧٦)٠ ومما يزيد من قلق القادة الاسرائيليين التصريحات التي تصدر عن كبار المسؤولين في البيت الابيض وتطور العلاقات السريع بين القاهرة وواشنطن وكان ابرز هذه التصريحات تحول الرئيس فورد « ان على الولايات المتحدة ان تعطي مصر اكبر مقدار ممكن من المساعدات العسكرية والاقتصادية (النهار ١٤/٣/١٩٧٦) ٠ غير ان ذلك لا يعني ان الصفقة ستمرر بدون مضايقات قد يثيرها الاسرائيليون واصدقائهم في الاوساط والمحافل الاميركية والكونغرس الاميركي خاصة وان الانباء الواردة من الولايات المتحدة بدات تميط اللثام عن مثل هذه لتحركات وانزعاج الادارة الاميركية منها (المحرر ٢٣/٣/١٩٧٦) ٠ غير ان هذه التحركات الاسرائيلية الصهيونية الاميركية المضادة وعلى الرغم من تصميم الادارة الاميركية على تنفيذ الصفقة قد اضطرت كيسنجر الى القول « ان الولايات المتحدة لا تنوي ان تصبح مصدر الاسلحة الرئيسي لمصر » في محاولة منه لتطمين الاسرائيليين والتخفيف من حدة الهجمة المضادة لصفقة الطائرات مع مصر من قبل انصهاينة واصدقائهم في الولايات المتحدة والكونغرس٠ (النهار ٢٧/٣/١٩٧٦) وهو التصريح الذي يرسم في الوقت نفسه سقف التعامل المصري الاميركي ويحدد ابعاده ٠

هذا واشارت التقارير الواردة من واشنطن في ٢٧/٣/١٩٧٦ ان طلب مصر للطائرات قد احيل الى اللجنة الفرعية للمساعدات الخارجية في مجلس الشيوخ الاميركي لدراسته وابداء رأيها فيه بعد ان نال موافقة الادارة الاميركية ٠ (النهار ٢٧/٣/١٩٧٦)

وتبين من الضغوط التي توجهها الادارة الاميركية على مجلس الشيوخ والنواب الاميركيين ان الصفقة ربما يتم التصديق عليها لكن بشروط وقد تستغرق الدراسة وقتا طويلا (المحرر ٣/٤/١٩٧٦) الا ان المصادر الصحفية الواردة من واشنطن ذكرت ان الكونغرس وافق على بيع مصر الطائرات ، لكنه اشترط بأن لا تباع لمصر في عام ١٩٧٦ (بعد تسليمها الطائرات) اية معدات عسكرية اخرى ٠ (المصدر نفسه) ٠

لقد ظلت اسرائيل تتمتع بالدعم الاميركي العسكري والمالي والسياسي والمعنوي لها

طيلة ربع القرن الماضي • وقد تطور هذا الدعم بعد حرب حزيران ١٩٦٧ حتى وصل الى حد الابتزاز • ان مثل العلاقات المميزة مع واشنطن اراحها كثيرا وامن لها في السنوات الاخيرة كميات هائلة من السلاح المتفوق الذي منحها بدوره تفوقا عسكريا ظاهرا على جيرانها من الدول العربية التي تناصبها العداء • وهي ازاء ذلك تحرص وتحاول الابقاء على هذه العلاقات والاوضاع قائمة • لذلك فهي تتخوف من تطور العلاقات المصرية الاميركية والتي قد تؤثر على العلاقات العربية الاميركية في المستقبل ، مخافة ان يؤدي ذلك في نهاية المطاف الى سحب بساط الدعم الاميركي كليا من تحت قدميها • لذلك فهي تعمل بكل طاقة لديها لمنع قيام اي علاقات ودية بين مصر والولايات المتحدة ومهما كان حجمها مخافة ان يؤدي ذلك الى تبدل في الموقف الاميركي ازاء الصراع الشرق اوسطي • لهذا فعندما ادركت ان الصفقة لا محال ستتم اتجهت نحو اصدقائها في الكونغرس محاولة اقناعهم على ان تتم الصفقة على اسس تجارية وليس ضمن برنامج المساعدات العسكري الاميركي الذي يتم عن طريق البنتاغون الاميركي • وذلك حتى ينحصر ذلك في الاطار التجاري البحت وحتى لا يشكل سابقة يمكن ان تمهد لمزيد من المساعدات العسكرية والاسلحة لمصر والتي يمكنها في المستقبل ان تشكل تهديدا فعليا لامنها • ان تقديم السلاح من مصادر اميركية وغربية لمصر (التي هي بأمس الحاجة الى انواع متطورة ومتقدمة محددة منه يمكنها لو امتلكتها ان تهدد بها عمق الاراضي الاسرائيلية) يمكن ان تكون له دلالاته وتأثيراته وابعاده الهامة على الصراع في المستقبل ، بمعنى ان يحدث ذلك تأثيرا سلبيا الى حد ما على العلاقات العسكرية الاميركية الاسرائيلية من جهة في حين انه سيكسر ايضا والى حد ما الطوق الذي كانت تفرضه الولايات المتحدة على تزويدها الدول العربية ببعض الاسلحة والاجهزة الالكترونية المتقدمة والمتطورة بعيدة المدى والفاعلية •

لهذا كله تعتبر اسرائيل ان خطر صفقة السلاح التي تبلغ قيمتها (٢٥) مليون دولار هو لاعتبارات مبدئية وليس لاعتبارات تتعلق بقيمة السلاح النوعية ولا بعدده •. ان خوف اسرائيل هو ان لا تتمتع في المستقبل بعلاقات مميزة مع الولايات المتحدة وتفقد بذلك مركز الافضلية الذي ظلت تتمتع به في علاقاتها بواشنطن خلال ربع القرن الماضي •

الرائد طيار حسين عويضة

مناقشات

رد على مقال « وفاة أول امين عام عربي للحزب الشيوعي الفلسطيني » (عدد ٥٣ ــ ٥٤)

ورد في عدد « ٥٣ ـ ٥٤ » مـــن « شؤون فلسطينية » تاريخ « كانون الثاني ـ شباط » (يناير ـ فبراير) « تقييم » سريع لحيـاة الرفيق رضوان حسن الحلو (موسى) ، بقلم عبد القادر ياسين • وتضمن « التقييم » عددا من الاخطاء التي نرى ضرورة تصحيحها ، ليس دفاعا عن الرفيق ،او تهجما على الكاتب، بل تقريرا للتاريخ •

وقبل ان نذكر ملاحظاتنا « التقييم » ، نود ان نشير الى ان معظم الكتاب العـرب يعتمدون ، كليا ،في معالجتهم للحركة الشيوعية في فلسطين على كتاب « الشيوعية والقومية في الشرق الاوسط » ، تأليف « والتر لاكير » » • ومما يذكـر ان هذا الكتاب يرتكز على منطلقات صهيونية، وهو ، في سياقه العام ، معاد لنضال الشعـوب المستعمرة (فتح الميم) من اجل تحررها ، وللحركة الشيوعية على وجـه الخصوص • ناهيك ، عن « التزوير المتعمد » للحقائـق التاريخية التي يمتلىء الكتاب بها ، فضـلا عن انه يبتعد كل البعد عن المنهج العلمـي في تقصي الحقائق والتحليل النقدي •

اما ملاحظاتنا حول « تقييم » عبد القـادر ياسين فيمكن سردها كما يلي :

اولا ، يذكر الكاتب ان صدامات شهر ايـار (مايو) ١٩٤١ وما رافقها من اضطهاد مارسته السلطات البريطانية ضد الحزب الشيوعـي الفلسطيني ، ادت الى إنضواء الحزب تحـت لواء حزب (بوعا لي زيون) الصهيونـي وهذا خطأ • فمن المعروف ان « حزب العمـال الاشتراكي » كان في الأصل انشقاقا يساريـا عن حزب « بوعا لي زيون » ، الا انه حافظ على علاقاته مع الحزب الام •

راجع : « خمسون سنة للحزب الشيوعـي في البلاد » ، ص ٣٥ ـ ٣٧ • اصدار الحـزب الشيوعي الاسرائيلي • (راكاح) ، اللجنـة المركزية ـ حيفا ، ١٩٧٠ •

راجع ايضا : « الوثائق المتعلقة بتطورات حزب العمال الاشتراك » الموجودة في ارشيـف « مكتب السجلات العامة » في لندن ، وفـي ارشيف دولة اسرائيل في القدس •

وقد تشكلت خلال سنوات ١٩٤١ ـ ١٩٤٤ ، وحتى اعتراف « الكومنترن » بالحزب الشيوعي الفلسطيني ، مجموعات شيوعية عدة ، حملت اسماء مختلفة مثل : « الحزب الشيوعـي اليهودي » ، « الحزب الفلسطيني الشيوعي »»

ثانيا ، وحول « المؤتمر السادس للحزب والمنعقد سنة ١٩٤٦ »والاحداث التي رافقته ، نود ان نشير الى ان هذا المؤتمر عقد فـي عام ١٩٤٦ ، وليس « في عام ١٩٤٤ » كما ورد في « تقييم »الكاتب ياسين • (راجـع :

مجلة المراسلات الدولية ، الصادرة في موسكو بالانكليزية ، ص ١١٨٤ ـ عدد ٦٨ ، سنة ١٩٢٦) ٠ اما بالنسبة لشعار « تعريب الحزب » فقد رفع خلال المؤتمر السابع للحزب في ديسمبر (كانون اول) ١٩٣٠ ، بينما تم رفع الشعار منذ عام ١٩٢٤ نزولا على رغبات « الكومنترن » الذي اشترط على الحزب في بيان قبول عضويته في « الكومنترن » والذي قضى بتحويل الحزب الشيوعي الفلسطيني لنفسه « كتنظيم اقليمي » ٠ اما حول « الصراع » المذكور في « تقييم » السيد ياسين بين « اقلية » و « اكثرية » في اللجنة المركزية ، وتمكن الاقلية من « تنمية » الاغلبية (؟؟) في مؤتمر عقد سنة ١٩٢٤ (؟؟) ٠ فهذا امر يتطلب ايضاحا اكثر من ذلك الذي يقدمه لنا المؤلف الصهيوني « لاكير » ٠

ثالثا ، لم توفد اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفلسطيني « ٣٠ عضوا الى موسكو في سنة ١٩٢٧ » كما ذكر الكاتب ياسين ، بل كان الحزب يبعث بمجموعات صغيرة جدا ، بين الحين والاخر ، تألف معظمها من الرفاق اليهود ، الى جامعة « كادحي الشرق » في موسكو ٠

ومما يذكر ان « نجاتي صدقي الالايميني » كان اول رفيق عربي سافر الى موسكو في عام ١٩٢٦ (اذار ـ مارس) ، ولم يصطحب باي عربي اخر ٠ وتلا ذلك مجموعات اخرى في عام ١٩٢٧ كان في عدادها : محمود المغربي الجزائري (الاطرش) وحسن صدقي الالايميني، وعبد الغني الكرمي واخرين ٠ اما رضوان الحلو ، فقد سافر الى موسكو ، للمرة الاولى ، عام ١٩٣٠ ، بصحبة نجاتي صدقي ، لتمثيل الحزب الشيوعي الفلسطيني في مؤتمر « البروفنترن » الخامس ٠ وكان من المقرر ان يمضي عاما واحدا في جامعة « كادحي الشرق »، الا ان ظروفا معينة ادت الى بقائه في موسكو حتى عام ١٩٣٣ ٠ ولدى عودته الى فلسطين عين سكرتيرا للشبيبة الشيوعية ٠ وفي مطلع عام ١٩٣٤ ، وبعد القاء القبض على « زئيف بيرمان » ، سكرتير الحزب ، عين رضوان الحلو سكرتيرا للحزب ، وكان اول عربي يشغل هذا المنصب ٠ (حصلنا على هذه المعلومات من مقابلتين الاولى مع رضوان الحلو في اريحا بتاريخ عام ١٩٧٤/١/١٢، والثانية مع « جوزيف بيرجر » في تل ابيب بتاريخ ١٩٧٤/١/٢) ٠

رابعا ، يكرر الكاتب ياسين ادعاءات سبق وان صرح بها المدعو « محمد دويدار » (في مقابلة منشورة في كتاب د ٠ رفعت السعيد) توحي بوجود « مؤامرة صهيونية داخل قيادة الحزب الشيوعي الفلسطيني » ٠ ان الكلام عن « التكوين الطبقي والفكري » ، و « الانتقاء » ٠٠ و « عناصر عربية غير صالحة للعمل الثوري » الخ ٠٠ يوحي بعدم فهم للظروف الموضوعية التي كان يعمل قادة الحزب في ظلها ، وتهجم لا مبرر له على اخلاص وثورية الرفاق اليهود في الحزب الذي اسسوه واشرفوا على اعداد النواة العربية الاولى التي ، لولاها ، لما امكن من المباشرة في عملية تعريب « الحزب » ٠

ومن ناحيته ، فقد رفض رضوان الحلو رفضا قاطعا (في مقابلة اجريت معه في اريحا بتاريخ ١٩٧٤/٢/٢٣) ادعاءات « دويدار » حول ما نسبه لنفسه من « دور قام به » في فلسطين ٠ وذكر رضوان الحلو ان الحزب كان مضطرا للتعامل مع الكوادر العربية القليلة ، الموجودة في صفوفه في تلك الفترة المبكرة ٠ اذ لم يكن هناك مجال للاختيار والتفضيل ، الامر الذي ادى الى ظهور بعض « الخونة » في صفوف الموفدين (عبد الغني الكرمي) ، او استنكاف بعضهم الاخر للعمل الحزبي بعد العودة الى فلسطين ٠ اما بالنسبة لنوعية الرفاق الموفدين ، يؤكد الرفيق رضوان الحلو أن الحزب كان مهتما بايجاد عناصر بروليتارية لايفادها الى موسكو ، ولم يكن يبحث عن « عناصر مغامرة » من ابناء ملاكي الاراضي والبرجوازية الناشئة ٠

ان المعارضة اليهودية للتعريب لم تكن معارضة « عنصرية » وانما كانت مبنية على ايديولوجية الحزب السائدة انذاك ، ونظرته الى دور الاقلية اليهودية في العملية الثورية في البلاد ٠ وفي هذا المجال ، فالحديث

عن « مؤامرات الصهاينة » الذين نجحوا « بالتسلل الى قيادة الحزب » ، لا تختلف نوعيا عن الاتهامات التي وجهت الى « توخاشوفسكي » قائد الجيش الاحمر عن كونه « جاسوسا المانيا » عام ١٩٣٧ ، والتهم التي وجهتها القيادة الستالينية الى « بوخارين وتروتسكي وزنوفييف وغيرهم » .

خامسا ، وحول « ثورة اب ١٩٢٩ » وتقييم الحزب « الخاطيء » لتلك الاحداث كما يذكر عبد القادر ياسين ، فان الخلاف بين الحزب والكومنترن لم يتعلق « بحقيقة » وقوع مذابح ضد اليهود » ، فهذه مسألة معروفة لدى الكومنترن . ان الخطأ الذي وقع فيه الحزب يتمثل في عدم وضعه لتلك المذابح في موقعها الملائم داخل حركة الجماهير العربية الواسعة . وقرر الحزب في تقييمه الجديد للاحداث ، بعد انتقاد « الكومنترن » له ، ان ثورة اب بدأت كرد موجه من القيادات العربية التقليدية « على الاستفزازات الصهيونية ، وان توجيه هذه الثورة كان عرقيا ودينيا . الا ان حركة الجماهير خرجت على سلطة القيادة الاقطاعية الدينية واتخذت طابعا ثوريا عضويا ادى الى الاصطدام مع السلطات البريطانية ، الامر الذي دفع القيادات العربية الى استعمال نفوذها لوقف امتداد الثورة . والجدير بالذكر ان المشاركة الجماهيرية ، لا سيما مشاركة الفلاحين ، هي التي اضفت على ذلك التحرك سمة «الجماهيرية الثورية »،ويذكر « بيرجر » ، عضو سكرتارية الحزب ابان الاحداث والقائد الفعلي انذاك ، نظرا لغياب « اورباخ » سكرتير الحزب في موسكو ، « ان قيادة الحزب بدأت تتراجع عن موقفها ، قبل وصول رسالة الكومنترن لها في ١٢ تشرين الاول (اوكتوبر) ١٩٢٩ ، وتطور تقييمها للاحداث » . (راجع : مقال « القدس في اب ١٩٢٩ » ، بقلم جوزيف بيجر ، منشور في مجلة ، « كيشيت » العبرية ، ص ١٣٥ ، عدد ٢٩ ، سنة ١٩٦٥) .

ومما يذكر ان عملية تعريب الحزب التي بدأت جديا في عام ١٩٣٠ كانت باشراف الرفاق اليهود في الحزب ، اذ ان القيادة العربية التي انتخبت في المؤتمر السابع في كانون الاول (ديسمبر ١٩٣٠ ، القي القبض عليها في كانون الثاني (يناير) ١٩٣١ ، ولم يتسع لها المجال للقيام باي دور فعال في هذا الصدد. ان اللجوء الى المجلات السوفياتية الصادرة في تلك الحقبة كمرجع لتعرية « عملاء الاستعمار » في فترة كانت القيادة السوفياتية تكيل لخصومها السياسيين شتى التهم خارج الاطار العلمي الذي يتم في استقراء الحقيقة التاريخية .

سادسا ، وحول اشتراك رضوان الحلو في مؤتمر العمال العرب الاول المنعقد في ١١ كانون الثاني (يناير) ١٩٣٠ قبل سفره الى الاتحاد السوفياتي ، فقد اصدر المؤتمر « كراسا » عن اعماله احتوى على مقتطفات من كلمات بعض المندوبين ، فضلا عن قرارات المؤتمر . ونشر في صفحته رقم « ٤٣ » اسماء اللجنة المركزية المنتخبة ، ومن بينهم رضوان الحلو ، مندوبا عن « يافا » كبرى المدن الفلسطينية . ولا يعقل ان يكون الرفيق الحلو في عداد الاحد عشر عضوا الفائزين بالاجماع ، في انتخابات اللجنة المركزية ، فيما لو صح وصف ياسين له بانه « احتفظ لنفسه بموقف المتفرج »!!؟؟

سابعا ، جرى تعيين رضوان الحلو سكرتيرا عاما للحزب الشيوعي الفلسطيني في عام ١٩٣٤ ، واستمر يقود الحزب حتى انشقاقه في عام ١٩٤٣ واستقلال الشيوعيين في تنظيمات قومية ، عربية ويهودية ، منفصلة . ويعلن عبد القادر ياسين ان « ادقاع » (؟) سكرتير الحزب « الفكري » ، « جعلد عاجزا عن التأثير في خط الحزب ، او ممارساته » (؟) ، ويحاول، عبر اهتمامه لموضوع زواجه من « سمحة تزاباري » ، عضو السكرتارية ، ان يوحي بان العنصر اليهودي تمكن من السيطرة على الحزب !! .

ان دور الرفيق رضوان الحلو في قيادة الحزب الشيوعي الفلسطيني لا يحتاج الى دفاع عنه، وكذلك الدور القيادي الذي لعبه الرفاق اليهود في الحزب . ولن تنقص الادعاءات اللامسؤولة التي يرددها ياسين ، ورددها من قبله « والتر لاكير » (ويبدو ان هذا الاخير يمثل المرجع الرئيسي لاكثر كتابات ياسين عن الحركة الشيوعية في فلسطين) والكتاب الصهاينة

والمؤلفون العرب المغرقون في الرجعية خدمة لاغراضهم الخاصة ، لن تنقص من دور الرفاق في الحزب الشيوعي الفلسطيني ٠

والذي تجدر الاشارة اليه هو ان رضوان الحلو والحزب الشيوعي الفلسطيني قد ارتكبا اخطاء عدة ، الا ان ياسين يكتفي باصدار الاحكام الاخلاقية ، بدلا من مناقشة سلبيات الحزب واخطاء سكرتيره العام ٠ ويكتفي ياسين باعلامنا بان حياة رضوان الحلو السياسية « كانت بلا شك ، اكبر بكثير من قدراته الفكرية والنضالية » (٢) ٠

ثامنا ، وحول دور احداث ١٩٣٦ - ١٩٣٩ في الانقسام الذي ما لبث ان اصاب الحزب في الاربعينات ، لا اجد المجال الكافي للخوض في هذه المسألة ٠ الا ان الذي يجدر ذكره هو ان ارجاع الانقسام الى تلك الاحداث ينم عن فهم خاطيء لتطور المجتمع اليهودي في فلسطين ، وعن فهم الشيوعيين لذلك التطور ٠ وكذلك ، يهمل ياسين الدور المتعمد الذي لعبه اعضاء الحزب العرب ، لا سيما مجموعة «بولس فرح» في حيفا ، في احداث الانقسام ٠ فيدعي بان الرفيق الحلو قد « عجز عن اتخاذ موقف حاسم ومحدد حيال الخلاف القومي المحتوم » ، بينما، المعلوم ، هو ان الرفيق حلو قد رفض الموافقة على قيام تنظيم شيوعي تقتصر العضوية فيه على العرب (عصبة التحرر الوطني) في بلد يحتوي على اقلية كبيرة من اليهود ٠ وظل رضوان الحلو خارج اي تنظيم سياسي حتى عام ١٩٤٧ - ١٩٤٨ ٠

تاسعا ، ونود ان نلفت نظر الكاتب ياسين الى ان الحزب لم يعقد مؤتمره الثامن « في آب ١٩٤٠ » ، وانما عقد الجناح اليهودي المطرود من الحزب مؤتمرا ادعى فيه انه يمثل الحزب بمجمله ٠ اما المؤتمر الثامن لكل الحزب فقد عقد خلال الفترة الممتدة بين ٢٦ - ٢٨ ايار (مايو) ١٩٤٤ ٠

عاشرا ، عاد رضوان الحلو الى صفوف الحركة الشيوعية ، بعد صدور قرار تقسيم فلسطين ، وناضل في صفوف « عصبة التحرر الوطني » في الضفة الغربية ، واعتقل من قبل السلطات الاردنية ٠ ولم يترك رضوان العصبة بعد تشكيل الحزب الشيوعي الاردني عام ١٩٥١ ، الا انه فصل من الحزب ، ولم يترك ، بعد ذلك بسبب خلافات سياسية معروفة ٠ وبقي رضوان الحلو حتى آخر ايامه محافظا على ايمانه العميق بالطريق الذي اختطه لنفسه في عام ١٩٤٧ لدى انضمامه الى صفوف الحزب الشيوعي الفلسطيني ٠

موسى خليل البديري

شهريات

القضية الفلسطينية دوليا

□ سيطر الجمود على التحركات الدولية المتعلقة بالقضية الفلسطينية فلم تطرأ في الفترة الاخيرة اية تطورات هامة في هذا الميدان على خلاف ما اعتدنا عليه في السابق وقد اعترف وزير الخارجية الامريكي بهذا الواقع عندما صرح في منتصف شهر ايار بأن استجلاء سبل السلام في الشرق الاوسط قد توقفت منذ فترة بسبب الحرب الاهلية في لبنان • وواضح ان الطرف الامريكي لا يريد الاقدام على اية خطوات قبل التأكد من الاتجاه الذي ستميل اليه محاولات ضرب المقاومة الفلسطينية في لبنان • وقد يكون هناك سبب اخر وراء هذا الجمود الدولي لم يذكره كيسنجر ويتعلق بالاعداد للمصالحة السورية المصرية المزمع اجراؤها باشراف سعودي وخليجي ، علما بان الاتجاه نحو هذه المصالحة لم يبرز الى العلن الا منذ فترة قصيرة جدا • وواضح ان الهدف من هذه الخطوة هو وضع حد للهجوم العربي الذي ما زالت تتعرض له اتفاقية سيناء المصرية ـ الاسرائيلية • وليس بعيدا عن كل هذا الاصداء التي ما زالت تتردد على صعيد دولي ومحلي حول امكانية عقد صفقة اسرائيلية عربية بجهود الولايات المتحدة وضماناتها يقوم الجانب العربي بناء عليها بانهاء حالة العداء مع اسرائيل ويسترد الملك حسين جزءا من الضفة الغربية كما تسترد سوريا جزءا من الجولان وبدون تحقيق اي انجاز على صعيد انشاء السلطة الوطنية الفلسطينية •

بالنسبة للولايات المتحدة هناك عدة تصريحات واخبار ظهرت في الفترة الاخيرة لا بد من رصدها بهذا الصدد • (١) الانباء التي ترددت حول قيام المسؤولين في وزارة الخارجية الامريكية وأوساط اجهزة الاستخبارات بدراسة موقف الولايات المتحدة من القضية الفلسطينية دراسة مجددة يمكن ان تؤدي الى اعادة النظر بهذا الموقف ، خاصة بعد النتائج التي اسفرت عنها الانتخابات البلدية في الضفة الغربية والتي ادت الى انتصار مؤيدي منظمة التحرير على مؤيدي النظام الهاشمي • ويبدو ان الاوساط السياسية الامريكية تأمل في تحويل الزعامات الفلسطينية الجديدة في الضفة الغربية عن ولائها المباشر لمنظمة التحرير ـ وهي بعيدة اصلا عن الاردن ـ لتشكل قوة جديدة تفسح المجال امام حل مرض للقضية الفلسطينية • وذكرت هذه الانباء ان الخبراء الامريكيين يعدون في الوقت الحاضر « اوراق عمل » حول كافة جوانب النزاع العربي الاسرائيلي ، وخاصة المسائل الحساسة مثل مشكلات الحدود والاستيطان ووضع مدينة القدس والمساعدات الاقتصادية الامريكية لاسرائيل والدول العربية • ومما يؤكد جدية هذه الاخبار ما تردد في الاوساط السياسية الاسرائيلية العليا حول ملاحظتها بروز اتجاه جديد في السياسة الامريكية تجاه القضية الفلسطينية ، مما دعا رابين للتصريح قائلا بان احتمال تبديل الولايات المتحدة لموقفها من الاعتراف بمنظمة

التحرير اصبح واردا . يضاف الى ذلك التصريح الذي ادلى به الناطق بلسان وزارة الخارجية الامريكية في الاسبوع الثاني من شهر ايار ، حيث عبر عن معارضة حكومة بلاده سياسة اسرائيل الداعية لاقامة المزيد من المستوطنات في الاراضي العربية المحتلة وجاء هذا التصريح بصفته امتدادا وتأكيدا لما كان قد قاله وليام سكرانتون حول هذا الموضوع بالذات في خطابه امام مجلس الامن اثناء المناقشة الاولى للقمع الاسرائيلي لانتفاضة الضفة الغربية ٠ ٢) ـ سلسلة من التصريحات ادلى بها الرئيس فورد حول النزاع العربي الاسرائيلي ومشكلة الشرق الاوسط عموما قال فيها : (أ) ان الوقت قد حان للبحث في تسوية شاملة للنزاع في الشرق الاوسط لان سياسة الخطوة خطوة وصلت الى غايتها باتفاق سيناء مما يستدعي اجراء محادثات اضافية لتحقيق تسوية اوسع تؤدي الى السلام والاعتراف باسرائيل ، (ب) ان الولايات المتحدة ستبقى الضامنة النهائية لحرية اسرائيل وبقائها ولا ضير عندئذ من قيام اسرائيل باعادة الاراضي المحتلة كشرط لتحقيق السلام الدائم في المنطقة مما يعني ـ حسب كلام فورد ـ ان اسرائيل مدعوة الى اتخاذ « الخطوة الحيوية » المتعلقة بالتخلي عن الارض وذلك مقابل اجراءات سياسية يتخذها الجانب العربي (ج) ان حرب اكتوبر ١٩٧٣ كادت ان تؤدي الى مجابهة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي كما ادت الى فرض الحظر على النفط العربي مما اضر بالمصالح الدولية ، ويستدعي هذا الوضع تحرك العرب واسرائيل لانهاء نزاعهم ،(د) ان الولايات المتحدة لا تدعو الى تنازلات من طرف واحد بل الى تخلي اسرائيل عن الارض مقابل اجراءات سياسية عربية ، وهذا يتطلب جرأة خاصة من الجانب الاسرائيلي لان عليه «مبادلة اشياء محسوسة باجراءات غير محسوسة » ، (هـ) ان باستطاعة اسرائيل الاعتماد دوما على دعم الولايات المتحدة لان الصداقة الاساسية بين البلدين باقية على الرغم من بعض الخلافات بينهما حول وسائل تحقيق الاهداف المشتركة في الشرق الاوسط ، (و) ان الولايات المتحدة تتمتع بثقة الحكومات العربية والحكومة الاسرائيلية مما يجعل السياسة الامريكية عامل استقرار في المنطقة ٠ ـ ٣) التصريح الذي ادلى به الدكتور كيسنجر امام حشد يهودي امريكي حيث قال بأن الفرص المتوافرة حاليا لتحقيق تسوية عربية اسرائيلية لم يسبق ان توفرت في الماضي على الرغم من المصاعب التي ما زالت تعترض طريق التسوية السلمية ٠ ومن اهم هذه المصاعب اضطرار الاطراف المعنية في النزاع « لاتخاذ قرارات صعبة » مثل « قيام اسرائيل مبادلة الارض بتسوية سياسية » ٠ واضاف قائلا بأن حكومته لا تقلل من المخاطر التي تواجه اسرائيل نتيجة المفاوضات المؤدية الى اتخاذ مثل هذا القرار ولذلك لن تعمل الولايات المتحدة ٤) استقبال الرئيسين السادات والاسد ٤ ـ استقبال الرئيسين السادات والاسد والملك حسين للساناتور الامريكي جاكوب جافيتس المعروف بصهيونيته العميقة والشرسة ومواقفه الحادة في مجلس الشيوخ الامريكي في تأييد اسرائيل ومعاداة العرب ٠ ان استقبال الزعامات العربية المشرقية لمثل هذا الساناتور ملفت للانتباه بحد ذاته ، وقد صرح جافيتس اثناء جولته العربية بأن حكومة بلاده قد تتدخل في النزاع العربي الاسرائيلي لعرض حلول للازمة فيما لو فشل الطرفان في التحرك نحو السلام بانفسهما واكد بان جولته بينت له غياب اي قابلية للحرب في المنطقة ونفور كافة الاطراف نفورا كبيرا من استئناف القتال واستعدادها لتحقيق السلام وانتقص الساناتور في كلامه من اهمية المشكلة الفلسطينية في التسوية السلمية بقوله ان « الوجود الفلسطيني او الشخصية الفلسطينية لا يشكلان قضية اساسية للتسوية المذكورة » كما نفى وجود اي رغبة لديه للاجتماع باي من الزعماء الفلسطينيين ٠

☐ بالنسبة لاسرائيل ادلى رابين بتصريح هام عبر فيه عن اعتقاده ببروز امكانات لاجراء مفاوضات مع سوريا خلال الاثني عشر شهرا المقبلة بمساعدة فريق ثالث يرجح ان يتألف من الولايات المتحدة والعربية السعودية ٠ واشار رابين الى ان المحادثات مع سوريا ومصر حول انهاء حالة الحرب ستكون التطور

السياسي الايجابي الوحيد المتوقع خلال سنة من الان . كذلك اشار الى اهتمام حكومته « بالتغيير الذي تحقق في العلاقات العربية » لانه ينطوي على احتمالات اعادة كل من مصر وسوريا النظر في مواقفهما من مسألة انهاء حالة الحرب مع اسرائيل . ودعا رابين اسرائيل للعمل من اجل كسب الرأي العام الدولي والرأي العام الامريكي بشكل خاص بهدف منع منظمة التحرير من المشاركة في اية مفاوضات قد تدخلها اسرائيل مع الدول العربية . واخيرا عاد رابين الى تأكيد الموقف الاسرائيلي المعروف بقوله ان حكومته مستعدة للبحث عن حل للمشكلة الفلسطينية في اطار اتفاق مع الاردن فقط لانها ترفض رفضا باتا اقامة دولة فلسطينية في الضفة الغربية تهيمن عليها منظمة التحرير .

☐ بالنسبة لمصر ادلى الرئيس السادات بعدد من التصريحات التي تمس ازمة الشرق الاوسط وكان اهم ما جاء فيها النقاط التالية : (ا) ان مفتاح التوصل الى السلام في المنطقة هو قيام دولة فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة على ان يربط بينهما شريط ارضي . وبمجرد اعلان قيام مثل هذه الدولة يمكن انهاء حالة الحرب مع اسرائيل على اساس ضمانات يقدمها مجلس الامن والدول الكبرى واية دول اخرى ترغب في ذلك ، (ب) ان اسرائيل اصبحت حقيقة قائمة بالفعل وقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ يتضمن اعترافا عربيا باسرائيل ، (ج) ان ٩٩ بالمئة من فرص التوصل الى حل لازمة الشرق الاوسط هي في يد الولايات المتحدة لذلك لا يمكن تحقيق تسوية شاملة في المنطقة الا بعد انتهاء انتخابات الرئاسة الامريكية ، (د) ان الخلافات بين الرؤساء العرب هي التي حالت دون استئناف مؤتمر جنيف للسلام حتى الان على الرغم من اتفاق كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي ومصر على ضرورة استئناف اعمال المؤتمر مما يستدعي مواقف واضحة من جانب الرؤساء العرب في هذا المجال. واشار السادات الى ما كان قد صرح به سابقا حول امكانية استئناف اعمال مؤتمر جنيف « بدون الاشتراك المباشر للفلسطينيين» على ان يجري ادراج مسألة اشتراكهم على رأس جدول اعمال المؤتمر .

من ناحية اخرى اتجه نظام السادات نحو الصين على اثر الغاء معاهدة الصداقة والتعاون المصرية السوفييتية للحصول على ما ينقصه من قطع غيار حربية اصبح من المتعذر استيرادها من الاتحاد السوفييتي . وقد قام حسني مبارك بزيارة للصين الشعبية قابل خلالها الرئيس ماو تسي تونغ وكبار المسؤولين الصينيين مما اسفر عن توقيع بروتوكول عسكري بين البلدين . واعتبر مبارك ان نجاح زيارته تجاوز كل التقديرات اذ ان الحكومة الصينية لا تؤيد الحق العربي في نزاع الشرق الاوسط فحسب بل تؤيد ايضا الرئيس السادات في سياساته من اجل التنمية والبناء. واعتبر النظام المصري هذا الاتفاق بداية مرحلة جديدة في العلاقات المصرية الصينية الجديدة . وجدير بالاثارة هنا ان الاعلام المصري تابع حملته على الاتحاد السوفييتي متهما اياه بالاتجار بالاسلحة والعمل على افقار مصر واستغلالها واهانتها .

☐ اما الجانب السوفييتي فقد اصدر بيانا رسميا في نهاية شهر نيسان موجها الى كل دول العالم حيث تناول الوضع في الشرق الاوسط بما فيه الحرب الاهلية في لبنان . وقد جرى ابلاغ السيد ياسر عرفات بمضمون البيان قبل اعلانه . حذر البيان من انفجار الوضع في المنطقة ووقوع حرب خامسة فيها كما هاجم سياسة اسرائيل التوسعية واستمرارها في احتلال الاراضي العربية وفي الوقوف في وجه ممارسة الشعب الفلسطيني لحقوقه المشروعة بانشاء دولة مستقلة له ، على الرغم من قرارات الامم المتحدة الداعية لذلك . وعبر البيان عن قلق الاتحاد السوفييتي من الانباء التي ترددت حول توصل اسرائيل الى انتاج اسلحة نووية كما انتقد « الصفقات المنفردة » في الشرق الاوسط و « المحاولات الواضحة » لانزال ضربة في حركة المقاومة وجر العرب الى الاقتتال فيما بينهم (في لبنان) والحشود الاسرائيلية على حدود لبنان الجنوبية وتمركز السفن الحربية الامريكية على مقربة من شواطىء لبنان . بالاضافة الى ذلك اكد

البيان مجددا القواعد المقبولة لايجاد تسوية سياسية جذرية لازمة الشرق الاوسط على اساس :

(أ) انسحاب القوات الاسرائيلية من جميع الاراضي المحتلة (ب) تلبية المطالب الوطنية المشروعة للشعب الفلسطيني بما في ذلك حقه المشروع في انشاء دولته المستقلة (ج) توفير ضمانات دولية لامن كل دول المنطقة وسلامتها وحقها في الوجود والتطور المستقل • أخيرا دعا البيان الى استئناف اعمال مؤتمر جنيف باشتراك كافة الاطراف المعنية بما في ذلك منظمة التحرير • وللمرة الاولى يقترح الجانب السوفييتي عقد المؤتمر على مرحلتين : مرحلة اولى لحل المسائل التنظيمية والاجرائية ومرحلة ثانية لحل القضايا الجوهرية الواجب حلها لتحقيق التسوية الشاملة في المنطقة على ان تشترك منظمة التحرير في كلا المرحلتين •

☐ في هيئة الامم اجتمع مجلس الامن للمرة الثانية خلال الشهرين الماضيين لمناقشة القمع الاسرائيلي لانتفاضة الضفة الغربية على سلطات الاحتلال • وكما في المرة الاولى جاء اجتماع المجلس نتيجة طلب عاجل من مصر دعت فيه هذه الهيئة الدولية لتحمل مسؤولياتها ازاء عمليات اسرائيل الارهابية ضد السكان العرب في الضفة الغربية والعقبات التي تضعها اسرائيل على طريق تحقيق سلام عادل ودائم في الشرق الاوسط • وعلق وزير الخارجية المصري على دعوة بلاده لانعقاد مجلس الامن بقوله ان الاصرار الاسرائيلي على تحدي ارادة المجتمع الدولي واستخفافها بالرأي العام العالمي يشكلان موقفا لا يمكن السكوت عليه ويقتضي ردا حاسما من المجلس على وجه السرعة •بدأ مجلس الامن مناقشاته بالتصويت مرة اخرى على موضوع مشاركة منظمة التحرير في مناقشات مجلس الامن ، وكالعادة صوتت الولايات المتحدة ضد دعوة المنظمة وامتنعت فرنسا وبريطانيا وايطاليا عن التصويت وحاز مشروع القرار على الاغلبية المطلوبة في المجلس • جدير بالاشارة ان مناقشات المجلس طالت كثيرا عما هو معتاد في مثل هذه الاجتماعات ، ولم تثر كبير اهتمام بسبب تكرار المواقف المعروفة للاطراف المشاركة في المداولات والعلم المسبق بان اي مشروع قرار جدي قد يمس اسرائيل ستعارضه امريكا وتبطل مفعوله عن طريق استخدام حق النقض • وحتى ما بعد منتصف شهر ايار لم يكن اي طرف في المجلس قد تقدم بمشروع قرار او طرح مثل هذا المشروع في الكواليس • مع ذلك لا بد من الاشارة الى النقاط التي اثارها ممثل منظمة التحرير في مناقشات مجلس الامن : (أ) التأكيد على ان اساس المشكلة هو الاحتلال الاسرائيلي نفسه والذي زادته سوءا طبيعة اسرائيل العنصرية واهدافها التوسعية ، (ب) التأكيد على شرعية الكفاح المسلح في وجه الاحتلال الى ان يتم دحر السيطرة الصهيونية (ج) التأكيد على ان « الفيتو السلبي والاستبدادي » للولايات المتحدة هو الذي منع المجلس من ادانة اسرائيل منذ ٦ اسابيع وذلك انسجاما مع السياسة الامريكية التي جعلت استخدام حق النقض امرا بديهيا في مواجهة اي قرار يدين السياسة الصهيونية واعمالها وسلوكها العنصري ومواجهة اي مشروع قرار يؤكد الحقوق الثابتة للشعب الفلسطيني • ومن ناحية اخرى ندد وزير خارجية اسرائيل بمناقشات مجلس الامن متهما اياه بتجاهل الموقف في لبنان وتوجيه اهتمامه للضفة الغربية مدعيا ان دعوة المجلس اصلا كانت لاسباب تتعلق بالخلافات القائمة بين الدول العربية • وانتقد الون الموقف المصري في مجلس الامن لانه لا يتفق مع نص اتفاق سيناء وروحه مشددا على ان المستقبل السياسي للضفة الغربية سيتقرر عبر مفاوضات بين اسرائيل والدول العربية المجاورة • واكد ان سياسة اسرائيل في الضفة الغربية لن تتحيز ولن تتأثر باية مناقشات تجري في مجلس الامن •

☐ عقد وزراء خارجية الدول الاسلامية مؤتمرهم السابع في اسطنبول بمشاركة منظمة التحرير • واستحوزت القضية الفلسطينية على قدر كبير من اهتمامات المؤتمر ووقته وتوصياته • وجدير بالاشارة ان رئيس وزراء تركيا ندد في خطابه الافتتاحي بالغزو الاسرائيلي للاراضي العربية وبضمها كما اعلنت تركيا رسميا ـ اثناء انعقاد المؤتمر ـ

اعترافها بمنظمة التحرير كممثل شرعي وحيد للشعب الفلسطيني • واجمع الخطباء على ادانة اسرائيل وعلى المطالبة بانسحاب قواتها من الاراضي العربية المحتلة ووضع حد لاضطهاد المواطنين العرب الواقعين تحت حكم السلطة الاسرائيلية • ومن اهم التوصيات التي اقرها المؤتمر : (أ) ادانة الصهيونية كشكل من اشكال العنصرية ب) تأييد الكفاح الذي يخوضه الشعب الفلسطيني في الارض المحتلة وادانة التصرفات التي تقوم بها السلطات الاسرائيلية في تلك الاراضي ج) مطالبة الدول الاعضاء في الامم المتحدة العمل على طرد اسرائيل من المنظمة الدولية د) التأكيد على ان منظمة التحرير هي الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني • وقرر المؤتمر انشاء صندوق رأس ماله ٥٠ مليون دولارا للمحافظة على الطابع العربي الاسلامي لمدينة القدس ومساعدة سكان الاراضي العربية المحتلة كما ادان التواطؤ القائم بين جنوب افريقيا واسرائيل داعيا جميع الدول الى وقف الدعم العسكري والمادي والبشري لاسرائيل • وعلى اثر انتهاء المؤتمر صدر بيان ختامي اكد ان الوضع في الشرق الاوسط يتدهور باستمرار مما يهدد العالم بانفجار واسع ومرير كما واعتبر قضية فلسطين محور هذا الوضع • واشار البيان الى انه لا يمكن اقرار السلام العادل والدائم في المنطقة الا على اساس انسحاب اسرائيل من الاراضي العربية المحتلة واستعادة الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني واقامة دولته المستقلة • ووصف البيان اسرائيل بانها قاعدة امامية للاستعمار في قلب العالم الثالث كما شجب التعاون بين اسرائيل وجنوب افريقيا وادان الصهيونية كشكل من اشكال العنصرية •

القضية الفلسطينية عسكريا

الكفاح المسلح جنبا الى جنب الانتفاضات الجماهيرية في الارض

على الرغم من الجهود التي تبذلها اجهزة الامن الاسرائيلية في محاولة منها لوقف تدهور الوضع الامني في داخل الارض الفلسطينية المحتلة واصل الثوار الفلسطينيون تنفيذ عملياتهم العسكرية في داخل الارض بجرأة واقدام •

ففي ١٩٧٦/٣/١٥ ذكرت مصادر الشرطة الاسرائيلية انه عثر على ثلاث جثث في حطام حريق اندلع في مجمع للصناعات الصغيرة في تل ابيب • وكانت النيران قد اندلعت في مصنع صغير للمعادن ومصنع اخر للمطاط بالاضافة الى مستودع للقطن ، ووقعت الحرائق كلها في منطقة تعرضت خلال الاشهر الثلاث الاخيرة الى عدة حرائق ، كان احدها الحريق الذي شب في مستودع تابع لصحيفة هارتس • وكانت مصادر فلسطينية قد اعترفت بمسؤوليتها عن هذه الحرائق التي نجم عنها تدمير خمسة مصانع اسرائيلية ، في حين ذكرت الصحف الاسرائيلية عن بعض هذه الحرائق الا انها كعادتها لم تذكر اسباب اندلاع هذه النيران • (المحرر ١٩٧٦/٣/١٦ والنهار ١٩٧٦/٣/١٧)

وفي ١٩٧٦/٣/١٩ تمكن الثوار الفلسطينيون من وضع عدة عبوات ناسفة حارقة داخل احد الباصات السياحية الصهيونية في القدس المحتلة وعبوة اخرى في داخل سيارة شحن عسكرية في مدينة اشدود وقد انفجرت العبوتان في اوقاتهما واحدثت اضرار مادية بالغة في الباص والسيارة العسكرية • (المحرر ١٩٧٦/٣/٢٠) •

وفي بلاغ اخر ذكرت المصادر الفلسطينية ان الثوار الفلسطينيين هاجموا بعض

المستوطنين اليهود في كريات اربع عندما كانوا يحاولون التوجه الى مدينة الخليل للاعتداء على المواطنين العرب في المدينة مستغلين بذلك زيارة الحاكم العسكري الاسرائيلي لها • وقد فتح الثوار رشاشاتهم الاتوماتيكية عليهم مما نجم عنه قتل وجرح عدد منهم • (المصدر نفسه) •

وفي ١٩٧٦/٣/١٩ ذكرت الانباء الواردة من الحدود الجنوبية للبنان انه ظهرت في صبيحة ١٩٧٦/٣/١٨ حشود الية عسكرية اسرائيلية في مواجهة خراج ميس الجبل وبليدا اللبنانيتين • وظلت حركة الاليات ملحوظة بالعين المجردة حتى ساعة مبكرة من يوم ١٩٧٦/٣/١٩ ، وكانت تتجمع داخل المستعمرات القريبة من الحدود اللبنانية (النهار ٣/٢٠/ ١٩٧٦) وتجيء هذه التحركات في اعقاب ازدياد عمليات الفدائيين الفلسطينيين ونجاح معظمها في عمق الاراضي المحتلة والانتصارات العسكرية التي حققتها القوى الوطنية على الانعزاليين في كافة الجبهات في لبنان • وهكذا يثبت للجميع ان ما تقوم به القوى الانعزالية من تصعيد عسكري في معظم الجبهات انما تستفيد منه اسرائيل •

وفي ١٩٧٦/٣/٢٠ اعلن الناطق العسكري الفلسطيني ان احدى المجموعات العاملة داخل الارض المحتلة تمكنت من وضع عبوات ناسفة وحارقة موقوتة داخل النادي الليلي وقاعة الاستقبال والمستودعات التابعة لفندق « بارك » الواقع عند شاطىء شارع « هرتزل- هميلش » في ناتانيا • وفي الساعة (٠٤٣٠) صباحا انفجرت العبوات الموقوتة فادت الى نسف اجزاء من الفندق واندلاع النيران في الطابق الاول والثالث والسابع من مبنى الفندق وسرعان ماامتدت النيران الى الطوابق الاخرى• كما قامت المجموعة نفسها بقطع التيار الكهربائي عن جميع المنطقة الغربية من المدينة ثم انسحبت الى قواعدها سالمة (المحرر ١٩٧٦/٣/٢١) وفي تل ابيب اعترف ناطق بلسان البوليس الاسرائيلي بالحادث وادعى ان شخصين فقط قد قتلا واصيب ٤٢ شخصا بجروح • (المصدر نفسه) •

ومن جهة اخرى وضع الثوار الفلسطينيين عبوة ناسفة شديدة الانفجار داخل صالة المسافرين في محطة الباصات المركزية الواقعة مقابل مدرسة « شمدت » في باب العمود في القدس المحتلة ، وقد ادى الانفجار الى تدمير جزء كبير من مبنى المحطة وتدمير واصابة عدد من باصات شركة « ايجد » الاسرائيلية وقتل وجرح عدد من الصهاينة (المصدر نفسه)

وفي الذكرى الثامنة لمعركة « الكرامة » البطولية نفذ الثوار الفلسطينيون داخل الوطن المحتل اربع عمليات جريئة • ففي يوم ٣/٢٣/ ١٩٧٦ نصبوا كمينا لدورية اسرائيلية محمولة على الطريق بين مستوطنتي يفتاح والمنارة في منطقة الجليل الاعلى • فقد هاجم افراد الكمين مجنزرة للعدو كانت تقوم باعمال الدورية ، وقذفوها بالقذائف الصاروخية والاسلحة الرشاشة وتمكنوا من تدمير الالية وقتل وجرح من فيها • (المحرر ١٩٧٦/٣/٢٥)

وفي بلاغ اخر ذكر الناطق الفلسطيني ان احدى المجموعات المقاتلة التابعة للقوات الخاصة نصبت مساء يوم ١٩٧٦/٣/٢١ عدة كمائن للدوريات الاسرائيلية ما بين قرية بيت امر ومستوطنة كفار عصيون وذلك بأن سبدت الطريق الرئيسي الموصل بين القرية والمستوطنة بالحجارة • وفي الساعة العاشرة من مساء اليوم نفسه مرت دورية اسرائيلية على الطريق المذكور مؤلفة من الية نصف مجنزرة وناقلة جنود وعدد من سيارات الجيب وتوقفت امام الحاجز لفتح الطريق ، غير ان الثوار فاجأوها بالرشاشات والاسلحة المضادة للدروع والقنابل اليدوية وتمكنوا من اصابة الالية واحراقها وتدمير نصف المجنزرة وقتل جميع من فيهما • وعلى الاثر دفع العدو بقواته الى ارض المعركة في محاولة لتطويق ثوارنا واشرك في ذلك طائراته الهليوكبتر فدارت بين ثوارنا والقوات الاسرائيلية معركة كبيرة استمرت حتى الساعة الواحدة صباحا من اليوم التالي • وذكرت الانباء الواردة من الارض المحتلة انه نتيجة للمعركة طوقت القوات الاسرائيلية قرية « بيت امر » وفرضت نظام منع التجول في المنطقة وقامت باقتحام

القرية بحثا عن الفدائيين • (المصدر نفسه)•

ثم قال الناطق الفلسطيني ان ثوارنا في الارض المحتلة اصابوا ضابط مخابرات اسرائيلي يدعى (موريس) بجروح خطيرة عندما اطلقوا النار عليه فيما كان يستقل سيارته متوجها لعمله • (المصدر نفسه) وفي بلاغ رابع ذكر الناطق نفسه ان قوات الداخل هاجمت سيارة شحن عسكرية اسرائيلية بالقرب من قرية « عيناتا » فقتلت وجرحت من فيها من جنود مظليين • (المصدر نفسه)•

وفي هذا الاثناء اثار دخول القوات السورية الاراضي اللبنانية قلق اسرائيل مما حدا بالقيادة العسكرية الاسرائيلية الى ارسال طائراتها لاستطلاع تحركات القوات السورية واماكن انتشارها وتواجدها • وقد كتب مراسل صحيفة معاريف الاسرائيلية العسكري نقلا عن مصادر اسرائيلية مأذونة عن علم القيادة الاسرائيلية بوجود جنود سوريين في داخل الاراضي اللبنانية ، الا ان هذا المراسل افاد بأن القوات السورية لم تقترب مباشرة من الحدود الجنوبية للبنان والى انه لم يسجل عن وجود اي نشاط عسكري سوري غير عادي في المنطقة • وقد قدرت المصادر الاسرائيلية عدد العسكريين السوريين المتواجدين بالاراضي اللبنانية ما بين ٣٠٠٠ - ٣٥٠٠٠ جندي • وذكرت القيادة العسكرية الاسرائيلية انها لا ترى بناء على ذلك دخول اي تغيير جوهري على الموقف العسكري بينها وبين السوريين ،وانها ازاء هذا الموقف المستجد الطارىء تتابع الموقف باهتمام ويقظة بالغة ، وانها اضطرت نتيجة لهذا التواجد السوري في لبنان الى تكثيف دورياتها العسكرية العاملة قرب الحدود الشمالية مع لبنان واضافت ان هذه التحركات السورية لم تدخل اي جديد على وضع القوات السورية المرابطة في هضبة الجولان والتي تتألف اساسا من وحدات مدفعية ومجموعات الدفاع الجوي • ثم اوضحت ان التحركات السورية في لبنان لا يقصد بها سوى سيطرة هذه القوات على الموانىء والمطارات والمحاور الرئيسية والمؤسسات الحكومية الهامة لدوافع امنية بحتة • (النهار ٧٦/٤/٧)والجدير بالذكر ان اسرائيل كانت قد اعلنت مرارا وتكرارا في السابق ان دخول اي قوات عربية الى لبنان وخاصة سورية سيضطرها الى التحرك ضد لبنان • ولكن يبدو هذه المرة ان دخول القوات السورية لم يثيرها بعد تلقيها ضمانات من الولايات المتحدة •

وفي ١٩٧٦/٤/٧ قصف الثوار الفلسطينيون عددا من الاهداف الجوية المعادية في قلب مدينة القدس المحتلة بالصواريخ الثقيلة واصابوا الاهداف المحددة بدقة • وقد استهدف القصف « جفعات هانينا » وشوهدت النيران تندلع في هذه الاهداف بعد قصفها ،كما شوهدت سيارات الاسعاف تقوم بنقل القتلى والجرحى الى المستشفيات • وفي اسرائيل اعترف ناطق عسكري بالقصف لكنه كعادته ذكر انه اصيب نتيجة للحادث ثلاثة اشخاص بجروح خفيفة • (المحرر ١٩٧٦/٤/٨) •

وفي نابلس قامت وحدة فدائية تابعة لقوات الداخل بقصف مقر الحاكم العسكري الاسرائيلي في المدينة بصواريخ « كاتيوشا » شديدة الانفجار وقد نجم عن القصف وقوع خسائر بين الاسرائيليين • وفي تل ابيب اعترف ناطق عسكري اسرائيلي بالقصف لكنه ادعى ان الصواريخ سقطت بالقرب من سجن نابلس • ثم اضاف انه تم العثور على السيارة التي استعملت في عملية القصف وادعى القاء القبض على الفدائيين الذين قاموا بالعملية (المحرر ١٩٧٦/٤/١٠) •

وفي غزة تمكن الثوار الفلسطينيون من تدمير سيارة عسكرية للعدو محملة بالجنود اثناء مرورها على الطريق الرئيسي ما بين منطقة الجوازات ومعسكر الجيش الاسرائيلي المحتل الواقعة جنوب مدينة « رفح » بالقطاع فقد مرت السيارة على لغم وضعه الثوار مما ادى الى قتل وجرح جميع من فيها (المحرر ١٣/ ١٩٧٦/٤) •

وعلى صعيد اخر احرق الثوار الفلسطينيون مصنعا للورق داخل المدينة الصناعية في مدينة اسدود وذلك بعد ان زرعوا عددا من العبوات الموقوتة الحارقة داخل المصنع بعد قطع التيار الكهربائي عنه • وقد اتت النار على جزء كبير من المصنع بعد ان امتدت الى مستودعات

الورق المجاورة واتت عليها بالكامل رغم مكافحة رجال الاطفاء للحريق . وبعد الحادث قامت السلطات الاسرائيلية باعتقال عشرات المواطنين العرب كما اقامت عددا من الحواجز في الشوارع الرئيسية ومداخل المدينة ، لكن ثوارنا تمكنوا من الافلات والعودة الى قواعدهم سالمين (المحرر ١٩٧٦/٤/١٨) .

وفي ١٩٧٦/٤/١٩ تمكن الثوار الفلسطينيون من تدمير مستودع لمواد البناء في شارع (كروشيه كهير) في تل ابيب فقد تمكن الثوار من وضع عبوات حارقة داخل مستودع المصنع وفي الساعة (٠٤٠٠) صباحا انفجرت العبوات وادت الى تدمير واجهة المستودع واشعال النيران في محتوياته . كما امتدت النيران الى الطابق الاول من المبنى. (المحرر ١٩٧٦/٤/٢٠)

وفي الوقت نفسه نجح الثوار في وضع عبوات حارقة موقوته داخل مصنع للادوات المنزلية في شارع « محريزيت » في يافا . وقد انفجرت العبوات محدثة تدميرا كبيرا في محتويات المصنع بالاضافة الى تصديع احد جدرانه ، كما اصيبت نتيجة للانفجار عدة سيارات تابعة لادارة المصنع كانت تقف بالقرب من موقع الانفجار (المصدر نفسه) .

وفي القدس ، نفذ الثوار اربع عمليات جريئة ، فقد تمكنت المجموعة الاولى من وضع عبوات ناسفة شديدة الانفجار بالقرب من صندوق العمال الصهيوني « كوات حوليم » في شارع شتراوس بالقدس كما زرعت عبوات اخرى داخل مبنى مخابرات العدو في الشارع نفسه . وفي الساعة (١٠٠٠) اكتشف العدو العبوات الموجودة قرب الصندوق واستدعيت قوات الشرطة وخبراء المتفجرات لابطال مفعول العبوات . واثناء محاولة فك المواد المتفجرة انفجرت وادت الى قتل ضابطين من شرطة العدو وجرح قائد شرطة القدس . وقتل خبير المتفجرات وهو برتبة ملازم اول وعدد اخر من افراد العدو ، وفي هذه الاثناء انفجرت العبوات داخل مبنى المخابرات وادى انفجارها الى تصدع احد جدران المبنى وتحطيم معظم محتوياته واصابة عدد من افراد العدو . (المحرر ١٩٧٦/٤/٣٠) . وفي ثلاثة بلاغات اخرى صدرت عن الناطق العسكري الفلسطيني ، ذكر ان الفدائيين دمروا خط التوتر العالي في منطقة رعنان ، وهاجموا حاجزا للشرطة في الشارع الرئيسي بمدينة هرتسليا وقتلوا وجرحوا عددا من افراد الحاجز. كذلك هاجم الثوار مبنى مضخات المياه التي تزود منطقة حولون جنوبي تل ابيب بالماء وتمكنوا من تدميره . (المصدر نفسه) وفي تل ابيب ذكرت وكالات الانباء ان اجهزة الامن الاسرائيلية اعتقلت (٤٠٠) عربي في اثر وقوع الانفجارين في مدينة القدس . وتقول المصادر ذاتها ان هؤلاء يجري استجوابهم من قبل ضباط الامن الاسرائيليين . (المصدر نفسه) .

ورغم الاجراءات الامنية المشددة التي اتخذها العدو في مدينة القدس المحتلة ، نفذ الثوار في الداخل عملية اخرى جريئة في المدينة . ونقلت وكالات الانباء الاجنبية انباء الحادث بقولها انه سمع صوت انفجار عنيف وقع في وسطمدينة القدس بفعل عبوات ناسفة كانت موضوعة على دراجتين ناريتين وقد توجه الى مكان الحادث عددكبير من سيارات الاسعاف وعربات الاطفاء . وافادت المصادر نفسها ان الدوائر الاسرائيلية ذكرت ان (٢٨) شخصا قد جرحوا ، وجراح احدهم خطرة (المحرر ٥/٤/ ١٩٧٦) . وفي اعقاب الحادث صرح ناطق عسكري فلسطيني انه ردا على اجراءات العدو الوحشية والبربرية ضد اهلنا في الوطن المحتل التي يحاول من خلالها قمع انتفاضتهم الجماهيرية للرد على المتطرفين اليهود من منظمة (غوش امونيم) حيث استشهد نتيجتها عدد من المواطنين العرب ، فقد صدرت التعليمات الى احدى مجموعاتنا بوضع عبوات ناسفة موقوتة شديدة الانفجار في شارع بن يهودا وفي الوقت المحدد انفجرت العبوات وادت الى وقوع اصابات وخسائر مادية كبيرة بالعدو . (المصدر نفسه) .

وفي ١٩٧٦/٥/١٢ تمكن الثوار من زرع عبواتهم الناسفة الموقوتة داخل صالة سينما (ايحاد) في شارع « هيركون » في قلب تل ابيب وانفجرت العبوات في الوقت المحدد

وادت الى جرح وقتل عدد من افراد العدو وتدمير اجزاء الصالة • (المحرر ١٣/٥/١٩٧٦) كما شن الثوار فاليوم نفسه هجوما بالصواريخ الثقيلة على مستوطنة كريات خمسة التي اقامها العدو على طريق بيت لحم ـ كفار عصيون • كذلك استهدف القصف الصاروخي مستوطنة وادي دروسيا التي اقامها العدو قرب قرية عجور في لواء الخليل • ونتج عن القصف تدمير عدد من الابنية واندلاع النيران فيها وقتل وجرح عدد من افراد العدو • (المصدر نفسه)

ح • ع •

المناطق المحتلة

حافظت الانتفاضة الجماهيرية ضد الاحتلال الاسرائيلي في الضفة الغربية ، في الفترة بين ١٥ نيسان و ٣٠ ايار ، على شدة اندفاعها وزخمها ، متخذة نفس الاشكال السابقة ـ الاضرابات العامة ، اضرابات المدارس ، التظاهرات والاشتباكات مع قوات الاحتلال بالحجارة والعصي واحيانا زجاجات المولوتوف الحارقة • وقد جابهت سلطات الاحتلال التظاهرات ، كما في السابق ، بالقمع الوحشي، واسفرت الاشتباكات عن مقتل وجرح عدد من جنود الاحتلال ، واستشهاد وجرح الكثير من ابناء الضفة ، واعتقال العشرات من المتظاهرين والمناضلين • وأثارت ردود فعل عنيفة بصورة خاصة ، لدى ابناء الضفة الغربية ، المسيرة الاستفزازية التي دعت اليها كتلة « غوش ايمونيم » اليمينية المتطرفة ، وشارك فيها حوالي عشرين الف اسرائيلي ، انطلقوا من القدس الى اريحا يومي ١٩ ـ ٢٠ نيسان ، ردا على « يوم الارض » الفلسطيني ، واظهارا لاصرار المتطرفين على المضي قدما في الاستيطان اليهودي في جميع انحاء الضفة الغربية • وفي نفس الفترة التي يُغطيها هذا التقرير (١٥ / ٤ ـ ٣٠ / ٥ / ٧٦) ، نفذت المقاومة الفلسطينية المسلحة عددا من العمليات العسكرية ضد اهداف اسرائيلية في المناطق المحتلة ، واعلنت سلطات الاحتلال عن اكتشاف عدد من شبكات المقاومة في الضفة •

ومن ناحية اخرى ، تسلمت المجالس البلدية والقروية في الضفة الغربية ، المنتخبة حديثا ، مسؤولياتها في الاسبوع الثالث من نيسان ، وحدد عدد من رؤسائها مواقفه من مسألة تمثيل الشعب الفلسطيني وحدود التعامل مع السلطات المحتلة •

وفي تطور خطير على صعيد موقف الحكومة الاسرائيلية من الاستيطان في الضفة ، صرح شمعون بيرس ، وزير الدفاع الاسرائيلي ، ان الحكومة الاسرائيلية قررت انشاء سلسلة ثانية من المستوطنات الاسرائيلية الاهلة بالسكان في الضفة الغربية •

وقائع الانتفاضة :

افاضت شؤون فلسطينية (العدد السابق) في معالجة اسباب الانتفاضة ، وابعادها ، ومغزاها • ولذلك نكتفي هنا بعرض الوقائع في الفترة التي يغطيها التقرير : بعد فترة وجيزة من اعلان نتائج الانتخابات البلدية ، اقدم احد العملاء الاسرائيليين المعروفين في رام الله ، عبد النور خليل جنحو ، ومعه عدد من الاعوان ، على اقتحام منزل المواطن فخري عثمان موسى عيسى ، واطلاق النار على الموجودين فيه ، مما ادى الى استشهاد المواطن خليل محمود عيسى واصابة المواطن فخري عثمان عيسى بجراح خطيرة • وقد حدثت هذه الجريمة يوم ١٦ نيسان ، واتت بعد سقوط جنحو في الانتخابات البلدية • وفي اليوم التالي (١٧/٤/١٩٧٦) ، اجتاحت مدينة رام الله

مظاهرات صاخبة ، احرق المتظاهرون خلالها المحلات التجارية العائدة لجنحو وبعض العملاء المحليين ، واقاموا المتاريس في الشوارع ، واشعلوا النار في اطارات السيارات . وتدخلت قوات الاحتلال ضد المتظاهرين الذين اشتبكوا معها ، واطلقت النار عليهم ، مما ادى الى استشهاد شاب عربي . وتضامنت نابلس مع مدينة رام الله ، وشهدت في اليوم نفسه مظاهرة ضخمة ضد الاحتلال ، اشتبكت مع قوات الامن ، بينما اغلقت جميع المتاجر ابوابها .

- يوم (١٩٧٦/٤/١٩) : تجددت المظاهرات والاشتباكات الدامية في جميع مدن الضفة الغربية ، احتجاجا على السماح بمسيرة غوش ايمونيم المشار اليها اعلاه . في نابلس ، اقام المتظاهرون متاريس في الشوارع ، واستخدموا زجاجات المولوتوف الحارقة . واعلن متحدث اسرائيلي ان عربيا من اهالي المدينة قتل ، وجرح اثنان ، في اعقاب اطلاق دورية اسرائيلية نيران المدافع الرشاشة على مجموعة كبيرة من العرب هاجمتها داخل البلدة القديمة . وحدثت اشتباكات في مخيم عسكر بنوار نابلس ، استشهد نتيجتها مواطن عربي ، وجرح ١٦ اخرون ، وتم في اثرها فرض منع التجول على مخيمي عسكر وبلاطه، واعتقال ٢١ مواطنا . وفي اريحا ، هدف المسيرة الصهيونية ، ادت الاشتباكات الى جرح ٣ عرب ، واعتقال ٣٠ اخرين . وقامت قوات الامن بتوجيه المسيرة الى مراكز خارج المدينة ، التي فرض عليها حظر التجول . وفي بيرزيت جرح الجنود الاسرائيليين ١٢ عربيا ، واعتقلوا ٢١ اخرين ، وتم فرض منع التجول على البلدة . واستخدم المتظاهرون في الخليل الحجارة وقنابل المولوتوف ضد القوات الاسرائيلية التي تصدت لمظاهراتهم ، ونجم عن الاشتباكات اصابة ١٤ مواطنا بجراح ، واعتقال ١٧ متظاهرا . واصيب خلال هذه الاشتباكات عدد كبير من افراد القوات المحتلة.

- (٢٦ / ٤/ ٧٦) : المظاهرات والاشتباكات والاضرابات مستمرة . منعت السلطات الاسرائيلية دخول السياح الى بعض مناطق القدس بعد تجدد المظاهرات فيها ، وقمعت قواتها المظاهرات التي قامت فيها وفي نابلس وطولكرم وجنين ، واعلن الحاكم العسكري فرض منع التجول في السوق الرئيسية في طولكرم والمخيم المجاور للمدينة . وقدمت محطة « سي بي اس » الاميركية احتجاجا الى الحكومة الاسرائيلية لقيام قوات الامن باحتجاز واتلاف الافلام التي قامت بعثتها الصحافية بالتقاطها لمظاهرات العرب داخل الاراضي المحتلة .

- يوم (٧٦/٤/٢٢) : سارت مظاهرة للطالبات في القدس ، واشعلت اطارات السيارات داخل البلدة القديمة ، واستمر اغلاق المتاجر في طولكرم ، واضراب الطلاب فيها ، كما استمر حظر التجول في السوق الرئيسية والمخيم القريب منها .

- يوم (٤/٢٣/ ١٩٧٦) : وقعت اشتباكات بين المتظاهرين وقوات الامن في اريحا ، أسفرت عن جرح ١٧ مواطنا ، واعتقال ٢١ مواطنا و ١٢ طالبا وطالبة . ووقعت اشتباكات ايضا في القدس . وتوفي في رام الله طفل عمره ست سنوات متأثرا بجراح اصيب بها في الاسبوع الفائت . وتوفي في نابلس رجل عمره ٥٥ سنة نتيجة الاشتباكات ، وقامت السلطات الاسرائيلية باغلاق الحي القديم في المدينة بموابات حديدية . واستمر فرض منع التجول على المخيم القريب من طولكرم .

- يوم (٤/٢٥/ ١٩٧٦):استمر اضراب الطلاب والمعلمين في الضفة - حطم اهالي نابلس خلال الليل ثلاثا من البوابات العشر التي اقامتها السلطات الاسرائيلية في مداخل الحي القديم لمنع المظاهرات - قامت في جنين مظاهرة فرقتها سلطات الاحتلال

- شهر ايار (من ١ - ٣٠ ايار) : في مطلع شهر ايار ، عيد العمال تجددت الاضرابات والمظاهرات والاشتباكات على نطاق واسع في جميع انحاء الضفة الغربية ، وامتدت الى قطاع غزة . وقد سقط في الاشتباكات التي جرت بين المتظاهرين وقوات الامن عدد من القتلى ، وعشرات من الجرحى من الطرفين ، واعتقلت سلطات الاحتلال العشرات من المتظاهرين ،

واضطرت الى فرض منع التجول في معظم المدن والقرى • وقد ارغم امتداد الانتفاضة الى غزة رئيس بلديتها المعروف بعلاقاته الحسنة مع الاسرائيليين ، رشاد الشوا ، على تقديم استقالته • وفي اليوم التالي ، ٣ ايار ، ارسلت قوات الاحتلال تعزيزات عسكرية قدرت بالاف الجنود الى مدينة رام الله ومدن الضفة الغربية الاخرى لاخماد الاضطرابات ، والحؤول دون قيام سكان الضفة الغربية بمسيرة ردا على مسيرة « غوش ايمونيم » الصهيونية ، تنطلق من القدس الى رام الله ، وتعبر عن اصرار الفلسطينيين العرب على التمسك بارضهم ورفضهم لاحتلال • وذكرت وكالات الانباء ، نقلا عن الصحف الاسرائيلية ان ميجور اسرائيلي اوقف عن العمل بسبب قتله مع جنوده المواطن احمد دهلول ، سكرتير الحزب الشيوعي في بلدة سلفيت • وقد قتل المواطن دهلول نتيجة الضرب الشديد الذي تعرض له على ايدي الجنود الاسرائيليين ، مع ستة عرب اخرين نقلوا الى المستشفى ، بناء على تعليمات من الميجور المشار اليه •

واستمرت المظاهرات والاشتباكات في الايام التالية ،بصورة متقطعة هنا وهناك ، الى ان عادت فانفجرت بصورة شاملة وبالغة العنف في يوم ذكرى النكبة ، ١٥ ايار • ففي يوم ١٤ ايار ، وزعت الاف من المنشورات في مدن الضفة الغربية وقطاع غزة ، تدعو المواطنين الى الاضراب والتظاهر بمناسبة الذكرى ، وللاعراب عن « التضامن مع اليسار الذي يقاتل في لبنان » • وقامت قوات الامن ، بالمقابل ، بحملة اعتقالات في القدس والضفة ، شملت عددا من الاشخاص المعروفين بمواقفهم المناهضة للاحتلال الاسرائيلي ، ووضعت القوات الاسرائيلية في المناطق المحتلة في حالة تأهب • ولكن الجماهير لم تردعها الاجراءات الاسرائيلية ، وخرجت صبيحة يوم ١٥ ايار في مظاهرات شاملة ، اشتبكت مع القوات الاسرائيلية ، وسقط فيها عدد من القتلى وعشرات من الجرحى ، مما اضطر السلطات الاسرائيلية الى فرض حظر التجول في عدد من المدن والقرى ، والقيام بحملة اعتقالات واسعة شملت المئات • واثار المشاعر بصورة خاصة ، سقوط الشهيدة لينا حسن النابلسي ، من مناضلات فتح ، برصاص قوات الامن في نابلس • وقد تجددت الاشتباكات بين المتظاهرين وقوات الامن ، طيلة الايام التالية، وحل يوم ١٨ ايار وحظر التجول مفروض على كبريات المدن العربية في الضفة : نابلس ورام الله والبيرة ، وجنين وطولكرم ، فيما شهدت القدس اضرابا شاملا وتظاهرات عنيفة اشتبك خلالها المتظاهرون مع قوات الجيش الاسرائيلي ، وسقط شهيدا شاب من ابناء القدس • وقد صرح مصدر اسرائيلي ، في ١٨ ايار ، انه تم اغلاق جميع مدارس وكالة غوث اللاجيئين التابعة للامم المتحدة في المناطق المحتلة • وفي لندن علقت صحيفة « الديلي تلغراف » البريطانية المحافظة والموالية لاسرائيل على الانتفاضة الجماهيرية: « ان الروح القومية الفلسطينية قد اصبحت للمرة الاولى بمثابة قوة حقيقية في الضفة الغربية المحتلة ، كما ان هذه الروح بدأت تسري من جديد لدعم العرب في داخل اسرائيل نفسها » • وعلقت صحيفة « هموديع» الاسرائيلية على الموضوع بقولها : « يبدو ان العرب في المناطق المحتلة وفي اسرائيل لا يتحدثون عن دولة فلسطينية داخل الضفة الغربية فحسب ، بل يريدون ضم الجليل باسره لهذه الدولة » •

شهادات اسرائيلية :

اجمعت الصحف الاجنبية ووكالات الانباء على ان رد فعل القوات الاسرائية على الانتفاضة كان وحشيا واتسم بالعنف البالغ • وعلى الرغم من عدم توفر صحف اسرائيلية تعود الى الفترة الاخيرة ، فان اقتباس ما كتبه عدد من الصحف الاسرائيلية الصادرة في نهاية شهر اذار وبدايات نيسان ، قد يكون مفيدا من زاوية كونه شهادة ضد قوات الاحتلال ، صادرة عن اسرائيليين • كتب واتي روبنشتاين في دافار (٣/٣٠/ ٧٦) ان « رد الفعل على التظاهرات العنيفة كان احيانا عنيفا ، ويتسم بالتحقير ، مع الحاق الاذى الجسدي ، لتلقين العرب درسا ، واشعارهم ان حياتهم ستصبح جحيما في حال تعرضهم لقوات الامن » • وتابع روبنشتاين انه وقعت عدة حوادث جرى فيها

ارغام بعض رجال الدين والمارة على «تكنيس» الشوارع وتنظيفها من الحواجز ، وايقاف مجموعات كبيرة من العرب بالقرب من الحيطان ، وارغامهم على خلع احذيتهم وسط توجيه الاهانات اليهم ، واطلاق النار فوق رؤوسهم . وقال ان « مواجهة التظاهرات العنيفة لم تتم بوسائل لائقة ، ونفذت التعليمات الداعية الى التصرف بشدة تجاه السكان ...بشكل مبالغ فيه .وخلال الاسبوعين الاخيرين ، تكررت يوميا ، بل وكل ساعة ، اعمال الضرب واللكم والشتم ، وانتهى الامر في حالتين بالموت المباشر » .

وكتبت ريموندا طويل في هعولام هزه (٧٦/٤/١) ان جنود الجيش الاسرائيلي في نابلس « كانوا يقبضون على اشخاص في الشارع ، او يدخلون البيوت ليلا ويخرجون منها الرجال ، ويأمرونهم بالركض حول مكان ما في وسط المدينة ، او يرغمون الناس على الرقص وسط الشارع على قدم واحدة ، او ان يركب الواحد على ظهر الاخر ، او يصفعه تحت التهديد » .

وكتب اوري افنيري في هعولام هزه (٢٤ / ٣/ ٧٦) : « لقد استخدمت [اسرائيل] اليد القوية ، وعندما لم تنجح ، استخدمت يدا اقوى . وكان في وسع اسرائيل ، هذا الاسبوع ، ان تنظر الى نفسها في المرآة ، ولم يكن المنظر المعكوس جميلا . وقد بثت بمشهد جميع شبكات التلفزيون ، بالانكليزية والفرنسية والروسية ، وخصوصا بالعربية . واظهرت الات التصوير شرطة الاحتلال ، شرطة مألوفة لمحتل مألوف ، تقوم بالاعمال المألوفة التي يقوم بها كل محتل . اظهرت الالات الشاب الثائر الشبيه باي شاب في اية منطقة احتلال ، والشرطة وهي تضرب ، وتهاجم ، وتطلق النار ، وتجر على الارض ، وتشد الشعور ، وفي بعض الاحيان تفر ، والشاب يتقدم ، ويقذف بالحجارة ، ويصاب ويلقي القبض عليه جريحا » . وتابع افنيري ان « الاحتلال [الاسرائيلي] وصل الى مرحلة كلاسيكية ، وسيضطر الى ان يكون اكثر شراسة ، واكثر وضوحا ، واكثر انكشافا امام نظر العالم » .

البلديات المنتخبة

تسلمت المجالس البلدية المنتخبة في الضفة الغربية مسؤولياتها في الاسبوع الثالث من نيسان . وصرح كريم خلف ،الذي اعيد انتخابه رئيسا لبلدية رام الله ، لصحيفة الجروز الم بوست ، ان رؤساء بلديات نابلس والخليل ورام الله وبيت لحم ، اتفقوا على حصر نشاطهم في ادارة الشؤون البلدية ، واحباط اية محاولة اسرائيلية تستهدف ادخالهم في مفاوضات سياسية . واستطرد قائلا ان « ممثلنا السياسي هو منظمة التحرير الفلسطينية ، واننا نعترض على اي جهد اسرائيلي يهدف الى خلق بديل لسيادة منظمة التحرير . وادلى الياس فريج ، رئيس بلدية بيت لحم ، بتصريحات الى الصحيفة نفسها ، قال فيها : « ان نتائج الانتخابات لا بد وان تحمل السلطات الاسرائيلية على الحد من علاقاتها مع السلطات البلدية الجديدة ، بحيث تقتصر على المسائل الادارية وحدها » . واضاف انه من الخطأ الاعتقاد بانه يمكن التفاوض بشأن تسوية سياسية مع رؤساء البلديات الجدد (السفير ٧٦/٤/١٧) .

وفي تصريح لاحق ، نقلت وكالات الانباء من تل ابيب في ٧٦/٤/٢٤ ، صرح كريم خلف ، ان رؤساء واعضاء المجالس البلدية الجدد لا يحق لهم التحدث باسم الشعب الفلسطيني لان هذا الحق تملكه منظمة التحرير وحدها . واضاف انه يشك في امكانية التعايش السلمي بين الاسرائيليين والفلسطينيين ، وانه سيعمل على احباط خطط شمعون بيرس الرامية الى منح البلديات نوعا من الحكم الذاتي . وقال ان بيرس يحاول اجبارنا على الدخول في السياسة ، ولكننا لا نعتبر انفسنا ناطقين باسم الفلسطينيين ، وان منظمة التحرير الفلسطينية هي الناطقة بلساننا .

وقال فهد القواسمه ، رئيس بلدية الخليل ، في تصريح لقلته وكالة الانباء الفرنسية من القدس في ٧٦/٤/٣٠ ، ان « منظمة التحرير الفلسطينية هي التي تمثلنا . ونحن نقبل باي قرار تتخذه . اما علاقاتنا بالاردن والدول

العربية ، فستحدد بعد اقامة حكومة فلسطينية بقيادة منظمة التحرير » ٠

وفي مقابل هذه التصريحات لرؤساء البلدية الجدد ، الذين اكد فوزهم في الانتخابات البلدية التأييد الساحق الذي تتمتع به منظمة التحرير في الضفة الغربية ، صرح يتسحق رابين ، رئيس الحكومة الاسرائيلية ، انه على اعضاء المجالس البلدية في الضفة ان يفهموا ان مهمتهم تتوقف عند ادارة اعمال بلدياتهم، وان اية محاولة من جانبهم ممارسته نشاط سياسي ستفشل (النهار ، ١/٥/ ٧٦) ٠

وحذرت صحيفة داڤار ، شبه الرسمية ، رؤساء البلدية الجدد من القيام باية اعمال تخرج عن صلاحيات البلديات ومجال اختصاصها ٠ واضافت ، في صدد تعليقها على نتائج الانتخابات البلدية ، انه « يبدو ان غالبية سكان الضفة يعتبرون انفسهم جزءا من الوجود الفلسطيني الشامل بقيادة منظمة التحرير ، ولا يعتبرون حسين ممثلا لهم » (السفير ١٧/٤/ ٧٦) ٠

الانتخابات البلدية في الصحافة الاجنبية :

ابدت الصحافة الاجنبية اهتماما شديدا ، بانتخابات البلدية التي جرت في الضفة الغربية في ١٢ نيسان ١٩٧٤ ، واتفقت جميعها في الرأي انها مثلت انتصارا ساحقا لمنظمة التحرير ، والقوى اليسارية المؤيدة لها ، وانها ستزيد في حدة المتاعب التي تعاني منها قوات الاحتلال في الضفة الغربية ٠ كتبت هيرالد تريبيون ٧٦/٤/١٤ : « ان الفوز الساحق الذي احرزه المتطرفون ، الشباب في الانتخابات في الضفة الغربية يعني ان اسرائيل ستواجه معارضة اكثر جدية هناك ، وربما ستواجه هذه المعارضة في المناطق التي سيطرت عليها قبل حرب ١٩٦٧ ٠ ويتضمن هذا نذير شؤم للاسرائيليين » ٠ واضافت ان غليان الضفة الغربية وعدم الاستقرار في بعض المناطق التي تعد جزءا من اسرائيل جاء ليزيد من مصاعب اسرائيل ، كما وان اية تسوية بشروط تكون مقبولة لاسرائيلتبدو مستبعدة الان ٠ وكتبت الديلي تلغراف (١٤/٤/ ٧٦) ان نتائج الانتخابات البلدية اسفرت عن فوز الشيوعيين والوطنيين العرب المتطرفين ٠٠٠ وعلى ضوء النتائج فان على اسرائيل ان تتعامل باساليب سياسية جديدة كليا » ٠ وكتبت التايمز (١٤/٤/ ٧٦) انه « في ضوء نتائج الانتخابات ، من المتوقع ان تزيد المجالس الجديدة من ضغطها على اسرائيل حول القضايا التي ادت الى اعمال العنف الاخيرة ، ومن هذه القضايا انتشار المستوطنات الاسرائيلية في الضفة الغربية »٠ وكتبت نوفيل اوبزيرفاتور (١٩/٤/ ٧٦) ان « نتيجة الانتخابات كانت مفاجئة لاسرائيل، وجاءت « بموجة جديدة » وطنية فلسطينية منفتحة بشكل علني على (م ٠ ت ٠ ف) حيث يعتبر وصول مؤيدي (م ت ف) بهذا الشكل الجماعي الى مراكز اساسية في الاراضي المحتلة كارثة بالنسبة لاسرائيل في الوضع الحالي وتهديدا خطيرا في المستقبل ٠ وعلقت وكالة الانباء السوفياتية نوفوتسي على الموضوع (٢٣/٤/ ٧٦) بقولها : « ان نتائج الانتخابات اظهرت اشتداد المقاومة ضد الاحتلال والارهاب والقمع والتعسف الصهيوني، كما انها عكست الوعي السياسي المتنامي للمواطنين الفلسطينيين بواقع الاعتراف المتزايد بمنظمة التحرير الفلسطينية على كل الاصعدة » ٠

أحمد خليفة

قرارات الحكومة الاسرائيلية حول الاستيطان

عشية اجتماع الحكومة الاسرائيلية في جلسة خاصة لمناقشة سياسة الاستيطان في الضفة الغربية ، تداعت تجمعات سياسية اسرائيلية تعارض الاستيطان فيالضفة الغربية وتعارض استجابة الحكومة لضغوطات حركة غوش ايمونيم والمتدينين ، الى مظاهرة في تل ابيب ٠ وقد اشترك في المظاهرة نحو ٢٥ الف اسرائيلي على رأسهم عدد من اعضاء الكنيست الاسرائيلي ، وبعض نواب حزبي مابام والعمل وكذلك موكيد ويعد وغيرهم ٠

وفي اليو مالتالي التأم مجلس الوزراء الاسرائيلي لمناقشة سياسة الاستيطان ، وتوقف طويلا عند مسألة استيطان كفر قدوم التي سبق ان اقامت فيها مجموعة

مدينة تقدر بحوالي ١٢٥ شخصا منذ حوالي خمسة اشهر • وقالت الاذاعة الاسرائيلية ـ ٧٦/٥/٩ ـ ان النقاش دار في معظمه حـــول « مشروع الون » وان وزراء مابام احتجـــوا على الاستيطان في كفر قدوم • وكانت نتيجـة النقاش ان اصدر المجلس قرارا يقضي بنقل المستوطنين من كفر قدوم الى مكان اخر في نطاق المشاريع الاستيطانية التي خططت لها الحكومة وذلك في « وقت قريب » •

وواضح هنا ان قرار مجلس الـــوزراء الاسرائيلي لم يحدد موعدا معينا لنقـــل المستوطنين ، كما انه لم يعين مكانا جديدا محددا لهم في خارطة الاستيطان • ومع ذلـك فانه نتيجة لهذا الاقرار ، فقد اصبح وجود المستوطنين في كفر قدوم « مؤقتا » كما قال يجيال الون عقب جلسة الحكومة • واضـاف وزير الخارجية الاسرائيلي معلقا على القـرار قائلا « قررت الحكومة بصورة جازمة ان قدوم ليست ضمن المناطق الاستيطانية التي اقرتها ، وانها ستعرض على مستوطني قدوم الانتقال الى مكان استيطان اخر بناء علـى مخططات الحكومة وقراراتها • واذا كانـت الحكومة قد ارجأت لبضعة اسابيع القيـام بمحاولة التأثير على مستوطني قدوم لتفعل ذلك بهدوء وبالحسنى ودون استخدام الاجراءات القانونية ، فهذا ليس بالامر السيء • ولكـن من الواضح ان مستوطني قدوم لن يبقـوا في قدوم ••• » (ر ١٠ ، ١٠ ، ٧٦/٥/١٠) •

ان قرار مجلس الوزراء الاسرائيلي وما سبقه من نقاش وتظاهرات ، واعقبه من تصريحات وتعليقات ، تكشف الى مدى بعيد عمـق الخلافات التي تسود الاوساط الاسرائيلية ، بما فيها الحكومة ، حول الاستيطان في الضفة الغربية • فمثلا اذا كان يجيال الون قد اعتبر القرار انتصارا لوجهة نظره ، فان تصريحات شمعون بيرس وزير الدفاع التي اعقبت القرار وسبقته قد كشفت هي الاخرى عن وجهـة نظر متعارضة مع قرار الحكومة • فقد اسهب بيرس في تعقيبه على القرار بقولـــه : « استطيع الاعتراف من الناحية الادبيـــة بموقفين : موقف القائلين ان البلاد كلها لنا وانه يمكن لذلك الاستيطان في كل مكان ، والموقف الاخر يقول « كلا » اذ ينبغي التوصل الى تسوية مع العرب ، ولذلك لا يجوز اجتياز الخط الاخضر • اني لا اوافق على الرأي القائل بعبور الخط الاخضر لكني متفهم لهذا الرأي، والذي يقول « كل البلاد » لا اوافقه الرأي مع انني افهم موقفه • لكني اجد مشقة في فهم المنطق القائل بان الاستيطان في الجولان مسموح وانه في جبل السامرة ممنوع » • وختـم بيرس تصريحه بالقول : « انني لا اعارض الرغبة في الاستيطان ، ولكني ارفضها عندما يكون الامر مخالفا للقانون ولسياسة الحكومة » (ر • ١٠ • ١٠ /٥/ ٧٦) •

والانشقاق الذي احدثه هذا القرار بين اعضاء الحكومة ، احدثه كذلك في صفوف الاحـزاب الاسرائيلية • فقد قال تسفي بيرنشتايـــن الامين العام لحزب المفدال انه متشائم لهـذا القرار وانه يتوقع نشوب ازمة بين المفدال والحكومة التي يشترك فيها بثلاثة وزراء • اما يتسحاق بركائي امين عام حزب الاحـرار المستقلين فقد قال : « نحن مرتاحون اولا للقول الصريح والمقاطع ان قدوم ليســت مستوطنة دائمة ووجوب اخلاء المستوطنين • ثانيا عودة الحكومة الى التأكيد ان استمرار الاستيطان ينبغي ان يكون طبقا لقـــرارات تحددها الحكومة • وثالثا اني مرتـــاح لان الحكومة منعت وقوع مجابهة بين قوات جيش الدفاع الاسرائيلي وبين مستوطني قدوم ولم يبق الا ان نأمل ان يوافق المستوطنون علـى قرار الحكومة وان ينفذوا قرارها » •

غير ان مئير تلمي امين عام حزب مابام ، لا يؤيد غير النصف الاول من القرار ، اي عدم اقامة مستوطنة قدوم • اما ارجاء موعـــد اجلاء المستوطنين عنها فهو من وجهة نظره ليس الا تحديدا للنقاش الدائر في الاوسـاط الاسرائيلية حول هذه المسألة •

اما شوليت الوني فقد عقبت على القرار بقولها « ان القرار الذي اتخذته الحكومـــة بعد عشر ساعات من النقاش العقيم ، يؤكد ان هذه الحكومة لا تستطيع اتخاذ قرارات • فان كان بامكان الون وشيمطوف وهامـــر ان

يعيشوا تحت سقف واحد ، فهذا يعني انهم قرروا عدم اتخاذ قرارات ، وان كل الاحاديث الجميلة عن الحفاظ على الديمقراطية ينبغي ان توجه اليوم الى الحكومة وليس الى غوش ايموليم » ٠

غير ان حدة الفعل في المناطق المحتلة ازاء هذا القرار ، جاءت مختلفة عن ردود الفعل لدى كل من مؤيدي القرار ومعارضيه في الاوساط الاسرائيلية ٠ فقد عكست صحيفتا القدس والشعب المقدسيتان استنكار الشعب الفلسطيني في المناطق المحتلة لهذا القرار ونتائجه ، وقالتا انه مجرد خداع للشعب الفلسطيني ٠ فقالت « القدس » انه ليس من الخطأ القول ان الخلافات في الرأي داخل الحكومة الاسرائيلية ليست حول شرعية الاستيطان بل حول المسائل المتعلقة بمكان الاستيطان وزمانه ، وحول سلم الاولويات للمناطق الاستيطانية ٠ ولذلك ينبغي اعتبار القرار الذي اتخذ امس قرارا في نطاق سياسة الاستيطان ، العقبة الاساسية بوجه السلام (القدس ٧٦/٥/١٠) ٠ اما صحيفة « الشعب » فقد هاجمت قرار الحكومة بشدة بينما اشادت بالذين اشتركوا في المظاهرة التي سبقت القرار والتي رفعت شعارات معادية للاستيطان ٠ وقالت ان قرار الحكومة يشير الى ضعفها والى انها لا تستطيع بالتالي اتخاذ قرار صريح وبسيط بالنسبة للقرارات المطلوبة في المستقبل خلال المحادثات السلمية (الشعب ٧٦/٥/١٠) ٠

وقد اقدمت الحكومة الاسرائيلية على خطوة تصعيدية خطيرة على مستوى الاستيطان في الضفة الغربية ٠ فقد صرح شمعون بيرس ، وزير الدفاع ، في ٧٦/٥/١٨ ، بأن الحكومة الاسرائيلية قررت انشاء سلسلة ثانية من المستوطنات الاهلة بالسكان في الضفة الغربية ٠ واضاف بيريز قائلا ان هذه المستوطنات ستكون موازية لسلسلة المستوطنات الاولى المكونة من سبع عشرة مستوطنة في وادي الاردن ،وقال ان المستوطنات الجديدة ستقام في المنحدرات الشرقية لمرتفعات الضفة الغربية ، ولكن في منطقة ذات كثافة سكانية قليلة ٠

واوضح وزير الدفاع الاسرائيلي ان برنامج السلسلة الجديدة من المستوطنات ستحد من فكرة ان « نهر الاردن ينبغي ان يظل دائما الحدود النهائية لاسرائيل » ٠

وكان راديو اسرائيل قد اعلن في وقت سابق ان انشاء المستوطنات الاسرائيلية السبع عشرة على طول نهر الاردن كلف نصف مليار ليرة اسرائيلية (السفير ٧٦/٥/٢) ٠

عيسى الشعيبي

Palestine Affairs

Published monthly in Arabic by the Palestine Research Center; *Editor*, Dr. Anis Sayegh; *Annual Subscription* (airmail): Lebanon and Syria L L 50, other Arab countries L L 60 or equivalent, Africa and Europe L L 80, elsewhere L L 100; *Annual Subscription* (surface mail): Countries outside the Arab World L L 50. *Address:* P.O.Box 1691, Beirut, Lebanon; Tel. 351260; Cables: MARABHATH.

السعر ٣ ١/٢ ل.ل. في لبنان
٤ ل.س. في سوريا
٤٥٠ فلساً في الكويت والعراق
٤ ١/٢ ل.ل. في سائر الاقطار العربية